تاريخ طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى

المعروف بـ :



تاريخ اليمن

خلال القرن الحادي عشر الهجري

(١٠٤٥هـ ـــ ١٠٩٠م)

تأليف

عبدالله بن علي الوزير

(ت ١١٤٧ هـ)

تحقيق

محمد عبدالرحيم جازم

مركز الدراسات والبحوث اليمني
صنعاء

الجيل الجديد ناشرون
صنعاء





تاريخ طُبَق الحلوى وصِحاف المنّ والسلوى

المَعْرُوف بِـ :



صـدرت الطبعـة الأولى

عن مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء

ودار المسيرة - بيروت

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ

٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م

مكتبة الجيل الجديد

صنعاء

هاتف: ٢١٣١٦٢/٤/٥ - فاكس: ٢١٣١٦٣

ص .ب: ٥٤٤ - صنعاء

البريد الإلكتروني

aljeel@y.net.ye

www.aljel-aljadeed.com

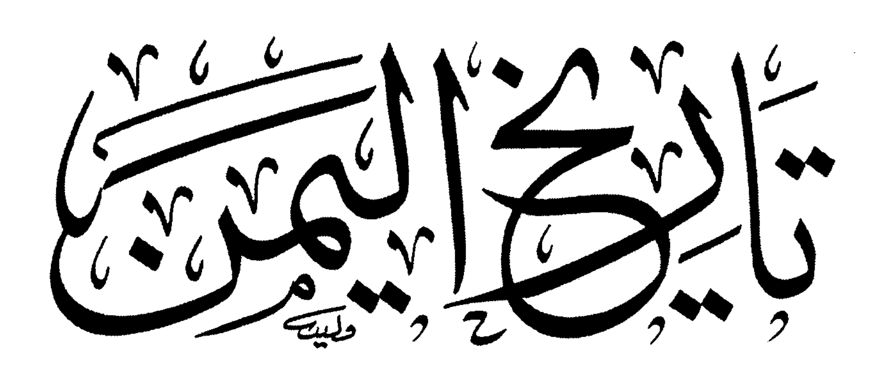
فرع الجامعة الجديدة: هـ/٢٢٧٥٤٠ — فاكس/٢٣٦٠٣٧

فرع الحي السياسي: هـ/ ٤٧٣٩٤٠ — فاكس/ ٤٧٣٩٤٢

فرع تعز: هـ/ ٢٦٥٩٥٥

تاريخ طُبُق الحلوى وصِحاف المنِّ والسلوى

المَعْرُوفِ بِـ :



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

لقد دأب مركز الدراسات والبحوث اليمني على الإهتمام بالتراث كمبدأ استراتيجي وهدف من أهدافه ولهذا قام بتحقيق وطبع عدة كتب من ضمنها هذا الكتاب الذي سماه المؤلف (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) وهو حلقة من سلسلة تاريخ اليمن وقد سلك المؤلف في تأليف هذا الكتاب مسلك كثير ممن جعلوا كتابة التاريخ كتسجيل المذكرات فهو يرصد الأحداث يوماً بيوم ولحظة بلحظة كما أنها لا تفوته حتى الظواهر الطبيعة من كسوف الشمس وخسوف القمر وحدوث الزلازل والإنهيارات الأرضية، وقد التزم السجع في إسلوبه ككثير ممن جعلوا السجع شرطاً لحسن الأداء ودليلاً على المقدرة اللغوية، ولقد كلفه هذا الأسلوب جهداً كبيراً لا سيما عندما يورد كلمة قاموسية قد قل استعمالها بل كاد بعضها أن يختفي تماماً.

كما كان يستطرد في سياق الكلام بما يعد خروجاً عن موضوع البحث وقد أبقى المحقق على كل ما جاء في الكتاب عملاً بأمانة النقل حتى الإيماءات الخرافية والإشارات الغيبية لم يخول المحقق لنفسه حق الحذف أو الإعتراض اعتماداً على أن القارىء سيفرز بنفسه ما هو منطقي وما هو مناف للمنطق فضلاً عن أن ذلك يتنافى مع أصول التحقيق العلمي وفي الكتاب أشياء تهم الباحثين

وتلفت النظر، وتدعو إلى التأمل حيث يجد القارىء صفحات من المآسي الدامية، والحروب المتكررة والتهافت على امتلاك ناصية الحكم بأي وسيلة فما يكاد يموت خليفة أو سلطان أو ملك حتى يقوم بالدعوة لنفسه عدد ممن لهم طموح إلى الإمارة أو طمع في السيطرة للإستيلاء على السلطة، ومن هنا تحدث الحروب وتتعرض البلاد للخراب والدمار، ويقتتل الناس في سبيل وصول الطامحين إلى الحكم، وسيجد القارىء في ثنايا هذا الكتاب حوادث مؤسفة أهدرت الأموال، وأهرقت الدماء، وأحرقت الزرع، وخربت العمران، وقد شاءت الأقدار أن تتزامن هذه المحنة مع ظهور الطلائع الإستعمارية التي غزت بعض شواطىء البحر الأحمر والخليج العربي مما دعا الدولة العثمانية يومئذ إلى التدخل لمطاردة الغزاة والبدء في التدخل المباشر لحماية البلاد الإسلامية من أطماع المستعمرين إنها فترة حرجة مرت باليمن منذ بداية القرن التاسع إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري، فقد شهدت اليمن وقائع ومعارك في كل مكان فما تكاد تهدأ في منطقة حتى تثور في منطقة أخرى ومع ذلك بقيت المدارس العلمية عامرة بطلاب العلم، وأهمها المساجد، والدواوين الخاصة، كما كان للأدب وجود في المراسلات والمطارحات الشعرية والجدل المذهبي، والصراع الفكري.

والخلاصة أن هذا الكتاب يحتوي على ملاحظات فيها الحلو والمر، والسلم والحرب، والعلم والجهل والخصب والجدب، والسرور والحزن، وكذلك تاريخ اليمن منذ الغزو الحبشي الأول إلى الحاق صنعاء بالمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة، وبقائها تابعة لتلك العواصم، حيث لم تنعم بالهدوء والإستقرار إلا في فترات يسيرة والملفت للنظر هو توحد اليمن شمالاً وجنوباً في تلك الفترات مما يدعو إلى التفاؤل بعودة الوحدة بين الشطرين وبأن ذلك منطق الحقيقة والتاريخ وبأن الشعب اليمني في الشطرين لم يفترق إلا إذا فرض عليه التفرق والإنقسام..

مركز الدراسات والبحوث اليمني

تصدير.. وملاحظات

في غياب التراث تنقطع الآصرة بين الحاضر والماضي، وبذلك يصبح المجتمع المفصول عن ماضيه في هذه القرية التي كنا نراها قبل اليوم أرضاً شاسعة لا حدود لها، نهباً للتيارات القوية في بقعة صغيرة من الكون، خاصة عندما يكون ذلك المجتمع مغرقاً في تخلفه وأميته. لذلك يصبح نشر التراث ضرورة قائمة وملحة، غير أن مشكلة التخلف والأمية لا تلبث أن تطرح أسئلة يتوجب علينا وضعها في الاعتبار وقبل الاقدام على تلبية حاجة هذا النوع من المجتمعات للاتصال بتراثه، ومن هذه الأسئلة تمثيلا لا حصراً:

- أي موضوع من مواضيع التراث يحتاجه مجتمع متخلف في مكان وزمان محدد؟
- إلى أي مدى يمكن أن يستفيد ذلك المجتمع من هذا الموضوع وإلى أي مدى يمكن أن يفيد إعداده؟
- هل يتمتع كاتب التراث بالحد الأدنى من النزاهة الفكرية والشخصية وهل يتسلح بالقدر اللازم من المنهجية العلمية؟
- لماذا نختار هذا الموضوع بالذات والآن؟

من الطبيعي أن لا تكون هذه الأسئلة وغيرها وإرادة في مجتمع يستقر في عقله الشك « الديكارتي » جيلا بعد جيل ويشاركه السكنى ومؤسسات التعليم والثقافة والاعلام والرياضة والترفيه، ولا في مجتمع تحل في أرجائه تجريبية

« فرانسيس بيكون » أو مادية « كارل ماركس » أو نفعية « وليم جيمس » لأن مؤسسات كل مجتمع من هذه تغربل - متحدة - موروثاتها ومواريث سواها الوافدة أو المنهوبة، وتكرسها لخدمة أهدافها ومصالحها في مناخ من التواصل ليست الأمية على الأقل إحدى معوقاته.

والأمر يختلف أشد الاختلاف في مجتمعات وأدت ابن الهيثم وابن رشد في زمن مضى وأصبح الفرد فيها عاجزاً عن قراءة رسالة يتلقاها اليوم من أخيه أو ابنه أو والده في مواطن الغربة. كذلك فإنه منذ اللحظة التي أنكرت فيها مجتمعاتنا العربية الاسلامية لغة العقل ومنطق العلم فإن أجزاء مهمة من تراثنا بجوانبه المختلفة قد تسلسل عن صراعات اختلط فيها كل شيء وتماهى ولم يبق منها صارخ إلا عصبية العشيرة والقبيلة والسلالة والمذهب وغلو في التشبث بأفضلية حضارات قديمة اندمجت في حضارتنا الراهنة، وغلو في اهدار أية قيمة لأخواتها من الحضارات، والمغالي في الأولى هو نفسه الذي يغالي في الثانية متجاهلاً أن صاحبه في الموقع الآخر يسلك نفس الطريق.

وهكذا فإن تلك الأجزاء من تراثنا العربي الاسلامي في غياب العقل والعلم تعبر أكثر ما تعبر عن أفعال خاطئة تستدعي ردود أفعال من جنسها وتدور كلها هذه وتلك في حلقة مفرغة. هكذا نقرأ في بعض التراث الأدبي تفاخراً ومديحاً وهجاء يصب في القوالب التعصبية ولو بقي للعقل والعلم دور في حياتنا لأغمضنا أعيننا عن هذا الجانب العاطفي من تراثنا بكل نوازعه الجاهلية، إلا أن المأساة امتدت الى كتابة التاريخ فأن يختار كاتب تراثي لنتائج ما توصلت إليه أبحاثه في الكيمياء عنواناً يعبر عن موضوعه بلغة عصره مثل. « خلاصة القول في تحليل البول » شيء مقبول ومعقول، أما أن يضع مؤرخ تراثي لمشاهداته المختلطة بقناعاته الشخصية ومعارفه المشوشة عنواناً كهذا: « طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى » فإنه إذ يغريك بوضع الغطاء اللذيذ على الطبق كفاتح شهية؛ لالتهام محتوياته فإنك لا تلبث أن تفقد شهيتك بمجرد التعرف على محتويات الطبق فالعنوان في واد والموضوع في واد

آخر، لكن الكاتب لا يلام على فعله بمقاييس الحاضر. ولا بد أن نشعر بالامتنان والغبطة لما فعل فلا أقل من انه قد ترك لنا صورة حقيقية ١٪ و شبه حقيقية عن رؤيته لذلك العصر من خلال موقعه في الظرف الاجتماعي والتاريخي الذي عاش فيه، فهو خير ممن لم يفعل شيئاً وقد يكون من المفيد ان نلقي بعض الضوء على زوايا تلك الرؤية فهي رؤية من داخل السلطة ومن نظام لا علاقة له بالمفاهيم الحديثة لنظام الحكم. ذلك أن الحكم الإمامي الذي عاصره الكاتب كان نظاماً يعتمد المذهب الزيدي كنظرية للحكم ويرتب على ذلك بحيث تكون قمة وبعض دعائم الحكم الرئيسية من السلالة الهاشمية دون مبالاة بالخروج على أصول المذهب. وقد كان الكاتب نفسه قطب من أقطاب النظام[١] فإذا علمنا أن المذهب الزيدي لم يكن مذهب أهل اليمن جميعهم وأنه كان مجرد قطرة في بحر متلاطم من المذاهب في المحيط العربي الاسلامي فإننا نكون قد كشفنا وجه التعصب في رؤية الكاتب من هذه الزاوية، وإن كنا نبرىء المذهب ذاته من التعصب وسنحس بعصبية الكاتب المذهبية حين نصل الى تقييمه للمذاهب الأخرى ابتداء من آرائه في ابتذال أهل السنة الأتراك الى امتعاضه من انتصار الاباضية العمانية على المستعمرين البرتغال وصعوداً من التعصب الى حد إنكار يمنية قبيلة الحدا العريقة في يمنيتها ومحاولة تنسيبها الى سلالات مصرية الأصل لأنها حاولت الخروج على النظام ووصف توسع السلطة في البلاد بالفتح على اعتبار أن الخارجين على السلطة من القوم الكافرين حتى لو كانوا زيوداً.

أما ما بثه الكاتب من آراء وما صوره من رؤى- في سياق سرده للأحداث- تتصل بالخوارق والمعجزات فهي وإن تكن قد أسلمت للخيال

---

(١) عادة ما يذهب البعض الى تعميم موقف شخص أو بضعة أشخاص إما سلباً خالصاً أو إيجاباً خالصاً على المحيط الذين ينتمون إليه في زمن محدد، والأجيال التي تنحدر من ذلك المحيط سواء كان أسرياً أو عشائرياً أو قبلياً أو غيره، وفي ذلك خروج واضح ليس على الأمانة العلمية فحسب بل على الأمانة بمفهومها الأخلاقي. لذلك لزم التنبيه.

عنانها الى درجة ربط بعض الظواهر الطبيعية بها، فإنها في الحقيقة تعطينا فكرة لا بأس بها عن أمور لا يزال لها امتدادها في مجتمعاتنا العربية الاسلامية عموماً ومجتمعنا اليمني بوجه خاص، وهي ليست بدعاً في تأريخنا وحياتنا بالتأكيد ذلك أننا نجدها في التراث الأوروبي بدءاً من الأساطير الاغريقية وحتى راسبوتين والحلال الامبراطورية التي لم تكن تغرب عنها الشمس. وإذا كانت قد أصبحت اليوم مجرد ظواهر إنسانية تخضع للدراسة تحت مجهر العلم الحديث في عالم المتقدمين المادي فإنها تبقى بفعاليتها ومظاهرها عندنا جزءاً لا ينفصم من التكوين الروحي لمجتمعاتنا. ونحن إذ نعجز عن تحديد ماهيتها بالعلم فإننا لا يجب أن ننكر بالجهل وجودها ولكننا يجب أن نتنبه ونحن نمر على سطورها في هذا الكتاب أو في غيره الى الكيفية التي يكرس بها الكاتب تلك الحوادث لخدمة وجهته السياسية فما دامت الأحداث خارقة وتحتمل التصديق وعكسه فإنه من غير المستبعد أن ينتحل الكاتب تدعيماً لأفكاره أحداثاً خارقة ورؤى معجزة لم تحدث أصلاً في الواقع.

هكذا تبرز مسألة نشر التراث التاريخي كمشكلة عويصة سواء بالنسبة للمحقق أو الناشر المسؤول. فالأمانة العلمية تقتضي من الطرفين أن يقدما الموضوع التراثي للقارىء كما تركه مؤلفه بغثه وسمينه، لكن ما يبدو على هذا المستوى النظري لنا بديهياً لا يلبث أن يصطدم بحقائق الواقع المر.

وأمام هذا المخطوط الذي يقدمه مركز الدراسات والبحوث اليمني للقارىء لأول مرة، لا بد أن نتوقف قليلا لنتفحص المشكلة ونقلبها على وجوهها المختلفة.

فالمخطوط يؤرخ لفترة زمنية مداها أربعة وأربعين عاماً (١٠٤٦-١٠٩٠هـ) وهي الفترة التي أعقبت استقلال اليمن من السيطرة العثمانية الأولى. وقد استحوذ على اهتمام المحقق فيه أنه يتناول «فترة من فترات التاريخ اليمني لم يتناولها الباحثون والدارسون بصورة وافية».

وبالرغم من أن تحقيق الكتاب يعتبر باكورة انتاج شاب مجتهد فتي هو «محمد عبد الرحيم جازم» فإن اهتمامه بتحقيق العمل لم يحل بينه وبين التمسك بالأمانة العلمية. لذلك نراه يشمل في مقدمته للكتاب ملاحظاته على مضمون المخطوط ومنهجه وتصرفه بالحذف لبعض أبحاثه ملمحاً إلى بواعثه في ذلك، كما أضاف تعليقاته كهوامش على الصفحات في بعض المسائل التي طرحها المؤلف. ولقد يكون الإيجاز كافياً في بعض الأمور لكن التفصيل ضروري في القضايا الرئيسية. ومن هنا فلا بد من إضاءة الخلفية السياسية التي نشأ عنها الأثر.

من المعلوم أنه قد تعاقب حكم الأئمة على اليمن قروناً طويلة. وانحصرت الإمامة بالوراثة في أسرة واحدة أكثر من ثلاثة قرون (١٠٠٦ - ١٣٧٣ هـ) واتكأت هذه الأسرة في حكمها الطويل لليمن نظرياً على قاعدتين العدنانية: (كعرق) والزيدية: (كمذهب)، غير أن مسألة السلالية ينفيها احتكار أسرة واحدة من السلالة لحكم اليمن واصطدامها الدامي بالمناهضين لها من نفس السلالة بل من نفس الأسرة أيضاً. وثانياً: حياة الغالبية العظمى من هذه السلالة كسائر المحكومين من أبناء اليمن مع بعض الاستثناءات الطفيفة الناشئة عن حب اليمنيين لرسول الدعوة عليه الصلاة والسلام وتجسيد حبهم له في (آل بيته) وفيما عدا ذلك فإنهم يرونهم أخوة لهم في السراء والضراء وشركاء فعالين في مقاومة النظام الظالم بغض النظر عن انتمائه الى السلالية أو المذهبية.

وثالثاً: إن البطانة التي كان يتخذها نظام الإمامة لم تكن محصورة في السلالة بل إن مستوى التحصيل الفقهي ومدى النفوذ العشائري كان هو المقياس المعمول به في اختيار البطانة.

ورابعاً: فإن واجهات مقاومة نظام الوراثة كانت تتكون وتنمو في بطانة الحكم ثم تنشق عليه- أما المذهب الزيدي وهو القاعدة الثانية للحكم فإنه قد مسخ بالتدريج ابتداء من ترسيخ نظام الوراثة وانتهاء بمسخه الى نظرية

مفتوحة تملؤها مقتضيات حكم الوراثيين وامزجتهم الشخصية وتقلبات أهوائهم حتى انهم لم يكتفوا بادعاء تمثيلهم للمذهب الذي نشأ في أحضان العقلانية المعتزلة بعد أن قضوا أهوائهم عليه، بل تمادوا الى حد الادعاء بأن أقوالهم وأفعالهم ومظالمهم وحي يوحى. لذلك فكل الناس عندهم من غير المؤمنين ايمانا أعمى بنظامهم طغاة وكفرة الى الحد الذي سوغوا فيه لأنفسهم فرض الجزية على سكان اليمن من أهل السنة، وإشاعة الموروث المعادي للدعوة الاسماعيلية الذي يتلخص في قولهم أنها تبيح العرض والمال والدم وأن الداعي أباح البنات والأمهات والصبيان أيضاً فمن يستطيع أن يتصور أن أي شعب- فضلا عن الشعب اليمني- يمكن أن يتوحد في ظل دعوة كهذه الآن أو بعد ألف قرن. إن الحكام الذين ركبوا ظهر المذهب الزيدي قد أسسوه تأسيساً سياسياً واقتصادياً وجغرافياً يثير الريبة في صفته المذهبية، وذلك أننا لا نرى إلا نطـــاقين جغرافيين متجاورين ومحددين بالمذهبين الرئيسيين: الزيدي والشافعي على النحو الذي توضع به الحدود السياسية بين دولتين مستقلتين وهو أمر واضح الغرابة.

وقد يكون من الطريف أن نذكر- على سبيل التدليل- أن اليمنيين اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم- بهذا المنطق الجغرافي الذي ترسخ عبر الحقب- زيوداً في النطاق الجغرافي الزيدي، وشوافع في النطاق الجغرافي الشافعي. وعلى هذا الأساس اللاديني واللامذهبي فقد أرغم النظام الامامي في أواخر عهوده قبائل البيئات الطبيعية الجدبة التي أصبحت تحت نفوذه في النظام الجغرافي الزيدي على تجنيد أبنائها القانعين بما قسم الله لهم في مناطقهم من الحرمان وشظف العيش، وكون من هؤلاء البؤساء ما أسماه بالجيش النظامي ليمد به نفوذه الى المناطق الخصبة في النطاقين الجغرافيين الذين كرس فيهما الصفة المذهبية، وهو لم يستطع أن يمد نفوذه الى القبائل الزيدية قبل ذلك- وفي أحوال كثيرة- إلا بإذكاء الصراعات بينها حتى يبلغ بها الانهاك منتهاه وليس بتعليمها المذهب. ومع ذلك فقد اكتسب ما سمي بالجيش النظامي

الصفة المذهبية أيضاً لأن عناصره تنتمي بالميلاد الى النطاق الجغرافي الزيدي. وعلى ذلك فقد كان ينظر إليه على أنه جيش الامام حين يسير الى مناطق الخصب في النطاق الزيدي، وجيش الزيود حين يتجاوز حدوده ويتقدم الى مناطق الخصب في النطاق الجغرافي الشافعي وفي ظروف الجهل المطبق والعزلة الخرافية التي كان يعيشها المجتمع اليمني بأكمله قبل الثورة، وبمقياس أن أعمدة الحكم كانت زيدية وغالبية متنفذية زيود وأدواته التنفيذية (الجيش البراني والجيش النظامي) زيدية، فإننا لا يجب أن نستنكر نظرة النطاق الشافعي للحكم وتغليب النظرة المذهبية إليه، لأنه لم يكن بمقدرة أحد من أهل ذلك النطاق أن يتسع نظره ليرى أن متنفذي الامام وعساكره كانوا ينتشرون كالجراد في مناطق الخصب من اقصى اليمن الى أقصاه لا فرق في ذلك بين (جربة) و(حول) ولا منطقة زيدية ولا شافعية، وأن أفراد الجيش الذي كانوا يبدون أدوات للظلم الإمامي في عين الرعوى الزيدي ووحوشاً في عين الرعوى الشافعي كانوا أشد الناس تعباً وفاقة، فلقد كانوا يعيشون في ثكنات هي الى الزرائب أقرب حياة ربما تكون عينة فريدة لمأساة النظام الإمامي برمته سواء بالنسبة للأهداف التي أنشىء من أجلها ذلك الجيش او بالنسبة لاطعامه وكسوته وتطبيبه وتسليحه.

وإذا تصور أحد أن الانسان يستطيع أن يقتات الخبز الرديء الصنع جافاً لضرورات حصار ما أياماً فإن طعام العسكري قد كان كذلك في وجباته الثلاث على مدى حصار إمامي دام سنيناً ولقد بقيت لنا الى اليوم صور تذكارية لملك يستعرض جيشاً حافي الأقدام في القرن العشرين ويكفي أن نعرف فقط كيف كان العسكري من هؤلاء البؤساء يحشر بين خمسين من زملائه للنوم في عنبر واحد مليء بالقمل والبراغيث والبق والصراصير والفئران، وكيف كانت الحميات والامراض الجنسية والجذام والكوليرا تحصدهم بالعدوى دون أن يكون للجيش طبيب فضلا عن مستشفى اللهم إلا صحي واحد لجيش كامل وكل عدته هي صبغة اليود والمرهم الأسود

« الأكتيول » وإناء كبير من شراب كانوا يطلقون عليه « مستر بشلي » وفي هذه الثلاثة مع بركة الإمام شفاء لجميع الأمراض. فهل يمكن أن يلام هذا العسكري البائس إذا تاقت نفسه لجرعة من المرق وقطعة لحم أو بيضة وخبزة مصبوغة بالسمن وانتزعها بشراسة من أخيه المزارع حين يتنفذ عليه؟ وهل اكتسب شراسته هذه من مذهبه الزيدي أم من التجويع الإمامي؟

ثم ما الذي فعله الإمام للمنطقة الجغرافية الزيدية بأسرها هل ميزها على المنطقة الأخرى بتعليم أو تطبيب أو توسيع للانتاج الزراعي أو إقامة إنتاج صناعي؟

إن شيئاً من ذلك لم يحدث قطعاً وكل الذي فعله نظام الامام هو أن نفخ في جهل القبائل اليمنية الشمالية روح التعصب المذهبي الأعمى بدلاً من أن يفتح لهم أبواب المدارس ليتعلموا، ونفخ في جوعها روح التسيد الزائف بدلاً من أن يفتح أمامها أبواب الانتاج والاستقرار.

إن النظام الإمامي فضلا عن تركه للمنطقة الزيدية في حالة من البؤس الشديد والمتعدد الصور كغيرها من المناطق فإنه قد أورث أبناءها المظلومين نظرة الارتياب من إخوانهم في النطاق المذهبي الآخر دون ذنب ولا وجه حق كما جنى على العنصر الهاشمي حين ادعى نظرياً أحقيته في توارث الحكم في الوقت الذي كان قد حصر الإرث من الناحية العملية في أسرته وحدها وعدد محدود من الأسر المساندة، فأورث الريبة المتبادلة في نفوس العنصرين القحطاني والعدناني على شكل طموح متعصب عند عدد محدود من غلاة الهاشميين الذين لا زالوا يفكرون خارج المذهب وخارج العصر من جانب وخشية محصورة في عدد من غلاة القحطانيين تتوجس عودة حليمة لعادتها القديمة، ولعل هؤلاء يفكرون خارج التاريخ أيضاً.

وعلى وجه العموم يمكن القول إن نظام الإمامة قد أورث جميع العناصر من الشعب اليمني الواحد لعنة هو أولى أن تحل به وحده من اليمنيين جميعاً بمنطق الدين والتاريخ والواقع والعصر معاً.

قد يبدو هذا الاستطراد خروجاً عن الموضوع وقفزاً على القرون، ولكننا لا نزال في صلب الموضوع لأكثر من سبب وجيه:

الأول: إن النظام الإمامي لم يتغير في شكله ولا مضمونه ولم يتقدم خطوة واحدة الى الأمام حتى نهاية النصف الثاني من القرن العشرين أي بعد مضي ما يزيد على قرنين ونصف من تحرير المؤلف لمخطوطه.

الثاني: إن المخطوطة في مجمل فصولها تمجد اوضاعا وحوادث ونظاما لا تتضمن اي ذكرى طيبة في نفوس اليمنيين لها بدليل انقلابهم عليها والبحث عن صيغة جديدة لمستقبلهم كما تمثلت في إعلان النظام الجمهوري، كذلك فإنها بما تحفل به من هجوم يصل الى حد الهجاء للمذاهب الدينية التي اختلف نظام الامامة معها تحت ستار المذهب الزيدي ووصف المؤلف لحملات النظام على أنحاء البلاد وتمجيدها لا باعتبارها توسعاً سياسياً بل انتصاراً للدين، وكذا الاشادة بالاجراءات الخرقاء التي عمت البلاد بأسرها وخصت بالاجحاف أجزاء منها على أيدي أعوان النظام الامامي وأدواته التنفيذية باعتبارها تطبيقات تشريعية تستمد أصولها من المذهب الزيدي. كل هذه وتلك تجعل الحذر واجبا من أن يفضي نشر تراث كهذا الى إذكاء المواجع والاحن بين أبناء الشعب الواحد. ولا يجوز لنا أن نتصور أن السنوات الاثنين والعشرين التي خرج فيها الشعب اليمني الى العصر الذي كان معزولا عنه تكفي لأن تزيل ما ترسب في النفوس عبر قرون من حكم الظلم الامامي المتخلف. لذلك كان من الواجب وضع بعض النقاط على حروفها ليتاح لقارىء هذا الأثر رؤية وطنية يمنية شاملة بعيدة عن التعصبات العرقية والمذهبية التي لم تكن سوى مطايا ووسائل يمرر نظام الحكم أهدافه من خلالها وهو لذلك مسؤول عنها وحده وليس غيره، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن اليمن قد دخل الى العصر متأخراً جدا ومنهكا جدا من جراء

تاريخ دام طويل من الصراع المذهبي الذي لم يستقر للحضارة العربية الاسلامية قرار في ظله ولرب أنها تمثل امتداداً لصراع الدويلات التي اندثرت على أثرها حضارته القديمة، فالبدايات- كما نرى- غائرة في أعماق التاريخ والنهايات على مرمى البصر فلا غرابة أن يبرز بين الفينة والفينة كجزء من إرث لشعب يدخل الى العصر غاية في التخلف وغاية في الجهل، لذا كان من الواجب علينا أن ننبه الى طبيعة الظرف العربي والدولي الراهن الجاهز والمتحفز لاستقطاب ذلك الارث السالب وتكريسه لأهداف قد تخدم دولة أو تنظيماً تنظيما ولكن خصماً على حساب دماء أبناء اليمن وتقويض أركان وحدتهم شعباً وأرضاً.

إن درس لبنان لا يجب أن يغيب عن أذهاننا لحظة واحدة حين نتصدى لتراث يثير قضايا من نوعه أو شبيهة به، وقد تعلمنا منه أن المجتمع الذي يحمل إرثاً من الانتماءات المذهبية والطائفية وتتجسد زمنا في تركيبة الدولة وفي بنية الحكم وفي ممارستها معا لن يلبث أن يتحول الى صراع لا يستطيع أن ينفك عن أصوله التاريخية مهما حاول أن يلبسها أثواباً عصرية ويعلمنا بأن الصراع حين يدور على مستوى أفقي فإنه يستطيع أن يأتي على الأخضر واليابس في حياة ذلك المجتمع ولكنه لا يستطيع أن ينهي طرفاً في الخريطة الاجتماعية أو يقهره مهما قل عدده أو صغر شأنه.

ويعلمنا ثالثاً أن مثل ذلك الصراع يبدأ وينتهي لمقتضيات دولية تحجب ضروراته المحلية وتزيفها، ولا يسفر ذلك الصراع إلا عن إخلاء الطريق للفرقاء المحليين الى مائدة كانت موجودة أمامهم يبحثوا حولها ما كان يتوجب عليهم أن يبحثوه قبل خراب مالطة، وهو ضرورة التساوي في الحقوق والواجبات على أساس المواطنة وليس على أي أساس آخر، وبمقاييس القدرة والكفاءة، والاخلاص والنزاهة مشاهدة في الممارسة وليس بأي مقياس آخر.

من هذه الزاوية فإننا نعتقد أن تقييم الأثر التراثي يلزم المتصدي له أن

يضع نصب عينيه البيئة التي خرج منها ويعود إليها ذلك الأثر وكذلك الظروف الزمانية والمكانية والموضوعية المحيطة بتلك البيئة كما يتحتم عليه أن يتسلح بمنهج مجتمعي معاصر يضع اللبنة السليمة المستمدة من التراث في مكانها من بناء الحاضر ويضيء جوانب التراث السلبية لكي لا تمتد آثارها من الماضي للتشويش على محاولات بناء الحاضر بناء سليماً وعرقلة المضي بخطا واثقة في الطريق الى المستقبل. فالتراث ليس مطلوباً لذاته ولا يجوز أن يكون نشره هدفاً مستقلا عن حاجة المجتمع لفائدة مرجوة منه فضلا عن أن يكون ذا أثر سلبي عليه، وهو لن يكون كذلك ما لم يكن قد غربل برؤية وطنية وقومية وعقيدية شاملة وهو ما حاولناه في هذه المقدمة.

والله ولي الهداية والتوفيق.

عبد الصمد القليسي
مدير إدارة النشر بمركز
الدراسات والبحوث اليمني

التقديم

بقلم محقق المخطوطة

الكتاب:

يعد هذا الكتاب أحد كتب التاريخ الرسمية، وترجع أهميته إلى كونه يؤرخ لفترة من فترات التاريخ اليمني لم يتناولها الباحثون والدارسون بصورة وافية، ألا وهي عهد اليمن المستقل عن السيطرة العثمانية الأولى، فمن المعروف أن الأتراك العثمانيين خرجوا من اليمن عام ١٠٤٥ هـ ويأتي مؤرخنا عبد الله بن علي الوزير ليلتقط خيط الأحداث لليمن المستقل من عام ١٠٤٦ حتى عام ١٠٩٠ هـ مسجلاً خلال هذه السنين الكثير من الأحداث التي كان مسرحها اليمن وبلاد عربية وإسلامية مجاورة.

فمن أبرز الأحداث الخاصة باليمن في هذه الفترة تحقق الوحدة الوطنية وضم معظم أجزاء اليمن في دولة يحكمها أئمة الأسرة القاسمية - الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، والإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم - ولم تتحقق هذه الوحدة بسهولة وإنما كانت ثمرة جهود عسكرية متواصلة استمرت سنوات وأدت إلى احتضان بقعة واسعة من الأرض اليمنية تمتد من أقصى الطرف الشرقي لظفار شرقاً إلى سواحل البحر الأحمر غرباً ومن جنوب مكة شمالاً إلى عدن جنوباً، وصاحب هذا الامتداد للدولة الكثير من الإضطرابات والتمردات الداخلية لأسباب مختلفة تعكس معظمها الضعف الإقتصادي للبلاد، وقد ركز مؤرخنا على الفوضى التي كانت تعم البلاد من جراء الصراع على الإمامة، فما أن يموت الإمام حتى نجد أفراد البيت القاسمي وآخرون يدعو كل

منهم إلى نفسه بالإمامة وينقسم العلماء والقادة وأجزاء من البلاد مع إمام دون إمام آخر وتتفاقم الأحداث وتؤدي إلى صراع مسلح ويستطيع الأقوى فرض نفسه إماماً ويضطر الآخرون إما إلى مبايعته أو اللجوء إلى أماكن حصينة بعيدة عن متناوله.

ويرصد مؤرخنا الكثير من الظواهر الإجتماعية والإقتصادية والطبيعية للبلاد خلال هذه الفترة، فقد سجل بصورة مأساوية تعرض سكان البلاد إلى كثير من الأوبئة والأمراض والمجاعات وذكر حالات الوفاة الجماعية في بعض المدن والمناطق، كما تناول تعرض مدينة صنعاء ومدينة ضوران آنس لأكثر من هزة أرضية عنيفة واحتراق ثلث مدينة المخاء نتيجة ثورة بركان بالقرب منها، وتطرق في ثنايا الكتاب إلى كثير من الأحداث السياسية والظواهر الطبيعية، وخلط كل هذا بتراجم وفيات مشاهير العلماء والحكام.

وقد حَظيت البلاد الإسلامية المجاورة باهتمام مؤرخنا فسجل الكثير من الأحداث التي دارت فيها كالصراع العثماني الإيراني في بلاد العراق، والحملات العسكرية البحرية التي وجهت لفتح جزيرة مالطة من قبل الدولة العثمانية، وصراع أشراف مكة فيما بينهم وعلاقتهم بالدولة العثمانية وتمرد بعضهم عليها، وتتبعه لحملات عسكرية أرسلت إلى بلاد الحجاز من مصر كانت تخلق حالة من الترقب لدى أئمة اليمن.

ومن المواضيع الهامة التي أوردها عبد الله بن علي الوزير في كتابه هذا أخبار الصراع العماني البرتغالي الذي اتخذ من البحر العربي وسواحله وسواحل البحر الأحمر ميداناً للصراع وقد تأثرت السواحل اليمنية بعض التأثر من جراء ذلك(١).

---

(١) نشر عبد الله محمد الحبشي هذه النصوص في مجلة العرب، ج١ و٢، السنة التاسعة ١٩٧٤م تحت عنوان «البرتغاليون على ساحل البحر الأحمر» وتناول البروفسور آر. سارجنت بالإهتمام النصوص التي وردت في هذا الكتاب وإن كان قد ركز على الرسالة المتبادلة بين سلطان عمان (سلطان بن سيف) وإمام اليمن (المتوكل على الله إسماعيل) - حصاد ندوة الدراسات العُمانية نوفمبر ١٩٨٠، م٦، ص١١٣- ص١٥٧.

منهج المؤلف:

يتناول المؤلف في بداية الكتاب أسباب اختياره لهذه الفترة فيقول « حاولت فيه الكشف عن الحوادث التي مبتداها سنة ست وأربعين بعد الألف، لأني رأيت ما سبقها من السنين قد انتظمها التسيير بلسان المؤرخين »[1] ثم يبين لنا منهجه في تأليف الكتاب « وأخذت العفو في الترتيب والرفو، فلم أحفل بالشهر وتسيير أيامه، ولف الدهر وتفتيش أعوامه، لعلمي وكل من برع في التسيير، أن هذا يصدر لأمرٍ عسير وتعرض لما ليس من الصدق في قبيل ولا دبير، وقد عزي إلى بعض مؤرخي اليمن أنه وضع برسم بعض البواش مؤلفاً جعله على ترتيب أيام الشهور وأعوام العصور مكيفاً، ولما فتشت مسوداته، وتتبعت ورقاته، وجد منه نسختان إحداهما المقتصر عليها، والمرجوع في التسيير إليها، وحين قوبل بين محصوليها، وجد الإضطراب بين منقوليها، فترى في إحداهما النكتة الفلانية في الشهر الفلاني، وتراها في الأخرى قد رتبت للشهر الثالث والثاني، ومن هذا الإضطراب الذي يقضي بأن القصد الخدمة بذلك الكتاب، فترى الكتاب لابساً لتلك الأساليب والله يعلم ما تحت الجلابيب. وقد اطلعت على تاريخ لبعض أبناء ملوك اليمن أوعب فيه ما وصل إلى علمه الشريف، وفكره اللطيف، فاعتمدت في القصص عليه وأحلت جُل ما نقلته إليه، وما زدته مني فإن عزوته فقد خرجت من عهدته، وإن أطلقته فهو إنشاء الله بريء عن الكذب ووصمته، ولم أتكلف لأكثره سجعاً مطبوعاً، ولا أحللته من مساكن التنطع ربوعاً لأني قصدت من موضوعه العلة المنسوبة إلى الغاية، وأن يشترك في الميل إلى توقيعه أهل البداية والنهاية »[2].

يرسم المؤلف بكلامه السابق طريقته وهدفه من تأليف الكتاب، ومع هذا

---

(١) ص ٤٧ من الكتاب.

(٢) ص ٤٧، ٤٨ من الكتاب.

نجد أنه لم يخرج عن سابقيه من المؤرخين اليمنيين في طريقة تدوين الأحداث فهو يسير في روايته على طريقة الحوليات وهي ذكر السنة والشهر أحياناً، وإن كان لا يهتم كثيراً بذكر الشهر إلا أنه يشير إلى كل حدث جديد في نفس السنة بقوله « وفيها » ويدونه بخط عريض أو « وفي هذه السنة » وهو أسلوب لا يخرج عن الحوليات، وداعي مؤرخنا إلى عدم ذكر الشهر توخيه للدقة في إيراد الحدث وتدوينه يظهر لنا هذا من النقد الذي وجهه إلى المؤرخ الرسمي الآخر الذي أراد التقرب إلى الحاكم « الباشا » بتأليفه كتاباً يذكر الأحداث بالسنة والشهر واليوم بدقة وعلى حساب الحقيقة التاريخية.

وكما شاهدنا يذكر مؤرخنا أنه اعتمد في نقل مادة كتابه هذا من كتاب مؤرخ آخر « تاريخ لبعض أبناء ملوك اليمن » « فاعتمدت في القصص عليه وأحلت جل ما نقلته إليه » ومع أنه لم يحدد اسم الكتاب ولا المؤرخ فإن كتابه هذا تهذيب لكتاب « بهجة الزمن في حوادث اليمن » ليحيى بن الحسين الذي كتبه من قلب الأحداث التي عايشها وسمع عنها. وكتاب « بهجة الزمن » هذا يقع في ثلاثة أجزاء ويؤرخ لليمن من ١٠٤٦-١٠٩٩ بينما يقف بنا عبد الله بن علي الوزير في هذا الكتاب عند سنة ١٠٩٠ دون أن يبين لنا سبب هذا التوقف، وقد اطلعت على الجزء الأول والجزء الثاني من « بهجة الزمن » والمودع في مكتبة الجامع الكبير برقم ٤٩ تاريخ فوجدته يتفق من حيث الفترة الزمنية مع الجزء الأول والجزء الثاني من هذا الكتاب ١٠٤٦-١٠٩٠ وكذلك في المحتوى وإن كان مؤرخنا قد طرح عنه الكثير من التفصيلات التي أوردها يحيى بن الحسين وتجاهل تماماً أموراً أخرى كذكر الجوانب الشخصية لبعض الناس وعلل سلوكه هذا بأنه (شاهد فيها ما ينكي). ورغم اعتماد المؤلف على كتاب يحيى بن الحسين هذا إلا أن بصماته واضحة على هذا الكتاب فله تعليقاته الخاصة ومناقشاته وأسلوبه في التناول والتدوين واهتمامه بالأدب ويشير إلى تدخله باستمرار بكلمة « فقلت » و« قلت » أو يفرد فصلاً قائماً بذاته لمناقشاته المطولة.

وقد نجح المؤلف في أن يسير بكتابه حسب المنهج الذي رسمه له من البداية إلى النهاية ذاكراً الأحداث الهامة لكل سنة من السنوات مع بعض خروج عن سرد الأحداث والدخول في مناقشات جانبية يراها هو من صلب الموضوع رغم أنها تجرنا قروناً إلى الوراء.

ومع تمسكنا بأمانة التحقيق وعدم تخويلنا أنفسنا حق التدخل في كتاب المؤلف فتركنا إيماءآته الخرافية وإشاراته الغيبية كما هي لأنها تعبر عن نوع الفكر الذي كان سائداً في عصره إلا أننا اضطررنا إلى إلغاء ثلاثة بحوث لا علاقة لها بالفترة الزمنية التي يكتب عنها المؤلف كما لا علاقة لها بالأحداث التاريخية والفكرية التي وضع الكتاب من أجلها. وهذه البحوث هي:

١ - بحث في مدح نعال الرسول يبدأ في ص (١٤٥) بقوله: «وكان قد صنف قبله في ذلك ابن عساكر والشيبي.. ». وينتهي عند قوله: «وفي هذه السنة خرج إلى اليمن أيضاً كتاب ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا».

٢ - بحث في تكفير محي الدين بن عربي ويبدأ في ص (١٩٣) بقوله: «وفيها أو التي بعدها أحرق الإمام كتاب الفصوص لابن عربي وهو محي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي بناءً على أن ما فيه كفر بحت.. » وينتهي عند قوله: «ودخلت سنة خمس وسبعين وألف».

٣ - بحث في التشيع ويبدأ في ص(٢٣٧)بقوله « ..وغلب عليه محض التشيع حتى نسب إليه عقيدة الجارودية» وينتهي عند قوله: «وفي ليلة الخميس ثامن ربيع الأول مات ملك اليمن.. ».

الباحثون والكتاب:

لم يهتم الباحثون بهذا الكتاب عدا عبد الله محمد الحبشي الذي أفرد له ما يقرب من صفحة ونصف في مجلة العرب عرف به وببعض ما يحويه من مادة تاريخية كما استخلص منه نصوصاً قصيرة تتناول الصراع العماني البرتغالي وتأثر

المواني اليمنية من جراء ذلك. كما ذكر الكتاب في مجلة دراسات يمنية، العدد الأول ١٩٧٨ م، ص ١٨ أثناء نشره للمؤلف [أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب] وفي كتابه [مصادر الفكر الإسلامي في اليمن]. ذكر الكتاب وأشار إلى أماكن تواجد نسخه.

عنوان الكتاب:

يبدي عبد الله محمد الحبشي رأيه بهذا الكتاب فيقول «هذا الكتاب شرق وغرب، إلا أن أحداً لم يكلف نفسه البحث فيه وقراءته، ولعل في عنوانه المبهم - بعض الشيء - السبب في صرف الدارسين عنه، وقد اختار له مؤلفه إسماً مسجعاً لذيذاً لا يعرب عن مضمون الكتاب في قليل أو كثير وهو (تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) وفي هذه التسمية الكثير من ملامح ذوق الكاتب الأدبي وتفننه البياني»[١].

ورأي عبد الله محمد الحبشي هذا فيه الكثير من الصحة فمحتويات الكتاب إذا نظرنا إليها من الناحية التاريخية لوجدنا أنها في وادٍ والعنوان في واد آخر، أما إذا أتينا إلى «ذوق الكاتب الأدبي» بالإضافة إلى موسوعيته واهتمامه بالأدب لاتضح لنا سبب الاختيار لهذا الاسم، فقد أورد الأخ الحبشي في هامش أقراط الذهب إشارة صغيرة لم يحاول الربط بينها وبين عنوان هذا الكتاب هـذه الإشارة تقول «كان العلامة أحمد بن عمر المزجد[٢]، إذا سئم من القراءة

---

(١) مجلة العرب، ص ١٩.

(٢) أحمد بن عمر المزجد: هو أحمد بن عمر بن محمد المزجد (٨٤٧-٩٣٠هـ) ولد بقرية الزيدية وأخذ عن علماء زمانه، وبرع في علوم كثيرة وتميز في الفقه حتى كان فيه فريد عصره، ومن مؤلفاته «العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب» و«تجريد الزوائد وتقريب الفوائد» وله قصيدة «تحفة الطلاب». (عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص٢٠٩).

والمطالعة استدعى بمقامات الحريري فيطالع فيها ويسميها طبق الحلوى » فإذا ربطنا بين مقامات الحريري وتسمية ابن المزجد وذوق ابن الوزير الأدبي فمن المحتمل أن يكون أخذ التسمية من ابن المزجد « طبق الحلوى » وأضاف إليه « وصحاف المن والسلوى » ويظل هذا مجرد رأي اجتهادي فقط، فعبد الله بن علي الوزير لم يوضح لنا أسباب اختياره هذا العنوان لكتابه بالرغم من أنه يقدمه لنا بقوله « هذا كشكول لطيف، ومحمول على الأرواح خفيف »[1] وحاول جهده أن يجعله كذلك، ومهما كانت أسباب اختيار مؤرخنا لهذه التسمية فهي تسمية غير موفقة إلى حد كبير. ومن أجل إلفات أنظار الباحثين والدارسين إلى أهمية الكتاب أعطيناه عنوان [تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي] مع احتفاظنا بالتسمية الأصلية للمؤلف.

المؤلف:

هو عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن السيد صارم الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن الأمير محمد العفيف الملقب الوزير[2]، الصنعاني الدار والنشأة[3].

وتجمع المراجع على أن مولده كان في شهر شعبان من سنة ١٠٧٤ هـ، أما وفاته فهي غير محددة بدقة بالشهر والسنة، فالشوكاني في كتابه البدر الطالع، يؤرخ وفاته في شوال من سنة ١١٤٧ هـ، بينما محمد بن محمد زبارة في كتابه نشر العرف، يؤرخ وفاته في ٢٨ رمضان سنة ١١٤٧ هـ بصنعاء آخذاً بما أرخه معاصروا المؤلف، أحمد بن محمد قاطن في (دمية القصر)، وتلميذه إبراهيم بن

---

(١) ص ٣٥ من الكتاب.

(٢) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص١١٣-١١٤.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، م١، ص٣٨٨.

القاسم بن المؤيد في «الطبقات»، ويجزم بأنه الصحيح، ثم يضيف وقيل في رمضان سنة ١١٤٨ هـ، أما ما وجده من خط محمد بن إسماعيل الأمير فإنه يؤرخ وفاته في ٢٨ رمضان سنة ١١٤٤ هـ، ويشير محمد بن محمد زبارة إلى أن محمد بن إسماعيل الأمير كان في ذلك العام - أي عام ١١٤٤ هجرية - وما بعده إلى سنة ١١٤٨ هجرية بمدينة شهارة لا في صنعاء[1].

---

(١) أورد عبد الله محمد الحبشي في مجلة العرب، ج١، و٢، لسنة ١٩٧٤م، ص٢٠، قائمة بأسماء أهم الكتب التي ترجمت لمؤرخنا نثبتها هنا كما جاء بها:

١ - عبد الرحمن بن محمد الذهبي الدمشقي القادم إلى اليمن سنة ١١٠٧ «نفحات الأسرار المكية في بعض نبلاء البلاد اليمنية» نشر العرف، ج٢، ص١١٦.

٢ - يوسف بن يحيى بن الحسين ١١٢١ هـ «نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر» مخطوط بمكتبة الجامع بصنعاء برقم ٢٣٤ تاريخ - رجعنا إلى هذا المخطوط فوجدنا أن رقمه قد تغير وأصبح (٢٠٠) تاريخ - المحقق.

٣ - أحمد بن محمد الحيمي المتوفى سنة ١١٥١ هـ، «طيب السمر» مخطوط بمكتبة المؤرخ زبارة.

٤ - إبراهيم بن القاسم بن محمد بن القاسم المتوفى سنة ١١٥٣ «طبقات الزيدية» مخطوط بمكتبة الجامع برقم ١٤٤ تاريخ.

٥ - محسن بن الحسن أبو طالب المتوفى سنة ١١٧٠ هـ «ذوب الذهب بمحاسن من شاهدت بعصري من أهل الأدب»، مخطوط بمكتبة الجامع برقم ١٨٩ أدب.

٦ - اسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل المتوفى سنة ١١٧٣ «الثغر الباسم في التراجم» نقل نص ترجمته المؤرخ زبارة في نشر العرف ج٢ ص١١٥.

٧ - أحمد بن محمد قاطن المتوفى سنة ١١٩٩ «دمية القصر» نشر العرف ج٢ ص١١٦.

٨ - إبراهيم بن عبد الله الحوثي المتوفى سنة ١٢٢٣ «نفحات العنبر في تراجم أعيان القرن الثاني عشر، مخطوط بمكتبة المؤرخ زبارة بصنعاء.

٩ - محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠ «البدر الطالع» ج١ ص٣٨٨-٣٩٠، طبع مصر سنة ١٣٤٨ هـ.

١٠ - صديق خان بهوبال المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ «التاج المكلل» طبع الهندسة ١٢٩٩. (وهذا الكتاب مأخوذ برمته من كتاب البدر الطالع للشوكاني).

١١ - محمد بن محمد زبارة المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ج٢، ص١١٣-١١٧ طبع القاهرة سنة ١٣٧٦.

١٢ - الزركلي «الأعلام» ج٤ ص٢٤٤.

ويمكن أن نعتمد عام ١١٤٧ هـ بغض النظر عن الشهر، عام وفاة المؤرخ لإجماع كل من الإمام الشوكاني، ومحمد بن محمد زبارة بما ساقاه من حجج على ذلك، وبذا يصبح كل من عام مولد المؤرخ ووفاته «١٠٧٤-١١٤٧ هـ/ ١٦٦٣-١٧٣٥ م».

وفي بداية تناولنا لشخصية عبد الله بن علي الوزير كعالم وأديب نستطيع أن نحدد ثلاثة عوامل رئيسية لعبت دوراً كبيراً في تكوين شخصيته الثقافية، وهي:

أولاً - نشأته في وسط أسري يهتم بالعلم والثقافة، فبيت الوزير اشتهر بأنه من البيوت اليمنية التي أنجبت عدداً كبيراً من العلماء والأدباء والمثقفين الذين أثروا بمؤلفاتهم القيمة المكتبة اليمنية، وقد استفاد عبد الله بن علي الوزير من الإرث الثقافي لبيت الوزير الذي كان مودعاً في الجامع الكبير بصنعاء[1]، كما أن أخوه عثمان بن علي الوزير أحد علماء ذلك العصر احتضنه وأنشأه نشأة علمية «فحفظ القرآن عن ظهر قلب ومختصرات عديدة في علم الكلام والعربية وغيرها»[2].

ثانياً - دراسته بمدينة صنعاء على أيدي مجموعة من كبار العلماء كالقاضي علي بن يحيى البرطي[3]، والحسن بن الحسين بن الإمام[4]، والقاضي الحسين بن محمد

(١) ذكر محمد بن إسماعيل الأمير أثناء ترجمته لعبد الله بن علي الوزير «وكان سلف صاحب الترجمة أئمة علوم أهل الإسلام ولهم خزانة كتب في الجامع الكبير بصنعاء تعرف بخزانة كتب بني الوزير، فانتفع بها صاحب الترجمة أتم الانتفاع» (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص١١٥).

(٢) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، ج٢، ص١١٣.

(٣) هو علي بن يحيى بن أحمد بن مضمون البرطي (١٠٦١-١١١٩ هـ) اختصه عبد الله بن علي الوزير بمؤلف عدد فيه مناقبه بعنوان «نشر العبير المودع طي نسمة التحرير لفضائل علامة العصر الأخير» (عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص٢٢٦).

(٤) هو الحسن بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (١٠٤٤-١١١٤ هـ) علامة برز في عدة فنون، له شعر حسن وتصانيف في المنطق وله يد قوية في علم التصوف. (محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، م١، ص١٩٧).

المغربي[١]، وأخيه الحسن بن محمد[٢]، والقاضي محمد بن ابراهيم السحولي[٣]، والقاضي محمد بن علي قيس[٤]، والقاضي محمد بن صالح العلفي[٥]، وأخيه عثمان بن علي الوزير، والحسن بن لطف الله الزباري[٦] إمام جامع صنعاء، وصلاح بن أحمد الرازحي[٧]، وأحمد بن محمد العياني[٨]، والفقيه الحسين بن حسن ذره

---

(١) هو الحسين بن محمد المغربي اللاعي (١٠٤٨-١١١٩ هـ) تولى منصب القضاء العام في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، برز في علم الحديث وألف فيه (عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص٥٩).

(٢) هو الحسن بن محمد المغربي اللاعي (١٠٥٠-١١٤٢ هـ) تفرغ للعلم ولم يتزوج وأخذ عن شيوخ سائر البلاد وكان فصيحاً ناظماً ناثراً متواضعاً مع الطلبة. (عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص١٣٥).

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي، أحد العلماء المبرزين والأدباء المجيدين، أخذ عنه جماعة من أكابر العلماء، وكان خطيباً بجامع صنعاء توفي سنة ١١٠٩ هـ (محمد ابن علي الشوكاني، البدر الطالع، م٢، ص٩٦-٩٧).

(٤) هو القاضي العلامة محمد بن علي قيس مات (سنة ١٠٩٦ هـ) كان إماماً في الفقه مشاركاً في غيره من الفنون. (محمد بن محمد زبارة، ملحق البدر الطالع، م٢، ص٢٠٥).

(٥) هو محمد بن صالح بن يوسف العلفي مات بصنعاء (سنة ١١١٦ هـ) وكان عالماً محققاً كثير البحث له تلامذة كثيرون، وقد تعرض للسجن بسبب إنكاره على المهدي صاحب المواهب بعض المظالم التي تعرض لها أهل ريمة ووصاب. (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٠).

(٦) هو الحسن بن لطف الله الزباري، مات (سنة ١١١٩ هـ) كان عالماً وإماماً لجامع صنعاء وكانت له يد قوية في الفروع، وكان لا يترك التدريس في كل الأوقات. (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م١، ص٤٩٨).

(٧) هو صلاح بن أحمد الرازحي، مات بعد (سنة ١١١٥ هـ) بذل نفسه للتدريس والإفادة في عامة الفنون وكان أديباً ظريفاً سريع الجواب. (محمد بن محمد زبارة، ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٠٦).

(٨) هو أحمد بن محمد بن علي بن سليمان بن عبد الله العياني، توفي (سنة ١١٣٦ هـ) له معرفة تامة بالعديد من الفنون، وله استدراك على الأزهار يدل على تضلعه في العلوم ومعرفته بالمذهب الزيدي، وهو من أجل المدرسين الذين درسوا بجامع صنعاء. (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م١، ص٢٨٥-٢٨٦).

الصنعاني، والحسن بن حسين قيس[1]، وحضر تدريس الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل في الثمرات.

ثالثاً - مؤهلاته الشخصية وقدراته الخاصة، كالذكاء الحاد والقدرة على الحفظ وقوة الذاكرة وكثرة الإطلاع وسرعة البديهة، ويدل على أهمية هذا الجانب في تكوينه الثقافي قول شيخه الحسين بن ناصر المهلا[2] فيه «أحرز العلوم في سن الحداثة والصغر فبلغ غايتها وأدرك ما لم يدركه من مسه الكبر..» ويؤكد على هذا أيضاً تلميذه اسحاق بن يوسف بن الإمام المتوكل على الله اسماعيل في قوله «كان فريد العصر في التحقيق وكثرة الإطلاع والحفظ وجودة القريحة».

وكل من تناولوا شخصية عبد الله بن علي الوزير بالترجمة والذكر نجدهم ينظرون إليه من الزاوية العلمية والأدبية بمعايير ذلك العصر، ولا يسعنا نحن إلا أن نسلك هذا الطريق، فمؤرخنا يعد من كبار علماء زمانه، إذ تتلمذ على يديه مجموعة من كبار العلماء المشهورين، كالإمام محمد بن اسماعيل الأمير[3]، ومحمد بن زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم[4]، وأحمد بن هادي الصرمي[5]، وإبراهيم بن

---

(١) هو حسن بن حسين قيس توفي في (سنة ١١١٠ هـ) كان عالماً فروعياً له معرفة بالفقه، تولى القضاء بمدينة صنعاء أيام الإمام المهدي صاحب المواهب. (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م١، ص٤٦٨).

(٢) الحسين بن ناصر المهلا الشرفي، مات مقتولاً (سنة ١١١١ هـ) كان إماماً في العلوم، وله مؤلفات منها (المواهب القدسية شرح البوسية) في ستة مجلدات (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م١، ص٦٢٨، ٦٣٠).

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير: هو محمد بن اسماعيل بن صلاح، المعروف بالأمير (١٠٩٩-١١٨٢ هـ) ترجم له الإمام الشوكاني في البدر الطالع، م٢، من ص١٣٣-١٣٩ ترجمة طويلة فمن رام التعرف على المزيد رجع إليها، أما مؤلفاته فهي كثيرة جداً ضم معظمها كتاب (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن).

(٤) هو محمد بن زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (١٠٩٠ هـ...) كان عالماً بالمعاني =

القاسم بن المؤيَّد[1] وغيرهم. وفي علميته يقول تلميذه محمد بن اسماعيل الأمير « شيخنا بحر العلوم، وإمام أئمة المنثور والمنظوم.. أسمعت عليه بهجة المحافل، ولما قرأت عليه في شرح الغاية للعلامة الحسين بن القاسم أخذ في نظم متنه نظماً جامعاً للفوائد مع حلاوة وانسجام، وأمرني بشرح ذلك، وكان النظم طوع يراعه »[2] وفيه يقول يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد[3] « أتقن علوم الأدب وحقق الأصول والتفسير، وشارك في الفروع والحديث، وحفظ المختصرات، وحضرت معه في قراءات عديدة في الفروع والكشاف والحديث فلم أرَ مثله في ضبط الألفاظ ومعرفة اللغة، واستحضار كل مسألة في أي فن من الفنون يلفظها من حفظه. وكان يحرص على استحضار المتون عند الحاجة إليها، ويسأل الطلبة فإن كان فيهم من يحفظ وإلا أملاها »[4] ويرى فيه تلميذه إبراهيم بن القاسم « شيخ أكبر علماء صنعاء بل وغيرها »[5].

إن هذه المقولات في حق مؤرخنا من تلامذته ومعاصريه تشكل شهادة حية تدل على فضله وطول باعه في الميدان العلمي آنذاك خاصة إذا نظرنا إليها من

= والبيان، وله شعر رقيق (محمد بن محمد زبارة، ملحق البدر الطالع، م٢، ص ١٩٨ - ١٩٩).

(٥) أحمد بن هادي الصرمي: لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مراجع.

(١) إبراهيم بن القاسم بن المؤيد: هو إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور القاسم بن محمد (توفي سنة ١١٥٣ هـ) اهتم بالتاريخ واشتغل فيه، وألّف كتاباً في مجلدين ضم فيه أسماء طبقات رواة وعلماء الزيدية منذ فجر الإسلام إلى زمانه وسماه « طبقات الزيدية ». (محمد ابن محمد زبارة، نشر العرف، م١، ص٥٨-٥٩).

(٢) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، ص١١٤-١١٥.

(٣) يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد: هو يوسف بن يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد (١٠٧٨-١١٢١) اهتم بالأدب ونظم الشعر، وله كتاب « نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر » ذكر فيه الشعراء المشهورين، والشعراء من أهل عصره. (محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص٩٥٦).

(٤) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص١١٥-١١٦.

(٥) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص١١٥.

زاوية المكانة العلمية التي تمتع بها هؤلاء وقولهم كلمة الحق دون مواربة أو تردد، ويدعم هذه الشهادات ويزكيها علماء آخرون أتوا بعد هذه الفترة الزمنية، وكانت لهم يد طولى في ميدان البحث والتحقيق والإلمام بأكثر من فرع من فروع العلم كالإمام محمد بن علي الشوكاني الذي يصف مؤرخنا بقوله «عالم مشهور وشاعر مجيد.. برع في العلوم الآلية والتفسير»[1] وكذلك إبراهيم بن عبد الله الحوثي[2] الذي ذكره في (نفحات العنبر) بقوله «كان إمام عصره في العلوم العقلية والنقلية والفرعية والأصلية ودرس في كل الفنون، وأخذ عنه الأعلام، وقوي ساعده في النظم والنثر وأجاد وبلغ فيهما غاية لا تنال»[3].

ونتيجة لثقافته الواسعة وبلوغه مرحلة الاجتهاد في العلوم الدينية أصبح أحد المقربين من السلطة الحاكمة إلى درجة «كان الإمام المتوكل على الله القاسم ابن الحسين يقرأ عليه في الكشاف بحضور أعيان علماء صنعاء..»[4]. ويستطيع أي قارىء لكتابه هذا أن يتحقق من القدرة الفكرية لعبد الله بن علي الوزير فهو لا يكتفي بالإهتمام بحوادث العصر الذي يؤرخ له، وإنما يناقش بالإضافة إلى ذلك الكثير من القضايا الأخرى ويفرد لها فصولاً خاصة ويغوص في الموضوع الذي يبحثه مورداً أكثر من رأي وأكثر من كتاب فيه، ويستدل بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الإسناد ويستبعد الأحاديث الضعيفة، ويهتم بالأدب واللغة ويحكم على أشعار الآخرين وغير هذا من المواضيع التي تدل على أن حكم تلامذته وغيرهم من العلماء على قدراته الثقافية وموسوعيته كانت دقيقة وصائبة.

ويعد عبد الله بن علي الوزير مع هذا كله أديباً بارزاً، ففي كتابه هذا نجد له

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، م١، ص٣٨٨.

(٢) إبراهيم بن عبد الله الحوثي: هو إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحوثي (١١٨٧-١٢٢٣ هـ) برع في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير (محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، م١، ص١٩).

(٣) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص١١٦.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، م١، ص٣٨٨.

عدداً من القصائد الشعرية نسبها إلى نفسه، كما أتى بالكثير من الاستدلالات الشعرية في مناسبات مختلفة تعبر تعبيراً دقيقاً عن الحدث الذي يدور، وتتباين هذه الاستدلالات بين بيت شعري واحد، وعدد من الأبيات، وأورد أشعاراً طويلة لشعراء يمنيين معدودين قد تصل في طولها لأكثر من ثلاثين بيتاً، ويمكننا اعتباره ممن أضاف جديداً إلى الشعر إذا أخذنا بما قاله عنه اسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل «وشعره في الدرجة العليا من البلاغة، وله معان ابتكرها ونكت من التورية وغيرها من أنواع البديع اخترعها»[1] ويرى عبد الله محمد الحبشي في المقدمة التي وضعها [لأقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب] بأن عبد الله بن علي الوزير «أشهر من برز في فن المقامة من المتأخرين» ويمكن لمن أراد أن يرى مصداقية كلامه هذا العودة إلى ما نشره في مجلة دراسات يمنية[2].

وأشهر من تناول شاعرية عبد الله بن علي الوزير دون غيرها من اهتماماته الفكرية معاصره يوسف بن يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابه [نسمة السحر فيمن تشيع وشعر][3] فهو في رأيه «فاضل صاغ من المعاني ما تختمت به أنامل الأدب» ويصل إعجابه ببعض شعره درجة تجعله يفضله على شعر جعفر بن المطهر الجرموزي «لقوة الترشيح وقوة السبك» وليدلل على هذا اختار لنا هذه المجموعة من المقاطع الشعرية:

لي صاحب أمنحه راغباً ... ما رام إلا وصل أحبابي
إن ذقت كأسات الهوى حلوة ... فليشرب الصاحب بالصابي[4]

---

(١) محمد بن محمد زبارة، نشر العرف، م٢، ص١١٦.

(٢) مجلة دراسات يمنية، العدد الأول ١٥/٩/١٩٧٨م.

(٣) مخطوط بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء، مودع تحت رقم ٢٠١ تاريخ وتراجم، المجلد الثاني، ورقة ١٢-١٣.

(٤) الصاحب بالصابي: من أشهر كتاب الإنشاء الصاحب بن عباد، والصابيء إبراهيم بن هلال. وفي البيت تورية فالصاحب في المعنى القريب هو الصديق الذي ذكره في البيت الأول، والصاب بدون ياء هو ماء الحنظل المرّ أو العلقم.

وله:

لما سكرت بريق من أحببته ... حتى كأني شارب لمعتق

بالغت في وصفي محاسن ثغره ... حتى وضعت رسالة في المنطقِ

وله:

يغالطني من بعد أن طال هجره ... وطل دمي عنه بأحور أحوم

أقول له عن ذاك جدك قد روى ... فقال روى عن عندمٍ ليس عن دمي

وله:

عابوه لما أن تبدت صفرة ... في خده المتورد المصقول

ما ذاك من ألم ألمّ وإنما ... طال انتظار الخد للتقبيل

ومن شعره ما يعبر عن نظرته إلى بعض الأمور التي كانت سائدة في عصره كقوله:

من بعد ما عاينت سعداً لا أرى ... قول المنجم غير زور فاضح

مسراه في سعد السعود فلم غدا ... من شؤمه في كف سعد الذابح[1]

وهو في منجم سار في وقتٍ سعيد يزعمه فقتله رجل يدعى سعد الذابح.

ويستحسن يوسف بن يحيى بن الحسين أشعار عبد الله بن علي الوزير ولا يوجه إليه أي نقد في كل ما كتبه عنه، أما محمد بن علي الشوكاني فقد سجل عليه بعض مآخذ أثناء تناوله لشاعريته فهو من وجهة نظره «له في الأدب اليد الطولى وشعره مجموع في ديوان كبير، ومنه ما هو في غاية القوة.. - إلى أن يقول - وكان إذا لم يتكلف ملاحظات النكات[2] البديعية في شعره جاء على أحسن أسلوب فإن تكلف ذلك صار من الضعف بمكان»[3] ويضرب لنا مثلاً عن تكلف ابن الوزير بقصيدته (أهرام مصر) التي مطلعها.

(١) سعد السعود وسعد الذابح إسمان لنجمين وفيهما تورية لطيفة فالمنجم هو الذي قتل بسيف سعد.

(٢) النكات: المحسنات.

(٣) محمد بن علي الشوكاني البدر الطالع، ص٣٨٩.

أنادم من دمع العيون جواريا فلا غرو إن نادمت منها سواقيا

وله قصائد شعرية طويلة تدل على طول نفسه في الشعر كا [الروض الباسم النضير] الذي جعله ذيل للبسامة الشهيرة التي وضعها جده صارم الدين إبراهيم، كما له عدد من قصائد المدح وضعها في الإمام المتوكل القاسم بن الحسين وبعض أقاربه.

وقد ترك مؤرخنا في أخريات أيامه التدريس ومال إلى السكون والدعة وبقي كذلك حتى مات(١).

مؤلفاته:

١ - (النغبة لخدمة شرح النخبة) في مصطلح الحديث منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير.

٢ - (إرسال الذؤابة بين جنبي مسألة الصحابة) رد على رسالة صلاح الأخفش، منها نسخة في مكتبة الجامع الكبير.

٣ - (جامع المتون في أخبار اليمن الميمون) لخصه من كتاب أنباء الزمن ليحيى ابن الحسين، منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير.

٤ - (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى).

٥ - (الروض الباسم النضير) ذيل على البسامة، نشرها المؤرخ زبارة في نشر العرف الجزء الثاني، ص١١٧- ص١٣٤.

٦ - (نشر العبير المودع طي نسمة التحرير لفضائل علامة العصر الأخير) في مناقب شيخه علي بن يحيى بن مضمون البرطي. منه نسخة بقلم المؤلف بمكتبة دوعن بحضرموت(٢).

---

(١) نفس المرجع السابق ص٣٨٨.

(٢) عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الاسلامي، ص ٤٤٧.

٧ - (جوارش الأفراح وقوت الأرواح) ديوان شعر جمعه إسماعيل بن الحسن الحرة، منه نسخة بالامبروزيانا ١٠٩ G. أخرى بدار الكتب ٤٥٦٨ أدب[1].

٨ - (الدر المنظم لشوط القلم) في الأدب، عند أحد أهالي اليمن بقلم المؤلف[2]

٩ - (أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب) منه نسخة بخزانة «جامع الغربية» وأخرى مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٩٦، وثالثة بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن[3].

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الاسلامي، ص ٣٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٤.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٤٤.

وصف النسخ التي اعتمدنا عليها في التحقيق

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على أربع نسخ مخطوطة جيدة هي:

١ - النسخة «الأصل».

العنوان: (تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى).

المؤلف: عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله الوزير.

عدد أوراق المخطوط: ١١٧ ورقة.

مقاس الورق: الطول ٣٥ سم، العرض ٢٢ سم.

عدد الأسطر المكتوبة في كل ورقة في بداية النسخة ٢٠ سطراً، ثم تصبح ٢٤ سطراً وتستمر هكذا إلى النهاية.

يتكون كتاب (تاريخ طبق الحلوى) من جزئين احتوتها هذه النسخة. وهي مكتوبة بخط نسخي جيد غير مشكول. استخدم في الكتابة الحبر الأسود والأحمر.

توجد في بداية النسخة فهارس كتبت بخط معتاد ضعيف الاملاء مغاير لخط الناسخ، ويغطي جميع هوامش المخطوط من الورقة الأولى للجزء الأول إلى الورقة ٢٧ من الجزء الثاني كتاب (دُمية القصر) للقاضي أحمد بن محمد بن عبد الهادي قاطن.

في نهاية الجزء الثاني من (تاريخ طبق الحلوى) إشارة إلى تاريخ الانتهاء

من نسخه تقول: « مما كتب بعناية سيدي... عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله الشامي. وكان التام من زبره بعد العصر يوم الجمعة حادي عشر صفر من سنة ١٣٣٧ هـ ». ولم يذكر الناسخ اسمه مطلقاً. ملئت بقية الأوراق في نهاية النسخة بمجموعة كبيرة من أمثال وحكم علي بن زايد.

النسخة مجلدة تجليداً جيداً.

٢ - النسخة « أ ».

مودعة في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٢٩... تاريخ.

العنوان: (تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى).

المؤلف: عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله الوزير.

عدد أوراق المخطوط: ١٢٦ ورقة.

مقاس الورق: الطول ٣١ سم، العرض ٢١ سم.

عدد الأسطر المكتوبة في كل ورقة ٢٣ سطراً وأحياناً ٢١ سطراً.

تحتوي النسخة على جزئين، مكتوبة بخط نسخي نفيس مشكول، استخدم في الكتابة الحبر الأسود والأحمر والأخضر.

في نهاية النسخة « انتهى كما وجد في الأم بلفظه » ويشير الناسخ أنها كتبت « بعناية مولانا الإمام الأعظم الخليفة المكرم المهدي لدين الله رب العالمين أبو عبد الله العباس بن أمير المؤمنين المنصور بالله » (فرغ من كتبه يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر الحجة عام ١١٦٥ هـ على يد العبد أسير خطاياه حسين بن إسحاق بن إبراهيم عفى الله عنه آمين).

النسخة مجلدة تجليداً جيداً بجلد مزخرف امتدت إليه يد الزمن ببعض التآكل.

٣ - النسخة « ب ».

مودعة في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٢٨ ... تاريخ.

العنوان: (تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى).

تأليف: عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله الوزير.

عدد أوراق المخطوط: ١٢٨ ورقة.

مقاس الورق: الطول ٢٣ سم، العرض ٢/١ ٢٢ سم.

عدد الأسطر: ٣٠، ٢٩ في بداية النسخة ثم تصبح ٢٣ سطراً وتستمر هكذا إلى نهاية النسخة.

تحتوي النسخة جزئي الكتاب، وهي مكتوبة بخط واضح. استخدم في الكتابة الحبر الأسود والأحمر.

في نهاية المخطوط «وكان الفراغ من رقم هذه النسخة يوم الخميس سابع شهر شوال سنة ١٢٤٢ هـ بخط الفقير عبد الله بن محمد الشويف... » وفي نهاية النسخة مجموعة من الرسائل أنشأها القاضي أحمد بن محمد العنسي في أغراض مختلفة تشغل ٢٢ ورقة.

النسخة مجلدة تجليداً جيداً.

٤ - النسخة « ج ».

مودعة في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٢٧ ... تاريخ.

العنوان: (كتاب طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى).

تأليف: عبد الله بن علي الوزير.

مقاس الورق: الطول ٢/١ ٢٣ سم، العرض ١٨ سم.

عدد الأسطر في كل ورقة ٢٢ سطراً. الخط مكتوب بقلم عادي غير

متخصص في أعمال النسخ واضح إلى حد كبير. استخدم في الكتابة الحبر الأسود والأحمر.

في بداية النسخة فهارس ومواضيع مختلفة، ومن ص أ، ب، جـ، د، ١ - ص٧٨ « فجر الدولة القاسمية » تاريخ خمسة وأربعين عاماً » لعبد الله بن عبد الكريم الجرافي، ومن ص ٧٨ - ٣٦٠ « تاريخ طبق الحلوى » وفي نهايته « وكان الفراغ من تحصيل هذه النسخة المباركة في صبح الجمعة ١٨ صفر سنة ١٣٥٨ هـ بقلم عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ».

ويكتب بعد هذا من ص ٣٦٤ - ٣٨١ « ذيل طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى من رأس القرن الثاني عشر ».

النسخة مجلدة تجليداً جيداً.

والنسخ الثلاث (أ، ب، ج) من المخطوطات المصادرة على أسرة حميد الدين بعد قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة ١٩٦٢م.

ملاحظات على النسخ السابقة:

أولاً: كافة هذه النسخ - التي أوردنا أوصافها بالصورة السابقة زيادة في الحرص والدقة - تتطابق تطابقاً تاماً في كافة المحتويات الجوهرية للكتاب من بداية الجزء الأول إلى نهاية الجزء الثاني.

ثانياً: تتفق جميع النسخ على أن عنوان الكتاب « تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى » عدا نسخة عبد الله عبد الكريم الجرافي الذي أبدل محل كلمة (تاريخ) كلمة (كتاب).

ثالثاً: النسخة المشار إليها (ب) رغم أن ناسخها يذكر أنها منقولة من نسخة المؤلف فهو يورد تاريخ الإنتهاء منها ٢٥ شهر جمادى الآخرة سنة ١١٣٩ بينما تجمع بقية النسخ أن تاريخ انتهاء المؤلف من نسخته في محرم من سنة ١١١٨،

وتوافقنا على هذا التاريخ النسخة التي اعتمد عليها الباحث عبد الله محمد الحبشي الذي يؤكد أنها كتبت في حياة المؤلف والموجودة في مكتبة المؤرخ زبارة في صنعاء وتاريخ الإنتهاء من كتابتها سنة ١١١٨ هـ.

رابعاً: يلاحظ على النسخة (ب) أيضاً عدم إيرادها تاريخ الإنتهاء من الجزء الأول في حين تتفق جميع النسخ ومنها النسخة التي اعتمدها عبد الله الحبشي على أن تاريخ انتهاء المؤلف من الجزء الأول كان في « الليلة المسفرة عن رابع وعشرين من شوال أحد شهور سنة ١١١٥ هـ ».

خامساً: في نهاية الجزء الأول من النسخة الأصل نجد إشارة غاية في الأهمية نستدل منها على أن النسخة المودعة في مكتبة المؤرخ زبارة تعد أصلاً يرجع إليه هذه الإشارة تقول« بلغ مقابلته مع سيدي العلامة محمد بن محمد زبارة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٥٧ . توقيع عبد الله عبد الكريم الجرافي » كما توجد في نفس الصفحة إشارة أخرى تقول « بلغ مقابلته على الأصل آخر نهار الأحد ٢٢ شهر ربيع الأول ١٣٣٨ » وفي نهاية الجزء الثاني « بلغ مقابلته حسب الإمكان والحمد لله رب العالمين ٢٧ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ هـ ». ونتيجة لمقابلة هذه النسخة بنسخ أخرى نجد في أكثر من صفحة على الهامش أثبتت كلمات وجمل سقطت على الناسخ، وقد قمنا بإصلاح ما سقط على الناسخ مباشرة مع المقارنة بالنسخ الأخرى ولم نشر إلى ذلك في الهامش.

سادساً: تتطابق النسخة الأصل مع النسخة (أ) تطابقاً كلياً إلى درجة أن ما أثبت على الهامش من تعليقات خارجة عن نص المؤلف واحدة في كلا النسختين، وقد اعتمدت على هذه النسخة في المقابلة كثيراً لأنها أقدم من النسختين (ب، ج) فنسخها تم بعد وفاة المؤلف بحوالي ١٨ عاماً ١١٦٥ هـ، كما أنها جيدة الخط وافية المحتوى، أما النسخة (ب) ففيها نقص حوالي صفحة أشرنا إليه في موضعه.

سابعاً: تتفق جميع النسخ على إغفال سنة ١٠٥٥ فبعد حوادث سنة ١٠٥٤

نجد أن مؤرخنا يدلف إلى سنة ١٠٥٦ دون أي إشارة إلى السنة السابقة، وهذا الإغفال على ما يبدو قد تم من قبل المؤلف ولم يرتكبه النساخ فهم على اختلاف أزمانهم يتفقون على إيراد سنة ١٠٥٦ بعد سنة ١٠٥٤.

والإختلاف في جوهر الكتاب ينعدم تماماً وإن وجد فهو عرضي لا يعدو أن يكون كلمة نشير إليها في هامش الكتاب.

نسخ الكتاب المخطوطة وأماكن وجودها:

١ - نسخة مخطوطة ١١١٨ بمكتبة المؤرخ زبارة بصنعاء[١].
٢ - نسخة مخطوطة ١١٤٥ بمكتبة المؤرخ أحمد العقيلي بجيزان[٢].
٣ - نسخة مخطوطة ١١٦٥ بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء، مودعة تحت رقم ١٢٩ تاريخ.
٤ - نسخة مخطوطة ١١٩١ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٩١٩ OR[٣].
٥ - نسخة مخطوطة ١١٩٩ بمكتبة بانكبور[٤].
٦ - نسخة مخطوطة ١٢٤٢ بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء مودعة تحت رقم ١٢٨ تاريخ.
٧ - نسخة مخطوطة بمكتبة بتنة بالهند[٥].
٨ - نسخة مخطوطة بالمكتبة الآصفية برقم ١٠ تاريخ[٦].

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، مجلة العرب، ص٢٢.
(٢) عبد الله محمد الحبشي، نفس المرجع.
(٣) عبد الله محمد الحبشي، نفس المرجع.
(٤) عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص٤٤٧.
(٥) عبد الله محمد الحبشي، مجلة العرب، ص٢٣.
(٦) عبد الله محمد الحبشي، نفس المرجع.

٩ - نسخة مخطوطة ١٣٣٧ بمكتبة بيت المتوكل.

١٠ -نسخة مخطوطة ١٣٥٨ بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء مودعة تحت رقم ١٢٧ تاريخ.

أخيراً أترك بين يدي الباحثين والدارسين اليمنيين وكل عشاق التراث اليمني هذا الجهد المتواضع آملاً أن ينال استحسانهم. كما أوجه شكري وتقديري للأستاذ القدير أحمد حسين المروني لمراجعته الكتاب وتصويبه الأخطاء اللغوية .

محمد عبد الرحيم جازم

صنعاء

٨٣/١/٣٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في بلاده، وجعلها دولاً بين خليقته والأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وأشهد أن الله الوارث لكل حيوان وجماد، القاهر فلا معاند لجبروته ولا عناده، وأصلي على هذا النور المتنقل في الأصلاب الطاهرة والمخترع من أجله الكون فإليه رئاسة[1] الدنيا وبيده زمام أمر الآخرة، وعلى آله جمال الكتب والسير، مركز دائرة العز الأطهر.

وبعد فيقول المفتقر إلى مولاه العزيز القدير عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الاله بن الوزير، جمله الله بملبوس العافية والتقوى، ونزع عن خاطره مخائل الأهوا، هذا كشكول لطيف ومحمول على الأرواح خفيف، حاولت فيه الكشف عن الحوادث التي مبتداها سنة سِتٍّ وأربعين بعد الألف، لأني رأيتُ ما سبقها من السنين قد انتظمها التسيير بلسان المؤرخين، وأخذت العفو، في الترتيب والرفو[2]، فلم أحفل بالشهر وتسيير أيامه، ولفّ الدهر وتفتيش أعوامه، لعلمي وكل من برع في التسيير، إن هذا يصدر لأمرٍ عسير، وتعرض لما ليس من الصدق

---

(١) رئاسة: (رياسة).

(٢) الرفو: الإصلاح. (المنجد، ص:٢٧٣).

في قبيل ولا دبير، وقد عزي إلى بعض مؤرخي اليمن أنه وضع برسم[1] بعض البواش[2] مؤلفاً جعله على ترتيب أيام الشهور وأعوام العصور مكيّفاً، ولما فتشت مُسوّداته، وتتبعت ورقاته، وُجد منهُ نسختان احداهما المقتصر عليها، والمرجوع في التسيير إليها، وحين قوبل بين محصوليهما، وجد الاضطراب بين منقوليهما، فترى في إحداهما النكتة[3] الفلانية في الشهر الفلاني، وتراها في الأخرى قد رتبت للشهر الثالث أو الثاني، ومن هذا الإضطراب الذي يقضي بأن القصد الخدمة [٢] بذلك الكتاب، فترى الكتاب لابساً لتلك الأساليب، والله يعلم ما تحت الجلابيب.

وقد اطلعت على تاريخ لبعض أبناء ملوك اليمن أوعَب فيه ما وصل إلى علمه الشريف، وفكره اللطيف فاعتمدت في القصص عليه وأحلتُ جُل ما نقلته إليه، وما زدته منّي فإن عزوته فقد خرجت عن عهدته، وان أطلقته فهو إنشاء الله بريء عن الكذب ووصمته، ولم أتكلف لا كثره سجعاً مطبوعاً، ولا أحللته من مساكن التنطع ربوعاً، لأني قصدت من موضوعه العلة المنسوبة إلى الغاية، وأن يشترك في الميل إلى توقيعه أهل البداية والنهاية، وقد رأيت كثيراً من المؤَلفات مهجوراً، منبوذاً إلى حيّز الإهمال مدحوراً، بسبب ما تحمله من النكات والمعارف، وتجمل به من قَطائف اللطائف.

تُوقّى البدور النّقص وهي أهلةٌ ويدركها النقصان وهي كواملُ

فأقول. **دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْف** - كان فيها ملحمة الغرب، التي

---

(١) برسم: خط كتاباً باسم بعض الباشوات.

(٢) البواش: جمع باشا. لقب تركي كان يمنحه كبار العسكريين وذوي المناصب المدنيين في بلاد السلطنة العثمانية والممالك الإسلامية التي كانت تابعة لها. ومعناها رِجْل الملك (تركية). (المنجد، ص:٢٥).

(٣) النكتة: الحادثة.

جرى لمصابها من كل عين غرب[1]، وذلك أن الملوك الحسنية[2] بتلك الديار، تجاذبوا أهداب النزاع والشجار، وكادت بحبوحة مملكتهم أن تنهار، وجمهور مملكتهم فاس[3]. فأما تونس وجزيرة الأندلس فهي إلى صاحب الأبواب، ابن عثمان[4]، ويقال أن أنتاهم إليه وخلاصة ما شجر بينهم، أنه لما فارق الحياة[5] أميرهم الشريف أبو عبد الله القايم بأمر الله الحسين طلع تحت مملكته أخوه الأكبر، وملك القضيب والمنبر، وضربت برسمه السكة[6]، وَعُقِدَ عليه اللوآ الأزهر، ثم أنه بعد ذلك جنح إلى اقتعاد مملكة العُلوم، واستخدام عساكر منطُوقها والمفهوم، ولم يلبث أن خلع خلعته هادم اللذات، وطمع ولده في أن تكون مملكته من سائر الموروثات، فرام وضع السيف فيمن بقى من أعمامه، وقرطس [٣] من كنانة غدره نصال سهامه، طمعاً في تفرده بتلك الجهات، ولهجاً في أن تصفو له بتفرده الكدورات.

ولما علم بذلك عمه الشريف أحمد، أقبل على حربه بخاطر مؤلم وقلب مكمد، فرجف عليه بجيش جرار، ورماه من رجال الروم بمارج من نار، فمرج عليه بحرين، مؤجّر عليه خميسين، وانكشفت الوقيعة عن أقحامه البحر الزخار، وهكذا[7] يكون دفع العار بالعار، فتقرر ملكه على قاعدة الغرب واستراح،

---

(١) غرب: الغرب الدلو العظيمة (تاج العروس، م١، ص:٤٠٥) وتطلق كلمة غرب في اليمن على جلد الحيوان إذا استخدم وعاء للماء.

(٢) الملوك الحسنية: الحسنيون هم بوجه عام من كانوا من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب، ويطلق هذا الإسم في المغرب على سلالة محمد النفس الزكية (المنجد في الأعلام، ص:٢٣٧).

(٣) فاس: مدينة مشهورة في بلاد المغرب الأقصى، كانت عاصمة البلاد عدة قرون من أهم آثارها «جامع القرويين» ومدرسة «العطارين» (المنجد في الأعلام، ص:٥١٧).

(٤) ابن عثمان: (ابن عثمن).

(٥) الحياة: (الحيوة).

(٦) السكة: العملة أو النقود.

(٧) وهكذا: (وهكذى).

واستلم خلعة السلطنة بشفار الصفاح، وأطراف الرماح، وهكذا عاقبة من جنح الى الملك العضوض، غير ملاحظ قاعدة مسنونٍ ولا مفروض، وقد ألمّ ببعض القصة الشهاب الأفندي[١] في ريحانة الألبّا[٢]، وهي من محاسن ما صنف في العصور المتأخرة، ومن البلغاء من يرجّح نفسه، على نفس قلائد العقيان، وأما شُعراؤها ففيهم الجيد، والمتوسط وفيهم من لا يُدَوِّن له شعره إلا متسامح، وهذا الكتاب اليوم قد انتشرت نُسَخُهُ في هذا القُطر، ومُؤلّفه علامة نَفَسُهُ يقضي بأنّه من أرباب الإجتهاد، وما صان لسانه في رسائل أطلقها على أعراض جماعة، من أكابر الروم[٣]، وقد كان يسمّى بالولي، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومن مؤلفاته شرح شفاء القاضي عياض، وغيره ومما قلته فيه وفيها.

إذا تنبـــــأ أحمدٌ بينكُم يـا أهـل مصرٍ غـير مَنكُورِ

فَقَـــد تَحداكُم بريحانـــةٍ[٤] أورَاقَهـــا جـــآت بمنثُورِ

وفيها خرج الحداء[٥] عن مذهب الشافعيَّة إلى مذهب الزيديَّة، ولتقارب الدّيار أثر في هذه القضية، ويقال أن أصل هذا البطن من الحدادين بمصر

---

(١) الشهاب الأفندي: هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري نسبة إلى قبيلة خفاجة ولد ونشأ بمصر ورحل إلى بلاد الروم وولى القضاء واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك ثم قضاء مصر وتوفي بها سنة ١٠٦٩ هـ. (هامش (جـ)، ورقة ٤٧.

(٢) ريحانة الألبّا: كذا، وفي (أ، ب، جـ).

(٣) الروم: الأتراك، ففي كثير من المؤلفات اليمنية التي كتبت أثناء وبعد الإحتلال التركي نجدها دائماً تطلق عليهم إسم الروم، أو الأروام.

(٤) بريحانةٍ: كذا، وفي (أ) بن ريحانةٍ.

(٥) الحدآء: قبيلة من قبائل لواء ذمار وناحية من نواحيها تقع إلى الشمال من مدينة ذمار ويحدها من ناحية الغرب معبر، ومن الشمال جحانة وبلاد الروس، ومن الشرق جوبة، وبني ضبيان، ورداع، ومركزها «زراجة».

القديم، وأن نسبتهم إلى يزيد بن معاوية[1]، والله أعلم بحقائق الأمور [٤].

وفيها كتب المؤيّد بالله محمد بن القاسم[2] إلى صنوه[3] امام الإجتهاد الحسين[4]، رسالة تكتب من العيون بالسّواد، وتُفدى من المهج بسُوَيدا الأكباد، تليق بكل أمير ومؤمّر، ان لا يفارقها في سفرٍ ولا حضر، يربطها في زنده، ويدرسُها مع ورده، يحث فيها على التواضع، وترك المباهي من التطاول، وما يليه من الديانات الظاهرة والباطنة، وإعطاء ذوي الحقُوق الحقوق، والنهي عن

---

(١) يزيد بن معاوية: (معوية) (٢٥-٦٤ هـ/٦٤٥-٦٨٣ م) الخليفة الأموي الثاني ابن معاوية وميسون الكلبية، اشترك في عهد والده في حملة على القسطنطينية، وفي عهده قتل الحسين بن علي في كربلاء ٦١ هـ/٦٨٠ م. أرسل حملة إلى المدينة ومكة بقيادة مسلم بن عقبة والحصين بن نمير لإخضاع منافسه ابن الزبير انصرف إلى اللهو غير أنه أصلح الإدارة والمالية. توفي بحوارين من أرض حمص (المنجد في الأعلام، ص:٧٤٩).

(٢) المؤيّد بالله محمد بن القاسم: هو محمد بن الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأصغر الملقب الأشل ابن القاسم بن الإمام الداعي يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ولد سنة٩٩٠هـ ومات سنة ١٠٥٤ هـ)، برع في عدة علوم ودرس وافتى وبويع إماماً بعد وفاة والده في سنة ١٠٢٩ هـ، وكاتبه الأتراك على استمرار الصلح الذي عقد مع والده فوافق على ذلك، وما أن انتهت فترة الصلح في شهر محرم سنة ١٠٣٦ هـ حتى أخذ يحارب الأتراك دون هوادة يساعده في ذلك إخوته الحسن والحسين وأحمد أبناء الإمام حتى أخرجوهم من كافة أرجاء اليمن محققين بذلك استقلال اليمن من الإحتلال العثماني. وقد قبر بشهارة بالقرب من والده. (البدر الطالع، م٢، ص:٢٣٨: ٢٤٠).

(٣) صنوه: الصنو هو الأخ الشقيق.

(٤) الحسين: هو الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي، قائد فاضل من أعيان اليمن، له تصانيف كثيرة، منها (غاية السول في علم الأصول) وشرحه (هداية العقول) و(آداب العلماء والمتعلمين) وتوفي (بمدينة ذمّار). (الأعلام، ج٢، ص:٢٧٤-٢٧٥) وله ترجمة في (البدر الطالع م١، ص:٢٢٦: ٢٢٧). أنظر ترجمته من قبل المؤلف ص: ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١.

القطيعة والعقوق، وتوظيف مراتب أهل الحقوق، على طبقاتهم بمراعاة العالم بتوفير حَقّه، وتوقيره، والجاهل بمواساة فقيره المطيع وزجر عاصيه وتحذيره، وافتقاد الأمراء والأجناد وعرضهم في أغلب الأحوال على دفاتر الإمداد، وكَفّ الجند سيما حاشية الملك في كل وقتٍ عن التخطي إلى طرق المظالم، وَوَضع أنواع بيت المال خلف أبواب وأقفال، فعمارة المنصب بالمال وعلى قدره يكون قدر الحياطة من الإضمحلال، وفي هذه الرسالة، ما هو أكثر من هذا المرقوم فليطلب من مَحَلِّه.

وفيها أوفى التي قبلها كان وفاة السيد العلامة صلاح بن أحمد السراجي، المعروف بالحاضري، وكان في لطف المحاضرة، وحسن الجواب، ورشَاقةِ الأسلوب، أشبه شيء بالسيد الإمام صلاح بن أحمد بن عبد الله بن الوزير(١)، وقد كانت له المنزلة الرفيعة عند الباشا العارف جعفر(٢)، والحاجي محمّد فضل الله باشا، فإنه تمكن من قلب الرجلين ما شاء، ولما كتب إليه جعفر يسأله بقوله:

ماذا يقول إمام العصر في رجلٍ ... أضحى قتيل الهوى بالأعين النُّجلِ
هل يستباح له أحياء مهجته ... برشف محبوبه والضمّ والقُبلِ
أم هل يجوز له يوماً يعانِقه ... ويشفي النفس من قول بلا عملِ

وفي قوله ويشفي النفس من قول بلا عمل، مقال، وقد وقع له نظير في شعر القدماء [٥]، وشعراء المولّدين كأبي الطيب وغيره، ووجهة تقدير أن أجابه بقوله:

---

(١) صلاح بن أحمد بن عبد الله بن الوزير: هو صلاح بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير الحسني (ولد سنة ٩٤٥ هـ ومات بصنعاء في سنة ١١٢٤ هـ) برع في جميع العلوم، ومن تلاميذه الإمام القاسم وولده الإمام محمد بن القاسم. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص:١٠٤-١٠٦).

(٢) الباشا العارف جعفر: هو جعفر باشا، عين والياً على اليمن من عام ١٦٠٧-١٦١٦م (الغزو العثماني الأول لليمن، ص:٤٨٣).

إن صح دعواه في إتلاف مهجته ... وأنّ رشف اللّمى[١] يشفي من العِللِ
فليرشفنّ رضـاب الثغر ملتمساً ... من ريق محبوبه أحلى من العسلِ
فالرشف في شِرعة الإسلام أهون من ... قتـل امرءٍ مؤمن بالله والرسل

وظاهر هذا[٢] موافق لمذهب الظّاهرية[٣]، ان التقبيل والنظر لشهوة، وسائر المقدمات جائزة، وقد تعدّى الحال، بسبب هذا المقال في أيام حيدر المغرور[٤]، إلى ما هو في سيرته وسيرة حاشيته مشهور، ذكر بعض العارفين أنه كان إذا قصد المنتزهات، إنهمك في أنواع المفاسد واللذات، وبيع الخمر في سوقه، واستوى زرع المنكر على سوقه، وقد قُطع هذا العرق الظالم، بدولة الفواطم[٥] بعد حصد تلك الرقاب العواصي بالقواصم، فالحمد لله.

وَفيها قُتل شريف معتقد من بني العيدروس بحدود خثعم[٦]، قاصداً لبيت الله المعظّم، فضرب الله أهل تلك البلدة التي قتل فيها بالجذام، عقيب ذلك المنكر وظهر عند الخاص والعام[٧]. وفيها كان وفاة السيد الأديب «محمد بن

---

(١) اللّمى: (البارد الريق) (تاج العروس، ج١٠، ص:٣٣٢).

(٢) هذا: (هذى).

(٣) الظاهرية: من الفقهاء منسوبون إلى القول بالظاهر منهم داود بن علي بن خلف الأصبهاني رئيسهم. (تاج العروس، ج٣، ص:٣٧٥). والظاهرية هم الذين يؤمنون بظاهر القرآن والأحاديث.

(٤) حيدر المغرور: هو حيدر باشا، تسلم ولاية اليمن سنة ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م، وقد انصرف إلى شرب الخمر واللهو وترك شئون الحكم في أيدي أتباعه، وفي عهده زادت الفوضى والإضطرابات في اليمن، وتمكن الإمام المؤيد بالله أن يستغل كل ذلك وينتزع الكثير من الأراضي اليمنية من أيدي الأتراك، كما حاصر مدينة صنعاء واضطر حيدر باشا إلى الإستسلام على شرط أن يخرج من صنعاء إلى زبيد، فتم له ذلك سنة ١٣٠٨ هـ/١٦٢٩ م. (الغزو العثماني الأول لليمن، ص:٣٧٦-٣٨٠).

(٥) دولة الفواطم: نسبة إلى فاطمة الزهراء زوج علي، وإليها ينتسب أئمة الدولة القاسمية.

(٦) خثعم: قبيلة من اليمن من ولد خثعم بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر (اليمن الكبرى، ص:١٦٧).

(٧) إيراد مثل هذا الحدث وبهذه الصورة المقصود به خلق مكانة اجتماعية لبعض الناس وذلك بإلباسهم ثوب «الكرامة» ذو المفهوم الخارج عن حدود العقل.

مقاطع جي » وله شعر متوسط مدح به الشريف المسعود صاحب مكة، وملك اليمن الحسن ابن القاسم[١] والأمير حسين بن عبد الرب، وله مكاتبات مع إمام الفلك عيسى ابن لطف الله[٢]، ومعارضات لشعر السيد العلامة محمد بن عبد الله بن المتوكل على الله يحيى شرف الدين[٣].

وفيها وفاة واحد عصره في التنجيم، والخط القويم عبد الله بن صلاح عنقوب[٤]، ولـه مجموع كتـاب الزيـج[٥]، وتكميـل في الشهور العربيّـة، واليزدجردية[٦] لكتاب الشيخ باغوث الحضرمي[٧]، بلغ فيه إلى سنة ألف ومائة وثماني وستين.

---

(١) الحسن بن القاسم: هو الحسن بن الإمام القاسم بن محمد بن علي (ولد سنة ٩٩٦ هـ ومات سنة ١٠٤٨ هـ) قاتل الأتراك إلى جانب والده ووقع في الأسر وسجن بصنعاء أياماً ثم أفلت من الأسر واستمر يحارب الأتراك حتى خرجوا من اليمن ثم بعد ذلك اختط حصن الدامغ في حدود سنة ١٠٤٠ هـ وكان موته في مدينة الحصين التي عمرها تحت حصنه المذكور (البدر الطالع، م١، ص:٢٠٥: ٢٠٧). أنظر ترجمة المؤلف له ص٦١، ٦٢.

(٢) عيسى بن لطف الله: (لم تذكر كتب التراجم مولده أما وفاته فكانت سنة ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨ م) وهو عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين. أحد علماء اليمن ونبلائها من أهل كوكبان. كان عالماً بالأدب والتاريخ وغلب عليه علم النجوم من كتبه (روح الروح فيما حدث بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح) جزءان في مجلدٍ. قال الشوكاني: صنفه للأروام بعناية الوزير محمد باشا. وصنف له أيضاً (الأنفاس اليمنية في الدولة الجمّدية) في تراجم أئمة اليمن، ونقل عنه المجنى فوائد كثيرة. وله (الموشحات) و(الوسيلة الفائقة) ذكرهما بروكلمن (الأعلام، ج٥، ص:٢٩١: ٢٩٢) أنظر ترجمته من قبل المؤلف ص٦٣، ٦٤، ٦٥.

(٣) محمد بن عبد الله بن المتوكل على الله يحيى شرف الدين: أنظر ترجمته ص ٦٥.

(٤) عبد الله بن صلاح عنقوب: من أهل اليمن عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ذُكر في كل من بهجة الزمن – وكتابنا هذا طبق الحلوى – من مؤلفاته (مجموع الزيج)، (تكميل الشهور العربية اليزدجردية) بلغ فيه إلى سنة ١١٦٨ هـ (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٤٨٦).

(٥) الزيج: كتاب في الجداول الفلكية، أشهر من ألف فيه ابن الشاطر الدمشقي، وأبو حنيفة الدينوري، وأبو معشر البلخي، ومحمد الطوسي وابن يونس (المنجد في الأعلام، ص:٣٤١).

(٦) اليزدجردية: الفارسية.

(٧) باغوث الحضرمي: ذكره صاحب بهجة الزمن دون أن يذكر شيئاً عنه. (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٤٨٦).

وفيها مات الفقيه الفلكي عبد القيوم الرّغيلي[1]، وكان من الإتقان بمحل أول، وهو الذي وضع المدخل المختصر لزيج ابن الشاطر، [٦] المسمّى بالدر النظيم، وقد وقفت على هذا المصنف فرأيته جداول ساذجة خلاف ما عليه كتب هذا الفن، من تخلل رسالة المداخل ونحوها وهو لطول مصر.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْف -

فيها ارتحل الملكان الحسن والحسين، من ضوران[2]، متوجهين إلى صنعاء اليمن، في أبّهَةٍ حيدرِيّة، ومملكة روميّة، وخيول كالسعالي[3] وجنود يدكدك لها

---

(١) عبد القيوم الرغيلي: من علماء الفلك في اليمن توفي سنة ١٠٤٦ هـ. (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٤٨٥).

(٢) ضوران: وضوارن بالضاد المعجمة جبل مشهور وفي سفحه المدينة مركز قضاء آنس وبها الجامع العظيم الذي عمره الأمير الشهير الحسن بن القاسم والحمام، وسمى حصنها الدامغ، وفيه قال الأديب المهدي بن محمد المهلا الشرفي:

كأن الدامغ المحروس ليث ... مقادمه إلى جهة المشارق
يقلب رأسه يمناً وشاماً ... ليفترس المنافق والمشاقق
وفرد من عقارب لا يجارى ... يسير من المغارب وهو شائق
ليلسع من يجور بكل أرض ... فلم نسمع بخلس أو بسارق
فسمى دامغاً بعد اختيار ... ليدمغ للمعادين المفارق

(هامش نزهة النظر، ج١، ص:٢٤-٢٥).

(٣) السعالي: هم الغيلان جمع غول. (وقد ذكرها العرب في شعرهم قال الأعشى «ونساء كأنهن السعالى» وقال أمية الهذلي:

يـــاوى إلى نسوة عطـــل ... شعـــث مراضيـــع مثـــل السعـــالي

وقال بعض العرب لم تصف العرب بالسعلاة إلا العجائز والخيل (تاج العروس، ج٧، ص:٣٧٦).

الشم العوالي، وتلقاهم من بصنعاء من طائفة[1] العسكر، فدخلوها في وقتٍ مسعود الطالع أغرّ، وكان يوماً مشهوداً انبهر له عسكر الأروام، الذين رغبوا إلى خدمة آل الإمام، ورأى الناس ما هالهم من الشارة الملوكية، والسناجق السلجوقية، والنّوبة التي رجفت لأصواتها قلوب المرجفين، واستحكمت بهاقوة أفئدة الذين كانوا مستضعفين، ولما قر قرار الملكين انفصل الحسن إلى روضة حاتم[2] البهية، بمن معه من القواد والأتابكية، ورجع أخوه إلى ضوران، وأحيا معالمها بعلومه وأعلامه حصة من الزمان.

وفيها وصل العلامة إسماعيل بن القاسم[3] إلى صنوه الحسن إلى صنعاء، وكان قد ناله مشقة التكليف بشهارة[4] هو ومن معه بسبب تحرّي الإمام الزاهد، الإمام المؤيّد في حاله مثله، فصنع إليه أخوه الحسن من أصناف المعروف، ما هو به مذكور له مألوف، وحضر قراءة الفصول اللؤلؤية مع أخيه الحسين، على إمام

(١) طائفة: (طايفة).

(٢) روضة حاتم: الروضة مدينة جميلة بينها وبين صنعاء مسافة ساعة بالسير السريع شمالاً من صنعاء، ويقال لها(روضة حاتم)، نسبة إلى السلطان حاتم الهمداني المتوفي سنة ٥٥٦ هـ وقد يقال روضة أحمد. (هامش نزهة النظر ج١، ص:٥٤).

(٣) إسماعيل بن القاسم: هو الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد (ولد سنة ١٠١٩ هـ ومات سنة ١٠٨٧ هـ/١٦١٠-١٦٧٦ م) برع في الفقه وفاق علماء عصره في ذلك، وله مصنفات منها (العقيدة الصحيحة) وشرحها (المسائل المرتضاة إلى جميع القضاة) وحاشية على منهاج الإمام المهدي في الأصول ورسالة في الطلاق للثلاث، وفي الحايرة في إبطال الدور، وفي الخلع، وفيما وقع إهداره في أيام البغاة، وفيما يؤخذ من الجبايات. وقد دعا إلى نفسه بالإمامه بعد موت أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في يوم الأحد سلخ رجب ١٠٥٤ هـ، وحقق وحدة اليمن في فترة حكمه (البدر الطالع، م١، ص:١٤٦ : ١٤٩) وقد تحدث المؤلف عن فترة حكمه فأفاض.

(٤) شهارة: تقع في الشمال الشرقي من محافظة حجة ومركزها مدينة شهارة التي تقبع في مرتفع حصين يبلغ ارتفاعه ٢٥١٠ متر تقريباً. - ومن جبال شهارة جبلان معروفان من جبال الأهنوم يقال لأحدهما شهارة الفيش، والآخر شهارة الأمير (نزهة النظر، ص:٥٢) وقد ذكرت شهارة في معجم البلدان، م٣، ص:٣٧٤.

العصر الأخير محمد بن عز الدين المفتي[1]، وأتفقت المراجعة الطويلة بينه وبين شيخه في مسئلة الرجاء، عند إملاء ما نقله صاحب الفصول عن الفقيه قاسم المحلّي[2]، من قاعدة بنآ العام على الخاص، وقد وقفت على أجوابه[3] عن السؤال ورايتها لا تحل ذلك الإشكال، وأشفّها أن التوعّد على كل كبيرة بعينها لا يُجلب إليه تطرق الإحتمال، وهو بعد ذلك [٧] مطروق بمناقشة صعبة الإضمحلال، وهي أن التوعد كذلك لا يخرج المعصية المعينة من عموم الأوقات والأحوال، ورأيتُ الجد صارم الإسلام[4] قد ترك الإشكال مفتوحاً، ولأمرٍ ما خلّاه عن طرق النظر مطروحاً، وهو الذي عض في العلوم بناجذ، وتلمح من المعقول والمنقول خفيات المآخذ.

ولما استقر حال المؤيّد بالله، بضبطه مملكة اليمن، وقوى جانبه لمهابة جانب أخويه الحسين والحسن، انقطع بإرسال البواش طمع السلطان مراد[5]، وعلم أنه لا ينتظم له مرام ولا يتم له مراد، مع ما كان قد أتلفه قواده في الأيام السابقة من الخزاين المشحونة، والذخائر المصونة، والخيل المسوّمة، والأبطال المعلمة،

---

(١) محمد بن عز الدين المفتي: هو محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين المعروف بالمفتي، ترجم له صاحب مطلع البدور ولم يذكر له مولداً ولا وفاة، وله مؤلفات منها (البدر الساري) في أصول الدين وشرحه و(واسطة الدراري) ومنها شرح (تكملة البحر) وله نظر في الفروع (كشرح الأزهار والبيان والبحر) وأرخ موته الضمدي في الوافي في شعبان (١٠٤٩) أما إبراهيم بن القاسم بن المؤيد فيذكر في الطبقات أنه مات سنة ١٠٥٠ هـ. (البدر الطالع، م٢، ص:٢٠٣-٢٠٤).

(٢) قاسم المحلي: هو قاسم بن أحمد بن أحمد المحلي الوادعي من العلماء الكبار، وصفه بعضهم بأنه رازي اليمن، توفي بصنعاء ومن مؤلفاته (الغرر المحجول في كشف أسرار الأصول) و(تعليق على التذكرة لابن متوية) و(التبصرة) و(تعليق على الكيفية). (مصادر الفكر الإسلامي، ص:١١٦).

(٣) أجوابه: كذا.

(٤) صارم الإسلام: هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير الملقب (بصارم الدين) - وهو جد المؤلف- صاحب الهداية، والفصول، والقصيدة البسامة. (نشر العرف، م٢، ص:١١٣).

(٥) السلطان مراد: هو السلطان مراد بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم (ولد سنة ١٠١٨ هـ ومات سنة ١٠٤٩ هـ) وجلس على سرير السلطنة سنة ١٠٣٢ هـ وكان كثير الغزو وافتتح مدناً منها مدينة بغداد (البدر الطالع، م٢، ص:٣٠٠).

وانضاف إلى ذلك اشتغاله باستدراك العراق من يدي سلطان العجم، الشاه عباس، بعد متابعة المراس، وإتلاف النفائس والأنفاس، ولما اقتعد أخوه السلطان إبراهيم[1]، ملكه العقيم، جنح إلى سد هذا الباب، وأطفأ سعير السيوف والحراب، واشتغل ببقية عمل العراق حتى طرد عنه الشاه واستقر دخوله في قاعدة مملكة الأروام، وقد صح عن الباشا قانصوه[2] ما يفهم إضراب صاحب اصطنبول[3] عن اليمن، فإنه لما فر الى مليك اليمن الحسن في أيام منازلة المخا[4] وزبيد[5]، ورأى من الحسن الإحسان الذي ليس عليه مزيد صرح له بذلك حتى قال ما معناه، أنا الذي اخترت الخروج الى اليمن وكان اليّ نيابة مصر، وحين رأيت كثرة أموالي طمعت في اليمن فتحملت مونة العساكر الروميّة من مالي، وأما السلطان فما كان له نهج الى التخريج. وفي هذه أو التي تليها كتب المؤيّد بالله إلى أخويه رسالة جامعة، وكلمة وازعة، وأمر فيها بأخذ الزكاة من

---

(١) السلطان إبراهيم: هو إبراهيم بن أحمد خان (مات سنة ١٠٦٣ هـ) استولى على السلطنة في أيام أخيه السلطان مراد أثناء حربه مع شاه فارس، وكانت له فتوحات مشهورة فيا بعد (البدر الطالع، م١، ص:٨).

(٢) الباشا قانصوه: هو أحمد قانصوه باشا (عين والياً على اليمن بدلاً من حيدر باشا بهدف انقاذ السيطرة العثمانية في اليمن، وقد بذل جهوداً صادقة في استعادة هذه الأملاك ولكنها كانت جهوداً يائسة منيت أخيراً بالفشل، وتم في ولايته خروج العثمانيين من اليمن) ظل والياً على اليمن من عام ١٦٢٩-١٦٣٥ (الفتح العثماني الأول لليمن، ص:٣٨٤).

(٣) اصطنبول: وردت كذا وهي (استنبول أو الأستانة **Istanbul** مدينة في تركيا على ضفتي البوسفور، وهي بيزنطيا القديمة، أسسها الأغريق الأقدمون (القرن ٧ ق.م)، جعلها قسطنطين عاصمة الأمبراطورية الرومانية الشرقية وأسماها باسمه (القسطنطينية) ٣٣٠م واستمرت قاعدة الأمبراطورية البيزنطية إلى أن فتحها الأتراك العثمانيون ١٤٥٣م وفيها استقر السلاطين حتى نقل الكماليون العاصمة إلى أنقره، ١٩٢٣م بأمر مصطفى كمال). (المنجد في الأعلام، ص:٤٠).

(٤) المخا: ميناء يمني يقع على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من باب المندب، إشتهر قديماً بتصدير البُن اليمني.

(٥) زبيد: مدينة يمنية ذات تاريخ سياسي وعلمي عريق، تقع في سهل تهامة إلى الجنوب من ميناء الحديدة.

القليل والكثير أخذاً بظاهر عموم الحديث الشهير [٨] وذكر فيها أن على الناس تضمينات وأنه لو علم التخلص عنها لما فعل ما فعل.

وفي هذه السنة ظهرت آية من الآيات الموقظة، وهي نار على بلاد حجة[١] بمكان مرتفع، واستمرت أياماً فسبحان من عظمت قدرته، وبهرت صنعته، وفيها رأى بعض السادة طفلة لها ثديان ولحية مسترسلة فسبحان القادر على ما يشاء.

وفي شعبان هذا العام اقترن المشتري والمريخ، ولتطلب منزلة الإقتران من مصنف ابن عنقوب، فقد قررها وحررها، وفي هذا العام لا أدري في أي شهر منه عاد الحسن ابن الإمام إلى مستقر ملكه ضوران، وأطال فيه البنان والبنيان، فإنه كان أكرم من الغيث الهامع، ولا أقول كالرسم الذي ليس بجامع ولا مانع، ومع استقراره أمنت قبائل تلك الجهات، وكانت الحداء قد أخلتها عن تلك الساحات، واستولت على أكثر أموالهم نهباً وغصباً، واستقوى - كذا - جانب هذه[٢] القبيلة، وصارت للحسن حزبا.

وَفِي ضُوْرَان الجبل المسمّى الدّامغ[٣]، وهو من المعاقل الجسيمة، والأعلام المَنِيْعَة العظيمة، حميري الأساس، مليح الأنفاس، وقد ذكره الملك الرائش ذو مراثد[٤]، في شعره وهو الذي أسّس بناه، وشيّده وانتماه، وهو من الأعلام المُشْمَخِرَّة والمنصات التي تمسح منها للشّمس الغرّة، يسترسل بين أكتافه ذوائب

---

(١) حجة: تقع بالشمال الغربي من صنعاء ومعظم المنطقة جبلية وجزء منها من تهامة. (اليمن الكبرى، ص: ١٠٠).

(٢) هذه: (هذى).

(٣) الدامغ: من حصون بلاد أنس وعلى سفحه تقبع مدينة ضوران، وقد وصفه المؤلف فأجاد، وهو عبارة عن جبل مرتفع جوانبه كالحيطان في استقامتها ويوصل إليه من ضوران طريق شق ورصف بالأحجار رصفاً جيداً وفي أعلا هذا الجبل أرض زراعية وسكان وتوجد إلى اليوم بقايا سدود مدفونه، وهذا الوصف من واقع المشاهدة الميدانية.

(٤) ذو مراثد: ملك من ملوك حمير إسمه حسان ذو مراثد بن ذي سحر ومعنى ذو مراثد، ذو المال الكثير (اليمن الكبرى، ص:١٦٩).

الغيوم، وتحمل المرأة مكتلها لما يتساقط إليه من ذراري النجوم، قد امتزج طينه من عنبر النسيم بطيب، وأخذ نسيمه من الشفاعة إلى المزن بنصيب، حتى أطار القلوب إلى بيتي حبيب[1] في ذكرى منزل حبيب.

رُبى شفعت ريح الصبا بنسيمها إلى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السّحاب الغر غيّبن تحتها حبيباً فما ترقى لَهُنَّ مدامع

وهو واسع المزارع، كثير المنابع، له عيون تسرح إلى تلك الغُصُون[٩]، وتزداد بنزول ماء المعاصرات الجون، ولما صعد إليه السيد الأديب المؤرخ، عيسى بن لطف الله صحبة الحسن بن الإمام ورأى رحابة أعلاه وما فيه من الأراضي المثمرة، والعيون المتفجرة، قال: هذا أرض في سماء.

وهو حاكم على تلك البقاع، مُتَسنّم على صياصيها والتلاع، وازداد بهجة وحسناً بأن كان فيه ضريح الإمامين السعيدين، الإمام الجواد المتوكل على الله إسماعيل، والإمام القطب الزاهر، المنقطع النظير في الأوائل والأواخر، المؤيد بالله قدس الله روحيها.

وفي هذا العام أو الذي قبله توفي الشيخ العارف الأصولي على رأى المعتزلة علي بن الحاج، وهو من مشائخ القاضي عبد الهادي الثلائي، وقد كان من عجائبه حسبما حُكي عنه، أنه لا يقول بإمامة المنصور بالله القاسم بن محمد[2]، وفي هذا

---

(١) حبيب: هو أبو تمام الشاعر المشهور حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس الطائي المتوفي سنة ٢٣١ هـ. (هامش (جـ)، ورقة ٤٩.

(٢) المنصور بالله القاسم بن محمد: هو الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد ابن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأصغر الملقب الأشل ابن القاسم بن الإمام الداعي يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور يحيى بن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ولد سنة ٩٦٧هـ ومات سنة ١٠٢٩هـ) برع في الفنون الشرعية وله مصنفات منها في الحديث (كتاب الإعتصام) ومنها في أصول الدين (الأساس) في مجلد، وله (كتاب الإرشاد) وله مجموعة رسائل مفيدة، دعا الناس إلى مبايعته بالإمامة سنة ١٠٠٦هـ في جبل القارة (من بلاد صعدة) وحارب الأتراك حرباً شديدة حتى عقدو معه صلحاً على أساس=

العام اجتمع الحسن والحسين بضوران، مع أن الحسين كان يتردد الى وادي النائجة، وإلى صافية ذي بهلان، ولم يكن خاطره يومئذٍ بمحل من الإطمئنان، لعوارض بينه وبين إمام الوقت المؤيّد بالله.

وفيها وفد على الحسن بن الإمام ولد أخيه الحسين بن المؤيد بالله(1) يشكو تقلص مواده، وقلة إعداده وإمداده، فأمر المدفتر(2) بإدخاله في زمرة الأكابر، وأجرى عليه من سني الأرزاق ما يفوت حصر الحاصر، ولازم حضرة بابه، وأخذ في الخدمة بركابه ولم يفارقه إلى أن فارق الحسن الحياة(3)، ثم عاد إلى حضرة والده وعليه أحسن الشارات.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْف - فيها وصل إلى الحسن بن الإمام السيد الطاهر المغربي المكي، وأهدى إليه مختصره من كتاب الجفر، فقابله الحسَنَ بالفِعل الحسن، وخلع عليه الخلع الفاخرة، وَأَجرَى عَليه الأرزاق المتكاثرة، وجُهّز برفد كثير ونوال غزير.

وفي شوّالها توفي الحسن بن الإمام بالحُصين [١٠] من ضُوران، وحضر وفاته صنوه الحسين رحمه الله، وكان عمره أحدى وخمسين سنة، وكان عنده يومئذٍ ولده أحمد بن الحسن(4) بأول البلوغ، وكان ولده محمد بن الحسن(5) هو الكبير بعد

أن تثبت يده على ما قد استولى عليه من البلاد وهو غالب الجبال، وضل الأمر كذلك حتى مات (البدر الطالع، م٢، ص:٤٧-٥١).

(١) الحسين بن المؤيد بالله: هو الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم ابن محمد الحسني الشهاري (مات سنة ١٠٨٤ هـ)أخذ عن مجموعة من العلماء، وولاة الإمام المتوكل على الله الأجزاء الشمالية من اليمن فاهتم بشراء الأراضي وإحياء الأراضي الخالية من السكان وتأمين السُبُل. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص:٨٩).

(٢) المدفتر: الكاتب،وكلمة دفاتر - فارسية - يقصد بها (مجموع الصحف المضمومة). (المنجد، ص:٢١٨).

(٣) الحياة: (الحيوة).

(٤) أحمد بن الحسن: هو الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم (١٠٢٩-١٠٩٢ هـ) دخل في أيام عمه المتوكل على الله حضرموت، وأذعن له سلاطين يافع ودخل الجوف مرة بعد مرة،=

أن قضى زيارة والده قد عاد إلى قطعته وبلد ولايته مدينة صعدة[١]، وما إليها فوصل إلى حضرة عمّه المؤيّد بالله شهارة ثم سار إلى حبور[٢] وبلغه وفاة أبيه فعاد من حبور مبادراً إلى حضرة عمّه الحسين بضوران، وكان يظن أن الإمام المؤيّد بالله سيجعل إليهما أمر بلاد أبيهما، لما في وجوههما، وانصباب أصحاب والدهما إليهما، فاقتضى نظره أن البلاد التي كانت مع شرف الإسلام بأجمعها تصير إلى صنوه الحسين، وإليه تدبير إمداد حاشيتها وأمر ولدي أخيه بالتوقف على رأي عمهما الحسين.

وكان الحسن بن الإمام مع شجاعته، ونهاية كرمه، وَصَفَاء باطنه، وسلامة جميع أحواله، متمسكاً بحصةٍ نافعة من العلم، وله حظ في البلاغة جيدٌ وله بأيدي الناس قَصَائِدٌ مشهورة، ومنها القصيدة التي يحث والده فيها على الصلح التي طالعها.

مَولاَي ان الصَّلح أَعذب مَوردا فاسلك له جدداً سوياً أجردَا

وكان هو وأخوه الحسين شريفي الطَّرفين، فإن جدّهما من قبل الأم السيّد الناسك علي بن إبراهيم العابد[٣]، رأيت لبعض الفضلاء، كلاماً فيه يقول فيه مالفظه، كان قُوته في كيسه بالميزان عُونَة واحدةٌ في اليَوم، فرّغ نفسه لعبادة الله في المَسَاجِدِ الخَالِيَة، ورفض الدُنيا وبعد عن أهلها حتى عن أهله، وأولاده فكان يوتى في بعض الأحوال بقوته، من كوة المسجد[٤] إلى أن قال وقد قام بالحسبة لما قال له أهل الشرف[٥] الأسفل: أن الشاوش مرجان وغوث الدين، دخلوا على

= واستمر كذلك حتى مات المتوكل فبويع بالإمامة واستمر قائماً بها حتى مات ودفن بالغراس (البدر الطالع، م١، ص:٤٣-٤٤).

(٥) محمد بن الحسن: أنظر ترجمته ص: ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١ من الكتاب.

(١) مدينة صعدة: بالشمال من صنعاء على بعد ٣٠٠ كيلومتر (اليمن الكبرى، ص:١١١).

(٢) حبور: من بلاد حجة تقع إلى الشمال من مدينة حجة، محتفظة باسمها إلى اليوم.

(٣) العابد: تأتي بعد كلمة الناسك في (أ، ب، جـ).

(٤) كوة المسجد: نافذة صغيرة في المسجد.

(٥) الشرف: بفتح الشين المعجمة والراء بلادمتسعة تقع شمال غرب صنعاء بينهما مسافة خمس أيام وبها =

الشّرايف[1] في بلاد نُوسَان وغيره، وجعلوا وجعلوا، وفعلوا وفعلوا، فقام بالحسبة [١١] هو والسيد علي إبراهيم صاحب الجاهلي، وقام معهم قبائل الشرف الأسفل، وقاتلوا مرجان شاوش وعسكر غوث الدين في موضع يسمى الفايش، فوق جبل بني جل وتحت المحابشة، فانهزم القبائل ولم يصدقوا وقتل منهم جماعة، ولا همة لهم في نصرة الدين إنما همتهم إزالة مطالب الدولة وظلمهم لمن استُضعِفوا منهم أكثر من ظلم الدولة، فلما عرف ذلك منهم رفضهم بالكلية واعتزلهم اعتزالاً كلياً، ولم ينله من الدولة الذي حاربهم مكروه، خوفاً لجانبه، وكان كما قيل:

يَدَعُ العظيمَ فَلاَ يُراجَع هَيْبَةً ... والحاضرون نواكس الأذقان
أَدَبَ الوقَار وَعِزَّ سُلطان التُقَا ... فهو المطاع وَلَيسَ ذا سُلْطَان

فبقي، يتردد في المساجد للعبادة، حتى مات رحمه الله، وهو يتلو سورة يس انتهى.

وفيها مات السيد العارف البليغ الفلكي روح الله عيسى بن لطف الله بن المطهر بن أمير المؤمنين يحيى شرف الدين، بن شمس الدين بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله، بصنعاء اليمن، عقيب دخوله إليها راجعاً من جهة اليمن[2]، وكان على ما قيل توخى دخول تلك الساعة استعمالاً لحصة من البضاعة، فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلماً، وكان في سفره هذا منفصلاً من حضرة الملك العظيم، محمد بن الحسن[3] من ذمار[3] وله التاريخ المشهور المسمى برَوح الرُوح،

= الجبال الشاهقة والحصون العديدة ويقال الشرف الأعلى والشرف الأسفل وأهلها من أشد الناس بأساً وشجاعة (هامش نزهة النظر، ج١، ص:١٦٣).

(١) الشرايف: جمع شريفة وتطلق على المرأة التي تنسب إلى السادة من البيت الهاشمي.

(٢) جهة اليمن: تطلق كلمة يمن أو اليمن الأسفل على الجهات الجنوبية من اليمن.

(٣) محمد بن الحسن: هو محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (١٠١٠-١٠٧٩ هـ) سكن مدينتي إب وجبلة وأصبحت معظم أراضي هذه الجهات تحت ولايته أيام الإمام المؤيد بالله وأيام الإمام=

وهي تسمية في أعلا طبقات المناسبة، والرامن رَوح المضاف مفتوحة، ومن المضاف إليه مضمومة، وهو من رأس المائة التّاسعة، إلى زمانه ذكر فيه دولة بني طاهر[١]، وجده الإمام شرف الدين[٢]، وما تعقب دولته، وكيفيّة زوال تلك الدول، وفصّل ما شجر بين جده المطهر[٣] وبين أمراء الأروام، من تلك الملاحم التي طحنت الرؤوس، وأفنت النفوس، وأنست حرب داحس والبسوس [١٢] وقضت أن المطهر بن الإمام فرعٌ من تلك الشجرة العَلَويَّة، وافتخار عند مقارعة الحروب، ومنازلة الخطوب للحوزة اليمنيّة، وله كتاب النفحة اليمنية في الدولة المحمديَّة، جعله خِدمة لحضرة محمد باشا[٤] لمزيد اختصاصه به وإحسانه إليه، وله قصائد[٥] مدونة في محمد باشا وغيره، وله ديوان حُميني مختصر، وهو الذي جمع الشعر الحميني والموشح للسيّد العلامة محمد بن عبد الله بن

= المتوكل على الله حتى مات، وله مؤلف سماه (سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد) في علم الكلام و(شرح المرقاة). (البدر الطالع، ج٢، ص:١٥٩-١٦٠).

(٣) ذمار: مدينة تقع جنوب صنعاء على بعد ١٠٠ كيلومتر، وهي من المدن الشهيرة وقد سميت بإسم ملك من ملوك حمير «ذمار علي» (اليمن الكبرى، ص: ٥٤).

(١) دولة بني طاهر: (٨٥٨-٩٢٣هـ) تنسب هذه الدولة إلى مؤسسيها عامر وعلي إبْني طاهر بن معوضة بن تاج الدين بعد سقوط دولة بني رسول، واستمرت هذه الدولة قائمة حتى اسقطها الجراكسة بقتل آخر سلاطينها وهو عامر بن عبد الوهاب بعد معركة الصافية جنوبي صنعاء عام ٩٢٣هـ.

(٢) الإمام شرف الدين: هو الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى (ولد سنة ٨٧٧هـ بحصن حضور ومات سنة ٩٦٥هـ وذفن بحصن الظفير) دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ بالظفير وفي أيامه دخل الجراكسة اليمن ثم الأتراك ووقعت بينه وبين إبنه المطهر بعض خصومات مكنت الأتراك من الإستيلاء على أجزاء كثيرة من اليمن. وله مؤلفات منها (كتاب الأثمار) اختصر فيه الأزهار. (البدر الطالع، م١ ص:٢٧٨-٢٨٠).

(٣) المطهر: هو المطهر ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى اشتهر بحربه للأتراك في الغزو الأول لليمن وقد نال منهم ونالوا منه، وكانت هناك وقعات حربية مشهورة خاصة بينه وبين سنان باشا وقد كتب عن ذلك قطب الدين الحنفي في (البرق اليماني) ومات سنة ٩٨٠هـ (البدر الطالع، م١، ص:٣٠٩-٣١٠).

(٤) محمد باشا: والي عثماني استمرت فترة ولايته في اليمن من عام ١٦١٦-١٦٢١م.

(٥) قصائد: (قصايد).

الإمام شرف الدين[١]، وذكر الأسباب وليته لم يذكرها، وذكر في ديباجة الديوان أن أول من تكلم في الحميني أحمد فليته[٢]، ثم الفقيه فخر الدين عبد الله المزاح[٣]، ثم الفقيه إمام الطريقة عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي[٤]، وكان هذا السيد محمد بن عبد الله بن الإمام من محاسن السادات علماً وعملا، مع ورع شديد، ويكفيه حديث الجارية، فإنه اشترى جارية وعلق بها إلى النهاية، فذكرت له مرّة أنه اشتراها مشترٍ وولدت له ولداً ثم غاب عنها، فخرجت من بلدها فانتهبت وبيعت إليه، فتكدر باله، وتشوش حاله، ومنع نفسه منها مصادقة لها بمجرد قولها

---

(١) محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين: شاعر مجيد وغالب شعره موشحات ومن شعره هذه الأبيات:

أفـدي الـتي بـت أبـل الجوى   من ريقهـا باللـثم والمـص
قالوا لهـا لمـا رأوا خدهـا   وفيـه أثر العـض والقرص
مـاذا بخديـك فقالـت لهم   نمـتُ ولم أشعر عـلى خرص
يـا حسن خديهـا وعضي عـلى   ناعم خـد ترف رخـص
كفـص ياقوت عـلى درة   آه عـلى الـدرة والفـص

وقد جمع ديوان شعره السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر وذكر أن موته كان سنة ١٠١٦ هـ (البدر الطالع، م٢، ص١٩٤-١٩٦). ومن مؤلفاته (ديوان مبيتات وموشحات) وهو الشعر الحميني، (الروض المزهوم والدر المنظوم) وهو الديوان الفصيح (مصادر الفكر الإسلام، ص٣٣٢).

(٢) أحمد فليته: هو أحمد بن علي بن أحمد بن فليته (مات بزبيد سنة ٧٣١ هـ وقيل ٧٣٣ هـ) له ديوان (طراز أعلام الزمن) يقع في مجلدين ضخمين، المجلد الأول خصصه للشعر الفصيح والثاني للشعر الحميني وقد جمع أنواعاً كثيرة منه كالبال بال والساحلي والدوبيت، وله كذلك (تحفة المطالع وبغية المخالع) جمع فيه سبعة أنواع من شعره وهي فصيح ودوبيب وحلاوي وموشحات والبال بال وساحليات وحمينيات، وضمن كل نوع من هذه الأنواع عشر قصائد وجعل آخر كل منها قصيدة كفارة واعتذار في الدعاء والإستغفار (مصادر الفكر الإسلامي، ص٣٢٣).

(٣) عبد الله المزاح: هو عبد الله أبي بكر المزاح (توفي بسنة ٨٣٠ هـ وقيل ٨٣١ هـ) من فصحاء اليمن وشعرائها وله يد كبيرة ومقدرة فائقة في نظم الشعر الحميني، له (ديوان المزاح) ويقول البريهي شعر المزاح في غاية الفصاحة وهو أشعر أهل اليمن. (مصادر الفكر الإسلامي، ص٣٢٦).

(٤) عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي: من أدباء اليمن وشعرائها، امتدح الملك عامر بن عبد الوهاب، ولعل وفاته قريبة لسنة مقتل هذا الملك سنة ٨٧٠ هـ، له (ديوان العلوي) أغلبه في الشعر الحميني كان يغني به المطربون في اليمن. (مصادر الفكر الإسلامي، ص٣٢٧-٣٢٨).

وتحرجاً عن الوقوع في المحظور، وكان الفقيه الشكايذي قد أفتاه بأن اليد لهُ، والملك ملكه في الظاهر، فرجع إلى ترجيح التعمق في الديانة الباطنية، فأمرها بالإحتجاب، وسدّ عنها الأسباب، مع طرف مسفوح، وقلب مقروح، وزفرات تغدو وتروح، وهي أيضاً قد كان وقع منها الموقع العظيم من الولوع، فاشتركا في تصعيد الزفرات وإرسال الدموع، ثم ظهر بعد فترة أنها فرت إلى بلادها وأنها ارتدت فانتهبت بعد الردة، ولكن هذا لم ينجح في إزالة الشبهة عن خاطر سيدي محمد بن عبد الله بل استمر على الفراق، وبت حبل التلاق، وهذا قسم من الورع قد ألمّ به الغزالي[1]، في إحيائه، والديلمي[2] في تصفيته، وغيرهما رزقنا الله تعالى حسن الاستعداد فلسنا من أهل هذا المقام.

ووقع بينه [١٣] وبين الإمام الأعظم القاسم بن محمد مشاعرات تتعلق بمذهب التصوف وغير ذلك، وكانت وفاته في جمادي الأولى سنة عشر وألف بالذنوب من حجة رحمه الله، وذكره وذكر وفاته هنا عارضٌ وإلا فهو من وضائف ما سلف.

وفيها مات القاضي العلامة عبد الهادي بن أحمد الثلائي الحسوسة الحاكم بمدينة صنعاء، وكان مبرّزاً في أصول دين المعتزلة البهشمية، أخذ عنه القاضي العلامة صارم الدين إبراهيم بن يحيى السحولي[3] رحمه الله والقاضي أحمد بن صالح

---

(١) الغزالي: (أبو حامد محمد) ٥٠٥ هـ/١١١١م متكلم، لقب «بحجة الإسلام» ولد بالقرب من طوس (خراسان) نشأ أولاً نشأة صوفية ثم انصرف إلى دراسة الفقه والكلام والفلسفة، علم في المدرسة النظامية ببغداد وكتب «تهافت الفلاسفة» وفيه بدع الفلاسفة ثم مر بمرحلة من الشك قادته إلى الصوفية فترك التدريس وتبع طريق الصوفية، وبعد عشر سنوات تجول فيها بين دمشق والقاهرة ومكة عاد إلى نيسابور ومنها إلى طوس حيث توفي، له «إحياء علوم الدين» و«المنقذ من الضلال» (المنجد في الأعلام، ص٥٠٦).

(٢) الديلمي: هو محمد بن حسن الديلمي ارتحل من الديلم إلى اليمن واستقر في صنعاء وهو من أكابر علماء الزيدية توفي سنة ٧١١ هـ وفي مطلع البدور وفاته سنة ٧٢١ هـ، من مؤلفاته (الصراط المستقيم) ويعرف أيضاً (بالتصفية عن الموانع المرادية) وكتاب (قواعد عقائد أهل البيت). (مصادر الفكر الإسلامي، ص٢٧٤/ ملحق البدر الطالع - ص١٩٤).

(٣) ابراهيم بن يحيى السنحولي: هو إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي (٩٨٧-١٠٦٠ هـ) من أكابر علماء صنعاء لا سيا في علم الفروع وله مصنفات منها حاشية شرح=

العنسي[1]، وغيرهما وخلفه في القضاء بولاية المؤيّد بالله القاضي إبراهيم بن يحيى مقدّم الذكر، ووجهت إليه مع ذلك الخاطبة.

وفيها أو التي قبلها مات القاضي العارف البليغ عبد الله بن حسن البشاري العُذري، وله قصائد كثيرة مدح بها شرف الإسلام الحسن بن الإمام وغيره وله ديوان مجموع.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْف - فيها كان زُحل بالحوت، واستقر بدر الإسلام محمد بن الحسن بن القاسم بذمار بأكثر أعيان والده ولما تلمح في القضية، وعلم أن الإمام قد أدرج يده عن البلاد بالكلية، وكان في باب تدبير الملك خرّيتاً[2] ماهراً، لا يدرك له غور، ولا يوقف له على طور، انبعثت همّته إلى تدوين أعيان والده، وأمر كل رئيس أن يضبط ما تحته من الأتباع، وبادر إلى فتح الدواوين ومدّ الانطاع، وأشخص نفسه للإنصاف بين المتظالمين وقرّب من قرّبه والده من السادات، والأعوان ورؤساء العبيد، وسَائِر المعاونين، وكان والده قد ضمّ من أعيان الدولة جملة يفتح بها الأماكن القاصية، ويقتنص بها الرقاب العاصية، ولما فتح نفسه للوافدين وطعم الناس حلاوة عدله مع ما رزق من كيمياء السعادة، وانجذاب خواطر العالم إليه، بما يخرج عن طريق العادة، حصل من أداب البلاد بما كاد أن يفي بأرزاق الأجناد [١٤]، وتزوج يومئذٍ ببنت الأمير سنبل وسكن بدار أبيها.

وأما صِنوه صفي الإسلام أحمد بن الحسن، فإنه عاد إلى ذي مرمر

= الأزهار، وشرح على الثلاثين مسئلة. (البدر الطالع، م٢، ص٩٦). أنظر ترجمته من قبل المؤلف ص ١٢٣.

(١) أحمد بن صالح العنسي: هو العلامة القاضي أحمد بن صالح العنسي الصنعاني (مات سنة ١٠٦٩ هـ). وكان من خواص الحسين بن الإمام القاسم، اشتغل بعلم الكلام، وانعزل في آخر أمره إلى العبادة ببير العزب، (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٣٤-٣٥).

(٢) خريتاً: الخريت هو الدليل الماهر في الصحاري والبلاد الغير مأهولة (تاج العروس، م١، ص٥٤١).

والغراس[1]، وعنده جملةٌ من الأبطال المعدودين ليوم النّزال، وعليه لوائح الجلالة تَلُوح، وطيُور الإقبال تغدو عن مَيَامِنِه وتروح، ثم أن بدر الإسلام محمد ابن الحسن بن الإمام جمع رأيه[2] عندما كثرت الأجناد بحضرته، وتضاعفت النفقات أن يتقدم إلى عمه الحسين بضوران، فوصل إليه بأبهة ملوكية، وشارة حَسَنِيَّة ولاطفه في أن يُفرده ببلاد تكون إعانةً في عمل الأجناد، ويقوم ببعض السداد، فبادر إلى أسعاده، ومدَّ يداً إلى أمداده، وأقطعه بلاد الشوافي[3] وخبان[4]، وبني سرحة[5]، ويريم[6]، والتعكر[7]، ثم عاد إلى ذمار مجبوراً محبوراً، وتعقب ذلك تقدم شرف الإسلام الحسين إلى محروسة ذمار، فوصلها بزي عظيم وجيش جرَّار، وأراد لما وصل النزول بدار التكية، في حوطة حَسَن البابا، فلم تطب نفس ابن أخيه عز الإسلام بذلك، وقال: لا يصلح السكون إلا في داري، والبيت بيتك والولد ولدك.

فساعده شرف الإسلام، وسكن في بيته على أحسن مقام، ثم عاد الحسين إلى ضوران، واستقر ولد أخيه محمد بذمار.

---

(1) ذي مرمر والغراس: تقع شمال شرق صنعاء وهي من بلاد بني حشيش المعدودة من خولان. (هامش الإكليل، ج٢، ص٣٨٤).

(2) رأيه: (رائه).

(3) بلاد الشوافي: مخلاف من أعمال إب، متصل بها من الجهة الغربية ومنه عزلة ثوب والبحريين وجبل مُعوَّد وشعب يافع وبنو محرم (طبقات فقهاء اليمن، ص٣١٩).

(4) خبان: معروفة تقع إلى الشمال والشمال الشرقي من مدينة إب.

(5) بني سرحة: من بلاد السحول.

(6) يريم: مدينة تقع إلى الجنوب من مدينة ذمار والمنطقة المحيطة بها تسمى بإسمها، وتتبع إدارياً محافظة إب.

(7) التعكر: يقع إلى الجنوب من مدينة جبلة، وهو حصن عظيم الشأن ومن أقدم معاقل اليمن وأحصنها.. وقد ذكره الأمير محمد بن أبان الخنفري بقوله:

وفوق التعكرين لنـــــا قصور تشايـــــد الشرامخـــــة الطوال

وقال الملك علي بن محمد الصليحي:

قالـت ذرى تعكر فيهـا بكونـك في عليائهـــا علماً أو في عُـــلا عـــلم

(هامش صفة جزيرة العرب، ص١٠٣-١٠٤).

قِصَّةُ الحَوَادِثِ[1]-

وأمّا صَفي الإسلاَم، أحمَدَ بنَ الحَسَن بنَ الإمَام، فإنّه بَعد ذلك تجرّد من ذي مَرمَر عن أسدٍ يفترس[2] وبُهمهم وَيزَأر، واستقر به السَّفَر القريب إلى حضرة أخيه مَحمَّد بن الحسَين، وكان شرف الإسلام قد عرض عَلَيه ولاية أُصاب[3]، فامتثل في المبادىءوإلى القبول أجاب، ثم أرجعها لحقارتها بالنظر إلى تكليفه، وأما الإمام المؤيّد بالله فلم يسمح للجميع بقيد شبر، وأجاب لما سُئلت الولاية للأخوين بأنها ليست من جملة المياريث.

ثم أن أحمد بن الحسن تقدم من ذمار إلى أُصاب، في شهر شعبان من هذا العام ورحل برحلته من جنح إليه من فرسان الصدام وأساد الإلتحام [١٥]، ثم انتقل عنها إلى بلاد عتمة[4] فخرج عنها واليها السيد الرئيس المطهر بن محمد الجرموزي، ووصل إلى حضرة الحسين وهو بجبل ضوران، فرفع الأمر من حينه إلى صنوه الإمام المؤيد بالله وأخبره أن أحمد بن الحسن قد رفع والي الجهة، وأن قصبتها صارت في باب الإستيلاء، وأن الرجن متبوع، وأن رأيه لهيبته مسموع، وأن المطالب قد انساقت من أهلها إليه، وأنهم انثالوا رغبة ورهبة عليه، وأنّ علي بن شمسان وهو الوالي يومئذٍ بجهات اليمن إب[5] وبعدان[6]، قد مال إلى

---

(١) الحوادث: موضع في بلاد عتمة.

(٢) يفترس: كذ، وفي (أ) يفتر.

(٣) أُصاب: وتكتب أحياناً وُصاب نسبة إلى وصاب بن مالك تقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة خمس مراحل (هامش الإكليل، ج٢، ص٣٣٠) وتنقسم إلى أوصاب العالي وأصاب السافل وتشتهر بزراعة البن.

(٤) عتمة: تقع إلى الجنوب من صنعاء وإلى الغرب من ذمار وهي تابعة لقضاء آنس وتحيط بها مناطق مغرب عنس من الشرق وأصاب العالي من الغرب، وكسمة من الشمال والقفر وحبيش من الجنوب.

(٥) إبّ: مدينة مشهورة تقع إلى الجنوب من صنعاء وإلى الشمال من تعز، وهي في رأس ربوة متصلة بمساقط جبال بعد ان، وقائمة بين بلدين مشهورين، جبلة في الجهة الجنوبية الغربية، والخادر في =

جانب أحمد بن الحسن، ثم تقدم شرف الإسلام لإستدراك فعلة ذلك المصور القمقام قبل أن يطير في اليمن شرارها، ويملأ الكون غبارها.

فإن النار بالزَّندَين تُورَى وَأَنَّ الحَرب أوّلها كلامُ

وَكَانت طريقه وَادي النايجة، واستناب ولده بدر الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام فبات ببلدٍ يقال لها ذاهب، أسفل وادي النَّايجة من أطراف بلاد[1] آنس[2] فوق مدينة العبيد[3] على يسار الذاهب، ثم أحضر العسكر الذين معه ووجوه الناس إلى صرح مسجد ذلك البلد، وأفهمهم سبب التجهيز، ووطنهم على الثبات، وعرفهم ما هم قادمون عليه، ومن الذي هم قادمون إليه وكان الحسين أسداً من أُسود الله، وسيفاً من سيوف الله المُنتَضَاة، تتجلّى على يَديه المعارك السُّود، وَتَنَجذّ بروعهِ براثن[4] الأسود، وهو كأنّه في محاضرة صديق، أو مطالعة بحثٍ غير عَويق، فأجاب عَليه العسكر بلسانٍ واحدة: أنا تحت رايتك العُقَاب، الخَافقة بنسيم الصواب، ولو إلى مطالع الشمس فأصدع بأمرك، وأفلج بقهرك.

ثم انتقل اليوم الثاني إلى بلد مياس، وهو مزار هناك طيب الأنفاس، وأمر عند وصوله لحفظ مغربة عتمة، وبابها قبل أن يُقَدِّمَ ذلك المصور عيونه إلى ثنَاياها وشعابها [١٦]، فيملك صوبي الطريق، ويكثر عند ذلك التعويق.

ولما عرف أحمد بن الحسن أن أصحاب عمه قد استقروا بذلك المكان، هيَّأ فرسان

= الجهة الشمالية منها.

(٦) بعدان: من أعمال إب، وهو جبل واسع فيه قرى وحصون كثيرة ومزارع وبساتين (طبقات فقهاء اليمن، ص٣٠٨).

(١) من أطراف بلاد: من أطراف مساقط بلاد.. (أ، ب، ج).

(٢) آنس: قضاء تابع للواء ذمار يقع إلى الغرب من مدينة ذمار وإلى الجنوب من مدينة صنعاء اشتهر قديماً بمعدن العقيق المستخرج منه، ويعد من المناطق اليمنية التي تزرع البن الجيد وتوجد في أراضيه مجموعة من الحمامات الطبيعية أشهرها (حمام علي) و (حمام جمعة) التي تزار في فصل الربيع من كل عام.

(٣) مدينة العبيد: مدينة صغيرة تقع في غربي قضاء آنس وتطل على بلاد عتمة.

(٤) براثن. كذا في الأصل، وفي (أ، ب، ج) شرائن.

العراك وأسود الطعان، وتقدم عمه الحسين إلى إسعار نار الحرب، وإقامة سُوق الطَّعن والضَّرب، فَلَم يَشْعُر أصحاب الحُسين إلاّ وقد طلع عليهم بيرق دار[1]، من تلقاء ابن أخيه وورأه الجيش الجرّار، عليه المقدام عُطيه.

وأحمد بن الحسن استقر في بلد الحوادث، وأراد أن يكون مهبط الوقائع ومنبع الحوادث، ولما تلاحم الفريقان، واصطدم الخصمان، كاد أصحاب الحسين أن يولوا الأدبار، لكن وإلى أين، فالتجأوا بعد ذلك إلى الجبل، بعد أن أعوزتهم الحيل، ثم أرسلوا ما في بطون البنادق، فأنهلت[2] على المعسكر الأسفل بصواعق، وأخذت الأرواح واجتذت العلايق، وانصرفت إلى عُطيه وهو مقدّم القوم رصاصة، دعت إليه حينه وخلاصه، وعند ذلك حانت هزيمة عسكر صفي الإسلام، وأخذوا النجا برفع السّاق عن ذلك المقام، وشرف الإسلام خرج أول الليل من مياس، وصعد العقبة في الدياس[3]، وبقي بقية الليل في بلد سوق الربوع[4]، ولما أصبح الصبح بادر إلى تلك القرية الخراب، التي وقع فيها الحرب والحراب، وضربت هناك خيامه، وركزت ثَم أعلامُه.

ثم أن جماعة من أصحاب السيد مطهر ثارت أحقادهم، وتطلع إلى الشقاء أحادهم، انشمروا[5] إلى حضرة الصفي محاربين، من غير أن يشعر بهم شرف الدين، فحاول رجوعهم بعد أن علم فلم يمتثلوا ولم يلبثوا أن سمعوا تحضيره الحرب بالحوادث، فعلموا أنّه الخطب الكارث، وكان بحضرة الحسين السيد الإمام العلامة، أحمد بن علي الشامي[6]، فقال لشرف الإسلام: أما بعد

---

(١) بيرق دار: (حامل علم) تركيه (المنجد، ص٥٦).

(٢) فأنهلت: (أنصبت (المنجد، ص ٨٧٠).

(٣) الدياس: الظلام.

(٤) سوق الربوع: من بلاد عتمة (وتسمى المواضع التي تقام فيها الأسواق العامة بالأرياف في اليمن بإسم اليوم الذي يعقد فيه السوق وما زالت هذه المسميات إلى اليوم قائمة).

(٥) إنشمروا: تهيئوا.

(٦) أحمد بن علي الشامي: هو أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل الشامي نشأ بوادي مسور من خولان العالية وانتقل إلى صنعاء ودرس على عدد من المشايخ وولاه الإمام=

التحضيرة، وعزم تلك الطائفة[١] اليسيرة، فلا يصلح منكم التواني، فبادروا قبل أن تتخطفهم الرماح الشواجر [١٧]، ويلحقوا بأمس الدّابِر. فتغير وجه الحسين لأنه كان يريد أن تنحسم فتنة ابن أخيه، بدون هذا شفقة عليه، ومحبة في حقن الدِمآ، وتسكين الدهماء، ثم أنه أمر بعد ذلك بأخذ الأهبة والتعبئة للقتال، وركب واحترك[٢] العسكر بأجمعه وتقدم بيرق أحمد الحاشي، صاحب الشرف، فشارف الوصول وقد التحم الحرب، واتصل الطعن والضرب، وقتل جماعة وأُسر آخرون، ثم تراجع الفريقان، بسبب البنادق، وحجزها ما بين الفيالق، وكان النقيب سرور شلبي، من أصحاب صفي الإسلام ومن انضاف إليه قد ترتب في المغربة، وطريق الحوادث، والنقيب حسن البحش، قد أخذ راس الأكمة وعمّر المتاريس، فاتصل الحرب بالبنادق من ضحوة[٣] النهار إلى الظهر، وبسبب إصلاح التعبئة من أصحاب الصفي أحمد بن الحسن، استعلوا[٤] على أصحاب عمه وانهمكوا فيهم جرحاً وقتلاً، فلما استرسل ذلك أمر الحسين البيرقدار، وهو صلاح الحملاني، أن يتوجه بمن بقي من العسكر إلى القرية التي هي أيسر الأكمة، المملوكة[٥]، وقال له إذا دخلتها واستوليت عليها فاطلع على الـذين في الأكمة من ورائهم، ليكون ذلك نفساً على من تحتهم من أصحابنا، فعزم المذكور في الحين، ومعه نحو العشرين، ودخل القرية بغير شجار وأحرق ثلثها بالنار، وتجاوز عنها للتفتيش على أولئك من مضيق الحصار، فلما رآه أهل الأكمة لم يلبثوا أن ولّوا الأعقاب، وكان ذلك النظر الشرفي من أقوى الأسباب، وأصيب النقيب ياقوت شلبي في يده، وإنما كان جمهور الضرر من قبل مدده، فتبعهم

= القاسم بعض جهات بلاد الحيمة، ولازم في آخر أيامه الحسين بن الإمام القاسم، ومات بصنعاء سنة ١٠٧١ هـ. (البدر الطالع - ملحق - ج، ص٣٩: ٤٠).

(١) الطائفة: (الطايفة).

(٢) واحترك: كذا.

(٣) ضحوة: ما بعد طلوع الشمس إلى الساعة العاشرة صباحاً تقريباً.

(٤) استعلوا: المقصود بها هنا استولوا على مكان مرتفع.

(٥) المملوكة: المستولى عليها.

العسكر في الأثر، وطلع بدر النصر وزهر، وقتل من قتل منهم حال الهزيمة، واتصلت بمسامع صفي الإسلام هذه الفعلة الجسمية، ثم أن شرف الإسلام لحق بآخر الوقعة وشاهد القتلى مجدّلين، وبدمائهم مجللين، وأكثرهم من أصحابه، وأما العسكر فإنهم اشتغلوا بالإنتهاب في محطة صفي الإسلام، وهو إنحاز بعد ذلك إلى القرية السُفلا [١٨]، وقد فاز عمّه بالقدح المعلا.

ثم أن الحسين أرسل إلى ابن أخيه السيد عبد الله بن أمير الدين وأمره بالوصول إليه، فوصل وخلع عليه، ووجّه أسباب الأنس إليه، وأمسى الكل بالحوادث وكان قد اتفق في خلال هذا الكارث، حرب آخر في بني بحر من عتمة، بين جماعة من العسكر وأهل البلاد وأصحاب أحمد بن الحسن، ويروى أن بدر الإسلام كان قد جهز إليه جماعة من عساكر الصدام، فصادف ذلك أن الحرب قد وضعت أوزارها، وأطفئت بيد الحسين شرارها، والحمد لله.

وأما حديث علي بن شمسان، فإنه كان قد جهز مدداً لأحمد بن الحسن من اليمن، وأراد الإرتحال، فبلغه انجلاء المعركة عن قبض مخدومه، فتشوش خاطره وحار، وما زال يدبر حيلة للفرار، ثم آل به الحال إلى أنه استجار بابن عبد القادر صاحب عدن[١]، وقد حكى من عرف أنفاس الحسين يومئذٍ أنه لو وصل لما ناله إلا كل خير، وكانت وقعة الحوادث، يوم الخميس في العشر الآخرة من شعبان هذه السنة.

وفي آخر هذا الشهر وصل شرف الإسلام إلى محروس إبّ، وصحبته ولد أخيه أحمد بن الحسن، ووصل عُقب ذلك كتاب المؤيد بالله إلى صنوه الحسين، باستدعاء ولد أخيه، وعلي بن شمسان، إلى حضرته فسار إليه، ولما وصلا قابلها بالإجلال والإعظام، والتبجيل والاحتشام، فأما أحمد بن الحسن فاستقر عند الإمام ما شاء الله، وعاد عن أمره إلى صنعاء على أوضاع جعلها بيده فيها

(١) عدن: (هي عدن أبين) عاصمة جنوب اليمن وهي ميناء هام يطل على المحيط الهندي وتوجد فيها سدود وآثار قديمة في الطويلة وفي جبل شمسان وجبل حديد وفي حُقات، وتتكون عدن من عدد من المدن المتصل بعضها ببعض وهي، كريتر عدن، المعلا، التواهي، مدينة الشعب، البُريقة، خور مكسر، والشيخ عثمان.

كفايته، وكفاية من إليه، من أصحابه، وأخدانه وأحبابه، وأما علي بن شمسان، فإنّ الإمام رجح بقاه ذلك الأوان، وعمّر له داراً فاخرة، وأجرى عليه الإنعامات الغامرة، وبعد ذلك وصل السيد العلامة إسماعيل بن القاسم إلى جبل ضوران، إجابةً لداعي أخيه الحسين، فإنه كان قد استدعاه لينوب في تلك الجهات ما دام باليمن الأسفل[١٩]، ولما وصل انتهض السيد العلامة محمد بن الحسين إلى حضرة والده متوخياً التتميم لمقاصده، فوصل وبقي شهر رمضان، وعاد إلى صنعاء في شوال.

وفيها تقدم عز الإسلام محمد بن الحسن من ذمار إلى حضرة عمه الحسين، فوافاه بإِبّ ثم نزلا إلى تعز[١]، وما زال عز الإسلام يلاطف عمه الحسين في زيادة قطعته، ويذكر له أنها قاصرة عن الوفاء بما عليه، وفي أثناء هذه السنة ذكر بعض السادات، أن السيد أحمد بن أمير المؤمنين القاسم، أصاب في دار الكيخيا كنزاً عظيماً من الذهب الأحمر، ولعله كان من دفين عبد الله شلبي، لأنه كان مستقرّه لما حاصره حيدر باشا، أيام الباشا جعفر.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَأَلْف -

فيها تهيأ شرف الإسلام للطلوع من اليمن الأسفل الى ضوران، ثم الزيارة لحضرة الإمام فسار في شهر ربيع من السنة المذكورة.

فَتْحُ بَغْدَادَ[٢]-

وفيها وصلت الأخبار من تلقاء الروم، أن السلطان مراد بن أحمد خان بن

---

(١) تعز: اسم مدينة يمنية تقع شمالي جبل صبر، واسم محافظة خصبة تضم مجموعة من النواحي والقضوات هي الخا، وموزع، والوازعية، وقضاء الحجرية الذي يضم ناحية جبل حبشي، وتربة المواسط، وتربة الشمائتين، والمقاطرة، والصلو، والقبيطة، ودمنة خدير، وقضاء ماوية، والتعزية وتضم ناحية السلام، وشرعب، ومقبنة، إضافة إلى تعز قاعدة المحافظة وصبر الجبل المشهور.

(٢) بغداد: عاصمة العراق شيدها المنصور الخليفة العباسي ٧٦٢ م وسماها (مدينة السلام) وازدهرت أيام الخلفاء العباسيين المنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون، وأخذت بالإنحطاط بعد أن نقل المعتصم العاصمة الى سامراء ٨٣٦م، أصبحت عاصمة من جديد ٨٩٢م، دمرها =

عثمان قصد محاصرة بغداد، واقتلاع تلك الأفلاذ، والشاه كان قد استولى عليه، وساق شحنته وسائر ما يحتاج إليه، وكان في الأصل من قاعدة مملكته، إنما وثب عليه الشاه بقوة جرأته، فأحاط به من جميع الجوانب، ورتب عليه البواش والأغوات والمرازب[1]، وكل مقدّم من أولئك الأعيان، يضبط تحته عمدة من الرجال والفرسان، ويقال إنّه كان جملة الخارجين مع السلطان في ذلك الصَّوب أربَعَة عشر لكّاً[2]، وكان جملة أيام الحطاط أربعين يوماً، وعظم على السلطان الخطبُ، واستتبّ سعير هذه الحرب، بسبب قوة أصحاب الشاه، وما كان قد اخترعه من الترتيب وأَنشأه، فقصد الشيخ الأعظم عبد القادر الكيلاني[3]، واستمَدَّ منه الأنفاس، وأن تكون جائلة أثناء الصدام والمراس، ثم أمر الحداد أن يصنع له مدفعاً من الخوارق، ليطلق على سور بغداد من جوفه صواعق، وفعل كما أمر، وَوُجّه إلى السور في الأثر، فلما انتهت [٢٠] حجره إلى الدائر[4] انعكست على أصحاب السلطان مراد، فأهلكت منهم جملةً من الأعداد ثم رمى به أخرى ففتح جانباً من السور، وكان بسببه الفتح المشهور، لأنه انهار جانباً من ذلك الدائر، فتبادرت إلى الدخول منه العساكر، وقتلوا في بغداد عدداً لا يضبطه قلم، وكان الشاه بنفسه في جانب من القصر ففرّ بنفسه، بعد تدبير الحيلة العظيمة في ذلك، فصادف هربه إشتغال الناس بالقتل والسلب، والنهب، ولما أدرك النجاة كتب إلى السلطان مراد يطلب منه الصلح على

= هولاكو ١٢٥٨م، وتيمورلنك ١٤٠٠م ثم الأتراك ١٦٣٨م.. وهي اليوم مركز هام للتجارة على طرق آسيا الجنوبية والغربية. (المنجد في الأعلام، ص١٣٦: ١٣٧).

(١) المرازب: الوزراء - فارسية -.

(٢) لكاً: اللكُّ جمع ألكاك ولُكوك عشرة آلاف (المنجد، ص٧٣١).

(٣) عبد القادر الكيلاني: ورد اسمه كذا في جميع النسخ المخطوطة، وهو عبد القادر الجيلاني توفي ٥٦١هـ/ ١١٦٦م إمام كبير ولد في جيلان - من بلاد فارس جنوبي بحر قزوين - مؤسّس الطريقة القادرية ومن كبار الصوفيين، فتح له زاوية في بغداد، أوصى بالمحبة للغريب وبالتقشف، ومن مؤلفاته «الفتح الرباني والفيض الرحماني» في التصوف و«الغنية لطالبي طريق الحق». (المنجد في الأعلام، ص٤٥١).

(٤) الدائر: السور.

ماعدى هذه البلاد، وأن يأمن كل في سربه، ويشتغل بطائفته وحزبه، فأجابه إلى ما رام، ولم يكن في خلده غير فتح مدينة السلام، واستقرّت يد الشاه على بلاده التي هو فيها، من جبال فارس وما إليها، واقتصر بعد أن عاين[1] ذلك الهول عليها، مع أنه لم يترك أثناء حصاره مجهوداً في إذهاب ريح السلطان، فقد دبر الحيلة الغريبة لو كانت تصرف عن الحدثان، حكى أنه ربّى هرّاً وربط بذنبه فتائل النار، ثم أرسله بعد الترتيب الى جبخانة[2] البارود مع غفلة بواردية السلطان مراد، فولج ذلك الهرّ وأحرق الجبخانة، ولم يتعد الحريق إلى غيرها.

ولما فتحت بغداد أمر السلطان بعمارة قبر أبي حنيفة[3] رضي الله عنه، ببغدادوكان الشاه قد أمر بخرابه، واعتل بأن أبا حنيفة كان يعارض الإمام جعفر بن محمد الصادق[4] رضي الله عنه، بالفتوى الى غير ذلك، وأمر السلطان أيضاً بعمارة قبر الإمام، علي بن موسى الرضي[5] فاصلح القبرين، وعمر المشهدين، وعظّم الإمامين، وهذه من مناقبه، قيل: وكان مُراد السلطان مراد،

---

(١) عاين: شاهد.

(٢) جَبَخَانة: مخزن مواد الحرب من بارود وقنابل وغيرها - تركية - (المنجد، ص٧٧).

(٣) أبي حنيفة: هو أبو حنيفة - نُعمان بن ثابت - (٨٠-١٥٠ هـ/ ٦٩٩-٧٦٧م) إمام المذهب الحنفي ومن المجتهدين بالشرع الإسلامي، ولد بالكوفة، وعاصر بعض معمري الصحابة، أخذ عن التابعين والإمام جعفر الصادق، تاجر تولى التدريس والفتياء في الكوفة، سجنه المنصور وكان يضرب بالسوط كل يوم حتى مات في السجن، هو أول من فصّل الفقه إلى أبواب وأقسام، وصاحب الاجتهاد في الفقه والفرائض بالقياس والرأي. (المنجد في الأعلام، ص١٤).

(٤) جعفر بن محمد الصادق: هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الملقب بالصادق. (٨٠-١٤٨ هـ/٦٩٩-٧٦٥ م) سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، له منزلة رفيعة في العلم، ولد ومات بالمدينة (الأعلام، ج ٢، ص١٢١).

(٥) علي بن موسى الرضى: هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الملقب بالرضى (١٥٣-٢٠٣ هـ/ ٧٧٠-٨١٨م) ثامن الأئمة الإثني عشر عند الإمامية قربه إليه المأمون العباسي، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، ومن أجله غير الشعار العباسي من الأسود إلى الأخضر فاضطرب العراق، وخلع أهل بغداد المأمون وهو في (طوس) وبايعوا لعمه إبراهيم، فقصدهم المأمون بجيشه فعادوا للخضوع. ومات علي الرضى في حياة المأمون (بطوس) فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد. (الأعلام، ج ٥، ص١٧٨).

التجهيز على اليمن، بعد فتح بغداد، فلما تم له ذلك المطلب، وتهيأ للتوجُّه على اليمن وتأهب بلغه أن صنوه إبراهيم بن أحمد خان، قد خالفه إلى إرادة الاستبداد وخان، وتغلب على مملكة الروم، وتم له الدست فيما يروم، فداخله من الضيق، ما صدّه عن تلك الطريق [٢١]، وأسرع به إلى طريق المنيَّة، وعاون عليه سلطان الأغراض النفسانية، ففاضت روحه وخلا عنه سوحه، ولّما ثبت أخوه السلطان إبراهيم على كُرسي السلطنة، تحركت نفسه لفتح مالطة(١)، وماوراءها من تلك الممالك الشاحطة، ويأتي فيما بعد عام خبره، وكيفية نصره وظفره.

ولم يفتتح السلطان مراد مدينة السلام، إلا بعد إفناء الأموال العديدة، والذخائر العتيدة، والأبطال الكرارة، والخيل المختارة، وأول جيش توجّه على بغداد من قبل السلطان جيش الباشا حافظ أحمد، ورجع بعد حروب طويلة بقلب مكمد، وتبعه إرسال الوزير الأعظم، والجناب المقدّم، فطال حصاره للمدينة، وضرب خيامه بمشهد الحسين، ورجع عن فتح المدينة بخفي حنين، لكنه فتح كثيراً مما حولها، وتعقّبه هذا المركز الكبير، الذي كان فيه هذا الفتح الشهير، ولما استقر الصلح كما سلف، بين السلطان مراد والشاه، قرر أخوه على مراسمه ومشاه، برسوم رسمت على الشاه، منها إتاوة يحملها إلى السلطان في كل عام، فيها الحرير وغيره، ولم تطب حال الشاه بعد إخراجه عن العراق، واستيلاء السلطنة على تلك الآفاق، وتعقّب ذلك خروجه عن دائرة الحياة، ودخول مملكته في يد ولده صفي شاه. ثم إن ابن أخيه عباس شاه ثار عليه، وأخذ المملكة من يديه، وجرّعَهُ كأس المنيّة، وأعدمه تلك الأمنية.

ولسلاطين العجم(٢) هولاء حسبما تواتر أحوال، حكموا فيها الملك الذي عاقبته إلى زوال، مثل فرش الأبنية بخالص الحرير، واستعمال أنية الذهب

---

(١) مالطة: جزيرة ودولة في البحر المتوسط بين صقلية وليبيا وعاصمتها (لاڤاليت) (المنجد في الأعلام، ص٦٢٩).

(٢) العجم: أطلق العرب على الشعوب التي لا تتكلم العربية لقب العجم وقد لصق هذا اللقب بالفرس وتكرر كثيراً في الكتابات العربية.

والفضة المرصعة بالجواهر النفيسة، وإطلاق رسن البطالين في مدنهم مع البغايا تعللاً بشبهة المتعة، وتسليط بعض الأنعام على بعض بالإغراء بينها للتفرج والتفكه، بما يتفق منها وقد يسمّون مارك في النّطاح، بمن يغمصون جانبه، من الصحابة، وإذا غلب صالوا على من هو في ملكه. وذكر بعض السادات [٢٢] عمَّن روى له أو شاهد، أنهم يرقمون[1] أسماء مشاهير الصحابة في نعالهم، ويرفعون أصواتهم بلعنهم، ويجعلون ذلك نوعاً من التّقرب إلى الله، وهذه خاصّة ليس بنكير من مذهبهم ومن هو على طرزهم، إنما العجيب إنهاكهم عن آخرهم في تلك الأحوال، التي تدل على الخلو عن العقل والحشمة بكل حال، وعدم الإلمام بشيء من شريعة الملك المتعال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وَفَاةُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَميْرِ المؤمِنِيْنَ القَاسِمْ:-

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة طلع شرف الإسلام الحسين من اليمن الأسفل إلى ذمار، واتفق فيه بين معسكره وبين أهل المدينة شجار، لأن عسكر الحيمة[2] الذين كانوا صحبته أرادوا دخول البيوت، ولم يكن قد سبق مثل ذلك من العسكر فاحتركت نفوس أهل ذمار، وأقبلوا عليهم بالحجار، وكان فيها يومئذٍ عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام فكأنه كان منه إليهم رمز لطيف، إن ذبّوا عن أنفسكم ولو بالدفع العنيف، قبل أن تثبت عادة، ويعسر تغييرها عند الإرادة، فيثبت ما رسموه، ولم ينحل ما أبرموه.

وأما الحسين فإنه علق به الألم من ذلك الحين، ويقال أنه ذات الجنب، ففارق الحياة في يوم الثلاثاء خامس الشهر المذكور، وإلى الله عاقبة الأمور، وكان قد قام بكفاية بلاد الحسن بن الإمام فدبر الأمور، وساس الجمهور، وكان رحمه

---

(١) يرقمون: يكتبون.

(٢) الحيمة: ناحية مشهورة على مسافة مرحلة كاملة إلى الغرب من صنعاء - وتنقسم إلى الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية - ومركز ناحية الحيمة الداخلية مدينة العر وهي مدينة جبلية جميلة ومركز ناحية الحيمة الخارجية مدينة مفحق. (هامش نزهة النظر، ص١٤٤).

الله بعد وفاة صنوه وتحمله لعهدته، قد ظهر منه الخلق الواسع، والعطاء النافع، وحضر دفنه ولد أخيه عز الإسلام وقبر حول حوطة الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي[1]، وأمَّا عِلمُه فهو الذي طبَّق الآفاق، وانعقد عليه الإتفاق، ويكفيه تحقيقاً، وتدقيقاً، وترصيفاً، وتنميقاً مؤَلفه في أصول الفقه، المسمى غاية السول، وشرحه المسمى هداية العقول، وقد كتبت مما قلته في ديباجة غاية السّول.

لله من غايـــــة أعوذهـــــا   بالله من عـين كل ذي حَسَدِ
كم كللـــــت للفصول جوهرةً   وكم لها من يد على العضد [٢٣]

وقد اشتغل آخر مدته بالحديث وسمع الجزءُ الأوّل، من صحيح مسلم على الفقيه الحافظ عبد الرحمن بن محمد الحيمي[2] رحمه الله، وله مصنف في عدم اشتراط الإمام الأعظم في صلاة الجمعة، وهو لقول الشافعي، وللسيد الإمام الحسن الجلال[3] مصنف في نهجه، وأصل هذا البحث للأمير الحسين وقد زاد عليه ما لا مَعدِل عنه للنظار الإمام الحجة محمد بن إبراهيم بن علي بن

---

(١) المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي: هو الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان (ولد سنة ٨٠١، وحكم سنة ٨٤٠، ومات سنة ٨٧٩ هـ) كانت دعوته في بلاد الأهجر وبلاد حمير من مغارب صنعاء فأجابه الكثير من العلماء واستدعاه الفتى قاسم بن عبد الله سنقر من موالي المنصور علي إلى صنعاء بعد سجنه للإمام المهدي صلاح بن علي وفرار المنصور بن محمد من صنعاء، وسار إلى ذمار لمطاردة الناصر بن محمد فالتقيا في قريس من بلاد جهران وانتهت المعركة بمقتل الأمير قاسم سنقر وسجن المطهر في حصن الربعة غربي ذمار، وفي سنة ٨٤١هـ فر من السجن وما زالت أحواله بين القوة والضعف حتى مات (مصادر الفكر الإسلامي، ص٥٩٦).

(٢) عبد الرحمن بن محمد الحيمي: هو عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي من العلماء الكبار اشتغل بالتدريس ونبغ على يديه جمع كبير من العلماء، وبرع في علم الحديث مات سنة ١٠٦٨ هـ (مصادر الفكر الإسلامي، ص٥٦).

(٣) الحسن الجلال: هو الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن أحمد بن الهادي بن الجلال (ولد سنة ١٠١٤ ومات سنة ١٠٨٤ هـ) درس على أيدي مجموعة من المشائخ في صعده وصنعاء وله مؤلفات منها (ضوء النهار، وشرح الفصول، وشرح مختصر المنتهى) وفي المنطق (شرح التهذيب)، وفي أصول الدين (عصام المتورعين). (البدر الطالع، م١، ص١٩١ : ١٩٢).

المرتضى[1]، في رسالة مشهورة، وله رسالة في النهي عن منع الشافعية من القادمين في الصلاة لما منعهم بعض ولاة اليمن الزّيدية، جهلا منه، ونهاه الحسين عن التعرض للنهي، عن المسائل الخلافية، ولما وصلت الرسالة إلى اليمن أثنوا عليه خيراً وله مختصر أدب العَالِم والمتعلم، وله حواشي على أساس أبيه الإمام الأعظم، وشرحه للسيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي[2] رحمهم الله. وكان له من شِدة البأس، ما يخرج عن طور البشر، ومواطنه مع شجعان الأتراك، أيام الحطاط على حيدر وغيرها، معروفة، ومما اتفق له من الشدائد العظيمة أنه سَبَحَ في بعض الأيام في غدير الرّصدين، من جهات البطنة من بلاد عذر[3]، فغمس في الماء كما يفعله الماهر في عمل السباحة فقذفه الماء عند إرتفاعه إلى جانب شديد الظُلمة فانحسر عنه الماء لأن الغدير بين جبلين فبقي في ذلك الجانب متحيراً في أمره من نهار ذلك اليوم الى صباح اليوم الثاني، فعند ذلك ظهر له شعاع الشمس عند شروقها وأدرك ضوءها بين الماء فغمس في الماء تخيتاً[4] وتخميناً لمصعد النجاة فخلصه الله وبرز من ذلك الخِضّم، بعد أن حصل الإياس عنه ثم.

وكان رحمه الله يرى أن الخلاف بين العلماء في أصول الدين لفظي، وأنه

---

(١) محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى: هو محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى بن المفضل بن المنصور ابن الوزير (٧٧٥-٨٤٠ هـ) أخذ عن أخيه الهادي وغيره، ثم رحل الى مكة فقرأ على العلامة محمد ابن ظهيرة، ومن شيوخه في تهامة نفيس الدين العلوي، تفرغ للتصنيف حتى ذاع صيته في الآفاق، واعترض عليه أهل عصره وثاروا ضده لكن كان يقهرهم بالحجة، وفي آخر عمره انعزل عن الناس واعتكف في أحد مساجد صنعا، من مؤلفاته (العواصم والقواصم في الذب عن سُنة أبي القاسم) و (الروض الباسم) و (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق) وغيرها. (مصادر الفكر الإسلامي، ص١١٩).

(٢) أحمد بن محمد الشرفي: هو أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن القاسم بن يحيى بن الأمير داود بن المترجم. وينتهي نسبه بمحمد بن القاسم بن إبراهيم الشرفي (٩٧٥-١٠٥٥ هـ) من مؤلفاته (اللّئالي المضيئة) و (شرح الأساس) و(شرح الأزهار). (البدر الطالع، م١، ص١١٩).

(٣) عذر: قبيلة من حاشد، تقع إلى الشمال الغربي من صنعاء (هامش الإكليل، ج١، ص٢٨١) إلى الشمال من (مدينة حوث).

(٤) تخيتاً: توقعاً.

لا يجوز التكفير والتفسيق بالإلزام، ومما ذكره في شرح غاية السؤال، أن ترجيح الداعي يكون بالإرادة، وهو قول السمرقندي[1] وغيره، ومن مآثره رحمه الله المسجد المشهور بباب السبحة[2] ووقف عليه ما يكفيه، وقد زاده وحسنه ولده العلامة عز الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام، ولم يلبث بعد صنوه الحسن غير سنة، وكان أخوه المؤيّد بالله رحمه الله، قد جعل إليه ما كان إلى الحسن بأجمعه وَلَمَّا مَاتَ [٢٤] شرف الإسلام توجه ما كان إليه من أعمال العساكر إلى عز الإسلام محمد بن الحسن وقرّره الإمام على القطعة التي بيده من عمه الحسين، واقتصر عليها خلى أنه أمدّه من بقية البلاد بأرزاق من انضاف إليه من الأجناد، هذا ويد عز الإسلام مُطْلَقَة في تنفيذ الأوامر والإنصاف من المظالم، وإصلاح قوانين البلاد اليمنية.

وَفي شعبان هذا العام توفي السيد المجتهد عز الدين محمد بن عز الدين المفتي رحمه الله، وكان وفاته بذهبان[3]، ونقل إلى خزيمة[4] غربي صنعاء، وقبر إلى جنب والده في مدفنهم المعروف بخزيمة، وكان هذا السيد زينة الأيام، بركة في الأنام، وجّه إليه منصب الفتيا من الباشا فأفتى في المذاهب الأربعة، مع ورع شحيح، ودين قويم صحيح، ومن مشايخه السيد العلامة عبد الله بن أحمد المؤيّدي[5]، والسيّد العلامة صلاح بن عبد الله الوزير، ولم يتخرج في الفقه إلا في آخر الأمر، فإنه أنفق جمهور شبابه في العلوم العقلية، والنقلية، ثم أقبل على الفقه

---

(١) السمرقندي: هو إمام الهدى نصر أبو الليث (مات سنة ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ م) فقيه حنفي كبير، ذو باع مستطيل في التفسير، وله (تنبيه الغافلين في المواعظ والحكم). (المنجد في الأعلام، ص٣٦٥).

(٢) باب السبحة: من أبواب مدينة صنعاء، وقد زال في وقتنا الحاضر إلا أن اسمه ما زال يطلق على المكان الذي كان قائماً فيه.

(٣) ذهبان: ضاحية من ضواحي مدينة صنعاء تقع إلى الشمال منها.

(٤) خُزيمة: اسم مقبرة ما زالت إلى اليوم تحمل هذا الإسم، لكنها في أيامنا هذه أصبحت في قلب مدينة صنعاء.

(٥) عبد الله بن أحمد المؤيدي: هو عبد الله بن أحمد بن الحسين المؤيدي الحسيني كان عالماً متواضعاً دمث الأخلاق محيطاً بعلوم الإجتهاد، مات بصنعاء في القرن الحادي عشر. (البدر الطالع - الملحق -، ص١٢٦ : ١٢٧).

بالقلب والقالب، فجلاً في ميدانه، وملك مقبض عنانه، وله البدر الساري، في أصول الدين، وشرحه واسطة الدراري، وقد سلك مسلك الحجة، محمد بن إبراهيم، في الإيثار والعواصم، والروض الباسم، إلا أنه لم يصرح بمذهبه، وقد أفصح عن بعض مطلبه، فإنه قوى ما يعتمد إليه في الباطن، وترك مكان ما لا يريده من التفتيح والتنقيح من باب المساكِن، وهي صناعة تدل على غور حصيف، وذهن شريف، ومُلاَحظةً لأحوال الزمان، ومداراة حسنة للأخوان وله شرح تكملة الأحكام، للإمام المهدي عليه السلام، وله منهج الإنصاف في النهي عن سب الصحابة، وله غير ذلك من الأنظار، التي عجز عنها النُظَّار، بعبارةٍ قصيرة، وفوائدٍ[1] غزيرة، وكان يفتي بما لا يلائم خاطر الباشا في بعض الأحوال، وينتظم له ما أراد ولا يتغير له حال.

اتفق في مدة جعفر باشا أنه أفتى بيوم الفطر فأفطر من أفطر بفتواه، فطلبه الباشا وعاتبه في ذلك وقال له: كان عليك أن تشعر الأفندي. فقال السيد: قد أشعرناه. فطلب الأفندي [٢٥] إلى حضرة الباشا وسئل في ذلك فقال كلاماً معناه: أفتى السيد بشاهدين ما يكمل بهما الحكم على مذهب أبي حنيفة. لأنهم لا يعملون إلا بأربعين شاهداً حيث الأُفُق لا علة فيه من سحاب ولا غيره. فتغير خاطر الباشا وقال للسيد: ليكن حبسك بيتك. فانفصل عن حضرته وبقي ببيته أياماً ثم أن الباشا استدرك هذه الهفوة فاستطاب خاطر السيد ونوّع له الإحسان، وقد كان يُنسب إلى جعفر باشا الميل إلى جانب العُلماء بسبب أنه كان له حصة وافرة فيه سيما علم المعقول.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَلْف - فيها جهز السلطان إبراهيم بن أحمد خان، على مالطة من بلاد الفرنج[2]، بأطراف جزيرة الأندلس[3] مما يلي الحرب، فما زالت سراياه تناوش تلك الديار، بحروب تذهل عندها القلوب، واستفتح

---

(١) وفوائد: (وفوايد).

(٢) بلاد الفرنج: الفرنج والإفرنج هم الأوروبيون.

(٣) جزيرة الأندلس: تسمى اليوم (بإسبانيا) وهي شبه جزيرة عاصمتها (مدريد).

كثيراً مما في أيدي الفرنج من البلدان، واستمر ولده بعد وفاته على ذلك الشأن.

وَقْعَةُ نَقِيْلِ الشِّيْمِ -

وفي شهر ربيع الأول من هذا العام، وصلت إلى الصفي أحمد بن الحسن كتب من الإمام، يستكشفه فيها عن شأن خزانة والده ويطلب منه أن يوضح له في التصرف فيها صحيح مقاصده، ويقول له إن كانت بيت مال فليس لك عليها يدٌ بحال، وان كانت تركة لوالدك الحسن، فأنت فيها أسوة الغرماء وكلكم في سنن فما بال الاستبداد الذي خفي علينا فيه المراد ولا بد من إعداد الجواب، يكون إلى استدامة المودة من أقوى الأسباب، وكان صفي الإسلام يرى في ذلك الأوان مع تعقب طيبة نفس إمامه، إن ما تصرف فيه من الخزانة فيده فيه أمانة، مع ما في وجهه من الواردات، وله فيما يفعل أوجهٌ من التأويلات، وعند ذلك جاشت نفس الصفي، وقدر في خاطره أن غير المباينة بكفاية هذا الجواب لا يفي، فتحرك من حصن ذي مرمر للخروج، ووكل الجواب إلى بطون الأغماد، وظهور السروج، فتوجه إلى بلاد خولان[1]، في جماعة من الرجال وجريدة من الفرسان، وقد ضمّ إليه الذَّخائِر[2] النفيسة، والنّقد الكبير، [٢٦] وغمر أصحابه بأنواع الإحسان، ونفحهم بكل خطير، ولما وصل إلى بلاد خولان وصل إليه مشايخها والأعيان، وبذلوا وجوه الرعاية، وصنوف الإحسان، ثم ارتحل الى بلاد

---

(١) خَوْلاَنُ: خولان قبيلة باليمن تنسب إلى خولان بن عمرو بن الحافي بن قُضاعة (تاج العروس، م٧، ص٣١٢). وخولان بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وآخره نون مخلاف من مخاليف اليمن منسوب الى خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ. (معجم البلدان، م٢، ص٤٠٧)

- وخولان إسم لأكثر من موضع في اليمن، فهناك خولان العالية (الطيال)، وخولان رداع، وخولان صعدة، والتي يشير إليها المؤلف هي خولان الطيال وهي تقع إلى الشرق من صنعاء وتمتد جنوباً إلى الحداء، وجبل الطيال من أشهر جبالها الشاهخة كذلك هيلان المطل على مأرب من الغرب وعلى الجوف وبراقش من الجنوب ومن قبائلها وبطونها العديدة بنو جبر وبنو شداد وبنو ظبيان وبنو سحام والهمان والأغروش وقرى اليمانية السفلى، واليمانية العليا (أنظر هامش نزهة النظر، ص١٤٩).

(٢) الذخائر: (الذخاير).

عنس[1]، ثم إلى جهة قايفه[2]، وعند ذلك تبعت في أثره الرسائل الإمامية، وأخذ فيها بحفظه على عمال الأقطار اليمنية، ووصلت إلى عمّه إسماعيل بن الإمام رسالة من المؤيّد بالله، وكان يومئذٍ في ضوران، من أيام استخلاف الحسين ابن أمير المؤمنين له، يتضمن إيجاب الحركة عليه إلى ولد أخيه، وارصاد المكاض[3] له في كل وجه، والإستيثاق من أحواله، حتى يؤتى به إلى الحضرة المؤيدية، فحث إليه الركاب، وصحبته عبد الله بن أمير المؤمنين، وكان أحمد بن الحسن قد قصد قعطبة[4]، فتبعوه إلى نقيل الشيم، فوقع الحرب في تلك العقبة، واصطدم الفريقان، واختلط الفيلقان، وكان يوماً مشهوراً، تثبت فيه أقدام، وتزلزلت فيه أحلام، وبعد أن تتابع القتل في الفريقين واختلط على البطل المدجج أهدى الطريقين، رأى أحمد بن الحسن أن من إلى جانبه قد أدركه الضلع[5]، واستخلص نفسه ومن معه بلطفٍ وارتفع، فانتهبت العسكر جميع خزانة صفي الإسلام، وتبعتها بالإتيان عليها أنفاس الإمام، ورجع لأحمد بن الحَسَن العزم بوجوه أعيانه الى حضرة الحسين بن عبد القادر صاحب عدن، فبقي عنده زماناً، ولقي منه إحساناً. وإسماعيل بن الإمام بعد تقضّي الوقعة، استخلف بقعطبة السيد بدر الدين، محمد بن أحمد بن الإمام الحسن، وعزم إلى تعز لتقرير أحوالها، ولم يزل أحمد بن الحسن بمحل رفيع عند صاحب عدن، إلى أن وردت عليه إشارة المؤيد، يقول له أرسل إلينا الولد أحمد، وكان عرض عليه، وما لقي الإمام إليه، فلم يمتثل وأحسّ بعد ذلك بعض انحراف من الأمير الحسين، ونوع ترفع دون احتماله عند الصفي ملاقاة الحين، ففارقه عجلاً، وأنشد لسان حاله متمثلاً:

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشحّ فلا يرثى لهُ أحد [٢٧]

(١) عنس: ناحية من نواحي محافظة ذمار تقع إلى الغرب من مدينة ذمار ومركزها يسمى الضباه.
(٢) قايفه: هي قائفه أو « قيفه » شمال شرق رداع بمسيرة خمس ساعات (هامش الإكليل، ج ٢، ص٢٦).
(٣) المكاض: مستقصين الأخبار.
(٤) قعطبة مدينة يمنية تقع إلى الشرق من مدينة إب.
(٥) الضلع: الثُقل (أنظر المنجد، ص٤٥٤).

وقصد بلاد يافع[1] فرأى منهم غاية الإكرام، ونهاية الاعزاز والإعظام، فاطمأن خاطره وقر ناظره، وطلب منهم المصاهرة ففعلوا، ثم طلب منهم الغارة على قعطبة فأسعدوه، وقصد أهلها على حين غفلة، فوقع حرب شديد، يشيب منه الوليد، وكان يافع قد أشرفوا على الإستيلاء، لأنهم أحاطوا بها لكنها خفت صولتهم آخر المعركة، فصال أهل البلد عليهم، حتى انهزموا إلى بلادهم، فلما أُبلغ الإمام علم أن هذا شروع، من يافع في القصد إلى أطراف بلاده، فاستدرج قلوبهم بالملاطفات، وإرسال الصِلات والكسوات، فكفوا عن ذلك الرأي، ومنعوا جانب الصفي أحمد بن الحسن، وقالوا لا يمكن الخلوص إليه، لكنه متى بدى له رغبة فهو ولدكم وأنتم أولى به.

وفي هذه السنة أذن الإمام المؤيَّد لعلي شمسان بالحج فعزم، ومات في أثناء الطريق، وكان هذا مقدام الحسن بن أمير المؤمنين، وواحده وله رئاسة وأقدام، تصحبه عجلة في الإنتقام، حتى نُسب إليه قتل جماعات من عسكر السلطنة بعد تأمينهم، واستُنكر منه ذلك.

وفي أثناء هذا العام خالف بعض الجهات النجدية[2]، على الشريف زيد بن المحسن[3]، فقصدها بنفسه، وأخرب بعض قراها وأجلا عنها أهلها، وهي طريقة السراة[4].

---

(١) يافع: تقع في الجنوب الشرقي من اليمن وهي إقليم واسع ينقسم إلى يافع العليا ويافع السفلا، اشتهر سكان يافع بالشجاعة والإقدام ورفض الخضوع، وعرفت يافع قديماً بسرو حمير – ومناطقها تغلب عليها الصفة الجبلية والوعورة - (الإكليل، ج٢، ص٣٣٠، ٣٣٩).

(٢) النجدية: نسبة إلى نجد وهي هضبة صحراوية في قلب جزيرة العرب يعمل أهلها بزراعة النخيل وتربية المواشي. (المنجد في الأعلام، ص٧٠٦).

(٣) زيد بن المحسن: هو زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمى (١٠١٤-١٠٧٧ هـ/ ١٦٠٥-١٦٦٦م) أمير مكة، ولد فيها ووليها سنة ٣٠١٤ هـ وحسنت سيرته، للولاء ما صنع في نجد، قال ابن بشر «وفي سنة ١٠٥٧ سار زيد بن محسن إلى نجد ونزل الروضة، البلدة المعروفة في سدير، وقتل رئيسها محمد بن ماضي بن محمد بن ثاري، وفعل ما فعل من القبح والفساد»، وحدثت في أيامه فتن تمكن من قمعها، وكان فيه دهاء وحزم. توفي بمكة. (الأعلام، ج٣، ص١٠١).

(٤) السراة: هي الجبال الغربية لشبه جزيرة العرب وتمتد من اليمن جنوباً ولمسافة طويلة في شمال الجزيرة.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - وفي المحرم منها استولى الخسوف على القمر في برج الميزان.

خِلَافُ آنِسْ - وفيها نجم خلاف الشيخ علي بن ناصر بن راجح الآنسي بعد عوده من حضرة الإمام، وانضاف إليه جماعات من أهل جبل الشرق[1]، وهي الرويّة وما والاهم من تلك الأكام، مثل بعض أطراف ريمة[2] وكسمة[3]، وتعللوا بأن الأكوع عامل ضوران، عاملهم بالحقارة والإمتهان، واستَوَلى على القطع والحقوق، ولم يبق لنفاق رئاستهم عنده سوق، وأضافوا إلى ذلك شيئاً من دعوى الجور، وتبادروا إلى طمس الرسوم الأمامية، على سبيل الفور، فسلطنوا على ناصر، وأشرعوا الأسنة والبواتر، ومنعوا عيّنة الدولة واشتدت منهم الصَّولة، فانتدب ابن الأكوع عامل ضوران، وعلم أن هذه الفعلة إنما ترخص بالسنان، لا بالأسْنان، وإن مصابها الى رأسه، وأن جناها ثمر غراسه، وأنه ان لم يسرع حَسَمها بسعير الحرب، نَبَضَت عروق فَسَادِها في أحناَ الشرق والغرب، فجمع الجمع [٢٨]، الموفور من الرجال المختارة، والخيل الكرارة، وإليهم عسكر ضوران، وهم أحابيش الضرب والطعان، ولما وصلوا البلاد وتلاحم الجلاد، انكشفت المعركة عن قتل جماعة، رقم القتل عليها، وانتهاب بيوت كانت ذخرهم قد جمعت إليها، واستولى أصحاب الإمام على تلك الحصون والأكام، ومنها حصن بني راجح المسمى حرفة، وهو معقله ومصنعته، وموئله الذي فيه ذخيرته ومنفعته، وفر بعد ذلك فقيداً، وذهب على غير طريق شريداً، حتى اتصل بحضرة عز الإسلام، محمد بن الحسن بن الإمام، وطلب منه أن يجيره وأن

---

(١) جبل الشرق: هو الجزء الغربي من بلاد آنس.

(٢) رَيْمه: بفتح الراء وسكون الياء، تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة صنعاء وهي متصلة ببلاد وصاب وأطراف جبل براع ويقال لها ريمة الأشابط (هامش نزهة النظر، ص٥٤).

(٣) كُسمه: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة صنعاء وهي من بلاد ريمة ومتصلة ببلاد آنس وعتمة وأصاب.

يأخذ له الذمام، فرآها له عز الإسلام جميلة وفيأه من الأمان في خميلة، وأكرم نزله، وَسَدَّ خلله.

وكان جماعة ممن استعصاه وضرب بعَصَاه، قد أطالوا الحصار على يفعان، وَدَبّوا إليه دبيب الأفعوان، فانسلوا عقيب فتح البلاد، وتفرقوا في كل واد، ولما انقضى الفتح وصل إلى تلك الجهة مأمور الإمام المؤيد بالله السيد الكريم النجيب، صارم الدين إبراهيم بن أحمد عامر(١)، ومعه جماعة من الجند واستقر أياماً في البلاد لاستيفاء التأديب بالمال، وتمهيدها وتصحيحها عقيب ذلك الإستعصاء والإعتلال، ثم عاد الى ضوران، وأمر فيه بالمعروف ونهى عن العصيان، وظهر منه من مخائل النجابة والكرم، ومحاسن الأخلاق والشيم، ما يقضى له بأنه من صميم السادة، وأبناء ذوي الجادة والسيادة، ولم يعد الى حضرة الإمام إلا وقد علقت به الدّيون، وعَلّقت فيها ذمته غلاق الرهون، فشكر الإمام أفعاله وروّح بتحمل ديونه حاله، وهكذا الكريم يقال عثاره وتحسن أثاره.

حِصَارُ ذِيْ مَرْمَرْ-

ولما رأى الإمام ولد أخيه صفي الإسلام جانحاً الى الغُربة سَكَنَهْ، جامحاً في ميدان الإعراض رسَنَهْ، وكان في يد أصحابه منذ خرج عن الغراس حصن ذي مرمر، وهو قُفل بلاد خولان، وكالحاكم على ما تحته من البلدان، أزمع على حصاره، وطمس آثاره، فأمر على محاصرته الشيخ حَسَن بن الحاج أحمد بن عواض الأسدي، فاستمر على حصاره سنة كاملة، حتى خرج من فيه على رسمه، وهم الآغا فرحان، [٢٩] ومن معه من المماليك وكثير من الأعيان، وجميع الحشم الذين كانوا به أيام بقاء أحمد بن الحسن بالغراس، ثم أمر الإمام بخراب مساكن الحصن وتحويل(٢) أبوابه وأخشابه، وحملت أبواب الحصن إلى محروسة شهارة،

---

(١) إبراهيم بن أحمد عامر: هو إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد الحسني اليمني الشهاري ولد سنة ١٠١٨ ومات بشهارة سنة ١٠٥٦ هـ. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٤).

(٢) وتحويل: كذا في الأصل، وفي (أ، ب، جـ).

وكان هذا الفعل مطلب بني حشيش[١]، وما لاصقهم لكراهتهم تشييد الحصون الدولية بين أظهرهم.

وهذا المعقل حصن حصين، وعلم شامخ العرنين، نسيم أعاليه سجَسَجْ، ومصباح علاليه من قناديل المجرّة مسْرَجْ، له لون يدعو الأفراح إلى الأرواح، ويكسبها نشوة الراح، كإنما عجنت طينه بماء الصّهْبَاء[٢]، أو علقت عليه طلاسم الكنز المخبَّأ، وفي أثانيه[٣] غارات[٤] مخروطة رائِعة، وهي مما عملته الصنّاع للتبابعة[٥]، وللناس فيها مقال مضطربٌ، وأنّها مما صنعته الجن لأسعد ذي كرب[٦].

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوّه من صنعة الجن

وقد تداولته في الإسلام أيدي الأئمة الأعلام، وانتقل مرة إلى نوبه الباطنية الطُغام، وما زال من أيام الإمام شرف الدين الى هذه السنين، في أيدي الأئمة الهادين، وحال الرّقوم، وهو من جملة الرسوم، فقد أغلق على مجموعه الباب الأخر، وانتحت منه الدعاثِر[٧]، فسبحان الله الوارث القاهر.

وَفِيْ هَذَا العَام أرسل الإمامَ الى بلاد يافع القاضي شرف الدين، الحسن بن

---

(١) بني حشيش: تقع شمال شرقي صنعاء، وكانت قديماً تسمى (بنو سخيم) وأما حشيش فهو إسم رجل فارسي فر إلى المنطقة في صدر الإسلام أثناء ثورة عبهلة العنسي وقيس بن مكشوح المرادي وصاهر فيهم فتسموا بإسمه بناء على قاعدة كانت متبعة في التحالفات والأحلاف آنذاك. (مجلة الإكليل، العدد الأول لعام ١٩٨٢م، ص١٧).

(٢) الصهباء: الخمر.

(٣) أثانيه: «كذا» ثناياه.

(٤) غارات: جمع غار وهي الكهوف المحفورة في الصخر.

(٥) التبابعة: جمع تُبع وهو لقب لملوك حمير.

(٦) أسعد ذي كرب: أحد ملوك حمير، قام بكثير من الأعمال الهامة كمصارف المياه وبناء السدود وتعبيد الطرقات والجسور وغيرها، ولذا ينسب إليه كل عمل عظيم (اليمن الخضراء، ص٣٤٩).

(٧) الدعاثِر: آثار التهديم، ودعثر معناها هدم.

أحمد الحيمي[1] للسعاية، في استمالة ابن أخيه حتى يسعد للرجوع إلى دياره، فأسعد أحمد والعود أحمد، ولما وَصَلَ حضرة الإمام ظهر منه الإبتهاج، واستقام الاعوجاج، وزوجه بإحدى بناته، وحمد مسعود حركاته، ثم استأذن للعام القابل في حج بيت الله الحرام، فأذن له مع جملة من الأعيان والأهل والأرحام.

وَفِيْ هَذَا العَام أو الذي قبله من الأعوام، اتفق أن بعض السادات الثقات، سار إلى بلاد شمات، فنزل إلى بركة للشرب منها في تلك الجهات، فوجد بها جمجمة ملقاة على الأرض، وفي فمها لجام من الحديد، فخاطبها السيد بمقال يستكشف فيه الأمر، بلسان الحال، فلم يشعر إلا بصوت عظيم من تلك الجمجمة داخله من الفزع ما خرّ معه لوجهه ملقَى على الماء، خارجاً عن طور العقل لا يفرق بين الأرض والسماء، [٣٠] ولَمَّا حان منه أن يفيق، واستأنس بمارة الطريق، دفنوا تلك الجمجمة، وقد صارت لسوادها كالحممة، فما تم الدفن، وانطبقت عليها الحفرة انطباق الجَفنْ، حتى لفظتها الأرض، وقذفها طولها والعرض، فتركت كما هي، وتفطّن السيد أن هذا والعياذ بالله من نمط عذاب القبر، الذي يظهره الله أحياناً للزجر.

وفي هذا العام تجهز جماعة للتجارة من الحسَاء[2] والبحرين[3]، والبصرة[4]

---

(١) الحسن بن أحمد الحيمي: هو الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي الجمالي اليماني المعروف بالحيمي أحد أعيان دولة الإمام المؤيد بالله بن القاسم، وأخيه الإمام المتوكل على الله وكان يقوم بالمهات الصعبة المتعلقة بالدولة فقد بعثه الإمام المتوكل إلى حضرموت عندما وقع الإختلاف بين السلاطين آل كثير فقام بالأمر خير قيام، كما وجهه إلى بلاد الحبشة لاستمالة سلطانها إلى الإسلام وقد ظل في الحبشة ثلاث سنوات وعاد إلى اليمن وله مؤلف عن بلاد الحبشة وعجائبها، كما كان شاعراً مجيد مات سنة ١٠٧٠ هـ (البدر الطالع، م١، ص١٩١).

(٢) الحِساء: الأحساء وهو إقليم يشمل «بعض أجزاء الساحل الغربي للخليج العربي» يمتد بين الكويت وقطر، وهو غني زراعياً بالتمور والفواكه ومن أشهر مدنه الهفوف، القطيف، جبيل، الدمام، الخبر، الظهران، رأس التنورة. (المنجد في الأعلام، ص٢٤).

(٣) البحرين: من دول الخليج العربي تتكون من ثلاثة وثلاثين جزيرة أكبرها جزيرة «البحرين». التي تقوم عليها المنامة عاصمة الدولة. (المنجد في الإعلام، ص١١٨-١١٩). =

وعبروا البحر الفارسي[1]، فلما عارضوا بندر مسكت[2]، وكان يومئذٍ بيد الفرنج. انتهبوهم فخاف بعد ذلك المارة، وانقطع العبور عن البحر الزخار، إلى أن استولى العماني على بندر مسكت كما سيأتي تاريخه، فسلك الناس في البحار، وأمن التجار، من أولئك الفجار.

وفي هذا العام أو الذي قبله وقع إفسَاد في بحر القُلْزُم[3]، وهو بحر اليمن من قبل الفرنج فجهّز عليهم أمير اللحية[4]، وهو النقيب سعيد الجزبي عصابة من أولي الفتك والممارسة للحروب، فقبضوا عليهم، وأرسلهم الأمير إلى حضرة الإمام، وهو بوادي أقر[5] في تلك الأيام، فعرض عليهم الإمام الإسلام. وهم زها سبعين نفراً، فأسعدوا إلى الإسلام والإيمان وفعل بهم شعار الإسلام وهو الختان.

وفي هذا العام وفدت الأخبار الى اليمن، أن بلاداً من البربر، في بلاد العجم استولى عليها خسفٌ عظيم شقق الأرض وهدم العمران، وعطل عنها السُكَّان، وهو لا شك من أمارات السَّاعة، بالنسبة الى صنيع العجم، وفي الترمذي وغيره ما معناه، لا تقوم الساعة حتى يلعن آخر هذه الأمة أوّلها، فإذا فعلوا ذلك فليرتقبوا ريحاً حَمَرا وسخاً وخسفاً.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - فيها أذن الإمام لولد أخيه أحمد بن الحسن بن الإمام بالإنتقال الى مدينة صنعاء، والإستقرار بها، وقرر له ما يقوم به

=(٤) البصرة: مدينة ومرفأ في العراق على شط العرب، تأسست في عهد عمر بن الخطاب ٦٣٨م (المنجد في الأعلام، ص١٣٤).

(١) البحر الفارسي: هو الخليج العربي.

(٢) مسكت: هي (مسقط) ميناء على خليج عمان وعاصمة للدولة. (المنجد في الأعلام، ص٦٦١).

(٣) بحر القُلزم: البحر الأحمر.

(٤) اللحية: ميناء يمني يقع على شاطيء البحر الأحمر إلى الشمال من ميناء الحديدة.

(٥) وادي أقر: يقع في ناحية شهارة، من بلاد حجة.

وبخاصته، وروي أنه اعتذر عن خروجه على الإمام، لعدم ممارسة [٣١] أحوال الأيّام مع تربّيه في حجر أبيه ونشأته تحت ظل نعمة الأمان والحداثة والسلطان، وقد قيل.

سكراتٌ خمسٌ إذا منى المرء   بهـا صـار نهبَـةً للزّمـانِ
سكرة المال والحداثـة والعِشق   وسُكر المـدام والسلطـانِ

حتى روى عنه أنّه قال: لهذا[1] قبضنا على أولادنا، وقصرناهم عن تطويل إحساننا وإمدادنا، وفيها أمَرَ ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام بقطع شجرة الشيخ صفي الدين أحمد بن علوان[2]، وكان المحرض على القطع الشريف محمد بن أحمد المحنكي، فاستدامت به علّة دائمة، وأيقظ لنفسه من العلل فتنة نائمة، نسأل الله السلامة عن موجب الندامة.

وفيها طلع إسماعيل بن الإمام عن رأي المؤيد بالله من اليمن إلى ضوران، واستقر به لولاية البلاد، والإصدار فيها والإيراد، فعمل بالعدل وحكم بالفصل، وصار مسعود الحركات في الأفعال والأقوال والأحوال، فإنّه وصل إلى دور شيّدها غيره، ومملكة زجر سعدها طيره، مع بلاد مطمئِنَّة إلى إمارته عليها، ضامية الأكباد، إلى وروده إليها، فطلع فيها نجماً زاهراً، ونبع فيها غصناً ناظراً، وأحيا فيها معالم العلوم، ونعش فيها من مآثر الأئمة قديم الرسوم وجاد حتى تميزت ماهية الجود، كما يتميز المعروف بالرسوم والحدود.

وكـذا الكريم إذا أقام ببلدة   سال النّظـار بهـا وقـام المـاءُ

---

(١) لهذا: (لهذى).

(٢) أحمد بن علوان: أحد الصوفية الكبار كان من أولاد الحكام وتحول إلى طريق التصوف، وله أتباع لا يزالون إلى الآن مات سنة ٦٦٥ هـ ودفن بيفرس من بلاد الحجرية، وله مؤلفات منها «ديوان ابن علوان، البحر المشكل الغريب، التوحيد الأعظم، المهرجان، الفتوح المصونة والأسرار المخزونة» (مصادر الفكر الإسلامي ص٢٧٣-٢٧٤).

ولم ينفصل عن مدينة تعز، إلا وقد أحرز المجد الأصلي والعِز، بما اقتناه من ذخائر العلوم، ورحل به من خزائن المعلوم، سمع بمدينة تعز تيسير الديبع على الشيخ المحدث عبد العزيز الجيشي المفتي الشافعي، وحصّل ثم سنن البيهقي الكبرى، واستجاز عن المذكور، ماله إجازته من الحديث النبوي. وفي هذا العام وقع بمصر فناء عام، وخرج عنه الباشا وجلا، «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً»[1]، قيل إن الذي هلك يومئذٍ أربعة لكوك.

وَفيها اتصلت الأخبار إلى اليمن[٣٢] أن السلطان إبراهيم بن أحمد خان، وجه إلى جدة[2] والحجاز بعساكر في ستة غربان[3]، ويكون هُبُوطهم إلى مصر، ثم إلى جدة ثم إلى هذا القطر، فلما عَبَروا من بحر الروم[4]، بتلك النية، واتصلوا ببندر اسكندريّة[5]. مات منهم الكثير، واضمحل من التسفير، وخرج الباقون إلى السويس[6]، بندر البحر اليمن، فركب منهم من ركب، وتفرقت جلابهم، وجُهل ذهابهم.

وفي رمضان من هذا العام على مضي ساعتين من ليلة الخميس خسف القمر ببرج الدلو والرأس فيه. وفيه أو في غيره توفي الفقيه العارف، **محمد بن عبد الله** الهتار الحالي فقيه الشافعية بمدينة زبيد، وهو أحد من كان أخذ عنه العلامة الحسين بن الإمام، واستجاز منه بمحروس الحمى، خلال فتح زبيد في شمائل الترمذي وغيرها.

---

(١) من سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

(٢) جُدة: من موانى بلاد الحجاز الهامة على البحر الأحمر.

(٣) غربان: جمع غراب، نوع من السفن تستخدم لأغراض حربية وتجارية.

(٤) بحر الروم: البحر الأبيض المتوسط حالياً.

(٥) اسكندرية: هي الإسكندرية مدينة في مصر، وميناء على البحر المتوسط تعتبر مركز تجاري وثقافي بفضل جامعتها، أسسها الإسكندر المقدوني ٣٣٢ ق. م (المنجد في الأعلام، ص٤٣-٤٤).

(٦) السويس: ميناء على خليج السويس وثالث المرافيء المصرية في الأهمية عرفت قديماً بـ «كلسيا» ودعاها العرب «القلزم» تأسست في نحو القرن ١٠، وازدهرت بعد فتح القناة (المنجد في الأعلام، ص٣٧٤).

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - في ثاني عشر محرّم كان تحويل سَنَة العالَم فكان زحل في برح الحمل بآخره، والمشتري في أول الجوزاء، والمريخ بأول درجة من الأسد والجوزاء هي ببُرج الأسد.

وَفيهَا ساخ جبل الأهجُر[١] وتدعثر من أعلاه بعض الحجارة والطين، وكبس بعض ما يليه من الحرث والبساتين، وفيها كتب الإمام إلى الشريف المحسن بن الحسين[٢]، أمير مكة يطلب منه الإنتمآء إليه، ويرغبه في الإقبال عليه، وأن يضرب برسمه السكة، ويخطب له بمنبر مكة، وضمن ذلك رسالة مشحونة بدلائل محبة البيت النبوي، والجناب المصطفوي، وحسن الإنتماء إلى الأئمة، وما لهم من المزية على سلاطين الأُمة، فأجاب الشريف بالإمتثال، وأنه يبادر بالإرسال، فركب رسوله البحر في غير موسم الحج حتى انتهى إلى جُدّة، وهناك بَلَغَه أن مرسله بلغ من الحياة حَدَّه، وتأهب للمعاد، ورحل بما معه من الزاد، فعاد من حيث وصل، واتصل به من الاكتئاب ما اتصل. والذي عرف من قرائن أحوال الأشراف، أن ذلك الجواب إنما هو تأدّب لا إعتراف، واستخراج لدرر الفوائد من الأصداف، واجتناء لثمر العوائد من أغصانها بلطف الإقتطاف، وإلا فإنه قد كان سبق من الإمام إلى أهل مكة رسالة يحثهم فيها على تسليم الزكاة المفروضة إلى من يرسله إليهم [٣٣]، ويؤمره في قبضها عليهم، فما كان جوابهم عن ذلك القيل، بغير قول إبراهيم الخليل ﴿رَّبَّنَآ انِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ - رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَواةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِىَ إِلَيْهِمْ. وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٣] ثم استمدوا من الإمام صنوف التفضل والإنعام،

---

(١) الأهجر: بلدة حية من بني بَدا ويسكنها آل البخيتي وفيها مآثر فخمة وفواكه كثيرة (هامش صفة جزيرة العرب، ص١٨٨).

(٢) المحسن بن الحسين: هو محسن بن حسين بن الحسين بن أبي نمى الثاني (٩٨٤-١٠٣٨هـ/١٥٧٦-١٦٢٩م) من أمراء مكة، وليها سنة ١٣٠٤ هـ واستمر إلى سنة ١٠٣٧ هـ فوثب عليه ابن عمه أحمد بن عبد المطلب وساعدته عساكر الأتراك فخرج محسن من مكة إلى اليمن فمات فيها. (الأعلام، ج٦، ص١٧٤).

(٣) من سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

وأنهم منتظرون لرفده، ناظرون في المعروف جهة قصده، فقبلوا دست الطلب، وغصبوا منصب البحث مع لطف وأدب.

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده   تصيده الضرغام فيما تَصَيَّدَا

وكان الشريف المحسن، قد وعد الإمام، بذلك المرام، لكنه بسبب ما وقع بينه وبين الإشراف، آل الأمر إلى خروجه عن مكة، بعد طول نزاع وخلاف.

تَجَلّي الشّرِيفِ مُحْسِنْ إلى بِلاَدِ الْيَمَنِ واسْتِيلاءُ أحْمَدَ بنِ عَبْدَ المُطَّلبِ عَلَيْها بِالسَّيْفِ - حكى بعض من لازم حضرة الشريف سعد مدة من السنين أن الشريف أحمد بن عبد المطلب المسمى بأبي حَمارة كان ممن لا يؤبه له في الاشراف، ولا يظن أن الدهر يميل إليه بانعطاف، خلا أنه كان مقداماً مِتلافاً وكان العامة وأهل الجذب بمكة لا يزالون يعدونه بإمارتها وطال هذا الكلام، حتى خرج مخرج الهزأ الخارج عن الإحتشام، فكان يقول له القائل أيها الشريف، متى وليت المقام المنيف، فاجعل لى من العُهدة كذا، وافعل لي من التأديب كذا، وكلٌّ يطلب على ما يبدو له في الحال، وهو يعدهم بانجاح تلك الآمال، ثم أنه اتفق منه غِرة من الشريف محسن في بعض الحَضَرات، وانفلت إليه على غفلة من الحجاب والأغواب، فشكى إليه ما صار يعانيه من شدائد الحاجة، وبسط ذيول القول وأطال في اللجاجة، فزبره[1] الشريف، وأطال له التعنيف، وذكره بسيرةٍ غير مرضية، وبت له في الحرمان القضية، فخرج من حضرته لا يلوي على غير الخروج، من البيت العتيق، واللحوق باليمن، أو أي مكان سحيق، ملتهب الأنفاس، مخاطباً لنفسه بقول أبي فراس[2] شعراً [٣٤].

---

(١) فزبره: كذا وفي (أ، ب، ج) وقد تكون (زجره).

(٢) أبي فراس: هو أبو فراس الحمداني ولد في الموصل، شاعر وفارس ابن عم سيف الدولة صاحب حلب، قلده إمارة منبج، أسره البيزنطيون أربع سنوات، وقد تغلب على حمص بعد موت سيف الدولة فأنفذ إليه أبو المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة جيشاً بقيادة قرغويه فقتل أبو فراس في الحرب، شعره عاطفي وجداني جمعه ابن خالويه. وأشهر قصائده «الروميات» (المنجد في الاعلام، ص١٨).

ومن كان غير السيف كافل رزقه | فللـذُّل منـه لا محالـة جانـبُ

ثم توجه إلى جُدة بخاطر مكلوم، وقلب مسموم، وكان بها يومئذٍ من قبل الشريف والأتراك بعض القواد العبيد فحاول الولوج عليه والوصول لديه. ثم رجع بصفقة حين، وخفي حنين، واتفق أن الباشا الموجّه إلى بعض بلاد السلطان، وصل إلى جُدَّة ولقي مصرعه، ونزل مضجعه فاتصل الشريف أحمد بأعيان الباشا كالآغا[1] والبيرق دار[1]، والخازن والدفتر دار[1]، وعرفهم نسبه، ومجادته وحَسَبَه، وشكى من الشريف ما أصدره إليه، واستنجد بهم في النُصرة عليه، وبذل لهم العهد الأكيد في عدم الإستبداد بالفائدة، وأن يده وأيديهم بعد الظفر واحدة، فأجابوا عليه بالتلبية والإسعاد، وأنشدوه قول بعض الشعراء الأمجاد.

لا تحسبن ذهـاب نفسك موتها | مـا الموت إلا أن تعيش مُذَلَّلاَ
فـارق ترق كالسيف سل فبات في | متنيـه ما أخفى القراب وأخملا

ثم أنـه واعدهم على وقت في الليل يدخل فيه على القائد، ويكونوا فيه على أهبة المراصد، فدخل إليه لذلك الوقت، وقد ألَوت جماعة من أصحاب الباشا بداره آخذين أسلحتهم فلما وصل إليه، ووقعت عينه عليه، طلب منه خلوة ليذكر فيها بعض حاجاته، فصرف القائد بوجه طلق، ولم يكن بينه وبين الأوّل فرق، ثم قرب منه ليوهمه الخطاب، ويمتّ إليه من الشكوى بأسباب، ثم أخذ سيف القائد من وتده، وأطار به عنقه عن جسده، وفتح إحدى طاقات المكان، ورما برأسِه إلى الباشا والأعوان، وأمرهم بالدخول على سبيل البدار، والفتك بمن وَجَدُوه في صحن الدار، فدخلوا إليه مبادرين، وفتكوا بمن وجدوه في الدار في الحسين، وألقوا مقاليد الأمر إليه، ونادوه باسم الملك وبركوا عليه [٣٥]، ثم بادر إلى مخازين الدار ففك أقفالها، وأخرج أموالها، وفيها ذخائر القائد وخزنته، ونادى

---

(١) الآغا والبيرق دار والدفتر دار: ألقاب إدارية وعسكرية تركية.

بالشمع دان[1]، وأمر بإحضار التفنقيّة[2] والفرسان، ومدّ الانطاع وصير إليهم الجوامك[3] الغامرة، وخلع عليهم الخلع الفاخرة، كل ذلك من خزانة القائد، ورزق الساعي للقاعد، وأما أصحاب الباشا فهم خلاصته الأقدمون، وأهل بيعته الأولون، ثم أنفذ في أثناء الليل رسلاً خفافاً إلى أعيان الأشراف بمكة، وحرّك نفُوسُهم على الشريف الحسن، وأودع الرسل إليهم جملةً مّما خف من المال، الذي يميل بقلوب الرجال، ورغبهم في الدخول تحت سنجقه الخافق، ورهبهم أن لم يقطعوا عَن الحسن العلائق، ثم أنه بعد ذلك توجه في أقرب حال على مكة المشرفة في زي عجيب، وجيشٍ مهيب، فلمّا شارف دورها، وقارب معمورها، خرج إلى حربه جماعة من الاشراف بنية فاسدة، وقلوب مائدة.

وخيـل مـا يخرّ لهـا طعـينٌ كـان قنـا فوارِسهـا ثمام[4]

وانجلى الأمر عن تخلّي الحسن وولده زيد إلى اليمن، واستقر أحمد بن عبد المطلب بمكّة وقطن، ولما وصل الحسن وولده زيد إلى حضرَة الإمام، لم يترك ما يتوجه لهما من الإجلال والاعظام، وتقلبت الأحوال من حال إلى حال، ومات الشريف الحسن بصنعاء اليمن، ودفن بقبة الإسكندر[5] المعروفة.

وأما أحمد بن عبد المطلب فأنه اقتعد كرسي المملكة الحجازيّة، ونَبَذَ جلال السلطان خلف ظهره كما تصنع الجلالية، وأقبل على تفقد أحوال مكة، وأعطى كلاّ من السائلين مقترحه، على قدر أسئلتهم حتى أن بعضهم اقترح عليه القتل على

---

(١) شمع دان: كذا (شمعدان) عمود يقوم على قاعدة في أعلاه شُعب متفرقة يوضع عليها الشمع لتحسُن الإضائة.

(٢) التفنقية: المشاة.

(٣) الجَوامِك: المرتبات (تركية) (المنجد، ص١٠٢).

(٤) ثمام: الثام نبت ضعيف له خوص، وهو شبيه بالأسل وتتخذ منه المكانس (تاج العروس، م٨، ص٢١٩).

(٥) قبة الإسكندر: هي قبة اسكندر من المساجد العامرة في باب السبحة، عمرها الأمير اسكندر ابن حسام الكردي في سنة ٩٦٧هـ (مساجد صنعاء، ص١٤).

هيئة مخصوصة، فقتله كذلك، وبعضهم اقترح خدمةً مخصوصة، فمكنه منها تمكين المالك، وما زال نافذ الكلمة بمكة، وما إليها من البلدان، حصة من الأعوام والأزمان، والسلطان ترد عليه أخباره، ولا تخفي عليه آثاره، حتى حان الإفتضاح، وهبطت أوامر القضاء المتاح، بوفود سنجق السلطنة الى مكة، والفتك به وحصل لأسباب [٣٦]، تصدّر أخيه بعد أيام لمملكة مكّة فنحا إلى قريب من فعله، فنودي للسلطان بالباشا قاسم، فلما مثل بين يديه ذكر له أحوال الشريف وما تواتر عنه من الإلحاد في الحرم المنيف، ثم شد عليه بنداً بيده، وقال له: عزمت عليك أن لا تحلّ هذا البند حتى توثق أخاه أحمد بن عبد المطلب في الحديد، وتأتيني به على سبيل المبادرة بلا مزيد، بعد أن تقرّ ولاية الشريف زيد بن المحسن، على ولاية بيت الله الحرام، وتوافيني بهذا الطاغية في أسوأ حال وأهون مقام. فانطلق الباشا قاسم بمقتضى تلك المراسم، متوجهاً على الشريف بنيّة كافية وهمة عالية، فلما وافى حرم الله استوثق منه أطرافه، وضيق عليه أكنافه، حتى تركه في دائرة الميم(١)، وانسلخ عنه كل صديقٍ حميم، وما زال في دولاب حصاره، حتى قضى منه كل أوطاره، فوضعه في السلسلة، واستملى من أهل مكة أحاديث خلاعاته المُسَلْسَلَة. وصادف يومئذ دخول الشريف زيد بن المحسن الى مكة عقيب موت والده فنصبه الباشا في دست أبيه المكلوم، وخلع عليه الخلعة التي وصل بها من الروم. ثم انفصل بالشريف أحمد تلقاء الأبواب، وتوهم أن دخوله حياً سوياً مما سيدخل له في حساب، فلما ضرب به قارعة الطريق، تبعه جماعة من أصحابه يريدون إستنقاذه من يد الباشا، فأشار بعض الحاضرين بأنه لا ينقطع أياس أصحاب الشريف، إلا بعد أن يضرب رأسه وبيان، ويدخل في خبر كان، فضرب الباشا عنقه في الحال، ورجع إلى الأبواب، وقد قضى الأراب، وحلّ البند المعقود، وانقلب في الطالع المسعود، هكذا روى لي بعض من اتصل بالاشراف هذه القضية، وفيها زيادة من غير طريقة والعهدة عليه.

---

(١) دائرة الميم: شدد عليه الحصار حتى كأنه واقع في دائرة حرف الميم الضيقة.

وفي أثناء هذه الأيام نقل بعضهم عن الإمام أنه أراد رفع يد أخيه إسماعيل عن بلادَ ضوران، وريمة وما إليها، فتغيّر خاطر أخيه، إذ كان العزل بلا سبب يقتضيه، والله أعلم بحقيقة الحال.

وَفي شَهْر رجب [٣٧] منها توفي الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين، القاسم بن محمد بن علي بمحروس حصن شهارة، واجتمع عند ذلك أعيان الناس من آل الإمام وغيرهم، واقتضى رأي وصيّ الإمام القاضي شهاب الدين أحمد بن سعد الدين[١]، أن المهم أن لا يوارى الإمام حتى ينظر فيمن يخلفه في الأنام، خشية مما يدعوا إلى النزاع، وحسماً لعروق الأطماع، فأجمع رأيه مع ملاَحَظَة آراء أكثر الناس، أن يعقدوا لصنوه الإمام السيد صفي الدين أحمد بن الإمام القاسم بن محمد بن علي، ففعلوا ذلك ثم واروا الإمام.

وكـان المؤيّد ذا سيرة حسنة، وطريقة مستحسنة، ملاحظاً لتوظيف الناس، عـلى قدر مراتبهم، قريب الجناب، شريف الخطاب، لا ينقض له معلوم، ولا ينسخ لـه مرسوم كما كان عليه أخواه الحسنان، فكانت الأرزاق في وقته هاميَةً، والبركـات ببركته ناميَةً، وكان على مذهب حده الهادي[٢] عليه السلام، إلا أنه كان لا يورث ذوي الأرحام، ويأخذ الزكاة من القليل والكثير، ويجيز صرف زكاة

---

(١) أحمد بن سعد الدين: هو أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد بن علي بن غانم بن يوسف بن الهادي ابن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد بن عبد الحميد الأصغر بن عبد الحميد الأكبر المسوري، اتصـل بالإمام القاسم بن محمد وكان يؤثره ثم اتصل بعد ذلك بولده الإمام المؤيد بالله فكانت له أهمية كبرى لديه ثم اتصل بعد موت المؤيد بالله بأخيه الإمام المتوكل على الله ولكن لم تكن له نفس الأهمية لديه بسبب مبايعته لأحمد بن الإمام القاسم وقد مات سنة ١٠٧٩ هـ. (البدر الطالع، م١، ص٥٨).

(٢) الهادي: هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ولد سنة ٢٤٥ هـ ٨٥٩م ومات سنة ٢٩٨هـ ٩١٠م) ولد بجبال الرس من الحجاز على مقربة من المدينة المنورة، ونشأ في بيئة علمية وحضر إلى اليمن بطلب من أهلها ثم عاد إلى الحجاز ثم رجع الى اليمن مرة أخرى وقام بكثير من الأعمال العسكرية وامتد نفوذه من صعدة إلى صنعاء، وتاريخ الهادي مليء بالحوادث وله مؤلفات كثيرة تعتبر معتمد فقهاء الزيدية باليمن. (مصادر الفكر الإسلامي، ص٥٠٦).

الهاشمي في الهاشمي الفقيرْ، وغير ذلك من الاختيارات، وعمره ثلاث وستون سنة وشهران، لأن مولده في شهر رمضان سنة تسعين وتسعمائة، وخلافته أربع وعشرون سنة، وشهران وكسور، ومن مأثره إصلاح سمسرة القبتين، بطريق باب اليمن[1] بعد أن كان أخر بها الحاج أحمد الأسدي، والمدرج الى شهارة، من الجهة الجنوبية، إلى وادي أقرّ وغير ذلك.

ولما ظهرت دعوة صفي الإسلام، أحمد بن الإمام، وصل إليه من أعيان دولة الحسين بن القاسم، الفقيه الرئيس يحيى بن أحمد البرطي، وأفهمه أن عمود الخلافة الملوك، وأنه لا ينتظم حال بغير المال، وعمارة قلوب الرجال، وأن الرأي اقطاع أولاد أخوته نفيس البلاد، وإطلاق أيديهم في الإصدار والإيراد، وأن بهذا تنتصب رايته، وتستقر غايته، وتستحكم يده، ويشتد عضده، ثم هو بعد أن يستحكم له الأمر ينظر في تحرير الولايات، بالمدّ والقبض، فقال له أحمد بن الإمام: جوابي عليك جواب الإمام[٣٨]، المنصور بالله لمحمد باشا، حين وقع الخوض في إطلاق الحسن بن الإمام، على إرجاع ما افتتحه الإمام من البلاد، على جعفر باشا إلى يد نائب السلطنة، وكان جواب الإمام أنه لا يسعني عند الله ذلك، ولا تجمل بي تلك المسالك، فعاد المذكور من حيث جآء، وعلم أن قائم هذا الأمر الصعيب، بغير هذا السيد النجيب.

خِلاَفَةُ الإمَامِ الأَعْظَمِ أَلْمُتَوكِّلِ على اللهِ إِسْماعِيلَ بنِ أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ ألقاسِمِ بنِ مُحَمدِ بنِ عَلِي-

وعند أن بلغ الخبر إلى صنوه إسماعيل بن الإمام وهو بضوران فاجع رَأْيَهُ ورأي من لديه من العلماء والأعيان، كالقاضي محمد السلامي[2]، والقاضي إبراهيم

---

(١) باب اليمن: هو الباب الجنوبي لمدينة صنعاء القديمة، وهو من المعالم الهامة في المدينة التي تبرز روعة الفن المعماري اليمني الأصيل.

(٢) محمد السلامي: هو محمد بن صلاح بن سعيد بن القاسم السلامي الآنسي، فقيهاً ماهراً برع في علم الكلام من أعيان دولة المتوكل على الله إسماعيل وهو أول من بايعه بالإمامة ومات بذمار في سنة ١٠٦٢ هـ. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٢٠٠).

ابن حسن العيزري[1]، على أنه الأنهض بهذا المقام والأولى بسياسة الأنام، فبرز الى مسجد الحصين، وطلب البيعة ممن يعتد بهمن الناس، فدخلوا فيها أفواجاً، وسلكوا إليها فجاجاً، مع ما كانوا قد عرفوا منه أيام السيادة من ملاحظة جانب الشرع، والكرم الذي تميل إليه الخواطر بالطبع.

وكان قد أظهر دعوةً هذه الأيام السيد العلاّمة صارم الإسلام، إبراهيم بن محمد المؤيدي[2]، في جهات الشم. وثبتت دعوة أخرى للسيد العلاّمة، ملك اليمن عز الإسلام محمد بن الحسن، وكان في جهة إبّ من اليمن الأسفل في تلك الأيام.

ثم إن المتوكل على الله كتب إلى صنوه أحمد يعاتبه في العجلة بالدعوة. ورجّح المتوكل من رجح لرسوخ قدمه في العلوم، سيما الفقه، ورجح أخاه من رجح لتقدم دعوته، وتوسّم أنه أنهض، ثم إنه التئم الحال فيما بين عز الإسلام وعمّه الإمام، وكان ذلك مستهل السعادة المتوكليّة، فإن دولة عز الإسلام يومئذ كانت موازية لدولة أبيه الحسن بن الإمام، وأقطعه الإمام جميع اليمن الأسفل، وفوضه فيما يصير إلى أخيه صفي الإسلام، أحمد بن الحسن بن الإمام والتقيا بعد ذلك في رأس القفر[3]، وانفصلا وقد تقررت الأمور، وصلح بصلاح ذات بينهما أمر الجمهور، فإنه مال إلى المتوكل بذلك أكثر اليمن، من ضوران إلى عدن، وكذا المشرق وذمار وخولان، والحدا. وعند ذلك خرج من صنعاء صفي الإسلام أحمد بن الحسن [٣٩] قاصداً لأخيه عز الإسلام، وخرج منها بدر الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام، قاصداً حضرة الإمام، ولما استقر

---

(١) إبراهيم بن حسن العيزري: هو إبراهيم بن الحسن بن سعيد بن محمد بن جابر بن علي بن عواض بن مسعود بن علي العياني النوفي المعروف بالعيزري اليماني تولى القضاء والكتابة للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ومات بمدينة صنعاء سنة ١٠٧١ هـ. (ملحق البدر الطالع، م٢ ص٥٢).

(٢) إبراهيم بن محمد المؤيدي: هو إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين ابن الإمام عزالدين بن الحسن الحسنى المؤيدي، تبحر في علوم الشريعة وله عدد من المؤلفات وقد دعا إلى نفسه بالإمامة في جهات صعدة ثم تنحى عنها للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وقد مات بالقرب من مدينة صعدة في سنة ١٠٨٣هـ (ملحق البدر الطالع م٢، ص٩-١٠).

(٣) القفر: من بلاد إب يقع إلى الشمال من مدينة إب وإلى الجنوب الغربي من مدينة ذمار ومركزه رحاب.

كل منها حيث وصل، أنعم الإمام عليها بالبلاد، واستقرت أمورها على نمط السداد، فاتصل أحمد بن الحسن بنصف بلاد اليمن الأسفل، واتصل محمد بن الحسين ببلاد الشرف، وحفاش، وملحان[١]، وبلاد البستان[٢] ثم أبدل عن الشرف بحراز[٣]، وكان بيده من قبل بلاد البستان فقط، وكان تقرير هذه الأمور بشعبان، وأكثر رمضان.

ثم إنه تقدم العسكر الذي بصنعاء إلى خدار[٤]، بأمر أحمد بن أمير المؤمنين القاسم، وكان نائبه بصنعاء يومئذ ولده السيد بدر الدين محمد بن أحمد[٥]، مع واليها من قبل الإمام السيد جمال الدين علي[٦] بن الإمام المؤيّد بالله، فصار

---

(١) حُفاش وملحان: (يقعان الى الغرب من صنعاء ويتبعان لواء المحويت)، وفيهما الكثير من الخيرات ويظلان طوال العام مروجاً خضراً لقربهما من مناطق تهامة ذات الرطوبة العالية (هامش الإكليل، ص٢٣٨).

(٢) بلاد البستان: وهي بني مطر تقع إلى الغرب من صنعاء يحدها شرقاً قاع صنعاء وغرباً بلاد الحيمة، وجنوباً آنس وشمالاً كوكبان وهمدان، وتشتهر بالبن الجيد. وفيها جبل النبي شعيب أعلا قمة في شبه جزيرة العرب (اليمن الكبرى ص٧٦-٧٧).

(٣) حراز: (تقع جنوب غرب صنعاء) ويحدها من الشمال وادي سُرْدُدْ، ومن الجنوب وادي سهام، ومن الشرق الحيمة، ومن الغرب بني سعد وقاع المطحلي ومركزها مناخة (اليمن الكبرى، ص٥٨-٥٩).

(٤) خدار: قرية صغيرة تقع جنوب مدينة صنعاء.

(٥) محمد بن أحمد: هو محمد بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد الحسني (مات سنة ١٠٨٩هـ) سكن الروضة وصنعاء وعمران وكان مسموع الكلمة في جهات حاشد وبكيل، عذره الإمام المتوكل على الله إسماعيل في آخر المدة عن كثير من البلاد التي تحت يده، لكن عندما ولى الإمام المهدي أحمد بن الحسن الخلافة رد إليه هذه البلاد وأضاف إليه بلاد حجة وعفار وكحلان. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٩٣-١٩٤).

(٦) علي بن الإمام المؤيد بالله: هو علي بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الحسني (١٠١٢-١٠٧٨هـ) أخذ عن والده وعن عامر بن محمد الذماري، والقاضي عبد الهادي الحسوسة، وكان عالماً وفارساً له إطلاع على أخبار العرب، وقد صحب حيدر باشا إلى زبيد عندما اشترط لتسليمه مدينة صنعاء أن يصحبه في الخروج أحد أولاد الإمام وأحد العلماء، ثم أناط به والده الإمام ولاية صنعاء فلبث متولياً عليها نحو أربعين سنة حتى مات. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٧٤) انظر ترجمته من قبل المؤلف ص٢٤٨، ٢٤٩.

خدار هو المركز للجلاد، ومجرّي العوالي ومجرى الجياد، وكان الأمير على الجيش، السيد عز الدين دريب وشعبان آغا القارني، فتقدما إلى خدار، بجيش جرار، فلما وصلوا واستقربهم المقام، طردوا عنه عامل الإمام، ولمّا علم الإمام جهّز السيد المقدام محمد بن الحسين، ومعه النقيب سرور شلبي، فتوجّهَا إلى خدار، فيمن مَعَهما من الجند المختار، وحملوا على القرية حملة رجل واحد، حتى بلغ أوائلهم المسجد الذي في البلد، ولم يخرج أصحاب السيد عز الدين، وشعبان آغا من البيوت بل رموا بالبنادق من قرب منهم، فقتل بالقرب من المسجد ثلاثة أنفار، وآل الأمر إلى انهزام عساكر الإمام، إلى أن بلغوا رأس نقيل يسلح[1]، ثم ثبتوا هناك وبنوا المتاريس، وبات البعض منهم بقرية النقيل، وأهل خدار لمّا شاهدوا الفرار، تآمروا فيما بينهم على عدم اللحوق، وقالوا: الكل أخوان، ونرجو أن يلتئم الجانبان، ويصطلح الفريقان.

ولما اتفقت هذه المناوشة، بادر بدر الإسلام وصنوه أحمد بن الحسن، وهما يومئـذٍ بذمار، بالعزم إلى جهات صنعاء، وجميع قبائل المشرق، وخولان، والحداء، ومن بطريقهما من قبائل سنحان[2]، وكتبا إلى عز الإسلام محمد بن الحسين، أن يلقاهما إلى الطريق، ويكون الإجتماع على المدينة، فإنها كالرأس[٤٠]، وتقديم فتحها بناء على أساس، فاجتمعوا كذلك وكان الشيخ حسن بن الحاج أحمد، قد ترتب في ريمة بعسكر، فرأى من الصواب الخروج إلى يد الثلاثة الأمراء، وعند أن بلغ الأمير الهادي بن الشويع، مواجهة الشيخ، رجع إلى صنعاء، واتفق رأي من فيها على تغليقها. وفيها الأميران محمد بن أحمد بن الإمام، وعلي بن المؤيّد بالله، واستقر أحمد بن الحسن ومحمد بن الحسين بن معهما من الأجناد المتوكلية، ببير العزب[3]، وأمر صفي الإسلام، بخراب بيت القاضي

---

(١) نقيل يسلح: الى الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة ٤٥ كيلومتر تقريباً.

(٢) سنحان: هي المنطقة المجاورة لصنعاء من الجنوب، حدودها شمالاً صنعاء وجنوباً بلاد الروس وشرقاً بني بهلول وغرباً بني مطر وهي سهلية في معظمها تحيط بها جبال بني بهلول وبني مطر. (اليمن الكبرى، ص٧٧).

(٣) ببير العزب: كانت قديماً تقع في الجزء الغربي من مدينة صنعاء واشتهرت ببساتينها وحدائقها =

صارم الدين إبراهيم بن يحيى السحولي، ببقعة السّعدي لأنه الخطيب في صنعاء للداعي أحمد بن الإمام، وعمره له فيما بعد، ولما بلغ أهل خدار هذا الخطاط، على المدينة خرجوا عنه إلى حضور[1]، وتحرّك بعد ذلك صفي الإسلام أحمد بن الإمام، من حصن شهارة يريد الوصول إلى صنعاء، ثم منها يعسكر العساكر، ويشن الغواير، فلما وصل الطريق بلغه الحصار على المدينة والتضييق، فتوجه إلى مدينة ثُلاء[2]، ولم يدخلها إلا ببعض العسكر، ولما استقر بثلاء، وعساكره الذين كانوا بخدار في حضور، طلع عز الإسلام محمد بن الحسين إلى بيت ردم[3]، فأرعد وأبرق، وحذرهم عواقب النّدم، فواجهه العساكر عن آخرهم ومنهم أهل خدار، ثم وصلت بيعة الأمير الناصر بن عبد الرب[4]، وتبعتها بيعة الحسين بن الإمام المؤيّد، وكانا قد أجابا صفي الإسلام، لكن رأيا حركات التمام، في غير انتظام، فأخذا بقائم الأمر كما يفعله أرباب الأحلام، ثم تقدم عز الإسلام محمد بن الحسين إلى كوكبان، وثُلاَّ، فالتقاه الأمير بعسكره إلى حوشان[5]، وساروا جميعاً إلى ثلأ، ولما شارفوها، شرع الحرب ممن بها، وكان أحمد بن الحسن قد بعث بياقوت شلبي إلى بني ميمون ليصدّ من وصل من تلك الجهة، فمنع الصادر والوارد وتم له المقاصد، ولما انفتح الحرب بثلاء، جد واجتهد الصفي على الإبلأ، وحرض على الثبات وفَعَل فِعْل الكماة الاثبات [٤١] وقتل من الجانبين زهاء سبعة أنفار، وَخَلُص الأمر عن هزيمة جيش الصفي وربُّك يخلق ما يشاء ويختار، فانحاز

= الفناء، وقد أصبحت اليوم في وسط صنعاء وزال عنها بهائها القديم بسبب حُما إرتفاع أسعار الأراضي والأقبال على العمران.

(١) حضور: إلى الغرب من صنعاء وأشهر جبالها جبل النبي شعيب الذي يسمى جبل حضور ويبلغ ارتفاعه ٣٤٢٠ متراً من سطح البحر.

(٢) ثلاء: مدينة عامرة تقوم بالسفح الشرقي من حصن ثلاء الأثري وترتفع عن سطح البحر (٢٩٥٠) متر، وتقع بالجهة الشمالية الغربية من صنعاء على بعد ٥٠ كيلومتراً.. (اليمن الكبرى، ص٦٥).

(٣) بيت ردم: إلى الجنوب الغربي من مدينة صنعاء بمسافة قصيرة.

(٤) الناصر بن عبد الرب: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مراجع.

(٥) حوشان: قاع صغير يقع إلى الشرق من ثُلاء.

إلى قلعة ثلاء وبقي فيها ليلة واحدة، ثم خاطب بالخروج والوصول، والمسير الى حضرة أخيه والمثول. ثم توجهت به العساكر والأعيان. إلى حضرة أخيه المتوكل على الله بضوران، واستراح الإسلام من عواقب الوبال، وكفى الله المؤمنين القتال، وصحبه قاضيه، وخطيبه وعوينه وحبيبه، أحمد بن سعد الدين، والسيد صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن عامر، وسائر خواصه ولما أتضح للذين بصنعاء، تسليم صاحبهم للأمر خاطبوا بالطاعة، فدخل صفي الإسلام أحمد بن الحسن إلى صنعاء، وأثبت الخطبة للإمام على لسان القاضي صارم الدين إبراهيم بن يحيى السحولي، وكان عوام البلاد قد تأهبوا لإنتهاب المدينة كما هو شأن العوام الطغام، فلما حصل هذا الإلتئام رجع كل إلى محلّه، ولما انتظمت الأمور فيما بين الصفي وصنوه الإمام وجهه إلى صعدة وما إليها، وأطلق يده في واجباتها وجعله عاملاً عليها.

وفي هذا العام خالفت المعَازبة[1] بتهامة، فسار إليهم عيّنة الإمام، فصلحوا وانتظم أمرهم أحسن الانتظام. ولما استقر أحمد بن الإمام بصعدة، وكان ولده محمد بن أحمد قد انفرد بالرئاسة[2]، وظهر عنه محمود السيادة والسياسة، وجه إليه الإمام جميع بلاد البون[3] والقبلة[4] إلى خمر[5]، وسكن محل والده بالروضة. وأما الحسين بن المؤيد بالله فوجّه إليه الإمام ولاية بلاد عفار وشهارة والشرف الأسفل.

وفي هذا العام تاقت نفس السيد عبد الله صبح إلى الزعامة، والتسمي

---

(١) المعازبة: وهم الزرانيق، وتقع بلادهم الى الجنوب من مدينة الحديدة وتعد بيت الفقيه من حيث الموقع في قلب بلد الزرانيق، وطول منطقة الزرانيق من الشمال إلى الجنوب ٧٠ كيلومتراً وعرضها ٦٠ كيلومتراً. (اليمن الكبرى، ص٨٩-٩١).

(٢) برئاسة: (برياسة).

(٣) بلاد البون: البون (قاع) فسيح يمتد من جنوب عمران إلى شُوابة، ومساحته لا تقل عن ٦٠ كيلومتراً في عرض ستة كيلومتر، وفيه من المدن القديمة عمران، وريدة، وذي بين (اليمن الكبرى، ص٢٤).

(٤) القبلة: يقصد بها المناطق التي تقع شمال قاع البون.

(٥) خمر: مدينة تقع إلى الشمال من قاع البون وهي من بلاد حاشد.

بمنصب الإمامة، فتقدم من حوث[1] إلى وادعة[2]، وأظهر الخلاف والمنازعة، فجهّز إليه الإمام ولد أخيه الجثام، محمد بن أحمد بن الإمام، وكان يومئذٍ بخمر، فسار منها إلى الحص مجمع وادعة، وسوقها، فاستدرك الأمر بعد قتال، هلك فيه رجل من أهل وادعة وثلاثة نفر من العسكر [٤٢] وعقرت أربع من الخيل، وهرب السيد بلاد شاطب، وسلم من الوقوع في لهوات المعاطب.

وفيه مات الشيخ المعتقد أبو بكر الحُسيني ينتسب إلى الحسين بن علي بمساقط بلاد حراز، وكان ذا براهين قاطعة، وأنوار ساطعة، وفيه مات الشيخ المؤرخ طاهر بن يحيى ببلده المنصوريّة بتهامة أسفل وادي سهام[3] بمساقط بلاد ريمة، وهم يذكرون أنهم سادة حُسينيّة، ولهم هناك جاه واسع وأفضال، وإستقامة باطن ونموّ حال، وكان المذكور قد عاون في فصل الشريعة ثم عذر نفسه، وخلفه في زاويته محمد بن طاهر، ويذكر عنه أنه زجر الباشا قانصوه عن اليمن وأهله، حال خروجه إليه فلم يلتفت إلى كلامه، فلما وقع فيما وقع فيه مرّ عليه وطلب العفو وأعترف وأهدا له نسخة من القاموس، وحياة[4] الحيوان الكبرى، ولما مرّ عليه شرف الإسلام الحسن بن الإمام أَضَافه إِضَافة سنيّة، وقام بسائر خاصّته، وفرّق عساكره في البلاد، وفعل فعلات الأجواد.

وَفِيْهَا ملك صاحب عمان الخارجي الأباضي[5] بندر مسكت الذي في سواحل

---

(١) حوث: بلد بحاشد، وحوث هو ابن السبيع بن همدان، وحوث سكنها نشوان الحميري صاحب كتاب شمس العلوم. (اليمن الكبرى، ص١٦٦).

(٢) وادعة: حي من اليمن اختلف النساب فيهم منهم من ينسبهم إلى الأزد ومنهم من ينسبهم إلى همدان ونسبتهم إلى همدان أقرب، مسكنهم جنوب صعدة، وفي حاشد شمال خمر. (اليمن الكبرى، ص١٩٧).

(٣) وادي سِهَام: وتأتي سيوله من مشارف خولان العالية الغربية ووعلانَ وسَامِك وعافِش وفَرْش آنس وتنظم إليه السيول من شمال آنس وجنوب بني مطر وجنوب الحيمة وجنوب حراز وشمال جبال ريمة ويمر بشمال جبل برع فيسقي أرض المراوعة والقطيع ويصب في البحر (الأحمر) جنوب الحديدة. (اليمن الكبرى، ص٢٠).

(٤) وحياة: (وحيوة).

(٥) الأباضي: نسبة إلى فرقة الأباضية من الخوارج التي تنسب إلى مؤسسها عبد الله بن أباض التميمي (تاج العروس، م٥، ص٢).

بلاده، وكان في أيدي الفرنج، وما كان يظن إستيلاءه عليه، ولكنّه دبّ بالحيلة إليه بأن أنفذ إليه جماعات في قالب الدراويش، فلما علم أنهم قد صاروا أنصاباً لرتبة القلعة، أمرهم بالفتك بمن فيها بسكاكين معدة معهم ففتكوا بمن في القلعة عن آخرهم، ولما توجهت إلى نظره أمن التجار الذين يخرجون من البحرين والعراق إلى اليمن، وهذا الخارجي له مذهب ليس من الشرع في شيء مثل التكفير بالمعصية، وعدم قبول الشهادة. بما أدعاه المدعي، إذا لم يصدقها المدعا عليه، وإذا أنكرت الزوجة الزوجية فرق بينها وبين زوجها بمجرد دعواها، وكذا المملوك إذا أدعا عدم الملكية، وهذا كله ردٌّ للقرآن، وجنوح إلى شرعة الشيطان، وقد علم أنهم من أهل البدع، لا يُلتفت إلى أفعالهم، ولا يجنح إلى أقوالهم.

وفيها مات عبد القيوم الرغيلي المنجم. وفيها مات الشريف [٤٣] الرئيس هاشم بن حازم بقطعته بلده زبيد ولما مات وجد في وصيته أن خيله تكون بيت مال وله تعلق بالعلم وأهله.

فَتْحُ بِلادِ الأميرِ حُسَيْن صاحِبِ عَدَنْ-

وفي شوال من هذا العام سار الإمام من ضوران إلى صنعاء فاستقر بها أياماً وجهّز ابن أخيه صفي الإسلام أحمد بن الحسن بن الإمام على بلاد الأمير الحسين ابن عبد القادر صاحب عدن وأبين[1]، وقد ذكرنا فيما مضى إنفصال الصفي عنه بخاطر مقهور، وجناح مكسور، ويذكر أنه في أثناء ذلك المقام أُطلع من سيرة المذكور، على ما يقبح من الأمور، فأسرها لهذا الوقت، وزحزحه عن ذلك التخت، ولما وصل الصفي إلى تلك الدّيار، شبّ على الأمير سعير النار، وأحاطت ببلاده أجناده، وضاقت بها أغواره وأنجاده، فاقتدح الأمير زنداً، ولم يترك من الجلاد جهداً، وأصدق أصحابه السيف، في عسكر الصفي حتى أفرد

---

(١) أبين: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عدن وهي دلتا خصبة زراعية يشقها وادي بناء، ومن مدنها الشهيرة مدينة خنفر، وزنجبار.

لهم مقبرة، تعرف الآن بمقبرة أحمد بن الحس. ثم أن الصفي شدّ له شدّة المصور، وأحاطت به أجناده إحاطت السور، فكانت الهزيمة فيه وفي حزبه، وخرج عن مملكته مصاحباً لكربه، واستولى صفي الإسلام على ذخائره وخزنته، وملك تحته واستولى على بقعته، وهو لجأ بعد ذلك إلى يافع، بعد أن علم أن ليس له عاصم ولا نافع. ثم أن الصفي قرر ولاة على البلاد، بعد أن كمل له المرام وتم له المراد، وعاد إلى صنعاء حضرة الإمام، وقد وقع على الركاز[1] وظفر بالمرام، ولما شارف الدخول وقع بين معسكره وأهل كوكبان[2]، ما لا يزال بين العسكر من المنافسة على البيارق، فوقع بعض خصام وترام بالبنادق، وذهب من عسكر كوكبان ثلاثة أنفار، وَلَمَّا وافى حضرة الإمام قرَّ نظره، وطاب من الصفي خُبره وَخَبَره.

وفي شعبان هذا العام أو الذي قبله، كان رخص الأسعار، وتفجر الأنهار، وَصَفَاء الأحوال[٤٤]ونمو الأرواح والأموال. وفيه كان بمكة المشرفة السيل الرابع، والرجز العظيم الفاجع، طاف حرم الله من أمواجه بكل كثيب مهيل، وتخلل الكعبة المشرفة، وصعد جدارها حتى حاذى القناديل، وأخرب جانبي البيت المعمور، وأزاح تلك المحاس، وزحزح تلك الستور، وفيه قال السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم الجحَّافي[3].

أتى السيل مجتازاً بمكة موهِناً   فطهّرها واجتاح منها أباطيلا
وما قصد الضر الشنيع وإنما   أراد من البيت المعظّم تقبيلا
يقولون أرخ كونه قلت فاحسبوا   سمعت بأن المآء لاقى القناديلا

سنة ١٠٥٤

---

(١) الركاز: ما دفن من ذهب أو فضة وغيرها (المنجد، ص٢٧٧).

(٢) كوكبان: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة صنعاء (ويحدها شمالاً ثلاء، وجنوباً الحيمة الداخلية، وشرقاً همدان، وغرباً الطويلة) ومن أشهر مدنها كوكبان وشبام. (اليمن الكبرى، ٦٣-٦٤).

(٣) إسماعيل بن إبراهيم الجحافي: هو إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن أحمد جحاف الحبوري الحسني، أديب وحاكم في أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل كما كان له إلمام بالعربية والطب (ولد سنة ١٠٢٤ ومات سنة ١٠٩٧ هـ) (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٥٥-٥٦).

وللحافظ عبد الرحمن بن محمد الحيمي

إنْ شئت تدري لطيف صُنع ... قضى بـه الله في بنـاهُ
في حرم الأمن حيث يعطى ... لطالـب الأمر ما رجـاهُ
إذ طاف بالبيت طائف الماء ... وخرّ إذ ذاك جانبـاهُ
بشهر شعبان جاء سيلٌ ... فـذاك تاريخ ما تراهُ

سنة ١٠٥٤

وفي هَذَا العَامْ مات السيد العلامة الأديب صلاح بن عبد الخالق الجحّافي، وكان ذا دراية بأصول الفقه، والنحو، شاعراً محاضراً، وله شرح على تكملة الأحكام، ومن شعره القصيدة التي نقم فيها على الهِرّ لما أكل الحَمام، وجرّعها كأس الحِمام.

يا هرّ في غير حفظ الواحد الصمد
أحثثت سيرك عن داري وعن بلدي
وقد نزلت فأحسنّا جوارك لم
نبخل عليك بما تحويه ذات يدِ
رجوت أنك تكفيني أذية ما
في البيت من جرذٍ عادٍ ومن خلدِ
فلم ترعها بشيء بل عمدت إلى
حمامة ضعفت في البطش والجلدِ
ضعيفة لم تكن تدري بفتكك يا
أعقّ ما خلق الرحمن من ولد [٤٥]
أبديت رعشة منهوك فحين دنت
فعلت ما يفعل الضرغام ذو اللبدِ
أما نظرت إلى أطواقها ولها
تلون الدر فوق الجيد ذي الجيدِ

أعضضت نابك جيداً لو علمت بما
حوى لِمَا عثت فيه غير متئدِ
كأنه خارجاً من جنب صفحته
سَفُّود[1] شربٍ نسوه عند مفتادِ
وحين رابك ما في النفس من جزع
رحلت غضبان لم تعطف ولم تَعُدِ
ولم تطف بفناء الدارقط سوى
في الأربعاء لأجل اللحم والأحدِ
هذا جزاء امرىء غذاك نعمته
بالمحض تكشف عند رغوه[2] الزّبدِ
فالآن ثبت إلى بيداء بلقعةٍ
أو مهمةٍ[3] في أقاصي الأرض منجردِ
وحق من قال أن الطير آمنة
في وكرها في أداني الأرض والبعدِ
والمؤمن العائذات الطير تمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسندِ
لو أنها علمت هذا إذاً لنجت
فالطير تنجو من الشؤبوب[4] ذي البرد

(١) سَفُّود: السَفُّود جمع سَفَافِيد، حديدة يُشوى عليها اللحم. (المنجد، ص٣٣٧).
(٢) الرغوة: زبد اللبن بعد مخضه (المنجد).
(٣) مهمةٍ: المهمة المفازة البعيدة، ويقال مهمة بلا لام لقول الشاعر
في تيه مهمة كأن صويها أيدي مخالع تكف وتنهد
والمهمة أيضاً (البلد المقفر) أو الخرق الأملس الواسع، كما أنها الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس (تاج العروس، م٩، ص٤١٢).
(٤) الشؤبوب: الدفعة من المطر (المنجد).

وقــد رضيــتُ بــأن الفــار يفسد في
داري ويسعـــى لضري سعي مجتهـــدِ
فخلّنـــا غــير مأسوف عليـــك ولا
بَرحــت مــا عشت في همٍّ وفي نكــدِ
فما أقول لنفسي فيــــــك مُبتئساً
إحــدى يــدي أصابتــني ولم تزدِ
كــلا كما خَلَـفٌ من بعــد صاحبــه
هــذا أخي حــين أدعوه وذا ولــدِ
بــل سوف أنشد تسكينــاً لخاطرهــا
لله يبقي عـــلى الأيـــام ذو حَيَــدِ

ولما اطلع السيد الإمام الحسن بن أحمد الجلال، على هذا العتاب، ناب عن الهر في لطيف الجواب، فقال:

سمعت عتبك والتأنيب يا سندي ... فهاج لي حسرة أوهى بها جلدي
وصرتُ أعجب من دعواك أنك لم ... تبخل على بما تحويه ذات يدِ
إذ تلك دعوى ولا برهان يصحبها ... ومثل ذاك لأهل الحق لم يفد[٤٦]
فما أقول كما قلتم إليّ جفــاً ... يا هر في غير حفظ الواحدِ الصمدِ
لكنني مظهر مـا كنت أستره ... كيـلاً لخلي كما قد كال لم أزدِ
خدمتـكم غير وانٍ في منافعكم ... ولا لأعدائـكم أبقيت من سبدِ
وبالخصاصــة أرضي في محبتـكم ... مالي سوى قطعة في الوعد من كبدِ
دليلـه قولكم ما جئت قط سوى ... في الأربعاء لأجل اللحم والأحدِ
على م[١] تهضّم قدري بين أظهركم ... وصفع رأسي من شيخ ومن ولدِ
أقول للنفس أن الرب سطوتـه ... كالدهر لا عارف رضيها ولا تحدِ
حتى غدا دابكم كفران منفعتي ... لنظمـك الزور قولاً غير معتقدِ

---

(١) على م: كذا، على ما.

لكن ومن لـك بالحر الشكور لمن يولي الصنايع لا يعدوه حفظ يدِ
فقلت للنفس أرض الله واسعة وكل موت ولا موت على الكمدِ
وخدمة المرء مولى ليس يعرفها ولا يقر بها من أعظم النكدِ
ولا يقيم على ضيم يراد به سوى الأذلّين غير الحي والوتدِ
فجدَّ جدّي ولا زاد ولا سغب وليس إلا به الإمضاء إلى الأبدِ
وقد تصبرت حتى لات مصطبرٍ فالآن أجهد حتى لات مجتهدِ
حتى عمدت ولي في ذاك مأربةٌ إلى الحمامة ذات المنطق الغردِ
لا ذهب الجوع إذا نفذت فأركم وتعلموا سطوتي فيهم بلا عُدَدِ
إذ تلك تشبههم بل هي أحق كما قد قلت تجو من الشؤبوب ذي البردِ
ولو رعيت حقوقي منك أجمعها وحق مثلي حق هين المددِ
ما إن أتيت بشيءٍ أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدِ
ها أن تا عُذره إن لم تكن نفعت فإن صاحبها قد تاه في البَلَدِ[٤٧]
بعد السلام عليكم ما غشى جُرَذٌ ثم الصلاة على الهادي إلى الرشدِ

وقد أورد ابن خلكان[١] والدّميري[٢] في حياة الحيوان قصيدة[٣] نفسها هذا النفس في غير الوزن.

يـــا هر فارقتنـــا ولم تعـدِ وكنـت عنـدي بمـنزل الولـدِ

وهي لأبي بكر بن الحسين بن العلاف المقري.

وفيها توفي السيد العلامة الحسن بن شمس الدين جحاف، وكان ذا دراية بالمنطق وعلوم العربية خاملاً زاهداً، وهو خال الإمام المتوكل على الله إسماعيل

---

(١) ابن خلكان: أحمد البرمكي (١٢١١-١٢٨٢م) مؤرخ ولد في أربيل وتعلم في حلب ودمشق والقاهرة وأصبح قاضي القضاة من (١٢٦٠-١٢٧٧م) ووضع في دمشق كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو معجم تاريخي شهير. (المنجد في الاعلام، ص١٠).

(٢) الدميري: هو محمد بن موسى (١٣٤١-١٤٠٥) مفكر وعالم بالحيوان، ولد في مصر درّس في الأزهر ثم في مكة، واشتهر بكتابه «حياة الحيوان» وهو أول مؤلّف من نوعه في الأدب العربي فيه معلومات عن الطب النسي وعلم النفس. (المنجد في الأعلام ص٢٨٨).

(٣) قصيدة: كذا، في الأصل، وفي (أ، ب، جـ).

ابن القاسم أقام أعواماً بمسجد الأخضر[1] من صنعاء، وفيها مات السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي، ببلده معمرة رأس جبل الأهنوم وقبر هنالك، وكان مفتياً بصنعاء وله شرح على الأزهار، نقل فيه أكثر الدليل ولا يخلوا عن الفائدة، وله الشرحان على الأساس، وشرح البسامة الصغرى في ثلاثة جلود بلغ فيه إلى آخر دولة المؤيد بالله محمد بن القاسم.

وفيها خَرَجَ أحمد بن الحسن بن الإمام بأمر عمه الإمام إلى بلاد ملاحاً مر أطراف بلاد خولان، فأخرب فيها البعض وقطع شيئاً من أعنابها، وكان الطاغوت قد فشى فيهم، وتقلبوا على الحقوق الواجبة، وصرفوها فيمن يريدون، وسائر بلاد خولان كانوا قد أهمّوا بذلك، فلما أوقع بهم الصفي حذر الكل.

وَفِيْهَا مات القاضي العلامة محمد بن أحمد السلفي، وكان له معرفة تامة بعلم العربية والأصول، وكان ناقلاً للقرآن الكريم، يتلوه سفَراً وحضرا، وولي مخلاف حراز مدةً، ثم عرض له أخر مدته ألم استعطاش، فترك الولاية، وطلع صنعاء، وسكن بداره ببير العزب حتى توفي آخر هذا العام، وجمع من الكتب النفيسة في الحديث وسائر الفنون، وله إجازة في الحديث من بعض علماء الشافعية، وقبر بخزيمة، ومن مآثره البناء بمقدم مسجد قرية القابل. بوادي ظهر[1].

وَفِيْهَا أمر عز الإسلام محمد بن الحسن بعمارة مشهد على قبر الإمام الأعظم أبى الفتح الديلمي[2]. شرقي ذمار، بنجد الجاح طرف قاع القعودين، فأمرت زوجته

---

(١) مسجد الأخضر: من المساجد العامرة بمدينة صنعاء في الجهة الشمالية الشرقية منها بالقرب من باب شعوب، ويعرف الآن بمسجد خضير (مساجد صنعاء، ص٩).

(٢) وادي ظهر: يبعد عن مدينة صنعاء ١٥ كيلومتراً ويقع إلى الشمال الغربي منها، وهو من الأودية الجميلة المناظر طوله حوالي ستة كيلومترات وبه قرية القابل (الروض) وبها من الحصون الأثرية طيبة ودار الحجر - (اليمن الكبرى، ص٦٨).

(٣) أبي الفتح الديلمي: هو الإمام الناصر أبو الفتح بن الحسين بن محمد الديلمي (قُتل سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) نشأ في بلاد الديلم (من جيلان) ودعا لنفسه بالإمامة سنة ٤٣٠ هـ ثم ساح في الأرض=

الشريفة الدهماء بنت المؤيد بالله [٤٨]، ببناء سمسرة[١] هنالك للمسافرين فكان تتميماً للمقصد الأول جزى الله المحسنين خيراً.

حَرَكَةُ السَّيِّدْ إبرَاهِيْمَ بنِ مُحَمَّد المؤيّدي لِمَا قَد كَانَ قَدَّمَهُ مِن الدَّعوة - وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - فيها أعلن السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بدعوته، ودعا الناس إلى بيعته، وهو من العلم بمكان، ومن المنصب بحيث لا يختلف إثنان.

من آل يحيى مَسَاميحٌ قساورِ في الهيجاء سُنع[٢] الأسامي مسبلي أزرُ

وله هناك أتباع وأعوان، قد حل منهم محل الروح من الأبدان، فهو أنفس عندهم من الزمرد الأخضر، وأعز على خواطرهم من الكبريت الأحمر، يودعون دراري فتاواه أصداف قلوبهم، ويحملون أثقال جذابه على عيونهم، فضلاً عن جنوبهم، كلامه أندى على قلوبهم من القطر، ومفاكهته ألطف على خواطرهم من مغازلة النهر بعيون الزهر، فبمجرد أن يشير يأتمرون، وعلى تقلب أنفاسه يميلون، ولما استفاض هذا الخبر وشاع، وكاد أن يتعدى أمره إلى غيره من البقاع، بادر الإمام، إلى من يقوم بكفايته من الأعلام، فوجه كفاية هذا المهم، ودفع هذا الملم، إلى السيد العلامة المقدام، محمد بن الحسن بن الإمام، فنهض إليه في جيش كثير، وزي كبير، وجأش مربوط، وعزم بأكناف المجرّة منوط، ولما تخلل بلاده،

= ودخل مكة وانتقل منها إلى صعدة فدعا لنفسه بها، ثم جمع عسكراً وسار إلى صنعاء فملكها، وجعل محل إقامته ذيبين، وفي أيامه قوى نفوذ علي بن محمد الصليحي فقامت بينهما معارك انتهت بقتل الإمام أبو الفتح في معركة وقعت بقاع فيد من بلاد عنس سنة ٤٤٤ هـ، وله مؤلفات منها «البرهان في تفسير غريب القران» و «الرسالة المبهجة في الرد على فرقة الضلال المتلجلجة» في الرد على فرقة المطرفية من الزيدية، وغيرهما. (مصادر الفكر الإسلامي، ص٥٣١).

(١) سمسرة: نزل صغير يُقام على جوانب الطرق يستريح فيه المسافرون دون مقابل. والسماسر كانت إلى عهد قريب بدلاً عن الفنادق.

(٢) سُنع: الأسنع - الجميل والطويل (المنجد، ص٣٥٥).

وأوردها أجناده، استوثق عليه من الجهات، وسلك في أسباب قنصه كل الطرقات، فهيأ الله أسباب الصلاح، ونادي منادي الظفر حّي على الفلاح، وانقلب به عز الإسلام إلى حضرة عمه الإمام، وهو يومئذٍ بصنعاء المحروسة بالله سبحانه وتعالى. ولما نجز أمره، وأشرق بحضرة الإمام بدره، جمع الأعيان بديوان القصر الداخل، وواجه له على كرسي الباشا ثم تقدم إليه السيد مؤدياً لبيعته ملاطفاً للحضرة بما حضره من لطيف المقال، وجميل الحال ثم طلب الرخصة من الإمام، في العزم إلى الشام[٤٩] والعودة إلى محل حشمه والأرحام، فأنعم عليه بذلك المطلب، وساعده إلى ما أحب، ولما وصل الصارم إلى عيان*، واتصل ببلاد سفيان(١)، اتفق به القضاة من العنوس، وغيرهم ممن يلمح إليه، ويعوّل في المهات عليه، ثم أفاض إليهم أن في نفسه غير قليل، فأنه إنما تخلص بذلك القيل، ولم تكن بيعته عن إعتقاد صحيح، وللتّقيّة فيها مسرح فسيح، فلم يحصل منهم على ما يشفي الفؤاد، ولا ظفر منهم ببعض المراد، فنفذ إلى بعض الشام، وأفاض عليهم ذلك الكلام، فقالوا له الأمر إليك، فانهض ولا بأس عليك، فأعاد ذلك النداء، حتى عاد الأمر كما بَدىَ، وشرعت قضاياه والأحكام، تفضي إلى طريق الإنتظام، ووفدت الأراجيف إلى صنعاء، وأصغى لها كل من يميل إليه سمعاً، ففزع الإمام إلى إبن أخيه المقدام المصور في مواطن الصدام، أحمد بن الحسن بن الإمام، وعقد له البنود، وَحَشَد له الجنود، فتوجه تلقا مَدين ذلك المطلوب، وانفصل في أبهى زي وأبهج أسلوب، وحين ضربت في بوصان خيامه ونصبت في ذلك المكان أعلامه، تفرق شمل أصحاب الصارم، وعلموا أنه لا قدرة لهم على ذلك الضُبَارم، ولمّا تكدرت عليه الحياض أنحاز إلى أطراف بلاد قراض(٢)،

(*) عيان قرية يمنية من بلاد سفيان، وتوجد عيان أخرى في بلاد حجة.

(١) بلاد سفيان: (تقع إلى الشمال من مدينة صنعاء وتشقها طريق صنعاء صعدة ومركزها حالياً «الحرف») وسفيان قبيلة من همدان وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام (اليمن الكبرى، ص ١٧١).

(٢) بلاد قراض: هي البلاد الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من محافظة صعدة.

ووطن نفسه على الإضراب والإعراض، وقد مالت وجوه أماله، وأنشد لسان حاله.

هو الحظ خذه إن أردت مسلماً ولا تطلب التعليل فالأمر مبهم

وكان من أماراته على اليأس فحرر بهجرة باقم، من بلاد قراض هذه الرسالة ولفظها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى إرادته كل يوم هو في شأن، المتصرف في مصالح خلقه على مر الدهور بلطيف حكمته من غير موازرٍ ولا ثان، المملك الملك من عبيده من ملكه في الكتاب مسطور في سالف أزليته فأنّي لغيره سلطان، والصلاة والسلام على الهدى والنور [٥٠] المبعوث لإعلاء كلمته في الأنس والجان، وعلى اله المطهرين أحسن طهور من الشيطان، والمنزهين عن معصيته فهم لأهل الأرض أمان، وَبَعْدَ فليعلم من على البسيطة من أداني الأرض وأقاصيها، من أتهم بغورها وأنجد بصياصيها، أن الداعي إلى الله بالمغفرة وراجيها، إبراهيم بن محمد ابن عز الدين، ثبته الله على قواعد الشريعة ومبانيها، يقول لما ظهرت الدعوة المتوكلية، ظهور الشمس عقيب ليل الفتن، خار فيها ذوو الألباب، ودان لها ذوو العقول وخضعت لها خضوع الذليل غُلب الرقاب، ورفعها المسلمون مُعزين لها ومكرمين، وذهبوا إليها ثبات وعزين، ووكل بها قوم ليسوا بها بكافرين، حتى صارت مَاضية لشأنها، قاطعة بعنانها قائلة بلسانها [دعوني أجوب الأرض في طلب العُلا]، وعقد المسلمون أفواجاً، وما ذاك إلا أن متحملها ينبوع العلم الفوّار، وغيث الفضائل المداراة وزبرقان[1] الفلك الدوار، وطراز المعالي والفخار.

---

(١) زبرقان: (الزبرق هو الصبغة الحمراء أو الصفراء) زبرق الثوب: صبغة بحمرةٍ أو صفرةٍ (المنجد، ص٢٩٣).

علـيم رست للعلم في بحر صدره جبال جبال الأرض في جنبها قُفُّ

ذلك فاتح الارتاج، وذروة التاج، المولى أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين، فعند أن اختصه الله بالخصائص الجليلة، ودأبت المصلحة في مخالفة مثله قليلة، وكان الله قد أمر بالوفاق ورغّب فيه وحث عليه، وقال إن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، سلمـت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة، تسليم راض لا شبهة فيه ولا حيلة، لوليه وابن وليه الإمام المذكور المتوكل على الله إسماعيل، إلى قوله، فليعلم من وقف على مكتوبي هذا، ما التزمته من أحكام الطاعة للإمام، وأن ما تقدم مني من مقتضيات النظر الذي اعتقدت فيه المطابقة لمراد الملك العلام، فإن كنت في ذلك موافقاً لمراد الله فقد مضى بما فيه من الأجر، وإلا فأنا أستغفر الله وأسأله حسن العاقبة وإليه يرجع الأمر، والإنسان محل الخطأ والنسيان، والكريم محل المسامحة والغفران، وقد ألزمت نفسي طريقة الإقتصاد والتمسك بالوفاق، وأوقفتهـا في حلبة السباق، على قصبة المصلين وجذبتها عن شأو السباق، إلى قوله فعلمت بما كنت جهلته قبل الدخول فيه، وأيقنت الخروج منه، إن الله وله الحمد قد خفّف عني الأصر، واختار لي ما أختار، ومن سبقت منه أساة إلي. وظنَّ أنّي بها قمين فأنا استغفر الله له، وهو أرحم الراحمين، وجل من لا عيب فيه وعلا [٥١] عن كل قوم ذميم، وقلّ ما يسلم من الحسد جسد.

الا لا أُبـالي من رَماني بريْبَةٍ إذا كنـت عند الله غير مُرِيْبِ

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ﴾(١). وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. حررت هذه الرسالة في يوم الجمعة من شهر جمادى الأولى من سنة ست وخمسين وألف.

---

(١) من سورة النمل، الآية ١٩.

وكتب القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس[١] على هذه الرسالة إسمَه، وحرر فيها لمزيد التأكيد رسمَه، والسيد صارم الدين قد كان يذكر سبق دعوته فسيأتي في حوادث سنة إحدى وستين، ما يضاف إلى هذا الكلام، والحمل فيه على السلامة من شعار أهل الإسلام.

وفيها توفي الأمير المقدام الهادي بن المطهر بن الشويع بصنعاء اليمن، وكان إليه ولاية نهم[٢] في ذلك الزمن، والسيد صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن عامر بشهارة، وكان مع ما عرف به من محاسن الأوصاف، خالياً عن عرفانٍ في العربية وغيرها، وله خطب نافعة، ومواعظ وازعة، والسيد زين العابدين العيدروس الشافعي، وكان ذا عرفان بمذهب الشافعي، وله رسائل ومسائل.

وفيها اتفق بين أهل صنعآء وبين أهل برط[٣]، خصام أفضى الى قتل رجلين من بَرَط، وخرجوا عن صنعاء هاربين إلى فوق مصلى العيد، ثم أن الإمام عطف عليهم، وأحسن بالقول والفعل إليهم. وفيها سار الإمام الى شهارة وفيها أمر أن لا تُوخذ زكاة السوائم[٤] إلا من النصاب التام، ففعل ذلك في بعض الجهات دون بعض. وفيها أمر الإمام بقطع شجرة في بلاد عذر أعتقد فيها العوام، ورشحوها بالتعظيم والتكليم، والنذور على حدّ ترشيح الأصنام، وكادت أن تصير كشجرة ذات أنواط، التي كانت في وقت النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) أحمد بن يحيى حابس: أحمد بن يحيى حابس الصعدي اليماني أحد مشاهير علماء الزيدية، له عدد من المؤلفات منها (شرح تكملة الأحكام) وشرح الشافية لإبن الحاجب، وشرح الكافل، وتكميل شرح الأزهار، والمقصد الحسن وغيرها، مات سنة ١٠٦١ هـ. (البدر الطالع، م١، ص١٢٧).

(٢) نهم: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صنعاء ومركزها (المديد) ويحدها شمالاً المطمه، وجنوباً بني حشيش، وشرقاً صرواح وحزم الجوف، وغرباً أرحب.

(٣) برط: (تقع برط إلى الجنوب الشرقي لمدينة صعدة ومركزها «سوق العنان») ومن أشهر جبالها جبل برط وهو جبل عال واسع الأطراف في رأسه الأودية الزراعية والآبار وفواكه الأعناب والتين ويشرف من الشمال على نجران ومن الشرق على خب والربع الخالي (اليمن الكبرى، ص٨٥).

(٤) السوائم: الحيوانات.

وسلم. وفيها نزلت بجامع صنعاء الكبير[1] صاعقة من آيات القاهر القدير، فأخذت جانباً من المنارة الشرقية في وسطها وفتحت بابا في عرضها، ونفذت إلى آخر المؤخر، فأهلكت رجلين كانا في الصلاة، وفيها في شهر ذي الحجة وقعت زلزلة بصنعاء وغيرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾[2].

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - وفيها وفد على الإمام رسول ملك النصارى بالحبشة، وكان قد أرسل الى الإمام المؤيّد بالله عام اثنتين وخمسين وألف، ووجه صحبته هديّةً من الرقيق، والزّباد وسلاح الحبشة، وضمن كتابيه جميعاً [٥٢]، إستدعا رسول من الإمام، لإفاضة ما في نفسه من الكلام، فطمع الإمام في إسلامه وأنس إلى ظاهر كلامه، وأنفذ إليه القاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي صحبة رسوله، فوصل إليه بعد مشاق هائلة، ومسافة طائلة، وانعكس ذلك الأمل، وبطل ذلك العمل، ولم يستفد القاضي غير عجايب رواها، وفزعات اشتمل عليه مُؤلّفَهُ واحتواها. وفيها أو التي تليها أمر متولي عدن بالأخذ على جماعة من يافع، وتجريعهم من الموت ما هو أمرّ من السم الناقع، بضرب أعناقهم، وإخراجهم عن قيد الحياه بإطلاقهم، لخلل وقع في الطريق، ومنع للمارة وتعويق.

وفيها مات بالظفير[3] السيد العلامة الحسن بن علي بن صلاح العبالي وكان مبرزاً في الأصلين والنحو والمنطق، ترتب على الشيخ العلامة لطف الله بن محمد الغياث[4]، وهو صهر الإمام القاسم، وكان ممن تأخر عن بيعة السيد صفي الدين

---

(١) جامع صنعاء الكبير: بني على أنقاض قصر غمدان في العام التاسع الهجري وقد بناه وبر بن يُحنس الأنصاري بأمر الرسول ﷺ، وما زال عامراً وتؤدى فيه الصلاة، وبه مكتبة تضم الكثير من المخطوطات النفيسة (اليمن الكبرى، ص٦٧).

(٢) من سورة الإسراء، الآية ٥٩.

(٣) الظفير: إسم جبل يقع إلى الشمال من مدينة حجة.

(٤) لطف الله بن محمد الغياث: الملقب «الظفيرى» مات سنة ١٠٥٣ هـ، من العلماء المحققين رحل إلى مكة وأخذ عن علمائها وكان من العلماء المتبحرين في علوم العربية والنحو من مؤلفاته

أحمد بن القاسم. وحثّ على مفاوضة أخية إسماعيل بن القاسم فلم يُساعد إلى ما اختار، وقبضت بيعته على وجه الإجبار، وفيها أرسل الإمام ولد أخيه الحسين بن المؤيد بالله إلى جهات صعدة وكانت قد نجم بها الخلل، ونزع فيها الخطل، فلما استقر أصلح ذلك الفساد، وحمد عاقبة المعاد.

وفيها ارتحل عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام عن اليمن الأسفل، وذمار إلى محروس صنعآء. فوصلها في ملك جسيم، وقدر عظيم، وابهة مشهودة، وجيوش محشودة، ولما استقر في بُرج طالعه الأغر، سكن في دار مسجد الأزهر، وانتقل في سائر الأبراج تنقل البدر، ومد يده إلى الحل والعقد والنهي والأمر، وابتهجت بمقدمه السعيد بلدة سام[1]، وانتظمت اسمه الشريف خُطب الجمعة مع أسم الإمام وفيها أمر الإمام بإباحة المراعي في الأملاك، وأن يزجر عن تحجرها[2] المُلاك.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمانٍ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - وفيها حصل في البحر[3] زيادة وازدلاف، وظهر أثره بصنعاء وما حوليها كالروضة والجراف[4]، وظهر غيل الجراف بأيسر حفر وجرى من أعلا السد بشعوب[5] واستدام، وانتفع به أهل الجراف النفع التام، واستراح الناس عن المساني باستطلاع العيون الفوارات، ومعاناة الدوالي والخطارات، والساعي في استخراج هذا النهر، واستنباطه من

«المناهل الصافية» و«الإيجاز في المعاني والبيان» و«شرح الكافية» و«نفحات الأسحار» وغيرها. (مصادر الفكر الإسلامي، ص٣٨٣-٢٨٤).

(١) بلدة سام: مدينة صنعاء نسبة إلى سام بن نوح الذي قيل أنه أول من أسسها.

(٢) تحجرها: آتية من الحجر وهو منع الآخرين من دخول قطعة أرض أو الرعي بها.

(٣) البحر: يقصد به المؤلف هنا المياه الجوفية.

(٤) الجراف: أصبح الجراف اليوم هو الجزء الشمالي من مدينة صنعاء، وقد حدده حسين الويسي بأنه يتوسط بين صنعاء (المدينة القديمة) والروضة.

(٥) شعوب: وادي يقع إلى الشمال من مدينة صنعاء (القديمة) وينتهي بمدينة الروضة. (اليمن الكبرى، ص٦٧) وما زال إسم شعوب يطلق على الباب الشمالي لمدينة صنعاء القديمة والمنطقة المحيط به إلى يومنا هذا.

عيون البحر، عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام، وهو أساس قديم، ونهر غزير عظيم، دفنته الدولة الطاهرية مع دفن غيول صنعاء، وتعقبه في هذه الأيام إستنباط غيل آخر لعلي بن الإمام[٥٣] استخرجه بأقرب عمل، وجره إلى مناظر الحشيشية فسقاها عن كمل، وفاض إلى الروضة الغناء، وانساب في حدائق ذلك المغنى.

وفيها وقع خلاف الشيخ يحيى روكان، بجهاته من بلاد خولان، ورفع عمال ألإمام ورام الإستبداد بالإمارة والأحكام، فتدارك الإمام ضرره، وأطفى بالتجهيز شرره، وللشيخ هذا صولات، وله في جانب الإقدام فعلات، وسيأتي من حديثه ما هو أزيد من هذا.

وفيها توفي الفقيه النحوي محمد بن عبد الله الآنسي. وفيها أو في غيرها توفي الفقيه العلامة محمد بن عبد العزيز المفتي التعزي، بمدينة تعز، وكان إمام التدريس هناك بالفقه والحديث، وإليه رئاسة[1] الفتيا. وفيها وقعت بين الإمام وعلماء العصر مطارحات، واتصلت بينه وبينهم مراجعات، منها ما هو في التكفير بالإلزام، الذي يذهب إليه الإمام، ووضع في ذلك رسالة مطبوعة القاضي الذّكي العلامة عبد القادر بن علي المحيرسي[2]، وفيها ما يدل على قوة بادرته ورسوخ قدمه في الفهم، ومنها ما هو في شأن التأديب الذي يعم أهل البلد وسببه خاص، ومنها ما هو في شأن المكوس، والجابي، ومنها ما هو فيما يتعلق بالزكاة، وعند الإمام في هذه أعذار، وهو ما هو فيه من التشرع، على قدم استقرار، ولكن المطارحات ما زالت بين المخلوقين، حتى وقعت بين الأنبياء المعصومين، كما اتفق بين آدم وموسى في حديث الصحيحين «ما بالك

---

(١) رئاسة: (رياسة).

(٢) عبد القادر بن علي المحيرسي: درس علي محمد بن عز الدين المفتي، واشتغل بالمشاركة في حرب اليمن ضد الأتراك، مات سنة ١٠٧٧ هـ ببلدة المحيرسي من الحيمة، ومن مؤلفاته (حاشية على شرح الأزهار لابن مفتاح). (مصادر الفكر الإسلامي، ص ٢٢٠-٢٢١).

أخرجتنا ونفسك من الجنة » إلى آخر ما فيه، ولما سأله بعض أقاربه عن هذه المطالب الشهريّة ببلاد اليمن الأسفل، وسبب أخذها كان من جملة جوابه، أن مذهب أهل العدل أن الجبرة[1] والمشبهة كفار، وان الكفار إذا استولوا على أرض ملكوها، ولو كانت من أراضي المسلمين وأهل العدل، وأنه يدخل في حكمهم من والاهم، واعتزى إليهم، ولو كان معتقده يخالف معتقدهم، وأن البلد التي تظهر فيها كلمة الكفر، بغير جوار كفريّة، ولو سكنها من لا يعتقد الكفر، ولا يقول بها أهله، ثم قال هذه الأصول معلومة عندنا بأدلتها القطعيّة، ومدوّنة في كتب أئِمتنا[2] ولا ينكر ذلك عنهم أحد ممن له أدنى بصيرة، ومعرفة بمصنفاتهم، كالأزهار وغيره ،إلى أن قال، فإذا استفتح الإمام شيئاً من البلاد التي تحت أيديهم فله أن يضع عليها ما شاء، سواء كان أهلها [٥٤] ممن هو باق على ذلك المذهب أم لا، فالمقلد من الناس أن أراد أن يكتفي بالتقليد فهذه الأمور معروفة في المختصرات، وأن أحب الوقوف على الدليل ففي المبسوطات ما يكفي ويشفي.

وفي يوم الخميس ثالث عشر شهر جمادى الآخرة كان قران المريخ وزحل في برج الجوزاء، وفيها بدى للإمام رأي سديد، وانتقش بصحيفة خاطرة خاطر جديد، وهو أن يجعل لليمن شناراً، ويرفع له عند القلوب صيتاً ومناراً، بأن يجعل أميراً على حاج اليمن يصحبه جريدة من الخيالة، ويعسكر معه جماعة من أهل الأسلحة الرجّالة، ويستصحب أمير الحاج صلة لأحقّاً في مكة المشرفة، وفيها للشريف حِصَّة وافرة، ففعل وكان قبل ذلك وفي مدة أخيه المؤيد بالله

---

(١) الجبرة: هم الجبرية، «والجبرية خلاف القدرية، وهم فرقة منسوبون إلى شيخهم الحسين بن محمد النجار البصري وهم الذين يقولون ليس للعبد قدرة وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعشة.. وقال أبو الهيثم والجبرية الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أي أكرههم». (تاج العروس، م٣، ص٨٢).

(٢) أئمتنا: (أيمتنا).

يعزم حاجّ اليمن بغير أمير، وإنما كان السيد محمد بن صلاح صاحب جازان[1] وأبي عريش[2] يصحب الحاج في بلاد الحرامية لحفظهم ويَعود من حُلي وقد استمر هذا التأمير إلى وقتنا، وفيها أتى عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام برجل كان يقطع الطريق بين ذمار وصنعاء وكان قد اشترك هو وآخر في قتل رجل وأخذ ماله فأفلت الآخر وجيء بهذا فقتله وصلبه بباب شعوب وكان لقتله وقع في قلوب المفسدين وسكنت بفعلته سَوْرة الشياطين.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَلْف - كان دَوَرَان زحل ببرج السرطان، فيها جهّز الإمام ابن أخيه شرف الإسلام الحسين بن المؤيد بالله الى قبة خيار[3] وأمره بخراب بيوت جماعة من الأشرار، فأوصل إلى أساسها الشمس، وتركها كأن لم تغن بالأمس، وعاد إلى محروس شهارة، وعليه من مخائل السعادة أمارة.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَأَلْف -.وفيها وصلت إعتراضات على الإمام من السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد المؤيّدي، وتولا جوابها الإمام والسيد عماد الدين يحيى بن أحمد الشرفي، والقاضي شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال[4].

وفيها أو التي تليها مات علي باشا نائب السلطنة على الحسا بالمدينة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام، وسبب مصيره إلى المدينة، أن ولده عيسى باشا

---

(١) جازان: كذا في الأصل. وفي (أ، ب، ج) وهي جيزان من الأراضي اليمنية التابعة لعسير (المخلاف السليماني) ومن مدنه الرئيسية في منطقة الساحل جيزان على بعد ٨٠ كيلومتراً شمال ميدي، ثم صبيا، والشقيق، وأبو عريش، وحَلْي، والقُنفُذه، والليث.. ومن أهم أودية الساحل في (المخلاف السليماني) وادي جيزان ويأتي من جبال صعدة الغربية (اليمن الكبرى، ص١١٧-١١٩).

(٢) أبي عريش: من جيزان تقع إلى الغرب من صَبْيا. (اليمن الكبرى، ص١١٩).

(٣) قُبة خيار: قرية من بلاد الظاهر. (هامش تاريخ طبق الحلوى، الأصل).

(٤) أحمد بن صالح بن أبي الرجال: هو أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن محمد بن أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال. ولد سنة ١٠٢٩ هـ ومات سنة ١٠٩٢ هـ، برع في كثير من المعارف وله مؤلف (مطلع البدور ومجمع البحور) ترجم فيه لأعيان الزيدية. (البدر الطالع، م١، ص٥٩-٦٠).

ترشح في وقت والده ولم يعلم بمضمر مقاصده فلما قوي زنده، وَخَفَقَ بنده، جنح إلى المروق، ومال الى العقوق، وكسر خاطر والده بالرفع، وخب في ميدان جهله، بالرفع والوضع، فاغتم والده لهذه القضية [٥٥] المكيفة، ولجأ إلى المدينة المقدسة والحجرة المشرفة، واستقر به المقام، حتى وفد عليه الحمام، وكان من خبر ولده أن لاطف جناب السلطان إبراهيم بن أحمد مراد، وتوسل برشيق الوسائل إليه فيما أراد، فوصله التشريف والخلعة الى الحسا ، وترشف كؤوس الباشوية بعد أبيه واحتسا، فما كان من الذين أحسنوا فلهم الحسنى، ولاحظ قوله عزّ وعلى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾[١] ﴿إِحْسَاناً﴾[١].

وفيها مات الأمير رجب الروميّ بصنعاء اليمن، وهو الذي بعثه السلطان زيادة لحيدر باشا فرجّح له موالاة المؤيد بالله وأقطعه الخادر[٢] فشيد بها العماير، واخترع فيها عجيب المآثر، ومن عجيب ما صُنع له في داره دولاب من المطبخ إلى أعلى المناظر، فإذا حضر وقت الطعام رفعت فيه نفائسه العجيبة، وأنواعه الغريبة، فيصل إلى أعلا الدار، بلا كلفة ولا إنتظار، ولما عرض له غرض إلى عز الإسلام محمد بن الحسن وصل إليه إلى صنعاء، فقضى الغرض الثاني، وقطع علايق الأماني، ودفن بحوطة قبة البكيرية[٣].

وفيها توفي حاكم صنعاء وعالمها القاضي صارم الدين إبراهيم بن يحيى السحولي رحمه الله، وأعاد من بركاته، كان عالماً بالفقه مقرراً القواعد المذهب، وله في أصول الدين نمط الأصحاب وغير ذلك من الفوائد، قرأ على والده الإمام المفتي،

---

(١) من سورة لقمان، الآية ١٤، وأما «إِحْسَاناً» فقد وردت كجزء من الآية ٨٣ من سورة البقرة، والآية ٢٣ من سورة الإسراء، والآية ١٥١ من سورة الأنعام.

(٢) الخادر: إسم مدينة صغيرة وناحية من نواحي محافظة (إب) يحدها شمالاً القفر، وجنوباً مدينة إب، وشرقاً السدة ويريم، وغرباً حُبيش.

(٣) قبة البكيرية: من مساجد صنعاء العامرة وتقع في الجهة الشرقية من المدينة، عمرها الوزير حسن باشا سنة ١٠٠٥ هـ، وسماها البكيرية نسبة إلى مولاه بكير بك المقبور شرقي هذه القبة (مساجد صنعاء، ص١٧).

والقاضي عبد الهادي الثلائي، والشكايذي[1] واجتمع له بصنعاء القضاء والخطابة، وإمامة المسجد الجامع، وذكر عنه أنه، لم يسجد للسهو مدةصلواته، وكان مع اشتغاله بالقضاء لا يفتر عن التدريس، واختار جواز صرف الزكاة الى فقراء بني هاشم، والمصلحة إلى الأغنياء، وكان قد دفن بجربة الروض، فنقله صنوه إلى قرب المسجد الذي عمره في حياته بضيعة المحاريق، وقبره الآن مشهور، مزور تلوح عليه أنوار الصلاح، ويتهلل لرؤيته الخاطر بالإنشراح، وقد انضمّت إليه قبور جماعة من أهله رحمهم الله. وفيها نسب إلى السيد الإمام الحسن ابن أحمد الجلال الجنوح إلى شيء من مذهب الظاهرية وطريقة ابن حزم[2] من العمل بالبرأة الأصليّة، وإسقاط الإحتجاج بالأخبار الأحادية، وقصر التعويل على التواتريّة، وأنكار حُجية العموم ودليل المفهوم، وتحليل المتعة، وإسقاط الأذكار في الصلاة، والاعتدال، والقول بأن الإمامة لا منصب لها معين بل هي صالحة في جميع الناس، مع التقوى كما يقوله [٥٦] نشوان[3] والخوارج[4]، وتحليل

---

(١) الشكايذي: هو محمد بن علي الشكايذي الذماري (مات شهيداً سنة ١٠٠٦ هـ) عالماً شهيراً أخذ عنه مجموعة من العلماء، وكان يسكن مدينة ذمار وقد نقله الأتراك إلى مدينة صنعاء بعد ظهور قصيدته التي تحرض المسلمين على إعانة الإمام القاسم،[ثم]سمه الأتراك فمات بصنعاء. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٢٠٤).

(٢) ابن حزم: هو علي بن أحمد (ولد سنة ٩٩٤ ومات سنة ١٠٦٣ م) فقيه وشاعر وفيلسوف ومؤرخ ومتكلم أندلسي من أصل مسيحي، ولد في قرطبة، واشترك في حرب غرناطة وصار وزيراً للمستظهر ١٠٢٣م وبعد مقتله إعتزل السياسة وانصرف إلى التأليف له «طوق الحمامة» و« الفصل في الملل والأهواء والنحل» ويعتبر المؤلف الأخير أول تاريخ مقارن للأديان. (المنجد في الأعلام، ص٩).

(٣) نشوان: هو نشوان بن سعيد الحميري مات حوالي سنة ١١١٧ م، لغوي ونحوي وأديب وفقيه، ألف معجم (شمس العلوم ودواء كلام العرب في الكلوم) وكان عارفاً بأخبار حمير وعرب جنوبي الجزيرة الأقدمين فأدخلها في معجمة وفي منظومته «القصيدة الحميرية»، وكانت قبائل «اليمن» تستند إلى أقواله لتفاخر عرب الشمال. (المنجد في الأعلام، ص٧٠٩).

(٤) الخوارج: أقدم الفرق الإسلامية، خرج رجالها على علي بن أبي طالب لأنه رضي، ولو مكرهاً بمبدأ التحكيم بينه وبين معاوية، أثر معركة صفين. وعسكروا في حروراء قرب الكوفة، وكفروا جميع المسلمين واستحلوا دمائهم وراحوا يعترضون الناس قتلاً وترويعاً فأوقع بهم علي في =

الزكاة للأغنياء والهاشميين، وعدم وجوب الجمعة إلا بحضور الإمام الأعظم، وغير ذلك، والله أعلم بحقيقة هذه النسبة، فقد أطرق صاحبها فيما لا يكون من كثير من النسب.

وفيها أيضاً ظهر من الشيخ العلامة أحمد بن علي بن مطير الحكيمي، من علماء الشافعية ما امتاز به عن أهل مذهبه مع تشديد المتأخرين منهم، على التقليد والإلتزام من ذلك أن الأحاديث الواردة في إفتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، أحاديث باطلة، وعن الصحة عاطلة، لمخالفتها المعقول، والمقرر من الأصول، ومتواتر المنقول، كقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]. فصارت بعد هلاك أكثرها شرّ الناس، لأن افتراقها زاد على افتراق من قبلها بفرقتين، كما في لفظ الحديث، وعمّا ذكره جوابٌ لا يَسَعَه مختصر الخطابَ.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَلْف - وفيها نجم خلاف يحيى روكان، وكان بمساعدة جماعة من أهل خولان، ومع ذلك وقع من السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد المؤيدي إعتراض في سيرة الإمام، وهو بالإنتصاب والقيام، وذكر أن دعوته لها التقدمة والإقدام، فأنفذ إليهما الإمام عسكراً وافراً، وأجرى اليهما من التجييش خِضماً زاخراً، فخمدت نار ابن روكان، ووصل السيد بنفسه إلى الإمام وأعتذر مما كان، ولما وقع الإئتلاف[2]، وارتفع الخلاف أقطعه الإمام رغافة[3]،

= النهروان قرب بغداد، إلا بقايا منهم تفرقت في البلاد وظلوا في ثورات مستمرة فاغتالوا عليّ وتفرقوا فرقاً كثيره أهمها الأزارقه والصفريه والأباضية، ولا يزال الأباضيون منتشرين اليوم في أنحاء إفريقيا خاصة في ليبيا والجزائر وتونس وفي عُمان. (المنجد في الأعلام، ص٢٧٤).

(١) من سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) الإئتلاف: (الايتلاف).

(٣) رُغافة: تقع إلى الشمال الغربي من صعدة، وهي بلد عامر في أرض بني جماعة واشتهرت بمعدن الحديد المعروف بالحديد الصعدي. (هامش صفة جزيرة العرب، ص:١٢٦).

وما إليها من الفجاج، وأسعفه بقضاء كل ما يحتاج، فعزم وقد ثلجت الصدور وانتظمت الأمور.

وفيها خرج على الإمام السيد محمد بن علي الحيداني، المعروف بالفوطي، وقال أنا إمام، وإسماعيل إمام، فقالت له الأقدار صُمى صَمام[1]، لا خلف ولا إمام، فخرج من بيته إلى برط، ثم نزل منه إلى الجوف[2]، ثم إلى بلاد خولان، ثم تجاوز إلى بلاد المصعبين[3] بلاد قايفه، روى عنه أنه أظهر في سفره هذا أنه المهديَ المنتظر، وتكفير جميع المسلمين إلا من اتصف بمذهب أبي الجارود[4]، وعند ذلك قاتله أهل المصعبين، حتى عاد إلى مسكنه بخُفى حُنين، بعد أن نهبت كتبه وثيابه، وانقطعت فيما يروم أسبابه، وكان صفي الإسلام أحمد ابن الإمام قد تقدم بجنده الى الجهات الرداعية[5]، لتسكين قلوب الرعية، وتحذيراً لهم من الإغـترار، والميل إلى ضوء هذه النار، فانحسم ضرره، قبل أن يصل إليه شرره [٥٧]، واستقر بعد ذلك ببلده حتى توفي فيها للتاريخ الآتي، وقد كان دعَى في دولة المؤيد بالله فوقع بسبب ذلك في البؤس، وقُتلت في صحائِف دعوته نفوس، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان ممّا جرأه على ذلك أنه ذكر له

---

(١) صُمى صَمام: وفي القاموس وصمام كقطام الداهية الشديدة، وصمى صمام أي زيدى يا داهيه. (هامش تاريخ طبق الحلوى، الأصل).

(٢) الجوف: إسم وادي وبلاد واسعة تقع في شرقي اليمن إلى الشمال من مدينة مأرب ومركزها يسمى «الحزم». وبها توجد الكثير من الآثار التاريخية لحضارة دولة معين.

(٣) بلاد الُمصعبين: وهي منطقة بيحان وتعرف بقبيلة المُصعَبين يحدها جنوباً وادي مرخة، وشمالاً مأرب، وشرقاً الأحقاف، وغرباً محافظة البيضاء، ومن أهم أوديتها وادي بيحان الذي توجد به عاصمة تمنا القديمة لدولة قتبان التي عاصرت دولة سباء (اليمن الكبرى، ص:١١-١٢).

(٤) أبي الجارود: زياد بن المنذر مات ١٥٠ هـ/٧٦٧م مؤسس الجارودية وهي فرقة من الزيدية متطرفة، وقد افترق أصحابه بعد وفاته فرقاً متعددة. (المنجد في الأعلام، ص:٢٠٦).

(٥) الرداعية: نسبة إلى رداع وهي مدينة صغيرة تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة ذمار.

أن في الجفر اسم محمد بن علي بحروف مقطعة، وأنه ذو الدعوتين، وإمام البيعتين.

وفي هذه المدة انتقل الإمام الى (درب الأمير بوادي أقرّ) فَسَكَنَ به برهةً من الزمان واستقر، وفي هذه السنة سار أحمد بن الحسن، إلى أطراف بلاد الجوف، فتغلغل سيره في الرّمل الأطول، والكثيب الأهول، وتوسّط أماكن تدور فيها النواظر، ويضِلّ فيها الخرّيت الماهر.

مَهَامَـة لم يملك بها الذئبُ نفسَه ولا حَملت فيها الغُرابَ قوادِمُه

فهلك كثير من أتباعِه لشدة الحرّ، وعدم الماء وضلّ عنهم صَوب الطريق لولا بعض أشراف الجوف دلهم عليها، وهذه الأماكن منقطعة الأَنيس، ويتصل بها الرّبع الخلي[1] المتصل بالبصرة، رمله كثيرة الثعابين والأَحناش.

وفيها قتل الأمير مصطفى نائب جُدَّه من قبل الباشا الذي بمصر وكان النائب بها قبل ولايته الأمير قيطاس، وذكر أن سبب قتله معارضته لأمير مكة، الشريف زيد بن المحسن، وأخذه بحصّة من الانتباه على الحرم وطرد أهل الرتب، وتكسير آلات الطرب، فكان قتله وهو متنزه في بريّة الطائف[2] وأنكر أمره الشريف لعلمه أنه لا يخفى على السلطنة خبره، ولا ينطمس على صاحب مصر أثره. ولما احتاجت جدّه إلى تجديد النائب أعيد إليها قيطاس، فأظهر بها النجدة والبأس، وفوّق إلى الشريف سهام التعنيف ورماه بالغدر وعدم الوفاء، ونسب إليه قتل الأمير مصطفى، ثم تجهّز بعد ذلكِ عليه، وتوجّه في عسكره إليه، فالتقيا خارج الحرم المحرم، واشتد بينهما الجلاد، وَخَطَرت الصعاد، ولمعت

---

(١) الربع الخلي: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ) وهو الربع الخالي الواقع شرقي اليمن.

(٢) الطائف: (الطايف) مدينة في الحجاز جنوب شرقي مكة على قمة جبل غزوان وهي نقطة مواصلات هامة بين الرياض ومكة وغامة وزهران، وأهم مصيف في البلاد. (المنجد في الأعلام، ص:٤٣٣).

الحداد، وذهب من الفريقين من وفد اجله، وانقطع من الدنيا أمله، ولما تفطّن الأمير قيطاس، وتفرس الخِسة نتيجة هذا القياس، وأن الشريف [إذا] أطال الحرب، وتلاحم الطعن والضرب، لا بد أن يشرق بذْرُه، ويقهر نصره، فيُلحق قيطاس بمصطفى، ويؤول مصباح رئاسته إلى الإنطفاء، وقد يؤول الحال إلى الحاد في حرم المصطفى، رجع إلى بندر جُدّة، ولبس برد رئاسته المُسْتَجدّة.

وفي ربيعها الأول مات القاضي العلامة حاكم صعدة ومفتيها [٥٨] وإمام جامعها وخطيبه، أحمد بن يحيى حابس الدواري، وكان وعاءً من أوعية العلم وجادت يَده في فقه الزيدية، وله تكميل شرح الأزهار، في جلدين، والمقصد الحسن، في مسائل مهمّة في الفقه، وشرح الكافل، وشرح الثلاثين مسئلة. وفيها مات القاضي العلامة الفقهي، أحمد بن سعيد الهبل، الخولاني، بمدينة صنعاء، كانت له في الفقه على قواعد المذهب اليد الطولى، ودرّس فيه، وشارك في غيره، وكان لا يفتي في الأوراق إنما يفتي بلسانه، وقبر بمشهد السيّد الفاضل، عبد الله الديلمي بالأبهر(١).

وفيها مات الفقيه النحوي، شارح الملحمة(٢)، عبد الحميد بن أحمد بن يحيى المعافا بالسودة(٣)، بلدته. وفيها توفي بقرية حوث السيد فخر الدين، عبد الله بن عامر الذي ذكرنا فيما مضى دعوته، وكان يعتمد مذهب الهادي عليه السلام، وكتبه، وله مؤلف سماه بالتصريح في المذهب الصحيح.

وفيها أو التي تليها مات بمكة المشرفة الشيخ المحدث العلامة محمد بن علي بن علان البكري الصدّيقي نسباً، بمكة المشرفة فاستفاد بها وأفاد ودرس في الفنون،

---

(١) الأبهر: مسجد الأبهر عرف قديماً بمسجد بنت الأمير، وهو من المساجد العامرة بمدينة صنعاء في الجهة الجنوبية من السائلة، وقد عمرته السيدة فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم بن حسين سنة ٧٧٦ هـ (مساجد صنعاء، ص:٥).

(٢) لعلها (الملحة) وهي ملحة الإعراب لأن الملحمة لا تنطبق مع السياق.

(٣) السودة: مدينة جبلية على مسافة ثلاثة أيام سيراً تقع إلى الشمال الغربي من صنعاء، ويقال سودة شظب وسودة ابن المُعافا (هامش نزهة النظر، ص:٥٢).

وكان عين وقته في الحديث، ومن مؤلفاته شرح قواعد الإعراب في جلد، وغير ذلك وله في الحديث أسانيد عالية استفادها القاضي العلامة صالح بن محمد العياني عند إقامته بمكة المشرفة فكان الشيخ جمّاعاً للكتب محبّاً لها ولما مات تفرقت وكثير منها وصل اليمن. وفيها مات الفقيه المحدث الفاضل عبد الواحد النزيلي بمحلّه من الحويت[1]، وهو شيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن المفضل[2] في صحيح البخاري، والسيد العالم عبد الرحمن بن محمد بن شرف الدين الجحافي[3] في صحيح مسلم قرأه عليه بجفاش.

وفيها هبت ريح عظيمة في بلاد ذمار فأخربت جانباً من دائر القصر، وحملت شيئاً من الكلاب في الهواء[4]، وفيها وصل شمس الإسلام أحمد بن الإمام من بلاد صعدة الى شهارة حضرة أخيه الإمام وزيارة أهله ثم تقدم الى صنعاء ليأخذ بها عهداً وبمساكنه المألوفة وبعض أولاده الذين فيها فوجد معارفها قد تنكرت، وأحوالها قد تغيّرت، فلم يطب له المقام وبادر بالرجوع إلى الشام.

وفيها أو التي تليها توفي القاضي الرئيس يحيى الخلافي، كان المذكور في زمن محمد باشا له قيام مع الإمام القاسم آخر مدته، ثم لما وقع [٥٩] صلح الباشا محمد للإمام سكن بجهته موالياً للإمام، ثم نجم منه الخلاف على أصحاب الإمام في أيام الباشا حيدر بعد إنتقاض الصلح، ووصل معيناً للباشا بجنده حتى بلغ محطة حده، وكتب إلى الباشا يؤذنه بوصوله وخلع طاعة الإمام، وألب عليه مخلافه وسائر

(١) الحويت: تقع الحويت إلى الغرب والشمال الغربي لمدينة صنعاء، ويحدها شمالاً وادي لاعة، وجنوباً وادي سُردد، وشرقاً همدان، وغرباً القناوص والمغلاف.

(٢) محمد بن إبراهيم بن المفضل: هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن صلاح المفضل (١٠٢٢-١٠٨٥ هـ) برع في جميع العلوم وله تلامذة كثيرون، وكان مع تبحرة في العلوم قليل الإهتمام بالتأليف ومن مؤلفاته (نظم الوَرِقَاتْ) في أصول الفقه للجويني.. (مصادر الفكر الإسلامي، ص:١٦٤).

(٣) عبد الرحمن بن محمد شرف الدين الجحافي: كان علامة ومحققاً في الأصول والمنطق واشتغل آخر أمره بالتفسير وله شرح (غاية السؤل) للحسين بن القاسم وقد مات بعد سنة ١٠٥٠ هـ بالحشيشية من أعمال صنعاء. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص:١١٩).

(٤) الهواء: (الهوى).

الخيام، ولما فتحت صنعاء بالخط الأغلب، وخرج الباشا منها خائفاً يترقب أظهر القاضي الأسف، واعتذر عما سلف.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَلْف - لم يحدث فيها ما يتوجب رقمه[١]، وينظّم إلى ما مضي نظمه.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف -

فيها عاد الشيخ يحيى روكان الى الخلاف، وشق عصى الإئتلاف، ومنع أرباب الدولة عن تسليم المطالب، وأقام نفسه مقام هالك في الإستبداد مطالب، فسيّر إليه الإمام ابن أخيه عز الإسلام، محمد بن الحسين بن الإمام، وما زال يروغ له من ساقين، إلى أن وضع الحديد منه في الساقين، وأرسل به إلى حضرة الإمام، وتلبث[٢] أياماً لتقرير أعمال الشام، فلما وصل إلى الحضرة، أمر الإمام برفع معلوماته السنوية، وخراب دوره الشاميّة، وبعد أيام جوّز الإمام، من حاله الإنتظام فأذن له بالعود إلى أهله، وعين له معونة في عمارة الخراب وإصلاح الأسباب.

وفيها مات القاضي العارف محمد السلامي، بذمار وكان المدرس في تلك الديار، في مثل التذكرة والبيان وشرح الأزهار، والمتصدر للفتيا للسائلين، ولقصد الحكومات بين المتخاصمين، إلى أن كفّ بصره وضعف نظره، وفيها مات حاكم ذمار الفقهي، يحيى الشبيبي، وكان السبب في عزل عبد الله بن القاسم لاستنكاره الأشياءَ من أحواله، وما زال عبد الله بن القاسم، يعاود أخاه الإمام إلى أماكن سكونه، ولم يتم له إرجاع البلاد حتى آل الأمر إلى سكونه بيته بذمار إلى أن توفي رحمه الله.

---

(١) رقمه: كتابته أو تسجيله.

(٢) وتلبث: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ) بمعنى ولبث.

القَبْضُ على البُرتُغَالِ[1] الإفرَنْجِ والفتك بهم - وفيها وقع فساد ببحر القُلزم، وذلك أن جماعة من الإفرنج الذين أسرهم السلطان في حرب مالطة، كانوا تحت الترسيم[2] ببنـدر السويس، فهربوا من البندر، وأظهروا كمين الشر، وركبوا بحر اليمن، يريدون النفوذ الى الفرنج، الذين بالهند، ثم اللحوق[3] بديارهم، من وراء جبل الحبشة، فصادفوا قريب القنفذة[4] جلبة عامرة[٦٠]، وسفينة الى جُدّة عابرة، فطلبوهم الأزواد، ثم مدوا إلى ما في أيديهم من الامداد، ولما امتنعوا عنهم أخذوا سفينتهم غصباً، وأتوا على أخرهم قتلاً ونهباً، ثم توجهوا في البحر سائرين، وعلى هيئتهم عابرين، وحين علم نائب اللحية النقيب سعيد الجربي، ونائب المخاء السيدُ الرئيس محمد بن أحمد أخذ عليهم الموارد، والمصادر، ولزما عليهم جوانب البحر الزاخر، ولما انتشر لواء القتال، طووا شراع الارتحال وحانت لحينهم ألآجال، وقابلهم شؤم الفال، وقبض الأميران عليهم، وتوجه الإدبار إليهم، وأدخلوا بندر المخا وعُرض عليهم الإسلام، الراحض[5] لما سبقه من أدران الاثام، فمالوا الى الحيف، واختارو أن يعمل فيهم السيف، فقتلوا عن أخرهم، وهم زهاء سبعين، ووسم بهم من ورائهم من الملاعين.

وفيها ظهر نيزك في المشرق غير مُستَطيل، ولله غيب السموات والأرض من دقيق وجليل، وتعقبه نجم خرّ[6] من جهة المغرب الى جهة المشرق بعد العشاء فكان له صوت كالرعد الشديد. وفيها سار الإمام من السودة إلى ظفار داوود[7]،

---

(١) البرتغال: وردت كذا ولعلها مصحفة أما في (أ، ب، ج) فهي البرتقال، والمقصود بهم البرتغاليين الذين تمكنوا من السيطرة على البحار الشرقية بعد اكتشافهم الطريق إلى الهند.

(٢) الترسيم: أسرى متحفظ عليهم.

(٣) اللحوق: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ) وهي بمعنى اللحاق.

(٤) القنفذة: ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر، وهي من مدن ساحل المخلاف السليماني تقع على بعد ٥٠ كيلو متراً شمال حَلي بن يعقوب، وإلى الجنوب من الليث. (اليمن الكبرى، ص:١١٩).

(٥) الراحض: الغاسل (المنجد، ص:٢٥٣).

(٦) خرّ: أنقذف وسقط.

(٧) ظفارداوود: يقع إلى الشمال من ذيبين وإلى الشمال الشرقي من مدينة خمر، ويسمى ظفار دأود =

ولبث فيه قدر ثلاثة أشهر، ثم عاد إلى السودة. وفيها مات القاضي العلامة عبد الله بن أحمد الجربي، كان عارفاً بالفقه، مدرساً فيه، مفتياً بمدينة صنعاء.

وفيها وصل من بلاد الحسا، وقيل من الحجاز، شرح لعقيدة الإمام المتوكل على الله التي أنشأها وغالبه إعتراضات.

وفيها أو التي قبلها وصل حضرة الإمام عالم من البلاد المصرية يقال له حجازي بن علي المصري الشافعي الأشعري، فأحسن إليه وشرح عقيدته شرحين، وأهداها للإمام. وفيها وصل إلى الإمام الشيخ جعفر الواعظ من علماء الحنفية الخائضين في علومهم الظّاهرية والخفية، والأصلية والفرعية، فأقام عنده أياماً واستملى عقيدته، وطالت المراجعة بينه وبين القاضي شهاب الدين أحمد بن صالح ابن أبي الرجال، في مسئلة الرّجاء والشفاعة، واحتد طبع كل منهما حتى أشار الإمام إلى القاضي بتخفيف المقال، والقرار في الجدال، ولما وصل المذكور إلى صنعاء اتفق بينه وبين عز الإسلام محمد بن الحسين بحث بتلك المسئَلة بعينها.

وفيها وردت الأخبار إلى اليمن، بوفاة السلطان إبراهيم بن أحمد خان، وألقى مقاليد الملك إلى ذي القهر والسلطان، فاتفق رأي الوزراء[1]، والأعيان والكبراء[2]، على أن ينتصب في دست ملكه ولده السلطان محمد بن إبراهيم، [٦١] وكان يومئذٍ بسن البلوغ، لكنه ثابت الجاش كامل الحزم، نبيه القدر. وكان له ثلاثة أخوة يومئذ مراد بن إبراهيم، وسليم بن إبراهيم، ضُبطا تحت قيد الترسيم، وأحمد بن إبراهيم قتله أخوه لأمر حدث منه، ولما اجتمع الأمر في يد محمد بن إبراهيم، أقبل على افتقاد ذلك الإقليم، وجهّز إلى طوائف الفرنج كل جيش عظيم، فاستفاد الممالك الفاخرة، وافتتح البلدان العامرة، منها مدينة مالطة كما يأتي.

= نسبة إلى دأود بن المنصور بن عبد الله بن حمزة. (اليمن الكبرى، ص:١٩٧).

(١) الوزراء: (الوزرى).

(٢) الكبرا: (الكبرى).

وفيها مات السيد العلامة عز الإسلام محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين الحسن بن علي بن داوود بن الإمام بمحروس بندر المخا، وقبر بحيس[1] وقيل مات مسموماً، وكان رئيساً كاملاً، وضرغاماً باسلاً، حضر حروب صنعاء واليمن، وزبيد، وأبلا فيها البلاء الشديد، وأبان عن شجاعة هائلة، ورئاسة[2] كاملة، ولاه شرف الإسلام، الحسن بن الإمام بعد فتح اليمن الأسفل بلاد العُدين[3]، فاستمر على ولايتها مدته، ومدة المؤيد بالله، واستمر الى مُدّة المتوكل على الله، ثم زاده بندر المخا، وبلاد حيس، وما إليها من المخاليف، فكان كذلك حتى مات، وكان عامل المخا قبله النقيب سعيد بن ريحان، وله شرح على كافية بن الحاجب[4].

وفيها أعاد صفي الإسلام، أحمد بن الحسن بن الإمام، الحج إلى بيت الله الحرام، وزار تربة النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، ويذكر أنها فتحت له قبّة جدّه بالعناية، بعد أن تشمّس عن فتحها أهل الولاية، والذي ذكره لي الشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي، عند وفوده إلى صنعاء، أن الصفي عرض على الآغا أن يدخله القبة المنوّرة، ليتملى بتلك التربة المطهرة، فامتنع وتعلل بأعذار، فلما أقنعه بالاياس، عدل إلى شفاعة الأكياس، فبعث إليه على وجه الخفية بجملة من الذهب الأحمر، فانقلب طبع الطواشي، وعاد تشمسه إلى التلاشي، وأنشد منه لسان الحال، ملاطفاً للصفي بقول من قال.

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعةٍ إليّ فهلا نفس ليلى شفيعها

---

(١) حيس: من مدن سهل تهامة تقع إلى الجنوب من مدينة زبيد وتشتهر بصناعة [الفخار الحيسى].

(٢) رئاسة: (رياسة).

(٣) بلاد العُدين: تقع إلى الغرب من مدينة إب وتشمل العدين والمذيخرة والفرع والحزم، وتشتهر بلاد العدين بأراضيها الخصبة وأوديتها التي تزرع البُن. (اليمن الكبرى، ص:٤١، ٤٤، ٤٥).

(٤) ابن الحاجب: هو أبو عمرو عثمان ابن الحاجب مات سنة ١٢٤٩ م ولد في اسنا (صعيد مصر) من أئمة النحويين وفقيه مالكي له مؤلفات منها «الكافية» في النحو، و «الشافيه» في الصرف، و «المقصد الجليل في علم الخليل» و «مختصر المنتهى في الأصول». (الأعلام، ج٤، ص٣٧٤).

أأكرم من ليــلى علــيّ فأبتغي   به المال أم كنتُ أمرأً لا أطيعها

ففتح له المقام الأزهر، وقضي منه جميعَ الوطر، وكان بعد أحيان، انتبهت للآغا عيون السلطان، فزحلفوه[1] عن ذلك المقام، وجرّعوه كؤوس الحمام، الشيء بالشيء يذكر.

أخبَرني سَيِّديْ السَيّد المقامْر غصن السَّيادة المورق، وروض المجد والكرم المؤنق الحسن بن أحمد بن الحسين بن القاسم، حماه الله، أنه أيام جواره القبة النبويّة [٦٢]، وإقامته بالمدينة المحمية، حاول الولوج إلى حضرة جدّه للتملي بتلك البقعة الطاهرة، والتشفي بآثار الغرة الزاهرة، فامتنع ذلك الآغا، وتعدى بمنعه عن بيت أبيه وبَغَا، قال فداخلني من الإكتئاب ما قَدُمَ وَحدث واشتد بي الكرب، وعظم على الخطب، ثم أني واجهت الحضرة النبوية، بكلام مضمونه: إن كنت من أولادك يا أبتِ فلا شيء يحول بيني وبينك من هولآء الذين يزعمون أنهم خدمك، وداخلتني مع ذلك عَبرة وانكسار، فلم أشعر إلا بالآغا يلاطفني في المقال، ويستدعيني إلى حضرة الكمال، فبادرت بالدخول، وقر خاطري بالمثول، وأسرجت القناديل من أيمن الداخل، وظفرت من العز المنيع والجاه الرفيع بطائل، وأنشد لسان حالي، وقد أسعفني سؤالي.

ان يدن مني فلي في قربه نسبٌ   أوينـاء عني ففي عرنينه شمم

ثم ظهر له من بعد أنه انكسر أحد القناديل، وَصَرَخَ صُراخاً اذن الآغا بما كشف له الغطا، عما صدر منه من الخطأ.

كرامــة لم يحزها غيره أبـداً   ولا تبخــتر في أثوابها القُشُبِ

وفي هذه المدة استقر عز الإسلام محمد بن الحسن بصنعاء، وتوجه إليه معظم السياسات والأوامر والنواهي، فيها وفيما حواليها من البلاد وضجّ لذلك العمال، وبطل عليهم أكثر الأعمال، لكونهم يعلمون ما له من البسطة في البلاد، وقوة اليد

---

(١) زحلفوه: مأخوذة من زحلف، وزحلف الشيء: دحرجه أو نحاه (المنجد، ص: ٢٩٥).

في الإصدار والإيراد. وفيها أو التي بعدها حوّلت الجزرة بمدينة صنعاء الى باب اليمن، وجعل لذلك واستصلاحه سجل سعى فيه الفقيه محمد أفندي، ورسمت فيه أعيان أهل صنعاء وكان محلها سوق الحطب.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف - فيها خطبَ بدَر بن عُمر الكثيري صاحب حضرموت[1] والشحر[2] وظفار[3] للإمام، فقبض عليه ابن أخيه بدر بن عبد الله بن عمر، وكبرآء دولته، وخلعوه عن الأمر، ووضعوه في الحديد، وأطالوا له الزجر والتهديد، ونصبوا ابن أخيه في دسته، وأقاموه في تحته، وحين بلغ الإمام ما صنعوه هم بالتجهيز عليهم، وقدّم الرسائل إليهم. وفي شهر رجب منها سار الإمام، من السودة إلى مدينة صنعاء، فلما وصل عمران[4] تلقاه الأمير الخطير الناصر صاحب كوكبان واستدعاه إلى حصنه المنيع، وسوحه الوسيع، وأضافه بما يتحمله مثله من الملوك الكرماء [٦٣] والسادة العظماء، ثم إن الإمام سار الى ثلاء، وطاف قلعته الشامخة، وقنّته[5] الباذخة، وهي من شوامخ القنن، ومصانع اليمن، ولا سيما في نظر المطهر بن الإمام، فإنها كانت أعلى من قاسيون[6]، وأعلى من شمام[7]، اتخذها وكناً من مَصَائد الصدام، وحرزاً من

(١) حضرموت: تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة عدن، وتمتد من عين با معبد غرباً إلى سيحوت من بلاد المهرة شرقاً ومن الربع الخالي شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، وقد سميت بحضرموت نسبة إلى حضرموت بن حمير الأصغر. (اليمن الخضراء، ص:١٢٦-١٢٧).

(٢) الشحر: من بلاد حضرموت تضم المعينة، وتبالة، والحامي، والديس، وقيصيصر، وريدة آل عبد الودود، كما أن الشحر ميناء هام من موانى بلاد حضرموت. (اليمن الخضراء، ص:١٢٨).

(٣) ظفار: تمتد من رأس ضربة علي غرباً على ساحل البحر العربي إلى رأس أشرس شرقاً وأهم مدنها (صلالة).

(٤) عمران: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة صنعاء على بعد ١٥ كيلو متراً (اليمن الكبرى، ص:٨١).

(٥) قنته: أعلاه (تاج العروس، م٥، ص:٣١٤).

(٦) قاسيون: جبل مشرف على غوطة دمشق شمالاً علوه يزيد على ١٢٠٠ متر. (المنجد في الأعلام، ص:٥٤٢).

=

(٧) شمام: وشمام (كسحاب) جبل لباهلة، قال جرير:

مكائـد الأروام، وطالما طَلَعَ بدر عزيمته منها فانبلج، واختلج سهم قصده في خريطها ففلج، ولما انقضى مرام الإمام، جرد العزم الى مدينة سام، فلبث بها إلى آخر شعبان، ثم سار بخيله ورحل الى ضوران.

وَدَخَلَـتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف - عـزّت فيها الأمطار. وارتفعت من أجلها الأسعار، سيا في بلاد الصعدية[1]، وما والاها من تلك البلاد الشامية.

التجهيز على الشيخ حسين الرّصّاصْ - وفي صفرها أمر الإمام بحشد الجنود وزف البنود، إلى بـني أرض[2] لإصلاح فاسدها، وتقويم مايدها، فاجتمع لأولاد أخوته وأمير كوكبان، زهاء عشرة الآف من مقاتلة الرجال، وألف عنان من الخيل وأكثرها لعز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام، فأنفذ قبل ذلك رسائله، إلى الشيخ حسين الرصاص، لأنه أول قفل لتلك الأقفاص، وإليه التصرف في بلاد بني أرض، وأمّا مَا يليها كبلاد دثينة[3] فإلى الهيثمي، ومن خلفه العولقي[4]، ومن خلفه الواحدي[5]، ومن خلفه الفضلي[6]، وبلاد هؤلاء تحت رسمهم متصله

= عاينـــت مشعلـــة الرعـــال كأنهـــا ... طـــــير تغـــــاول في شمام وكورا

كما قال أيضاً:

فـإن أصبحـت تطلـب ذاك فانقـل ... شمامـــــاً والمقر إلى وعـــــال.

(تاج العروس، م٨، ص:٣٦٠).

(١) بلاد الصعدية: صعدة وما جاورها من الاجزاء الشمالية من اليمن.

(٢) بني أرض: أو بنو أرض تقع على المحجة إلى بيحان لمن يأتي من رداع وحضرموت والسرو. (هامش صفة جزيرة العرب، ص:١٩٨).

(٣) دثينة: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عدن، وتنحصر بين البيضاء غرباً وبلاد العوالق شرقاً (اليمن الكبرى، ص:١٢).

(٤) العولقي: نسبة إلى سلاطينها آل العولقى، وتنقسم إلى العوالق السفلى ومركزها (أحور) والعوالق العليا ومركزها (نصاب) (اليمن الخضراء، ص:١٢١).

(٥) الواحدي: بلاد الواحدي تقع على الساحل الواقع غربي حضرموت وتبعد عن (عدن) بنحو مئتي ميل ومركزها (حبان) وهو مركز تجاري هام. (اليمن الخضراء، ص:١٢٦).

(٦) الفضلي: إمارة الفضلي وهي المساة مخلاف (أبين) وتقع شرقي عدن وغربي أحور، وتعد شقرة هي ميناء المقاطعة ومن مدنها (زنجبار) و(جعار) و(الكثيب). (اليمن الخضراء، ص:١٢٠).

بحضرموت، فلما علم الرصاص بما أجمع عليه الإمام شمخ بالعرنين، وبرز بروز ليث العرين، وحشد قبائل البلاد، وحرض على التأهب في أغوارها والأنجاد، ورأى أن نفوذ العساكر إلى خلفه، دلالة على عجزه وآية على ضعفه، فركز نفسه هدفاً للحين، وانتقش في رق تامُوره قول أحمد بن الحسين.

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تكون جبانا

فترتب هو والعولقي وعسكرهما بنجد السلف. وجنحا ببقية السلاطين من أمام وخلف، وكان قليل من أصحاب الإمام قد نفذوا إلى الزهراء، وهي مما غلب عليه الرصاص، وكانت في الأصل للقايفي ثم تقدم جماعة إلى قرية بالقرب منها تسمى بذي كريش[1] ولما سئم الرصاص من الإنتظار، بادر إلى ذي كريش بجيش جرار، فعدم التبصر برأيه والإستضاءة، وبادر إلى أمرٍ كان له فيه أناءه، ودارت به الدوائر، وزال عنه قول الشاعر [٦٤].

قد يدرك المتئاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

فإن أمراء الإمام لما جاءتهم العيون بما أزمع عليه الرصاص، من ذلك الإنتهاز والإفتراص، رموا بنفوسهم إلى نجد السلف، وبادروا إليه يوم الخميس رابع ربيع الآخر فباتوا تلك الليلة،وانقض جمعهم بكرة على الشيخ ومن إليه، فقصد صفي الإسلام أحمد بن الحسن مركزه، وهو المقام الأول، والمركز المُعدّل، فاشتجرت الرماح، واشتد الكفاح، واختلفت الرصاص، ونادى لسان الحال ولات حين مناص، وحزت الرؤس، وتداعت إلى فنائها النفوس، ولما حمى الوطيس، وهدرت الأبطال بشقائق العيس، وقد أبان الصفي عن تحليق العقاب، وشجاعة حيدر في اليوم الذي إقتلع فيه الباب، انخزل عن الرصاص منصر

(١) ذي كريش: كذا، وفي هذه الأيام تنطق كَرِش بدون (ذي)، بلدتان إحداهما على طريق (الراهدة) لحج.. والأخرى في دثينة وهي التي يقصدها المؤلف.. (أنظر هامش الإكليل، ج٢، ص:٤٤٩).

العولقي، وتأخر عن دائرة المركز للهول الذي لقى، وتبعه قبائل يافع بمن بقى، وثبت للكفاح الرصاص، وصار وقومه درية للرماح وهدفاً للرصاص، وفي أثناء هذا الإلتحام عطف عليهم من جانب الوادي عز الإسلام، محمد بن الحسين بن الإمام، فاتفق الفشل من الجانبين، وركبتهم موجات البحرين، وأمر أصحابه صفي الإسلام بترك الرّمي، فاخترطوا السيوف، وأقبلوا على الحتوف، واختلط الفريقان حتى اَغبرّ الدّو، وإصطدمت الهامات في الجوّ، وانجلت المعركة عن قتل حسين الرصاص، ورسب في حَبَائل الإقتناص، فحمل رأسُهُ بعد قطعه بالحزام، إلى أن مثل به في حضرة الإمام، والذاهب من أصحاب الصفي قدر ستين نفراً، ومن سائر الأجناد من الجانبين خلق كثير، وانهزم صالح الرصاص، بحشمه، وحريمه إلى البيضاء[1]، وآنتهبت العساكر ما وجدته في البلاد، من الأثاث، والأسلحة، والأمتعة، ثم واجه بعد ذلك صالح الرصاص على بلاده وقبائله.

ولما انقضت هذه الملحمة، توجهت الدَّائرة على البلاد اليافعية، فأرسل إليهم أولاد الإمام، وحرضوهم على الطاعة والإئتمام[2]، فأصرّوا على قبيح أفعالهم، وآنحازوا جميعاً إلى شواهق جبالهم، فسار بعض الجند إلى الخَلَقَةِ، وتبعهم عز الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام، فاستقر بها يومين يظهر الإلتماس، ويجس أحوال الناس، وقد كان يصل إلى قريب جبل العُرّ، فيراه قد إمتلأ من قبائل يافع.

وفي خلال هذا وصلت الأخبار بأن الشريف سالم بن حسين الحُسيني قادم من حضرموت بغارة إلى يافع، فتجهز عليه السيد المقدام، محمد بن أحمد بن الإمام، إلى دثينة فقطع عليه الطريق[٦٥]، ورمى جنوده بالتمزيق فعاد إلى تلك البلاد، وأسنته في الصعاد، وسيوفه في الأغماد، وفي نهار الإثنين تاسع عشر جمادي

---

(١) البيضاء: مدينة تقع في الجنوب الشرقي من (محافظة) البيضاء على مقربة من مُكيرس من بلد العواذل (اليمن الكبرى، ص:٤٨).

(٢) الإئتمام: (الايتام).

الآخرة تقدم محمد بن الحسين إلى ذيل جبل العُرّ لإستخراج يافع، فنزل جماعة منهم إلى سفح الجبل، فاشتجر الحرب بينهم، وقاتلوا بالبنادق، فقتل من عسكر عز الإسلام نحو أَربعة عشر نفراً، وأُصيب بجراح قدر الثلاثين، ثم حملوا على أهل العر بسفح الجبل، فهزموهم إلى أعلاه، واتصل الضرب في أعقابهم، ثم طلع عسكر الإمام، وخيله إلى أعلا الجبل، واختلط الجميع، وحصل الإستيلاء على رأس جبل يافع، وقفله الجامع، ودخل الجند إلى بلاد مرفد وباتوا بها، وكان المتولي لهذه الملحمة الأخرى فيهم السلطان عبد الله بن هرهرة، ومعه رايات الشيخ الحبيب، ولهم فيه إعتقاد عظيم وهو شريف من أولاد الشيخ أبي بكر بن سالم من آل باعلوي.

ولما علم يافع باستقرار عسكر الإمام بمرفد، إجتمعوا من كل أوب، يوم الثلاثاء العشرين من جمادي الآخرة، وأحاطوا بمرفد، ورأى عسكر الإمام أن الرأي مع كثرتهم أن لا يخرجوا إليهم، فيتركون لهم سورتهم، حتى يفلّوا شوكتهم، وترجح لجماعة من العسكر النزول فقتل منهم من قتل، وفي خلال ذلك وصل صفي الإسلام أحمد بن الحسن وكان بالبيضاء فلما صح وصوله، وضربت هناك طبوله، ولّوا الأدبار، واستولى عليهم الإدبار، ثم طلبوا بعد ذلك الأمان فبذل لهم ودخلت الأجناد إلى الموسطة[1]، ولما سكنت الزعازع، وصلح أمر يافع، عاد الأُمراء الأعلام إلى حضرة الخليفة الإمام وأَمَّرَوا على البلاد السيد الرئيس شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الإمام شرف الدين، وكان على أولاد الإمام أن يتلبثوا[2] في البلاد بالجنود، وأن لا يسرعوا بعد قضاء تلك المآرب إلى الوفود.

ولما بلغ سلطان حضرموت هذا النصر الجسيم، والفتح العظيم، أطلق عمه من قيد الترسيم، وأَشعر الإمام بالطاعة، وإثبات الخطبة والجماعة، فأرسل إليه

---

(١) الموسطة: من مراكز بلاد يافع وبها مسجد النور ويرجع إلى القرن الحادي عشر الهجري وهو من آثار الإمام (أحمد بن الحسين بن القاسم) (اليمن الكبرى، ص:١٣).

(٢) يتلبثوا: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ) يلبثوا.

الإمام الأمير صالح بن الحسين الجوفي فلما وصل هناك وجد الأمر على حقيقته، وعاد الأمير وقد صلحت تلك الديار، ووجه إلى بدر بن عمر ولاية ظفار.

وفيها عاد الشيخ روكان إلى عناده، وحنَّ إلى ما ألفه من فسادة، فجهز عليه الإمام من قصده إلى عقر دياره، وعطله عن وساوسه وأوطاره، وفر هارباً إلى شهارة، مستشفعاً بالحسين بن المؤيد بالله [٦٦]، فأعرض عنه فسار إلى حضرة الإمام ضوران، فأنزله بدار الهوان، وأذاقه لباس النكث والعدوان.

وفيها وفدت الأخبار، أن الباشا بمصر عزل الباشا الذي بسواكن[١] لأسباب جارية وأحوال متقاضية.

وفي شهر ذي الحجة عرف أولاد الإمام عاقبة الرأي الذي رآه الخليفة، وهو أن لا يرتفعوا عن بلاد يافع حتى تستقر القواعد، وتعرف المقاصد. فإن ابن العفيف تغلب على البلاد، وطرد عامل الإمام بالسيوف الحداد، وأخرجه من الجهة اللحجية[٢]، ونسي هو ويافع تلك القضية، وخرج السيد شرف الدين على قدميه حافياً، وقتل بعض أصحابه، فلما بلغ الإمام هذا الخلل، وما صنعه إبن العفيف ويافع من قبيح العمل، انتدب للدخول إليهم ولده السيد الناسك محمد بن المتوكل، وكان يومئذٍ في سن البلوغ، لكنه من الرسوخ في سن الشيوخ، وبادر إلى الدخول خشية من أن ينجم خلاف الرصاص، وقد أُنتهبت عقب هذا الخلاف قافلة بنجد السلف، فسار بمن معه حتى دخل البيضاء، وآستقر بها ثم أحتث الإمام أولاد إخوته الأعلام، فساروا جميعاً ثم تتابعت الأجناد إلى البيضاء، ثم إلى بلاد الموسطة بلاد بن هرهرة لأنه لم يظهر منه شقاق، وإن كان في الباطن مع صاحبه بالإتفاق.

وفيها مات الشيخ العارف أحمد القيرواني، المالكي المغربي، وصل إلى صنعاء

---

(١) سواكن: مدينة في السودان على البحر الأحمر، جنوب بور سودان، افتتحها السلطان سليم ١٥٢٠ م (المنجد في الأعلام، ص: ٣٧٠).

(٢) الجهة اللحجية: هي منطقة لحج، وتبعد عن عدن زهاء ٤٠ كيلو متراً وعاصمتها تدعى (الحوطة) وتقع في وادٍ كثير الخيرات وارف الأشجار تفد إليه مياه وادي لحج الدائمة. (اليمن الكبرى، ص: ١٦).

في دولة المؤيد بالله ثم سار إلى مكة للحج، ثم بعد أن استقر هناك مدة عاد إلى اليمن، ومعه كتبه لا يفارقها فقُبض بصنعاء للتاريخ، وقبض كتبه القاضي الحسين ابن يحيى السحولي إلى أن يظهر وارثه.

وفيها مات السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن يحيى بن الهادي الجحافي الحبوري، ببلده حبور، كان متقناً وذا عناية بالحديث، وله فيه مستجازات، من الشيخ أحمد بن علي بن مطير[1] وغيره، وهي مجموعة عندي بخطه رحمه الله، وكان حاكم حبور وإمام جامعه، وله في الفرائض[2] تأليف حسن خرج فيه الأحاديث من أصولها، وكان يرى رفع اليدين عند تكبيرة الإفتتاح، ووضع الكف على الكف كما هو قول أكثر العلماء، وأعلى ما وقع له من طرق الحديث ما يرويه عن الشيخ العلامة علي بن محمد بن مطير[3]، عن عمه عبد الله بن إبراهيم بن مطير، عن القاضي زكريا، عن الشيخ بن حجر العسقلاني[4]، بأسانيده المعروفة، ومن شعره.

وإذا أسبل الظلام رُواقاً ... وَهَدا معشرٌ به وآستراحُوا [٦٧]
فأنا رافع الأكف إلى من ... خطرة القلب عنده إيضاحُ
قائلا رب أنت تعلم بالحا ... ل ففيم السؤال والإلحاحُ

---

(١) أحمد بن علي بن مطير: هو أحمد بن علي بن محمد بن مطير الحكمي (مات سنة ١٠٦٨ هـ) عاش في الخلاف السليماني وله «شرح غاية السول في علم الأصول» و«الروض الأنيف في النحو واللغة والتصريف». (مصادر الفكر الإسلامي، ص:١٦٣، ١٨٥).

(٢) الفرائض: (الفرايض).

(٣) علي بن محمد مطير: هو بن محمد مطير الحكمي (٩٥٠-١٠٤١ هـ) له شهرة كبيرة وتفوق في عدة علوم كالعربية والحديث والتفسير والفقه ومن مؤلفاته «الأتحاف» و«خلاصة الأحرى في تعليق الطلاق على الابراء» و«الضنائن» و«لمع الأخبار بمقتضى الآثار للسالكين الأخيار». (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٢٧، ٢١٦، ٢٨٩).

(٤) ابن حجر العسقلاني: هو أحمد بن علي أبو الفضل (مات ٨٥٢ هـ/١٤٤٩ م) محدث من الأئمة ومؤرخ وأديب وشاعر، ولد وتوفي بالقاهرة، له تصانيف في الحديث والتاريخ والأدب والفقه زادت على مئة وخمسين مصنفاً منها «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» و«الإصابة في تمييز الصحابة». (المنجد في الأعلام، ص:٩).

ولعمري ما يهدم اليأس ظني والإلـه المؤمـل المستاحُ
لو تكون السماء والأرض رتقاً أو تحول السيوف والأرمـاحُ
هذه سُنة الأوائل من قبل بها طال ما آستراحوا وراحوا
كلما جاءهم من اليـأس كـأسٌ فلهم في رحبائهم أقـداحُ

وفيها مات ببلاد عذر السيد العارف حاكم الشريعة بها محمد بن الحسين الحرابي ويروى عنه أنه كان يميل إلى مذهب الشافعي.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف - فيها تحرك جند الإمام، إلى ابن العفيف والناخي، فالتقاهما الشيخان، ومن معهما بحرب عوان، وميل إلى الخلاف والطغيان، ورتبوا لهم الأحزاب، في ظهور الهضاب، وبطون الشعاب، وما زال سعير الحرب حامية، وأحوال الفريقين متكافئة، إلى أن جادت صولة أصحاب الإمام، وخفقت بريح نصره الأعلام، فانهزم إبن العفيف، وآل أكيله إلى التطفيف، ثم هتف بالأمان والوصول، فأسعف إلى ما يقول، ووصل إلى الموسطة، ثم أرسل به من حينه إلى حضرة الإمام ولما وافى الحضرة بضوران، لم يلبث غير قليل من الأيام، وتجهز إلى ثغر الحمام، وصلى عليه الإمام صلاة الجنازة وحضر غسله، وجهازه، وأما الناخي فإنه قاتل بعد صاحبه بعض القتال، وذهب على يديه جماعة من أصحاب الإمام من آنس وغيرهم، ثم دخل فيما دخل فيه العفيف، فأخذ له الأمان ثم ذكر عن أهل آنس أنهم غدروا به، بسبب ما صنعه بأصحابهم، فقتلوه.

وبعد هذه الملحمة الأخرى، أذعن أهل يافع بالطاعة، من حدّ العُرّ إلى عدن، وهي بلاد واسعة، ذات أرزاق نافعة، ووصل إلى الحضرة أعيان المشايخ، كالشيخ عبد الله بن هرهرة وغيره، ولما وصل الشيخ صالح بن أحمد الرصاص، إلى حضرة الإمام خلع عليه، لأنه لم يجر منه خلاف في هذا الحرب، وأعاده إلى بلاده، وآستبقى إبن هرهرة لديه. ثم ترجح للإمام أن يأمر الأمراء الذين بيافع، أن يقبضوا السلاح من أهل يافع، ويوصلوه إلى حصن الدامغ، فقبض ووصل به [٦٨] أهل يافع على ظهورهم، وأودع خزانة الحصن. ثم

أرسل الإمام الشيخ محمد بن الحاج أحمد الأسدي إلى بلاد بيحان[1] حضرة الشريف طالب بن حسين الجوفي الحمزي، فسار إليها وعاد بالأمير إلى الحضرة، وجعل الإمام ولاية البيضاء ويافع إلى ابن أخيه شرف الإسلام الحسين بن الحسن، فاستمر عليها على الوجه الحسن، وآستقر بالبيضاء أولاً ثم برداع، وجعله منتهى الإستقرار إلى أن طرأ[2] من الشجار ما هو مذكور.

وفي شهر رمضان منها خسف القمر ببرج الجدي. وفيها تألب جماعة من أهل صنعاء وصوفيتها على البانيان[3]، بسبب تغيير قانون البيع والشراء[4]، واستعلائهم في الخانات على المسلمين، وغير ذلك، وعدّوه من مفاسدهم، وراموا إخراجهم لو تم لهم ذلك، فلما بلغ الإمام أنكر عليهم ما صنعوه، وعرّفهم أنهم في جوارهم بإداء الجزية وأن لا بد من برهان شرعي، يستند إليه في خرم الذمّة، ويصح السكوت عليه، ثم أودع جماعة منهم بعض الحصون وأطلقهم بعد أيام.

وفيها همّ الإمام أن يجهز على الحبشة، بسبب ما اتفق مما وصفه القاضي الحسن الحيمي وتحريضه للإمام بالقصائد ولم يتم له ذلك.

وفي شهر شعبان ورمضان منها إشتد ألم الخانوق[5] بصنعاء حتى خرج منها ليلة عيد الفطر قدر ثلاثين جنازة ولله الأمر.

وفي آخر رمضان أنصب مطر الخريف فانتعمت الأرض ووصل السيل العظيم إلى باب الخندق بصنعاء فأخرب جانباً من عقود الدائر[6] وبيوتاً من السائلة، ثم تكرر فأخرب بقيـة العقود من الطرفين، ودفن غيول السد المستخرجة، وخرج بعضه من باب السجة، ولولا إنكسار الخندق الأسفل لركب المدينة، وأخرب فيها ما شاءَ من البيوت.

---

(١) بلاد بيحان: عرفناها سابقاً، وهي بلاد المصعبين.
(٢) طرأ: (طرى).
(٣) البانيان: جماعة من الهنود يقدسون الحيوانات.
(٤) الشراء: (الشرى).
(٥) الخانوق: داء أو ريح يأخذ في حلوق الناس والدواب وقد يأخذ الطير في رؤوسها وحلقها. (تاج العروس، م٦، ص: ٣٤٠).
(٦) الدائر: السور.

وفيها عَبَر مَحمد سعيد رسول ملك الهند إلى صاحب الروم يستصرخ به على سلطان العجم لما أخذ عليه من أطراف بلاده ومن الجهة الجنوبية، ويطلب منه أن يشن عليه الغارات من الجهة الشمالية، العراقية فيحصل بذلك التنفيس عليه، فاعتذر السلطان عن ذلك صحبة رسوله بما بينه وبين سلطان العجم من الصلح المعقود، والإيمان والعهود.

وفي صفرها استراح إمام الزمان، عن حال الشيخ يحيى بن روكان، وآل خلافه إلى وفاق، وترشف أفاويق الموت بكأسٍ دهاق، وكان موته بحبس الإمام بضوران.

وفيها أُستُدعي السيد العلامة أحمد بن علي الشامي، بسبب أن ولده قتل مملوكاً له، فوصل إلى حضرة الإمام، وأوضح له حال العبد المقتول[٦٩]، وإن قتله كان مدافعة، وبرهن على أن المذكور رمى ولده بحجر عظيمة من أعلى سطح لو أصابته لما كاد ينجو منها فعذر الإمام ولده.

وفي الثالث والعشرين[١] من صفرها توفي السيد المقام، صفي الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين المنصور، بمدينة صعدة، وكان أكبر سناً من أخيه المتوكل على الله، مُحبّاً للصدقات والمآثر الحسنة ومنها الحسنة الجارية والمنقبة العالية، جامع الروضة، ووقع على الكيفية التي يقطع من شاهدها أنها برٌّ موصول، وعمل متلقى بالقبول، حتى قال بعضهم:

لا تحسب الجامع في روضة ... وإنما الروضة في الجامع

ووقف عليه ما يقوم به من ذلك السمسرة بسوق العنب وغيرها، ومن مأثره سمسرة الأزرقين[٢]، عمرها بوصية من زوجته بنت المعافا، وسمسرة ريدة[٣]

---

(١) الثالث والعشرين: سقطت من الناسخ فصُححت رقماً فقمنا بإصلاحها كتابة على طريقة المؤلف في تسجيل التواريخ. وهي مثبتة على هذه الصورة في (أ، ب، جـ).

(٢) الأزرقين: اسم جبل صغير قرب صنعاء إلى الشمال منها.

(٣) ريدة: وهي مركز قبيلة خارف من حاشد وهي بلدة أثرية تقع إلى الشمال من مدينة عمران، تكلم عنها الهمداني بأن بها قصر تلقم. (اليمن الكبرى، ص:٨١).

وغير ذلك، ووجّه الإمام ولاية صعدة لولده جمال الإسلام، (علي بن أحمد) وكان رحمه الله قد أشار على الإمام، بترك أمرين أحدهما ترك الصَّرَّ الذي يصير إلى مكة مع أمير الحج، والثاني فتح يافع، تفرساً من أنه لا ينضبط الأمران، فكان الأمر كما حَدَس.

وفيها وقع بين ذوي محمد وذوي حسين[1] من برط أحن وقتال، وذهب فيه من البطنين جماعة، وهم على رجل واحد.

وفيها أنشأ السيد العلامة الحسن الجلال رسالة، إستشكل[2] فيها التخريج على يافع، وأنجر كلامه إلى أطراف وقد كتبت منها نسخة بخطي ويمكن المناقشة لبعض أطرافها، وقد كتب عليها بعض أهل وقته جواباً شغل فيه القرطاس، وآستنتج من غير قياس.

وابن اللَّبون إذا ما لُزَّ[3] في قَرنٍ   لم يستطع صولة البزل[4] القناعيسُ[5]

وفيها وصلت إلى اليمن نسخة من كتاب فتح المتعال، في مدح النعال للشيخ العلامة أحمد بن محمد المقري، المالكي التلمساني الأصل والمولد، الفاسي الدّار، نزيل القاهرة المحروسة، وكان قد صنّف قبله في ذلك بن عساكر[6]، والشيبي.

---

(١) ذوي محمد وذوي حسين: كذا في الأصل وفي (أ، ب، ج) هم ذي محمد وذي حسين من قبائل بلاد برط.

(٢) استشكل: استصعب.

(٣) لُزَّ: أُلصق (المنجد، ص:٧١٩).

(٤) البزل: الرجل الخبير (المنجد، ص:٣٧).

(٥) قناعيسُ: جمع قنعاس، الرجل الشديد المنيع. (تاج العروس، م٤، ص:٢٢٤).

(٦) ابن عساكر: هو عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي (٦٤٤-٧٣٢ هـ/١٢٤٦-١٣٣٢ م) فقيه مالكي مولده ووفاته ببغداد. سافر كثيراً ودخل اليمن، من كتبه (إرشاد السالك) و(جامع الخيرات في الأذكار والدعوات) و(المعتمد) و(النور المقتبس من فوائد مالك بن أنس). (الأعلام، ج٤، ص:١٠٥).

وفي هـذه السنة خرج إلى اليمن أيضاً كتاب « ريحانة الألبَا[1] وزهرة الحياة الدنيا »، وقد ذكر هو أيضاً في النعل الشريف، مبحثاً، وأورد جملة من المقطعات المسمي وأحدهما دوبيت، وهو بالدال المهملة ود ولفظه فارسية معناها اثنان بالعربي، ومنه ما جاء في حديث سلمان الفارسي[2]، التمريك يك، والعنب دُوْدُوْ، ويك لفظة فارسية لمعنى واحد فالمعنى من دوبيت بيتان، وضبطه بالذال المعجمة تصحيف، ومما وقع لي فيه.

أي محرق مهجـتي بنيران جفاك ... قـد عز بصبري كما عَزَّ وفاك

لا تطفي يـا نور عيني حُرقي ... إلا أن أُرشفتني ثناياك وفاك

وقد سبق للشيخ شهاب الدين الخفاجي ذكر في أول هذا المكتوب. وفيها وصل درويش من الهند إلى صنعاء بحديث من أكرم غريباً في غربته فكأنما أكرم سبعين نبيّاً مرسلاً، وما زال يطرحه تجاه المصلين يوم الجمعة، ثم زاد فيه بعد أيام بعد قوله في غربته في بيته، وهو مما لا أصل له ولا ذكره السنخاوي، ولا سيدي أحمد بن عبد الله بن أحمد في الأحاديث الدائرة على الألسنة، ولا الديبع[3] في تمييزه وما عليه شيء من طلاوة الحديث النبوي.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف - في صفرها وصل السيد صارم الدين

---

(١) ريحانة الألّبا: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ).

(٢) سلمان الفارسي: (مات سنة ٣٥ هـ/٦٥٥ م) من خواص صحابة الرسول، أسلم بعد الهجرة وقال الرسول عنه (سلمان منا آل البيت) وقد أشار على النبي بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، ولاه عُمر عاملاً على المدائن، كان يأكل من كديدة ويتصدق بالفائض، وقد روى الحديث عنه ابن عباس وأبي هريرة. (المنجد في الأعلام، ص:٣٦٢).

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن الديبع (٨٦٦-٩٤٤ هـ) نشأ بمدينة زبيد ورحل إلى مكة، وأخذ على مجموعة من الشيوخ، ثم صحب عامر بن عبد الوهاب آخر سلاطين الدولة الطاهرية وعندما قتل هذا السلطان عاش بقية حياته في مدينة زبيد وتوفي بها، وله مؤلفات منها « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون »، « بغية المستفيد في أخبار زبيد » و« الفضل المزيد على بغية المستفيد » و« تحفة الزمن بفضائل اليمن » و« تيسير الوصول إلى جامع الأصول » و« تمييز الطيب من الخبيث » (مصادر الفكر الاسلامي، ص ٥١، ٤٢٧، ٤٢٨).

إبراهيم بن محمد المؤيّدي، إلى الحضرة المتوكلية ونال من التعظيم، ما هو أهله، وبعد مضى شهرين أنفصل عن الحضرة إلى حضرة عز الإسلام، محمد بن الحسن فتلقاه بالرحُب والأنعام، والتفضل العام، ثم عاد بلاده وقد أقطعه الإمام جانباً من البلاد كما سلف، فاستقر في محله وعمره بإحياء الشريعة النبوية، وتفتيح غضون المسائل العلمية، مع حضور أصحاب وأولاد وأحباب أجلهم قدراً وأسماهم سراً، ولده السيد العلامة التقي الكريم، صفي الدين أحمد بن إبراهيم.

وفيها وصل من قبائل بحدود البصرة، من بلاد الخميلي البديع ما بين الحساء والدواسر[1]، مكتوب يذكرون اشتياقهم الى أن يتدوّا لهم الإمام ويسلموا إليه واجبهم، لما بلغهم من عدله، ولم يتم ذلك لبعد الديار والابدان، وكون تلك الجهة مما يضبطه نائب السلطان بن عثمان وهو أقرب إليهم، وأشد في الوطئة عليهم.

وفيها جاءت الأخبار أن جند السلطان محمد بن إبراهيم، استولى على البعض من بلاد مالطة، وأسر عالماً من النصارى[٧٧]. وفي رمضانها خسف القمر ببرج الجدي، ورخصت الأسعار عقيب تلك الأمطار. وفي ربيعها أرسل الإمام القاضي شرف الدين الحسن بن أحمد الحيمي الى أمير حضرموت فسار إليها ودخلها.

وفيها أعاد صفي الإسلام، أحمد بن الحسن بن الإمام حصن ذِمرمر الى ما كان عليه من العمارة، وحسن البهجة والنظارة، وأسكن أهله فيه وفي الغراس، وبينها في الأفراح، وتربية الأرواح، تقارب وجناس، ولما استوطنها سيدي صلاح الإسلام، صلاح بن أحمد بن عبد الله أيام إقامة والده فيه، أثناء الدولة المطهرية[2]، وعقب الأيام المتوكلية[3]، قال فيها.

لله أيامي بـــــــــذي مرمرٍ   وطيب أوقاتي بسفح الغراس

---

(١) الدواسر: منطقة محاذية للربع الخالي يخترقها وادي الدواسر الذي يستمد مياهه من وادي بيشة ووادي تثليث النازلة من جبال عسير.

(٢) الدولة المطهرية: نسبة إلى المطهر بن الإمام شرف الدين.

(٣) المتوكلية: نسبة إلى الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد ابن يحيى.

والجنس مُنْضَمٌّ إلى جنسهِ　　وأحسن النظم نظـام الجنـاس
وَالشمــــل مجموع بمن ارتضى　　والسرّ[1] فيه السر والناس ناس
وللصّبـــــا غصنٌ إذا هزه　　نسيم أنفاس صبا الوصل ماس
وسفـح حـذّان[2] الى جانـبي　　غضران[3] من تلك الربوع الا ناس
ملاعــبٌ تجري بهـا خيلنـا　　في السلم والحرب شديد المراس
والشامـخ الفرد لنـا موئـل　　يمنعنـا الله بـه كـل بـاس
لــه من الزهر نطــاق ومن　　جود غوادي المزن أبهى لباس

ولعله كان معه زوجته ابنة خاله السيد العلامة جمال الدين علي بن أمير المؤمنين، المتوكل على الله شرف الدين، فهي التي أشار إليها بقوله، والشمل مجموع بمن ارتضى، وانظر الى رقة هذا النظام[4]، وما اشتمل عليه من الإنسجام، ولولا كراهة مدح الآباء لفتشت[5] زهوره، وسلسلت نهوره، وله من هذا النمط ما يعلق بالأرواح، ويسكن العصم سُهول البطاح، كقوله.

ولي حبيــبٌ كـأنَّ الله صوّره　　من ناضر الزهر أو من ذائب البَرَدِ
أو أنـه صافي البلور أودع في　　أحشائه الورد محمر الطباق ندي
إذا تذكرت أني عنــه منتزح　　ضممت صدري أشفاقاً على كبدي
وإن تذكرت أرضاً قد أقام بها　　قبّلت من فرط أشواقي إليه يدي
أهابـه عند أفراح اللقاء فأرى　　في الظبي ما يتقيه الناس في الأسدِ

---

(١) السّر: وادي خصب من أودية بني حشيش يقع إلى الشمال الشرقي من صنعاء وهو يبعد عنها بحوالي ٣٠ كيلو متر، وهو وادٍ كثير الأعناب يطل عليه من الشمال حصن ذي مرمر وذَبَاب وجبل صرع (اليمن الكبرى، ص:٧١).

(٢) حذان: بلدة عامرة في وادي السر من بني حشيش (هامش صفة جزيرة العرب، ص:٢٣٦).

(٣) غضران: من قرى بني حشيش تقع إلى الجنوب من جبل ذي مرمر.

(٤) النظام: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ).

(٥) لفتشت: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ) وهي بمعنى لتفتحت.

فمن يبث إليه بعض ما انطبقت عليه أحشاي من وجدٍ ومن كمد[٧٨]

قوله أو أنه صافي في البلور أودع في اللج جَمَعَ بين مذهب الفراء في نصب الجزئين ومذهب ربيعة في الوقف على المنصوب بالسكون.

وفي عصر يوم الجمعة ثامن شوال من السنة المذكورة توفي السيد العالم الإمام صاحب العلوم التي منها (بلوغ المرام شرح آيات الأحكام)، محمد بن الحسين بن الإمام ودُفن بمقبرة البستان إلى جنب المسجد في المشهد الذي بناه على عمه يحيى بن الإمام، وولد له قد كان مات قبله بأيام، وكانت له في العلوم اليد الطولى، ومن مشايخه العلامة عبد الرحمن بن محمد الحيمي، والقاضي العلامة أحمد بن صالح العنسي، والتفت آخر مدته إلى الفقه، وكان مع ذلك يحب السنة النبوية، ويعظم أهلها، ومن مؤلفاته أحاديث في صفة الجنة، وكان كثير المذاكرة، كثير التواضع والمؤآنسة والسماحة وألمه آلقُولنج[١]، ولما قبضه الله إلى داره، واختار له حسن جواره، عرض الإمام بلاده على صنوه السيد عماد الدين يحيى بن الحسين[٢] بن المنصور، فمال عن ذلك وأعتل بما التزمه من الخمول، والميل إلى مطالعة كتب المعقول، والمنقول، فعذره الإمام، وقرر ولده الصفي، وتخفيف التكليف من اللطف الخفي.

وفي هذا الشهر وصل القاضي الحَسَن من الجهات الشرقية، والبلاد الحضرمية، ومعه من السلطان بدر بن عبد الله الكثيري، هدية سنية للإمام.

---

(١) القولنج: مرض معوي مؤلم جداً يعسر معه خروج الثفل والريح (تاج العروس، م٢، ص:٩٠).

(٢) يحيى بن الحسين بن المنصور: هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (١٠٣٥-١٠٩٩ هـ تقريباً) وهو أحد أكابر علماء آل الإمام القاسم، قرأ على أحمد بن علي الشامي والحسين بن محمد التهامي، وقرأ الأصول على أحمد بن صالح العنسي، وأجاز له أحمد بن سعد الدين، وقد أهمل ذكره أهل عصره بسبب ميله إلى العمل بما في أمهات الحديث ورده على من خالف النصوص الصحيحة، وقد وقع بينه وبين أهل عصره قلاقل بسبب هذا. (البدر الطالع، م١، ص:٣٢٨) وله مجموعة كبيرة من المؤلفات منها «أنباء أبناء الزمن في تأريخ اليمن» و«غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» و«بهجة الزمن ذيل أنباء الزمن» وله في التصوف «كشف علوم الآخرة» «الزواجر في الأخلاق» أما في الفقه فمن مؤلفاته «الإبلاغ في معرفة الإجماع». (مصادر الفكر الإسلامي، ص:١٦٤، ٢٩٢، ٤٤١).

وُفُودُ الأخبَارِ بِوُصُولِ جُنُودٍ عُثْمَانِيّةٍ إلى مَكّةَ وَالْيَمَنِ -

وفي شهر ذي القعدة الحرام، من هذا العام، وفدت الأخبار إلى الحرم الشريف، واتصلت باليمن، أن السلطان صاحب الأبواب، قد وجه إلى الحرم خارجة بأسباب، منها ما نمي إليه من الشريف، من عدم الوفاء سيا مع إهمال العين الزرقاء[1]، ونهرها الأصفى، وما نسب إليه في تلك الأيام من قتل مصطفى، وهذه الخارجة بخمس[2] بواش من أمراء بني عثمان، وكل باشا بخيـل سوابق، وألوية بواسق، وسناجق خوافق وأغوات وبكلر لبكيه، وأعيان، فانبهر لها الشريف زيد، وأظهر مواد القوة وأسباب الأيد، وقطع أنه أول مرمي بتلك الصواعق، وأقدام مُعني بتلك الفيالق، وتوقع سائر البلدان اليمنية، زائلة[3] هذه الخارجة العثمانية، فلما توسطت تلك الأجناد، ينبُع[4] وما والاها من البلاد، أَخذت أكثرهم الرمضاء[5] بجمرها اللّفاح، وانقطع عنهم لذيذ المآء القراح، فتفتت أكبادهم بالأوَام[6]، وتخرمّتهم مصارع الأيام، ووصل البعض منهم إلى مكة وقد فُلّ حدهم، وقل جهدهم، ورأوا الشريف في أبهة رائعة[7]، وقوة مانعة، فما زادوا على عتابه بسبب إهمال العين الزرقاء، وقد اعتذر إليهم بأن عملها يوم الإهمال، كان موجهاً إلى سواه، وأن إهمالها كذلك مما لا يهواها، فحلموا عنه بعد ذلك الكلام [٧٩]، ولكن.

كـل حُـلمٍ أتـى بغير اقتدارٍ حُجـة لاجـىءٍ إليهـا اللّئـام

---

(١) العين الزرقاء: إشارة إلى أن الشريف أهمل إمداد سلاطين الدولة العثمانية بالمال الكافي.

(٢) بخمس: كذا وفي (أ، ب، جـ) [الآغوات والبكلربكية تسميات تركية لبعض أفراد الجيش].

(٣) زائلة: الضوضاء والضجيج من القلق والخوف.

(٤) ينبُع: من موانى بلاد الحجاز الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

(٥) الرمضاء: الأرض الحامية من شدَّة حرّ الشمس. (المنجد، ص: ٢٨٠).

(٦) الأوام: العطش. (المنجد، ص:٢٢).

(٧) رائعة: (رايعه).

وفيها نفر جماعة من العسكر من حضرة الإمام إلى سوح بن أخيه عز الإسلام، فما زال بهم حتى عادوا إلى حضرته السامية.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف - فيها مات الأمير الحسين بن عبد القادر صاحب عدن. وفي ربيع الأول منها مات الفقيه الحافظ العلامة عبد الرحمن بن محمد الحيمي، بصنعاء اليمن، وقبر بجربة الروض، وقبره الآن مشهور مزور عليه صخرة عظيمة، فيها التعريف باسمه وحاله، وكان في الحفظ لألفاظ السنّة النبوية نسيج وحده، درس مدة في الفنون على أنواعها، مرجعاً في البحث في كتاب الكشاف والعضد، وحواشيها، ودرس شطراً من الزمان في كتب الحديث، كجامع الأصول، ولما قرأ[1] في هذا الكتاب القاضي شرف الدين الحسن بن يحيى حابس[2]، على العلامة المفتي حضر القراءة القاضي وجيه الدين، فقال له المفتي القراءة في التحقيق عليك، والوقوف في المغنى بين يديك، وناهيك باعتراف هذا الإمام شهادةً لهذا البحر اللّهام، وللسيد العلامة البليغ أحمد بن الحسن بن حميد الدين[3]، جامع ترْويح المشوق عند وفاته.

إن وجيـــه الـــدين حبـ ـر عصره عـــالي السّنـــدْ
خـــير ثقـــاتٍ قـــام بـــا لعلوم دهراً وقَعَـــــــدْ
وحـــث فيهـــا عزمـــه حـــين انتقاهـــا وانتقـــد
بحر الكـــــلام البرّقـــا موسى الصحـــاح المعتمـــد
عـــاش سعيـــداً ومضى عـــلى السّداد منتقـــد

(١) قرأ: (قرى).

(٢) الحسن بن يحيى حابس: هو القاضي الحسن بن يحيى حابس الصعدي أخذ عن السيد محمد بن عز الدين المفتي وغيره وكان عالماً محققاً ظريف المحاضرة تولى القضاء بمدينة صعدة وعهد إليه الإمام المتوكل على الله إسماعيل ببعض أعمال، مات سنة ١٠٧٩ هـ. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص:٧٨، ٧٩).

(٣) أحمد بن الحسن بن حميد الدين: هو أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين ابن المطهر بن الإمام شرف الدين (مات سنة ١٠٨٠ هـ) شاعر وأديب مؤلف «ترويح المشوق في تلويح البروق». وقصائده الشعرية تمتاز بالجودة وقوة التعبير. (البدر الطالع، م١، ص:٤٥-٤٧).

فأرخوا ميـــــــــلاده بقـــــل هو الله أحـــــد
وجآعـــــــــد عُمرهُ الله ذي الطول الصمـــــد
هـــذا وتاريـــخ الوفـــاه جـــاء مجموع العـــدد
بشـــارةٌ إشـــــارة عنوان فضـــل ومـــدد
بـــالله يـــا من سبقُـــه إلى المعـــــالي والرشد
يـــا جامـــع الشارد ممـــا شذ عن قوم ونـــــــد
يـــــا بـــاذل المجهود في العليـــا ومن جد وجد [٨٠]
مـــا فعلـــت تلـــك اللسا ن والبنــــان والجلـــد
والكـــــلم الغرأ الـــتي سَبَـــــت وروّت من ورد
أقســـم لـــولا أُسوةٌ أَضحـــت عـــلى في الأبـــد
وإن بعـــــد اليوم والأ مس عـــلى التحقيـــق غـــد
لذبـــت من فرط الشجـــا وحرّه فقـــد وقـــد
فاذهـــب حميـــداً ولـــك الآثـــار والرأي الأسد
وكـــــل شيء صائِرٌ بعـــد البقـــاء الى أمـــد
عـــادت عليـــك رحمة نعُدّهـــا أسنـــى العُـــدد
ولازمـــت مثواك مـــا أبرقَ غـــيم ورعـــد

أنظر إلى هذا النهر الذي ينصب الى روضة الألباب، والبحر القصير في المراثي على أمة في قصير ليالي وصال الأحباب، وقوله فقد وقد نوع من البديع الجديد، سماه في الريحانة إيهام التأكيد، وأورد له أمثلة ووقع لي منه.

لئن قضت الأيام بالبعد بيننا فمـا فعلها فيما نحاول بالخفي
وان خدعتـني فيك يا نور مقلتي فكم خدعت في رب برٍ وفي وفي

نقل عنه أنه انتقل عن مذهب الشافعي، وقد يظهر ترجيحه لمذهب الشافعي، في عبارة شرحه لبلوغ المرام، ومشايخه في الحديث الصّابوني، والجاص، وغيرهما.

وحصـل بينه وبين الإمام المؤيِّد بالله، محمد بن القاسم رحمه الله، بعض

وحشة أدت إلى بعض نكاية، وقد كان العلامة الحسين بن القاسم، يكافح وينافح عنه، وكانت الرصانة من لوزامه، فبدر منه في بعض الأيام أنه ذكر له طول قعود الدولة العثمانية، في تخت السلطنة، فقال أما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، ومن لطيف شعره،

صنعاء إذا كنت مشغوفاً بمسكنها | فاعدد لها من حروف الحاء ما رسما
حَبٌّ وحُبٌّ وحمام مع حَطبٍ | حظيرة وحمارٌ حرفة وحِمَا

وفيها جهز الشاه عباس، سلطان العجم، على اللاهجان.

وفيها سار عز الإسلام، محمد بن الحسن بن الإمام، من ذمار إلى اليمن الأسفل فقوم المعوج، وأصلح المهمل، وبنا[1] بمدينة إبّ [٨١] بابنة السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن، واستقر أياماً وفي شهر ربيع الثاني سار الأمير الناصر بن عبد الرّب بن علي بن شمس الدين أمير كوكبان، إلى سوح الإمام، فلما انتهى إليه، وأدار شأبيب الإحسان عليه، طلب منه مدداً يعينه على ما في جانبه من تكاليف الجُند، التي اقتضت الإستدانة[2] لبيت المال، واستغرقت أموال الرجال، وإليه كفاية مهم الجند والقيام بأحوال ذوي الحقوق مع كرم صادق، ووفاء موافق، وعدم الإستبداد، وميل إلى الصدق واستناد، فأخذ الإمام بضبعه، وأعاده مجبور الخاطر إلى ربعه.

وفيها مات الأمير حسام الدين صالح بن الناصر الجوفي الحمزي وكان إليه إمارة بلاد الزاهر، وقعد مقعده أخوه جمال الدين علي بن الحسين الحمزي. وفيها أول ظهور القرش[3] الدكني باليمن، ولكثرة غشه امتنع الناس عن التعامل به في مبادي[4] الأمر، ثم تعاملوا به بإسقاط ثمنه.

وفيها عقد عز الإسلام لولده عماد الملك يحيى بن محمد ولاية تعز والحجرية[5]

(١) بنا: تزوج.
(٢) الإستدانة: أخذ المال ديناً.
(٣) القرش: يطلق في اليمن على العُملة الفضية، ويسمى [الريال].
(٤) مبادي: كذا في الأصل وفي (أ، ب، جـ).
(٥) الحجرية: ذكرت سابقاً.

فأصدر فيها وأورد، وبسق غصن ملكه بها وتأوّد، وأعطى فأخجل الغيث الهامع، واستوفي سيبه[1] الداني والشاسع، وارتفع له قدر وتفخيم، وانتصب له كرسي مُلك عقيم، فامتدت ذيول أوامره على غير تلك البلاد، ولباه إنسان السعادة بلسان الأسعاد، والسرفي كمال هذه المعاني، واقتعاد الكرسي السليماني هو الكرم الذي لا يوضع من الأناس إلا في العيون، ﴿وَمَنَ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وفي رجبها هاجت ريح بلا مطر، فرفعت العجاج وكسرت الشجر. وفيها مات شيخ القراءات السبع بجامع صنعاء الفقيه على الشريجي أراد الحج فطافت له المنية من كل فج، وكان انتقاله بمحروس حَلْي[3].

وفي رمضانها توفي الفقيه العارف عبد الهادي القويعي الحضرمي الأصل الشافعي، ودفن بمقبرة باب اليمن، كان متجرداً عن أحوال الدنيا، مائلاً قلبه إلى العلم وأهله، وله كتب نحو ستمائة مجلد، صارت إلى القاضي الحسن بن يحيى حابس بعد وفاته سوى ثلثها فقد جعله لفقراء المسلمين، بصنغاء تباع وتصرف فيهم، وكان له ولوع بأكل القات[4]، وهصر أغصانه بأنامل اللذّات، ويعد ذلك عوناً على مطلبه وزيادة في مكسبه، وما أحسن قول بدر الدين محمد بن علي بن الخواجا لطف الله الشيرازي الأصل، الصنعاني المنشاء والمولد.

إني إمرؤٌ لي في الرضا مشرب ... أقطـع فيـه جُـل أوقـاتي
أقنـع بالوصـل إذا جـاءَني ... وقهوةٍ تبسط أوقـاتي [٨٢]

ولا تتيسر له التورية مع تكرار لفظ أوقاتِ إلاّ مع إلتزام الإيطاء باعتبار

(١) سيبه: عطاياه.
(٢) من سورة الحشر، الآية ٩.
(٣) حَلي: من بلاد عسير وتقع على ساحل البحر الأحمر إلى الجنوب من القنفذة.
(٤) القات: شجرة ذات أوراق خضراء لينة يمضغها اليمنيون بكثرة في فترة ما بعد الظُهر، وتؤدي بالبعض منهم إلى الإعتياد على تعاطيها.

أحد المعنيين، كما يعرفه المعنوي بأدنى بادرة، والفقيه عبد الهادي هو الذي أخبر سماع النداء من الهوا للإمام المنصور بالله القاسم قدس الله سره.

وفيها توفي بصنعاء الفقيه العارف شيخ شرح الأزهار، والبيان على ابن جابر الشارح، وقراءته على الفقيه صارم الدين إبراهيم حثيث[1]، والإمام محمد بن عزالدين المفتي، ونقل عنه أنه أحال بحضرة المفتي مقدوراً بين قادرين، وخالفه السيد وبرهن له على ذلك، بأن حمل طرف حجر وأمره أن يحمل الطرف الآخر، ثم قال له: هل هذا مقدوراً بين قادرين. فأقرّ، وآنقطع وهذا عجيبٌ، ولا أظنه يصدر عن المفتي إلا من طريق المفاكهة والمجون، فإن من محل النزاع من المسئلة هل يتعلق قدرة زيد لعين ما تعلقت به قدرة عمر، وهو عن المثال، بمعزل بعيد المنال. ومما أخبر به المذكور أنه ظهر على رأس قبة الإمام يحيى بن حمزة[2] لهبة كالمصباح، فذكر لشيخه القاضي إبراهيم فأنكر ذلك، وسار إليه ليعرف حقيقة الأمر فوجد المصباح كما هو فأطفأه فانطفأ ثم عاد إلى الظهور بعد الخفاء، وهذا كما ظهر على قبر الشيخ حسن بن ناجي في قبته بذمار، ذكره

---

(١) إبراهيم حثيث: هو الفقيه إبراهيم بن حثيث الذماري، نشأ ببلاد جهران وتلقى العلم بمدينة ذمار، وبلغ من تحقيق الفروع إلى حد تقصر عنه العبارة، أدرك عصر الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، وقد مات سنة ١٠٤١ هـ (ملحق البدر الطالع، م٢، ص:٤-٥).

(٢) الإمام يحيى بن حمزة: هو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي (٦٦٩-٧٤٩ هـ) اهتم بالمعارف الإسلامية من صغره، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٧٢٩ هـ وكان بروزه في بلاد صعدة وبلاد الظاهر والشرف، ونهض إلى صنعاء وتقدم لحرب همدان الإسماعيلية في وادي ظهر من أعمال صنعاء وكان قائدهم الداعي علي بن إبراهيم الهمداني فوقعت بينهما معارك عظيمة واستمرت الحرب، وأقبلت إلى الإمام التعزيزات من ظفار وصعدة وكثرة جيوشه وحرض الناس على القتال، ثم طال القتال حتى مل الناس وانزاح الفريقان إلى الصلح، ثم سار إلى حصن هران المطل على ذمار واشتغل بالتأليف وجهد في تقارب الشقة بين المسلمين والنصح لحكامهم، وله مؤلفات بلغت ٦٨ مؤلفاً منها «تصفية القلوب عن الأدران والأوزار والذنوب» و«الحاصر لفوائد المقدمة في حقائق علم الإعراب» و«الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية» و«الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار». (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧).

الموزعي[١] وغيره من أهل تلك الديار، وهي من الكرامات الواضحة، والبراهين اللائحة.

وفي ذي القعدة وصلت إلى الإمام هدية السلطان صاحب حضرموت. وفيها مات ببلدة السيد العارف محمد بن علي الحيداني، بدولة المؤيد بالله والمتوكل على الله كما مَضَى.

وفيها مات الشيخ العلامة أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي الشافعي، كان المذكور بمساقط جبل تيس[٢]، وجوار جبل ملحان، وهم بيت علم، وكان يرجح أشياء تخالف مذهب إمامه الشافعي، وله منظومته على الأزهار، وشرح غاية السول، ومصنفات أخرى، أخذ في الحديث عن والده، وعنه أخذ الفقيه علي بن محمد العقيبي[٣]، ونقل عنه أنه أنشأ رسالة وذكر منها أنه لا يصح حديث ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي، كما أخرجه أهل السنن، وقال الحديث إنما هو من طريق معاوية[٤] بن أبي سفيان لم يروه غيره، كما أخرجه أبو داوود في سننه وهو أُحادي لا يحتج به، في هذه المسئلة هذا ما نقل عنه، لكن الحديث رواه غير أبي داوود بطرق كثيرة عن جماعة من الصحابة غير معاوية مثل

(١) الموزعي: عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد الموزعي أقام بمدينة تعز وتولى وظيفة التدريس بجامع المظفر والمدرسة الطاهرية وشغل منصب نيابة الأحكام الشرعية بتعز، له مؤلف «الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت عدالة آل عثمان» وهو تاريخ معاصر لليمن في عهد الأتراك من سنة ٩٤٠-١٠٣١ هـ (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٤٤٢).

(٢) تيس: ويسمى اليوم جبل بني حبش وفيه قرية الحويت مركز القضاء (هامش صفة جزيرة العرب، ص: ١١٠).

(٣) علي بن محمد العقبي: كذا، وفي البدر الطالع (العقيني) وهو علي بن محمد العقيني الأنصاري التعزي الشافعي (١٠٣٣-١١٠١ هـ) قرأ بتعز على محمد بن عبد العزيز المفتي وقرأ على محمد بن علي مطير وآخرين ورحل إلى مكة فقرأ على ابن علان وبرع في فنون وله مؤلفات منها «شرح ألفية ابن مالك» و«شرح المدخل في المعاني والبيان» و«شرح على النخبة» وغيرها. (البدر الطالع، م١، ص:٤٩٦).

(٤) (معوية) كذا في الأصل، وفي (أ، ب، جـ).

أبي هريرة وآخرين، وكان في مسئلة الإمام على منهج الزيدية، ومن عقيدته ما لفظه، إعتقادنا مودة الآل رحمة الله [٨٣] على محسنهم ومسيئهم ونفضلهم ونصلي عليهم فلأجل القربى يكرمون ثم قال وأعلم أن إعتقادنا أن الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب، ثم أبناؤه، مرتبين إلى آخر كلامه، وعباراته في العلميات تدل على سبق في كثير منها وكمال عنايته.

وفي ذي الحجة ثار السلطان جعفر بن عبد الله بن عمر الكثيري على عمه بدر ابن عمر، فخرج من حضرموت إلى ظفار، وجمع جموعاً وقصد بها عمه، فقتل ولده وطرده وآستولى على ظفار، وما إليها وذكر أن ذلك بعناية وسعاية من أخيه صاحب حضْرموت. وفيها توفي رضوان باشا أمير الحاج المصري، فناب عنه في الإمارة مملوكه الأمير قيطاس، النائب على جُدة بعد قتله مصطفى كما سلف.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَأَلْف - في آخر صفرها مات القاضي العلامة أحمد ابن صالح العنسي الأصل، ثم العياني، ثم البرطي، كان عارفاً بالنحو، والمعاني والأصول، وغلب عليه الكلام واللطيف، فتبحر فيهما على قواعد المعتزلة، وسمع الغايات وتذكرة إبن متّويه، من القاضي عبد الهادي الثلائي، وغلب عليه الشك في وضوئه وصلاته، وهو داء يعتري الفضلاء، وأصابه آخر مدته داء النُقرس في قدميه، ودفن بخزيمة مقبرة صنعاء اليمن. وفيها مات القاضي العارف حاكم ظفار وذيبين[١] محمد بن صالح بن حنش. وفيها وقع قتال بين ذيبان[٢] وعيال عبد الله من حاشد وبكيل فذهب من الفريقين أربعة أنفار.

وفيها سُمع في الجَوّ صوت مهول، وامرٌ من وراء العقول، وهو شيء من نمط الصواعق، والآيات الباهرة الخوارق، وحسب كل من بجهة شهارة وما والاها في بلدته فأخرب في دار القبة بشهارة جانباً، وأهلك في سيران رجل أو إثنان.

وفي ربيع الثاني وصل إلى الإمام السلطان بدر بن عمر شاكياً بما اتفق من ابن

---

(١) ذيبين: ناحية من نواحي محافظة صنعاء تقع إلى الشمال منها ومركزها يسمى ذيبين يحدها شرقاً نهم وغرباً خمر، وشمالاً خمر والمطمةِ وجنوباً أرحب وريدة.

(٢) ذيبان: قبيلة من أرحب واسم جبل تسكنه يبلغ متوسط إرتفاعه ٢٦٠٠ متر (اليمن الكبرى، ص: ٧٣).

أخيه من الغدر والإستيلاء على ظفار، وأن ذلك بسبب إثبات الخطبة له في تلك الأقطار، فاغتم الإمام لذلك الخلاف، ووعد ذلك البدر بالإنصاف، وأنزله في برج القبول، وَأَهَبَّ على مطلبه المقبول نسمة القبول.

الشّرُوْعُ في التّجْهِيزِ عَلَى سُلْطَانِ حَضْرَمَوْتَ - ولما استهل طالع جمادي الأول، برز في المنشية يضرب الوطاق[1]، ووصل إليه في أول جمادي الآخرة، عز الإسلام محمد بن الحسن، وكان يومئذٍ بصنعاء اليمن، فأحكما عقد ذلك المرام، وخاضا في بحر التمام، ثم كرّ ذلك البيهس الكرار، إلى محروسة ذمار، وقد قضيا الأوطار، وأزمعا على إصطفاء الصفي لفتح الشحر وحضرموت وظفار [٨٤].

وفي آخر الشهر المذكور وصل إلى الإمام من مكة المشرفة الشريف الحسن بن بان بجميع حشمه وجملة خدمه مغاضباً للشريف زيد وكان إليه ولاية الفوز، فأحسن منه النزول، وتلقاه بالقبول، وقرر أهله ببيت الفقيه[2]، برغبة من الشريف إلى ذلك لكون الجهات التهامية أنسب من الجبال بحال من خرج من مكة، وجعل لبيوته وأتباعه هناك ما يقوم بهم، وفي هذا الشهر توفي عبد الله بن المنصور بالله بذمار وقبر إلى جانب صُنوه العلامة الحسين بقبته المباركة.

وفي شعبانها جاءت الأخبار أن طائفة من أهل ينبُع أثبتوا للإمام الخطبة في بلادهم وكان له هناك عين من أهل صنعاء المهاجرين إلى تلك الديار يقال له الفقيه حسين النحوي، ولما علم بقية أهل البلاد أشفقوا من إشراف الشريف على ما فعلوه، وسعوا في ترك الخطبة فتركت، وكان الشريف قد توعدهم بمساعدة أميرهم، فأنه كتب عليهم سجلاً وأراد رفعه إلى السلطان، وكتب الشريف أيضاً إلى أهل المدينة بمثل ذلك. وفي شعبان أخذ الإمام يرعد ويبرق، ويؤذن بالنفوذ إلى المشرق، وعين له البيهس المصُور والحسام المشهور، أحمد بن الحسن بن المنصور.

---

(١) الوطاق: الخيمة (تركية) (المنجد، ص:٩٠٦).

(٢) بيت الفقيه: تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الحديدة - وتشتهر بصناعة الأقمشة اليدوية، وهي مشهورة منذ القدم بصناعة السجاد واللحافات وصناعة الصيغ الفضية والذهبية.. ونسبة بيت الفقيه إلى الفقيه أحمد بن العجيل الذي عاش في القرن السابع الهجري. (اليمن الكبرى، ص: ٩٠).

وفي رمضانها كان خروج محمد باشا عن طاعة صاحب الأبواب، مما أخرجه عن دائرة الصواب وجرعه من المنية ما هو أمرّ من الصّاب، وذلك أن المذكور كان مبوشاً بحُرجَة[1]، فأمسك عصى الكبر وضرب بها من بحر الخلاف في لُجّة، فعزله السلطان عن تلك البلاد، ورماه إلى دائرة الأبعاد، فأبت نفسه إلا العصيان، وإبراز صفحته للسلطان، فوجه إليه الأمير قيطاس نائب الدفتردار بمصر على جُدّة وغيره من الأمراء الكبرا، فأحموا عليه جحيم الحروب، وأهبوا على مغاطسه زعازع الخطوب وأمسكوه في قبضة الأسار، فَبَرَزَ عليه أمر السلطان بفصل الشجار، وقطع معقد الأزرار، وأصيب قيطاس بذلك الحرب فحُمل إلى مصر وأدركه حمامه، وفقد مقامه.

وفي الخامس عشر من شوال تهيأ صفي الإسلام للنزال، فسار إلى السر ومخلاف خولان، ثم منه إلى قحوان، ثم منه إلى رغوان[2]، واستقر إلى تمام ذي الحجة، ثم سار إلى مأرب وبيحان، وبقي بمحل يقال له الحما، ثم دخل أطراف بلاد العولقي، فوصل بلدة واسط، ثم سار منها إلى وادي حُجر[3]، وأدرك الجُند بهذه الطريق، مشاقٌ وتعويقٌ، لتوعر مسالكها [٨٥]، وكثرة مهالكها، وأكلوا لحوم الحُمُر[4]، وانقطعت القوافل عنهم، وفي هذه الأيام سار عز الإسلام محمد بن الحسن من ذمار إلى رداع رداً للجند العازم، ولما بلغه من المشاق التي نالت أخاه صفي الدين.

وفي شهر ذي القعدة مات الآغا محمد بن ناصر الحبشي نائب زبيد بألم النقرس، وكان طلع إلى صنعاء واستناب ولد أخيه الشيخ عبد الله بن سراج ولازم حضرة عز الإسلام بذمار وصنعاء حتى توفي في التاريخ المذكور، ولا أدري

---

(١) حُرجة: وفي معجم البلدان حَرجَة (من قرى اليمامة) وهي قريبة من الهجرة مُويهة لبني قيس. (معجم البلدان، م٢، ص:٢٤٠). وحُرجه أيضاً بلاد تقع بين السودان والحبشة.

(٢) رغوان: وادي في أسفل الجوف بين الحزم ومأرب (اليمن الكبرى، ص:٨٦).

(٣) وادي حجر: من أودية حضرموت وهو إلى الغرب من المكلا على بعد ٥٠ كيلو متراً (اليمن الكبرى، ص:٧).

(٤) الحُمُر: جنس من الحمير الوحشية أبيض اللون مخطط بخطوط سود (المنجد، ص: ١٥٣).

في أي المحلين كانت وفاته.

وفيها توفي السيد أحمد الشرفي المعروف بشريف الجن وكان له معرفة بأحوال الجان ويدّعي أنه يراهم ويسمع أقوالهم، وفد على الإمام من الشرف إلى ضوران فمات بها، وكان يقول أنه أخذ المعرفة عن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَأَلْف -

إنقطع فيها حاجّ العراق لما حصل بين الشريف زيد والشريف أحمد بن الحارث من الفتنة وطريق العراق تقطع عرض بلاد اليمامة[١]، وهي بلاد ولاية الشريف أحمد، وأما تجار الحسا فأنهم نفذوا من بندرهم البحرين المعروف بالقطيف[٢] إلى البحر الفارسي وخرجوا إلى عدن وتركوا مكة. وفيها جهز الإمام ولده محمد بن الإمام وولد أخيه محمد بن أحمد بعساكر إلى البيضاء لإصلاح الطرق، وتسكين القبائل، فنزلاها وآستقرا بها أياماً. وفيها صالت الجراد على البلاد.

وقام منها خطيب فوق سُنْبُلَةٍ إنّا على سَفرٍ لا بُدّ من زَادِ

حتى أفسدت مغارس البُن بأخرف[٣].

وفي ربيع الثاني توفي الفقيه العالم الأديب المهدي بن عبد الله المهلا النيساي الأصل ثم الشرفي، كان عارفاً في النحو مُشاركاً في الأصُول والسِّير وله شعرٌ متوسّط، وخطّ مقبول، حصل عدة من الكتب بالأُجْرة للإمام وولد أخيه عزّ الإسلام.

---

(١) بلاد اليمامة: هي المنطقة الواقعة اليوم بين الرياض والبحرين.

(٢) القطيف: مدينة في إقليم الأحساء شهيرة بحقول النفط والبساتين والكروم والتمور (المنجد في الأعلام، ص:٥٥٤).

(٣) أخرف: يقع إلى الشمال من حجة وهو وادي مشهور تجتمع إليه سيول عديدة ويصب إلى وادي مور (هامش صفة جزيرة العرب، ص:١١٥).

قَتْلَةُ أحْوَرَ[1] - وكان صفي الإسلام قد رتّب بأحور جماعة من البوادية الشجعان لإصلاح الطريق، وتنفيذ الخربة والأزواد والعليق[2]، وكان رئيسهم الفقيه محمد بن قاسم بن أبي الرجال، طلب من أهل أحور الجمال لتفد عليها الأحمال، خلال ذلك الضعف الذي حصل لِحُجر المفضي إلى قطع الزاد وأكل البهايم، فامتنعوا عن الإمتثال، وقد سبق في علم المليك المتعال، أن بُدن الله تُعقر من دون تلك الجمال، فتماسك الجُند وأهل أحور [٨٦] وقدم عليهم طائفة من العسكر، فصالوا على العسكر بسيوفهم وخناجرهم، وفتكوا بهم عن آخرهم، وهم نحو العشرين، وحين بلغ هذا رئيسهم محمد بن القاسم حمل حملة الأسد الضّبَارم، وأنشد لسان حاله وهو يجول.

وَمَا عِشت من بعد الأحبّة رغبةً ولكنـــني للنّائبـــات حَمُولُ

فرمى بنفسه على أهل أحور، وسل فيهم السيف الأبتر، بعد أن عاتبهم على قبيح الفعال، وشنيع الأحوال، ولكن عتابه وقع وسَورتِهم مُشتَعِلة وأوامر النصّر لَهمُ منفعِلة، ومع ركود ريح النّصر فسيفه القاضِب، مخراق لاعب، فألحقوه بأولئك النفر، وجرعوه من كؤوس المنية ما مرّ، وانحاز بقية أصحابه إلى جانب من القرية يستقبلون فيه بُؤسِهم، وَيَحفظُون نفوسِهم، فما كان بأسَرعِ من أن هجم عليهم أهل البلاد، وسَلُّوا عليهم الحداد، وأشرعوا إليهم أسنّة الصّعاد، ولم يخلصوا إليهم بضرر، وسلّمهُم الله من حر ذلك الشرر.

وفي هذه المدة إنتهب عسكر الحيمة سُوق المُحصَين، وعاثوا فيه ولما أُطلع الإمام، رأى أن الصواب في أن يتغاضى في ذلك المقام، فأودع كبارُهم الحبس، وكان قادراً على ما هو فوق ذلك بلا لبس.

وفي يوم الخميس سادس رجب بعثَ الإمام إلى قبائل برط من دهمة بدراهم

---

(١) أحْوَرَ: مخلاف واسع في جنوب اليمن يقع شرقي أبين، وهي أرض ساحلية وأهلها شجعان (هامش صفة جزيرة العرب، ص:١٨٧).

(٢) العليق: الأعلاف.

وأكسية بواسطة قاضيهم أحمد بن علي، وأمرهم بالغزو إلى أطراف بلاد الرمل شرقي برط، ومساقط الجوف، فغزوا إلى هنالك وبلغوا إلى بدوٍ ويقال لهم المعضّة والعرصَان، فانتهبوا أبلهم، ورجعوا مقتصرين على ذلك الفعل، وأراد الإمام من غزوهم هذا أن يقوم مدد جند حضرموت [قيل ولم يكن له أثر في ذلك لبعدها عن حضرموت][1] ولما طال بقاء الصفي بحجر، وتعسّر عليه الذهاب، وتحيرت أعماله في أنصاب[2]، بسبب عدم الجمال مع قرب فعلة أحور، ومالت قلوب الجند إلى الوجل، وأصابهم هنالك الضعف وأدركهم الوهل[3]، وأرسل الإمام أهل الحيمة إلى البيضاء ليرابطوا من ذلك الجيش، ويتأنس بهم الداخل والخارج إلى حضرة الصفي.

ثُمّ أن صفي الإسلام تجرّد تجرُّد الحُسام، وَعَبّ عبّة البحر اللهام، فانفصل عن حُجر وطلع العَقبة، وقد قدّم بعض عيونه ليسبرأحوال الطريق، فلما استقروا بأعلى العقبة، شارفوا على إدراك بعض الطلبة، فانهزم من أعلاها أول مقدمي السلطان. فمهد لمن بعده هذا الفعال وصنعوا صنيعة حذو النعال بالنعال، واستولوا على خزانته، وأزواده، وذخيرته[4]، وأمداده، وهذا المحل هو الذي يقال له (ريدة أبا مسدوس)، وعند ذلك طلعت [٨٧] على الصفي طلائع الإنتصار، وتواترت إليه قبائل تلك الأقطار، ثم تقدم إلى بلاد الهجرين[5]، ولم يبق بينه

---

(١) «قيل ولم يكن له أثر في ذلك لبعدها عن حضرموت» سقط هذا السطر من الناسخ فالحق في هامش المخطوط، وهو كامل في «أ» ورقة ٤٣، وكذلك في ب، جـ.

(٢) أنصاب: هي مركز بلاد العوالق العليا، وبها وادي أنصاب الذي ينصب إلى الشمال الشرقي من قراميش مذحج. (اليمن الكبرى، ص:١١).

(٣) الوهل: الفزع.

(٤) ذخيرته: (ذخرته).

(٥) الهجرين: يذكر الحسن بن أحمد الهمداني في صفة جزيرة العرب ص:١٧٠ أن الهجران مدينتان متقابلتان يقال لواحدة خيدون والأخرى ودمون وهي تثنية الهجر، والهجر القرية بلغة حمير والعرب العاربة، ويشير إلى قول الهمداني هذا ياقوت الحموي في معجم البلدان المجلد الخامس ص:٣٩٢ وهي واقعة في بلاد حضرموت، ويذكرها حسين بن علي الويسي في اليمن الكبرى ص:٨ بأنها من دوعن الذي (يحتوي على وادي دوعن الأيمن والأيسر ومنطقة المشهد والهجرين..).

وبين السُلطان غير مسافة يومين، وهو يومئذٍ في هينن[١]، فتلقاه الحضارم ركبانا ورجاله وقاتلوا عن منصب سلطانهم لا محالة، فأطلقت عليهم الرّصَاص المُذابة، ووجه إليهم الردى أسبابه، فخرّ مِنهم جماعات للجُنُوب، وآنهزم أكثرهم إلى الأودية والشعوب، وآنهزم السلطان من هينن إلى شبام[٢]، وقد طوى عنه بساط الأحكام، وَحُلّ عنه تاج الحل والإبرام، وأُدبرت عنه ريح النصر، وكاد أن يلقى يوم بدر، فدخل الصفي هينن بمن معه من الرجال والفرسان، وآستلم البيعة للإمام، واغتنم ذخائر السلطان، ثم عطف الصفي على شبام، فخرج عنه السلطان إلى محـل يقال له شَنافر، وامتثل نصفه الآخر، امتثال المأمور للآمر، فدخل الصفي شبام، وهي عين في مداين الإسلام، واستولى بها على منازل ذلك البدر، ونسي أصحابه ما قاسوه في أيام حُجر، ولما سقط في يد السلطان، رجع إلى الطاعة بعد العصيان وصلحت الأحوال، وعاد الصفي في أنعم بال، وأطيب فال.

وَفي أوّل رَمَضَانِ الكريمْ غزى محمّد بن الإمام ومن في البيضاء إلى بلاد الشيخ علي الهيثمي، فوصلوا بلاده على حين غفلة، فانتهبوا ما ظفروا به، ثم انتبه لمكانهم فحصلت مناوشة حرب، قتل فيها إثنا عشر من الفريقين، وفرّ الهيثمي إلى بلاد الفضلي، وسبب الغزو أنه أعان على قطع الطريق أيام التخريج على حضرموت.

وفي هذه السنة أمر الإمام بضرب الخمس الكبار[٣] فارتفع بسببها صرف القرش[٤] إلى مائة بُقشه[٥]، ثم إلى ثلاثة أحرُف[٦]، وقلّت القروش، ثم ضرب

---

(١) هينن: يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب هينن بأنها من أرض حضرموت، ويصفها بأنها قرية كبيرة في أسفلها سوق وفي أعلاها حصن.. وساكنها بنو بَدّا وبنو سهل من تجيب (صفة، ص:١٦٩). وهي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة شبام حضرموت.

(٢) شبام: وهي شبام حضرموت، تقع على وادي حضرموت إلى الغرب من مدينة سيئون، وتشتهر شبام بمنازلها الضخمة المتعددة الطوابق.

(٣) الخمس الكبار: نوع من أنواع العملة.

(٤) صرف القرش: ثمن القرش، والقرش هو في زماننا ما نسميه بالريال الفضي.

(٥) بُقشه: جمعها بُقش، وهي كسور القرش (الفكه).

(٦) أحرُف: نوع من الكسور أكبر من البقشة.

أحمد البقشه الأحمدية المعروفة، وفي هذه الأيام أرسل صفي الإسلام إلى حضرة الإمام بالسلطان بدر بن عبد الله فاستبقاه الإمام أياماً ثم أعاده إلى بلاده ومات لجهته كما يأتي في تاريخه.

وفي آخر رمضان غزى السيد شرف الدين بن المطهر الشيخ علي بن الهيثمي فوقع أوائل قتال وفرّ الهيثمي.

وفي شوال إنتشرت الجراد وأنحت على البلاد. وفيها جهّز الإمام ولده علي ابن الإمام، إلى الحج إلى بيت الله الحرام، فقضي المرام، وعاد إلى حضرة الإمام. وفي هذا الشهر وصل الهيثمي، والقرعة، والفضلي، إلى حضرة الإمام، فما ترك لهم من العطاء والإكرام ما يليق بأحوالهم، وأعادهم بعد صفاء الخواطر إلى رجالهم.

وفي هذه اتفق بين الإمام [٨٨] وسلطان الهند، رموز لطيفة، قاضية بأفكارٍ صحيحة وأذهان شريفة، تبصرة للمشاعر وتذكرة بقول الشاعر.

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا ونحن صموتٌ وَالهوَى يتكلَّمُ

وذاك أنه وَصَل إلى الإمام رَجُل من الهند يقال له محمدّ بن إبراهيم له إتصال بالسلطان، والسُلطان في العقيدة على نهج أبي الحسن الأشعري[١]، ويُعزى إليه العرفان والتقيد للإنصاف، وفي تهذيب الحاكم من كتب أصحابنا ردود على الأشعرية، فيها متانة ورصانة، فطمع الإمام أن يتفرس السلطان تلك الردود، وأن تخفق من رجوعه إلى مذهب الزيدية والمعتزلة بنود، فرتب هدية تليق بالشاجهان، وصدر من جملتها ذلك الكتاب في الفرمان، فلما اتصلت الهدية بالجناب، ووقعت عينه على الكتاب، عرف المراد عندما نظر منه في مضان الإعتقاد، وهيأ للإمام هَديّة سنيَّة، وأدمج أثناها أجَلّ تفاسير الأشعريَّة، وهو

---

(١) أبي الحسن الأشعري: هو علي بن إسماعيل بن إسحاق (٢٦٠-٣٢٤هـ/٨٧٤-٩٣٦م) مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، وقد توفي ببغداد، بلغت مؤلفاته ثلاثمئة كتاب منها (إمامة الصديق)، (مقالات الإسلاميين)، (الإبانه عن أصول الديانة) وغيرها (الأعلام، ج ٥، ص:٦٩).

مُؤلَّف الرازي[1] المسمّى بمفاتح الغيب، فأيس الإمام عن تلك الطلبات، وعرف أن العقائد صارت موروثة مع التركات.

ثم أنه رجع صفي الإسلام، واستقر بالبيضاء بعض الأيام.

وفي آخر هذا الشهر خرّ نجمان عظيمان، في بلاد شرعب[2] ضحوة النهار ببلدة يُقال لها الجشُب[3]، فأحرق من فيها ويقال سُمع صوتها في بلاد عُتمة، فأدرك بعض السامعين صممٌ ولله الأمر، وقيل أن هذه الآية الباهرة، وقعت عقيب إحراقهم الجراد والدبا بالنيران.

خُرُوجُ الْبَاطِنِي بِالْهِنْدِ - وفي هذه الأيام وفدت أخبار الهند، وفي طيها أن رجلاً من الباطنيّة[4] الطُغام، وَهُم أشدّ على الإسلام من عبدة الأصنام، إستخفّ قومه فأطاعوه، وأظهر دعوة النبوة فأشاعوه، وأذاعوه فمزق السلطان درع سحره المركوس، ودمغ بالتنكيل به رُؤوس الثنوية[5] والمجوس[6]، بأن رماه

(١) الرازي: هو فخر الدين، محمد بن عمر التيمي البكري (مات ٦٠٦ هـ/١٢١٠ م) إمام مفسر ولد بالرى وتوفي بهراة، واسع المعرفة له عشرات المؤلفات في العربية والفارسية وله بها شعر بديع، من كتبه (مفاتيح الغيب) المشهور بالتفسير الكبير، (المحصول في الفقه)، (فضائل الصحابة)، (الأربعين في أصول الدين)، (إبطال القياس)، (الهندسة)... (المنجد في الأعلام، ص:٣٠١).

(٢) شرعب: إلى الشمال الغربي من مدينة تعز على بعد ٤٠ كيلو متراً منها وتشمل عدداً من العزل، وأشهر جبالها الوضيحة، والأسد وأعلاها جبل حريم، ومن أوديتها جبل الزّراعي. (اليمن الكبرى، ص:٢٩، ٣١).

(٣) الجشُب: وفي (أ) الحشُب بالحاء.

(٤) الباطنية: هم الذين يأخذون بالمعنى الباطن للقرآن ويجعلون لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً، وأطلق المسلمون هذا الإسم على فرق عديدة كان لها شأن سياسي، أهمها القرامطة (المنجد في الأعلام، ص:١١٣).

(٥) الثنوية: فرقة من الفرق الدينية يقول أصحابها أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وبتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والعقل والحيز والمكان.. ومن هؤلاء الثنوية الفيلسوف ماني بن فاتك الفارسي الذي ظهر بمذهب المانوية في عهد سابور بن أزدشير وأسس ديناً بين المجوسية والنصرانية.. (دائرة معارف القرن العشرين، م٢، ص:٧٧٠).

(٦) المجوس: هم عبدة النار لفلسفة يؤمنون بها، فهم يعتقدون بأن النار جوهر شريف علوي، وإنها لم

بصَواعِق الجيوُش، حتى أودع جمعاً من أتباعهِ بُطون الوحوش وعطّله عن بَلَده وفرّق بينه وبين أهله وولده، وأحرق كتبه التي تلعّبت بالدّين، وأربت في الخُبث على أساطير الأوّلين، وفي هذا العام حصل بين أولاد السُلطان إختلافٌ وشجار، وأمورٌ غير مَبنيّة على قرار، لما أدركوه من شيخوخة والدهم مع إضطراب أحوالهم، وإختلاف مقاصِدهم.

ولما كانت بلاد البسوط، ونعمان متوسَّطة، بين بلاد العَولقي وبلاد الوآحدي وكانوا أيام الخروج على حضرموت قد قطعُوا الطّريق، وسعوا في سبيل التفريق [٨٩] رجع بهم الجملُولي في الحديد، فقرن منهم في الأصفاد كلّ شيطانٍ مَريد، وبفلهم صُلحت البلاد، ونفذ فيها الإصدار والإيراد. ثم ارتحل صفي الإسلام يؤمّ حضرة الإمام، فوصل ضوران في أبهة فاخرة، ودولة قاهرة، تعنوا لها الأكاسرة، ونصر عجيب، وفتح قريب. وفيها اشتهر رجل من لاعة[1] من بني الناشري، يتعاطى الكيمياء فنمى إلى الإمام وهو بصنعاء فأفرغ له منظرة فاحتال في ترويج صنعته، خشية من الفضيحة، وأُدرج في البوتقة[2]، بُرادة الفضة مع تراب قد أعده، ثم نزع من البوتقة سبيكةٍ قطع الإمام أنها من أثر صنعته، ولطيف حكمته، ثم استجاز من الإمام فركبّه على بغلة وأعطاه ما رآه، ولما انفصل عن الحضرة شكى به الغرماء وأنه استدان منهم مالاً وسار عنهم ولم يقضهِ، فعُرف احتياله، واضطراب أمره واختلاله.

والمعادن في اليمن مشهورة، لكن صنعتها لا تكون إلا بالإكسير، وكان مع ملوك حمير مخزوناً، وهو الذي بجّل ملكهم، ونضّد سلكهم، وقد عُدّ في اليمن ما

تحرق إبراهيم، كما أن تعظيمها ينجيهم من عذابها.. والمجوسية فرق عديدة منها، الكيو مرثية، الزروانية، المسخية، الزرادشتية ومنهم السيسانية، الثنوية، المزدكية، الديصانية، المرقونية، الكينونية، الصيامية، التناسخية. (دائرة معارف القرن العشرين، م٨، ص:٤٤٦-٤٥٨).

(١) لاعة: ناحية بمحافظة حجة مشهورة بالخصب وغزارة المياه وكثرة شجر البن، وتقع جنوب مدينة حجة. (هامش صفة جزيرة العرب، ص:١١١).

(٢) البوتقة: في (أ) البويقة.

بين بيشة[1] وَعَدَنَ، قدر خمسة وعشرين معدناً، منها معدن جبل عيشان[2]، ونهم، وخولان، وبينون[3].

وفي هذا الشهر جاء الخبر أن جماعة خرجوا بجمائل من حضرموت وكانت طريقهم شبوة[4] يريدون اللحوق بالصفي انتهبوا في الطريق ثم قتلوا.

وفي العشر الآخرة أظهر التعمية شريف، من بني الجلال يسمى بعلي، وليس حاله بعلي، وانهمك في أنواع منها فكان يضمّ راحته على شيء مدرك ثم يفتحها خالية، وفعله تعمية، أو بمصاحبة الجن، فحبسه الإمام بكمران[5]، فبسط حصرة[6] على ماء البحر ثم وثب إليها، وخرج سائراً إلى البرّ عليها، وكان خليعاً يقطع الصلوات، وينهمك في اللذات، ويعدل عن سيرة سلفه السادات، ودخل المشرق، ولعله كان منتهى سفره، ومنقطع خبره.

وفي هذا الشهر كانت بمنبر صنعاء أول خطبة، من القاضي صفي الدين أحمد

---

(١) بيشة: من أراضي شمال اليمن تقع في عسير ومن معالمها وادي بيشة الذي تأتي مياهه من فيفا وبني مالك، وهي إلى الشرق من ظهران (اليمن الكبرى، ص:١٢٠).

(٢) عيشان: جبل يقع شرقي شهارة من عذر (هامش صفة جزيرة العرب، ص:٢٦٧).

(٣) بينون: يقع في الشمال الشرقي من مدينة (ذمار) في محل يسمى ثوبان من بلد عنس (هامش الإكليل، ج١، ص:٤٩٧). وقد ذكره كثير من الشعراء في أشعارهم، قال أبو علكم.

نحن المقاول والأملاك قد علمت ... أهل المواشي بأنا أهلُ غمدانا
وأننا رب بينون وأضرعةٍ ... والشيد من هكر ناهيك بنيانا

وقال علمقة ذى جدن.

واسل بينون وحيطانها ... قد نطقت بالدر والجوهر

وقال تُبع.

وبينون مبهمة بالحديد ... ملاز بها الساج والمرعر.

(اليمن الخضراء، ص:٢٨٠، ٢٩٢).

(٤) شبوه: مدينة من مدن حضرموت، كانت قديماً عاصمة لدولة حضرموت، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة شبام حضرموت.

(٥) كمران: من الجزر اليمنية الواقعة في البحر الأحمر إلى الغرب من ميناء الصليف الواقع إلى الشمال من ميناء الحديدة.

(٦) حِصرة: فراش يصنع من خوص النخل ويسمى كبيره حصير وأما الصغير منه فيسمى حِصرة.

ابن سعد الدين فأطاب وأطال، وصال وقال، وبدل شيئاً كانت الخطباء تعتمد ذكرها، وآبتدأ ذكر الإمام الولي، زيد بن علي عليه السلام.

وفيه جاء الخبر أن صاحب عُمان جهّز على ظفار، بدلالة جعفر بن عبد الله الكثيري وآستدعائه. وفي هذه السنة خرج إلى اليمن والحرمين السيد محمد بن إبراهيم الهندي المذكور سابقاً ومعه للإمام هدية عرف منها قدر عشرين من البراذين[1] الملونة ببياض وسواد وهي [٩٠] مما لا يكاد يوجد في هذه البلاد، وهدية إلى صاحب الحرمين وعارضه في يريم ألَمٌ فتوفي هناك، ونفذ الآغا من جهته إلى حضرة الإمام بالهديتين فقبض ما هو إليه، وحفظ هدية الشريف حتى وصل لها نائب آخر من السلطان.

وفيها جاءت الأخبار باضطراب أولاد الشاجهان، بعد وفاته واستقرار المُلك والترتيب في يد ولده أورنقزيب، بعد أن عرض واحداً من أخوته على الإنطاع وأقحم الآخر بفيلة البحر وهو الشاالشجاع. وفيها اعترض العلامة أحمد ابن علي الشامي، في شأن إهدار الدماء الذاهبة في مدة الأروام، وفي سماع الدعوى فيها فيما يحصل من الخصومات، وصنوف التعدى بين المتأخرين، وأنجر كلامه إلى غير ذلك، وقد سبق إلى مثله القاضي عبد القادر المحيرسي وضمن السيد ذلك رسالة منها:

أعلم أرشدنا الله وإياك، أنه قد صار يتعاطى بعض علماء العصر التجَاري. بالتكفير والتفسيق، والفتاوى بإهدار الدّماء وهو ظاهر البطلان لأن دار الحرب حيث فرضت وقيل بها في البلاد التي ولايتها على أهل الجبر والتشبيه، إنما هي دار إباحه فيما بين الكفار، وأما بين المسلمين فلا وجه لإهدار الدّماء التي حرمها الله، وأكد تحريمها وأجمع أئمة الآل وشيعتهم على ذلك. إلى أن قال وكذلك القول بسقوط القصاص فيها إنما يتجه على قول من يجعله حداً وذلك غير معمول به عند من تقدم ذكره والروايه الصحيحة عند أبي طالب القول بثبوته كما في التذكرة

---

(١) البراذين: مفردها برذون، وهي دابّة الحمل الثقيلة (المنجد، ص:٣٣).

وغيرها، ثم قال ولو فرض صحة النقل عن أبي طالب فهو مسبوق بأجماع سلفه كيف والأدلة القرآنية، والسنة النبوية، قاضية بثبوته نحو قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾[1] ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[2] ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾[3] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾[4] وقوله ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[5] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين، أو كما قال والمصير إليه في الدار المفروضة لا يعتمد عليه، ولا يلتفت إليه، مع ما ذكرتم، ثم قال وأما لو قال أن المسلمين يكفرون بإقامتهم في تلك الدار، فهذا أبعد ونفيه أحقّ ارشد لقيام الأدلّة الواضحة في ثبوت الإسلام في دار الكفر قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَالَكُم مِنّ وَلاَ يَتِهِم مِنّ شَيْءٍ﴾[6] في آخر الأنفال، ولإجماع السّلفَ والخَلَف، من أهل الحل والعقد، وغيرهم على صحة إسلام من أسلم في مَكّة قبل مهاجرته صلى الله عليه وآله وسلم، من النساء والرجال كأبي بكر وغيره، وإسلام أهل البيعتين[7]، وغيرهم ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع كونهم في بلاد الشرك، وأما تكفير القاعد مع الخائض[٩١]فالسبب أن ذلك القاعد كافر بالأصالة لأنهم من أهل النفاق، ويدل عليه قوله تعالى، في سورة النساء بعد قوله. ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[8] إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[9] ثم قال وقوله في آية الأنعام ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[9] ثم قال وفي القعود المنهى عنه

---

(١) من سورة البقرة، الآية ١٧٨.
(٢) من سورة البقرة، الآية ١٧٩.
(٣) من سورة البقرة، الآية ١٩٤.
(٤) من سورة النحل، الآية ١٢٦.
(٥) من سورة المائدة، الآية ٤٥.
(٦) من سورة الأنفال، آية ٧٢.
(٧) أهل البيعتين: بيعة العقبة وبيعة الرضوان.
(٨) من سورة النساء، آية ١٤٠.
(٩) من سورة الأنعام، آية ٦٩.

ما عرف من الخلاف مع أن كفر من وقف مع الخائض إنما هو حيث رضي بالكفر، بما علمه مما يؤدي إليه، ويقضي على قائله به، بدليل قوله ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾[1]، ومن لم يُعلم منه الرضا فالإقدام على تكفيره هجوم وإقدام، على ما لا ينبغي لذي لُبّ وحَذَرَ، فكيف بمن كان من أهل العلم والنظر، لأن التكفير والتفسيق إنما هو بالأدلة القاطعة، كما لا يخفى ذلك بدليل قوله تعالى، ولكن من شرح بالكفر صدراً، مع ما في هذا القول من المفاسد، فأنها لو إمتدت يد إمام زمان على أقطار كثيرة صاروا مسلمين، فإذا كانت الكرة بعد ذلك لأهل العدوان، لزم أن يكونوا مرتدين علمائهم، وجهالهم، ولزم عدم صحة أنكحتهم ومواريثهم، وفي هذا ما يكفي ويصد عن الميل إليه، والتعويل في مثل ذلك عليه، مع أن مسئلة التكفير فيها من الخلاف والإختلاف ما لا يخفى على ذوي الأبصار، في التكفير بالإلزام، والتكفير به لا يليق، ولا يقوم به حجة لأن التكفير إنما هو بالأدلة القاطعة كما سبق ذكره، وللإمام شَرفَ الدّين كلام حَسَن في مثل هذا الشّأن إنتهى كلام السيّد. وفيه متانة ورصانة، إلا قوله أن التكفير والتفسيق إنما هو بالأدلة القاطعة فلم ينتهض له دليل، ولا وضح له في سير الإستقامة سبيل، والإستدلال عليه بأنه أضرار بالغير فلا بد أن يستند إلى قاطع كما في كتب الأصحاب منقوض بإضجاع المُسلم للذّبح بشهادة ظنيّة، والقول بأن هذا خصوص، كلام من يستروح إلى دفع البراهين، بمجرد الدعاوي، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد إستند في تكفير بني المُصطلق[2] إلى قول الفاسق بنصّ القرآن، الوليد بن عُقبه فجهّز عليهم ثم نزل قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[3] الآية، فضيحة لذلك الفاسق اللعين، وأمراً بالتبيُّن

---

(١) من سورة النحل، آية ١٠٦.

(٢) بني المصطلق: من خزاعة بلغ الرسول أنهم يجتمعون لقتاله بقيادة الحارث بن أبي ضرار فخرج إليهم سنة ست للهجرة ولقيهم عند ماء لهم يقال له المُريسيع فهزمهم، ثم تزوج جُوَيْرية بنت الحارث وأعتق مائة من بني المصطلق إكراماً لها. (المختصر في أخبار البشر، ج١، ص:١٣٧).

(٣) من سورة الحجرات، الآية ٦، وسبب النزول أن النبي بعث «الوليد بن عقبة» إلى الحارث بن ضرار ليقبض ما كان عنده من الزكاة التي جمعها من قومه، فلما سار الوليد واقترب منهم خاف =

عند إخباره للمؤمنين، والمنصُور بالله عبد الله بن حَمزة[1] يذهب إلى التكفير بالأُحادي، وكذا الفقيه حميد، ذكره في العمدة، وهو الذي انتصر له الحجة محمد ابن إبراهيم. في إيثاره وعَوَاصمه [٩٢]. وقد نقلت معنى هذا بأوضح مِنه في رسالتي المُسَّماه بإرسال الذُوَابَةَ، وعندَما اطلع الإمام على هذه الرسالة أعني رِسَالة السيد صفي الدين حررّ عنها جوَاباً، ورأيت لبعض من وقف عَلى جَوابه أنه صَادَف غير محلّ النزاع ولم أقف عليه.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَلْف - وفي شهر محرم منع الإمام أهل الذمّة من عصير الخمر في بيوتهم، وأمر بكسر أواني الخمر، ولمّا وَصَلَ مشائخ المشرق إلى الحضرة صحبة الجملولي مُكبّلين في الحديد أفرد الإمام منهم الهيثمي بالهوان، وإيداعهِ حصن كوكبان، لكثرة إسَاءته وقوة جرأته، واستوثق من سائر المشايخ وأخذ عليهم حفظ الطريق، وأعادهم على مناصبهم إلى بلادهم.

وفيها ظهر في صنعاء ثلج على الأشجار، وفي صفرها عقد الإمام لولده عز الإسلام في ضوران وبلاد آنس فسار إليها من صنعاء واستقر بها، وهو في التشرع على نمط واحد، ما عرف بغيره.

وفيها جاء الخبر أن أولاد ملك العجم ثارت بينهم الفتن في بلاد اللاهجان، وهي من قاعدة ممالكهم، وأهلها إمامية، وحكى قطب الدين النهرواني[2]، في بعض كُتبهِ أنه كان بلاهجان زَيديَّة في رأس المائة التّاسِعَة، لكن ذكر بعضهم

= وفزع، فرجع إلى رسول الله وقال: يا رسول الله: إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فهم بعض الصحابة بالخروج إليهم وقتالهم فأنزل الله الآية. (صفوة التفاسير، ج١٦، ص:٤٥).

(١) عبد الله بن حمزة: هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة (٥٦١-٦١٤ هـ/ ١١٦٥-١٢١٧ م) تسلم الإمامة بتكليف من أهل عصره، وأكثر أخباره معارك مع سلاطين بني حاتم.. وعندما قدم إلى اليمن طغتكين بن أيوب وقعت بينه وبين الإمام معارك إستمرت حتى مات طغتكين سنة ٥٩٣، وتم الصلح بينه وبين علي بن حاتم بعد أن جدد لنفسه الدعوة. وله مجموعة كبيرة من المؤلفات تبلغ حوالي ٦٦ مؤلفاً في أكثر من موضوع (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٥٣٨).

(٢) قطب الدين النهرواني: هو محمد بن أحمد بن محمد بن قاضي خان محمود النهرواني، قطب الدين الحنفي (٩٨٨ هـ/١٥٨٠ م) مؤرخ من أهل مكة، له «الإعلام بأعلام بلد الله الحرام»، «البرق اليماني في الفتح العثماني» وغيرها (الأعلام، ج٦، ص:٢٣٤).

عن الحكيم محمد صالح[1] حكيم صنعاء أنه لم يبق للزّيديّة مَذهَب هناك في هـذا العصر الأخير، وهذا محمد صالح خرج من العجم إلى اليمن، بدولة المتوكل، وقد برع في الطبّ وظهرت عنه فيه خوارق، وعلى الجملة لم يسمع في العصور المتأخرة بعد الشيخ داوود صاحب التذكرة بمثله، وكتب بخطه عدة من كتب الطب في اليمن وكان قد خدم رجالاً في العجم في هذا الفن وترتب عليهم، وتنقل معهم في الأسفار، وخاض معهم البحار، روى شيخنا العلامة الحسين بن محمد المغربي[2] حفظه الله عنه، أنه قال ما معناه: خدمت حكيماً نصرانياً وكنت متشدداً في نجاسة رطوبته ولا أظهر له من ذلك شيئاً، فركبت معه البحر، وشاهدت مَدّه والجزر، فاتفق أنّه قَطع ذات يَوم حبَّة من الخيار، وقلبها من اليمين إلى اليسار، ثم أرسل إليّ قطعة لأكلها، فانتولتهَا وَمَا زلت به حتّى غفل عني لبعض حاجاته ثم أرسلتها في البحر.

وكان يتعاطى علوم العربية؛ وشيئاً من علوم الفقه، ولا يعرف شيئاً من ذلك والكمال موزّع، وأصلُه من بلاد الجيل.

وفي النصف الآخر من ربيع الأول، توفي القاضي العلاّمة إبراهيم بن الحسن العيزري الأهنومي، بمدينة صنعاء كان مُلاَزماً للكتابة للإمام [٩٣] وعليه فصل القضايا والأحكام، وله مقصد مليح، ورأي صحيح، ودفن بخزيمة غربي صنعاء.

وفي العشر الوسطى من جمادى الأولى توفي حاكم برط، القاضي العلامة أحمد بن علي بن قاسم العنسي، ثم العياني، كان عارفاً بالفقه، وعلم الكلام كوالده، وكان

---

(١) محمد صالح: هو محمد بن صالح الجيلاني الفارسي ثم اليمني (مات سنة ١٠٨٨ هـ) نشأ ببلاد (فارس) وأخذ علم الطب عن أهلها ثم ارتحل إلى الهند فاشتهر بها وتوجه للحج فانكسر المركب، وخرج بنفسه وأقام بمكة زماناً، ثم ركب البحر يريد بلاد الهند فعلم به الإمام المتوكل على الله إسماعيل أثناء توقفه بساحل اليمن، فاستدعاه وأحسن إليه ورغبه في سكنى اليمن وأجرى له النفقات الواسعة، وانتفع به الناس واشتهر وله حكايات وغرائب في الطب ذكرها بعض كتاب عصره. (البدر الطالع، م٢، ص:١٧٤).

(٢) الحسين بن محمد المغربي: هو الحسين بن محمد المغربي اللاعي (١٠٤٨-١١١٩ هـ) أخذ علومه على بعض علماء صنعاء منهم محمد بن إبراهيم السحولي، وبرز في الحديث وألف فيه ثم أعطى منصب القضاء العام في عهد المؤيد بالله محمد بن القاسم. (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٥٩).

إستقراره ووالده بمدينة عيان[1]، ثم لما خربت ذلك الوقت انتقلوا إلى برط، فاستقروا به وصار إليهم واجبات قبائلهم، باختيارهم وتخيرهم، وأجراهم على ذلك المؤيّد بالله إلا ما فضل عن كفايتهم، واستمروا على ذلك ووصل إلى الإمام وهو بصنعاء وقبائله من برط لزيارة الإمام، فصادف وفود الحمام، كانت وفاته ببير العزب غربي صنعاء ودفن بخزيمة.

وفي هذه السنة توفي قاضي جبلة، القاضي العارف صلاح الفلكي. وفي العشر الوسطى من الشهر المذكور، سار الإمام إلى بلاد شهارة، وانتشرت فيه الجراد، وأتت على ثمرات البلاد، فوجفت القلوب، وارتفعت أثمان الحبوب. وفيها اتفق إختلاف بين قلوب الأمراء الذين بمصر من قبل السلطان وافتراق العسكر بقاهرة مصر وفي شهر جمادي الآخرة حَصَلَ بعض إختلال في طريق عدن، من حدود بلاد الفضلي في الجهة الجنوبية، وقتل هناك أربعةٌ من العسكر، فأرسل صفي الإسلام من كَشَفَ أمر العسكر؛ ورسم أدباً بمقتضى ذلك الفعل المنكر، ثم وقع إختلال ببلاد الفضلي والهيثمي إقتضى نهوض الصفي إلى تلك الجهات بنفسه، فأصلح ما فسد من الجهة، وهرب الفضلي عن محله. وفي آخر رمضان ذكر أنه إتحد الأمر بين السلطان بدر بن عمر الكثيري، وولد أخيه السلطان جعفر، وطلب من عمه أن يتوسط له في أخذ الأمان من الإمام، والوصول إليه.

وفي هذه السنة خرجت بنت سلطان الهند من البحر إلى محروس المخا بأموال وخدم وأتباع وحشم تريد الحج إلى بيت الله المعظم، ونفحت نائب المخاء السيد زيد بن علي جحاف بمال عظيم، وهدية فاخرة، وأخبرت أن بالهند شدة شديدة.

وفيها ساخ جبل في جهات بني عشب [2] فأخرب قرية تحته إلا بيتين في طرفها، ودفن كثير من أموالها. وفي شوالها توفي بصنعاء الفقيه العارف علي بن يحيى الخيواني، ثم الصنعاني، كان مكفوفاً وزاد عمره على الثمانين، وشارك في

(١) عيان: بُليدة أسفل نقيل حجة من الغرب (هامش صفة جزيرة العرب، ص:١١٢).

(٢) بني عشب: من بلاد حجة (هامش طبق الحلوى).

الفنون مع جَدَل، وحدّة، وأدرك في حفظ السير، والقصائد يداً طُولَى، ودرس في أصول الفقه وغيره.

وفي العشر الآخرة من شوال توفي السيد العلامة شمس الإسلام أحمد بن علي الشامي من ذُرية الإمام يحيى [٩٤] ابن الحسن بن محفوظ الذي مشهده بساقين من بلاد خولان صعدة الشام، ولأجله عرف بالشامي، كان مع أهله بسور من خولان صنعاء فانتقل إلى المدينة، وأقبل على جميع العلوم في مدة الوزير حسن[١]، فأدركها وَبَرع في فقه الزيدية، والفرائض، وتخرج على العلامة المفتي، والقاضي يحيى السحولي، وغيرهما وجعله الباشا إماماً لمسجد الشهيدين[٢]، وفوضه في غلة بين الشهدين، فبقيت في يده حتى مات ثم قبضها نظار الوقف، وما زال مع إشتغاله بالعلوم، والتعلق بوظيفة المسجد يشارف على عقود الأنكحة، وأجوبة الأسئلة، فارتفع ذلك إلى الأفندي من قبل الباشا وهما مما يصير إليه، في مقابلتها رعايات كما ذكروا، فتغير خاطر الأفندي، وبلغ إلى السيد عنه ما أوحش خاطره وأوجب خروجه إلى الحيمة، وكانت يومئذ مائلة قلوب أهلها إلى الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، فعظموا جانب السيد وأنزلوه منزلة أمثاله، من العلماء العاملين، ودارت بينه وبين الإمام مكاتبات فقرره على البقاء في الحيمة، واستنابه على جانب من أعمالها، ولازم آخر مدته العلامة الحسين بن المنصور، سفرا وحضراً، واعتمده في الفتاوي والحكومات، وحكمه فيما شاء من وجوه الرعايات، فإنه بذلك خليق فإنه عين في أهل اليمن، علماً وعملاً ورئاسة[٣]، واستقر بعد موت الحسين ببيته في السبحة غربي صنعاء يدرس في

---

(١) الوزير حسن: هو حسن باشا والي عثماني حكم اليمن (١٥٨٠-١٦٠٥ م) وهو أحد مماليك السلطان مراد الثالث، وتميز عهده في اليمن بقدرته على توطيد السيطرة العثمانية ومدها إلى جهات لم تمتد إليها من قبل (الفتح العثماني الأول لليمن، ص:٣١٦، ٣٣٥).

(٢) مسجد الشهيدين: من المساجد العامرة في الشمال الغربي من سوق صنعاء، وسمي هذا المسجد باسم الشهيدين أولاد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما قثم وعبد الرحمن اللذان قتلهما بسر ابن أرطأة العامري في نحو سنة أربعين للهجرة (مساجد صنعاء، ص:٥٩).

(٣) رئاسة: (رياسة).

الفنون ويفيد بالفتاوى وقد كف بصره، وكان له على أهل البطالات وطأة شديدة، وله أنظار على نهج الصحة والرصانة مشحونة بها الكتب المأنوسة للدرس والتدريس، واختيارات منها فسخ زوجة الغائب، والقول بمذهب القاسم والمالكيه[1] من طهارة قليل الماء ما لم يتغير أحد أوصافه، والقصاص في اللطمة[2] كما هو مذهب يحيى، واختاره الإمام شرف الدين عليه السلام، وآنفرد بقوله إن الزوال ميل الظل أدنى ميل في الشتاء والصيف من غير فرق كذا روى عنه، ونقل القرآن غيباً بعد أن كف بصره، واستكتب جامع الأصول لإبن الأثير، وسمعه عليه بعض أولاده فكان حسن الختام، وقبر جنوبي مسجد باب السبحة خارج صنعاء اليمن.

وفيها أو التي قبلها توفي العلاّمة المحدّث أبو عَبد الله محمد بن عُلاّ الدين البابلي المصري، إستقر بمكة أياماً ينفتق بديعة آرائه زهور العلوم العقلية والنقلية، ويتعطر بنفحات إملائه مجالس السنة النبوية، مع حفظ رائع، وتلقين نافع حتى شُهد له مَن يُسند إليه العرفان في فنون شتى [٩٥] وأنه وحيد عصره، وإمام دَهرِه، ولما فارق حبيبته إشتاق إلى وطنه من بلاد مصر فسار إليه، ومات فيه، ومن المنسوب له

رُبّ إمـــامٍ قَليـــل فهمٍ يَؤُم النّـــاس ثم يُجحِـــف
مُخالِفـــاً فيـــه قول طـــه من آمّ بالنّـــاس فليُخفّـــف

وفي شوالها توفي الشيخ العارف عبد الرحيم بن بادشاه اللاّهُوري، بمحروس شهارة حضرة الإمام، كان متمسكاً بالعمليّات غير خالٍ عن الفَائدة، وقد سَمع في الحديث من البابلي مُقدّم الذكر والعَلاّمة زين العابدين بن عبد القادر الطبري وذكر أن أعلى من الأسانيد في وقته إسناد زين العابدين شيخه، وآستكتب بحضرة الإمام أحكام الهادي، وأمالي أحمد بن عيسى، ومستدرك الحاكم، وأكثر

---

(١) المالكيه: نسبة إلى مالك بن أنس الأصبحي (٩٣-١٧٩ هـ/٧١٢-٧٩٥ م) مؤسس المذهب، وهو أحد المذاهب الفقهية الكبرى في الإسلام. (المنجد في الأعلام، ص:٦٢٩).

(٢) اللطمة: الصفعة.

مجمع الزوايد في الحديث للهيثمي، وكان بمحل من الديانة، ومن لطيف ما أتفق عنه أنه قدمه الناس بمسجد الجامع بضوران للصلاة لعدم حضور الراتب، وجلالة قدره وهو يرى الرفع عند التكبيرة، ووضع الكف على الكف، قال: فعارضت في نفسي بين أن أفعل بمقتضى مذهبي، وينقض هذا الجمع ويتغير خواطر أكثرهم، أو أترك وهو سنة في مذهبي، ثم رأيت الترك، وأديتها كما يحبون، وما فاتني من ثواب السنة، جبره ثواب التجميع، وعدم التفرق في الدين.

هذا معنى كلامه رحمه الله.

وفيها توفي الشريف حسن بن باز المكي[1]، والسيد علي بن إبراهيم الحنكي، وكان له مشاركة في العلم وبلغ في العمر فوق مائة سنة، حتى سقطت شعور حواجبه على عينيه، وأقعد آخر عمره، وأما سمعه وبصره فلم يتغيرا، كان نايب بلاد ذيبين، وأوقاف مشهد الإمام الأعظم أحمد بن الحسين[2] رحمه الله. وفي آخر شهر ذي القعدة جاءت الأخبار أن أصحاب صفي الإسلام أحمد بن الحسن غزوا إلى بلاد الجيد، لقبضه وقبض الفضلي، فلم يظفروا بالجيد ،وظفروا بالفضلي، ثم أفلت من أيديهم، وفر إلى والي عدن أمير الدين القرشي، فأمنه وأرسله الحضرة.

وفيها مات السيد الرملي الفلكي، سليمان بن محمد بن عامر.

وفي هذه المدة أمر عماد الدين يحيى بن محمد بن الحسن بإعادة النوبة وكانت قد تركت من أيام دولة الحسن بن المنصور، فهيئت أدواتها، واستكملت آلاتها،

---

(١) حسن بن باز المكي: كذا، في الأصل، في (أ، ب، ج) (بن بان).

(٢) أحمد بن الحسين: هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين المكنى بأبي طير (٦١٢-٦٥٦ هـ) دعا إلى نفسه سنة ٦٤٦ وبث دعوته في شتى أقطار اليمن فأجابه الأشراف بنو عبد الله بن حمزة ونقضوا صلحهم مع بني رسول، فأرسل عسكره إلى قرى همدان، وحاصر حصن الباطنية (شبام)، ودخل بنو رسول بصراع معه ودارت بينهم عدة معارك أشهرها موقعة (بيت نعامة) من حضور سنة ٦٤٧ هـ، وقد توسع نفوذ الإمام بعد مقتل السلطان نور الدين الرسولي فدخل مدينة صعدة وانتقل إلى صنعاء وأخرب ما فيها من مآثر بني رسول، وقد قتل في معركة مع خصومه هولاء، ومن مؤلفاته «حليفة القرآن ونكت من أحكام أهل الزمان» و«الرسالة الزاجرة لصالحي الأمة عن إساءة الظن بالائمة». (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٥٤٨-٥٤٩).

فرجفت طبولها في قلوب أهل العناد، وأوبت عند سماعها جبال الصافنات الجياد، وفيها مات الشيخ السلمي من أكابر مشايخ اليمن، وممن عظُم شأنه في ذلك الزّمنَ، وبموته سقط جلالهم، واضمَحلّ حالهم، وتفرق عبيدهم في الجهات[٩٦]، وتشتتوا تحت كل كوكب لطلب الأقوات.

وفيها وصل السُلطان جعفر الكثيري، والشيخ الفضلي إلى حضرة الإمام، وفي ثاني عيد النحر أو في ثالثه توفي القاضي العلامة حاكم المسلمين ببلاد كوكبان الحسن بن أحمد الحيمي، سكن وأهله بمدينة شبام يعفر[١]، وكان عارفاً بالفقه، مشاركاً في الفنون، أحسن مشاركة صاحب عارضة، وذكاء وهو الذي دخل الحبشة، رسولاً للإمام، وله الأن ذرية يعرف من حالهم المروءة والرئاسة[٢]، رأسهم ورئيسهم ولده القاضي العلامة محمد بن الحسن بن أحمد، وله الإنشاء الرقيق، والنظم المطبوع، والكرم الخلقي، ومحبة صنيع المروة، ولو بمشقة يدرس في الفنون، بذهن أدق من خط إقليدس[٣]، وأمضى من السيف وله مقالات في الزهديات وغيرها.

وفي آخر ذي الحجة وصل صفي الدين أحمد بن الحسن إلى مستقر أهله، الغراس، وذي مرمر، وفي هذا العام عطل مرض الحمى والنافض[٤] بيوتاً والأمر لله سبحانه. وفيها مر بعض الهنود بهيجة[٥] من بلاد تهامة، فعقر عليه الأسد حماره وتركه فريسة يوافيها الليل، فيأكلها على ما هو قاعدة الأسد في أنها لا تأكل ما عقرته بالنهار إلا الليل، فألهم الهندي سُم الفأر، فوضعه في جوف

(١) شبام يعفر: مدينة صغيرة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة صنعاء، إتخذها يعفر بن عبد الرحيم الحوالي قاعدة لدولته فنسبت إليه.

(٢) الرئاسة: (الرياسة).

(٣) إقليدس: عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وهو رياضي يوناني علّم الهندسة في الإسكندرية على أيام بطليموس الأول، وقد وضع مبادىء الهندسة المسطحة (المنجد في الأعلام، ص:٥٧).

(٤) الحمى والنافض: لعله مرض الملاريا.

(٥) هيجة: الهيجة هي الغابة الصغيرة الكثيرة الأشجار.

الحمار، ثم وافاه الأسد فأكل منه فهلك، ثم جاءت الأسود فأكلت منه فهلكت، ثم كذلك حتى تغطت[1] الأسود بتلك الميجة، وكثير من الهياج.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَلْف - غلت فيها الأسعار، وقلت فيها الثمار، وشمل القحط سائر البلاد، وانتشر فيها الجراد، وفيها توفي السيد حسين المؤيّدي عَامِل العُدَين، فأراد أولاد السيد محمد بن أحمد بن الإمام أن ينتظم لهم فيها حال، فلم يتم لهم من أجلها مقال، واستولى عليها عماد الدين يحيى بن محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين، وكان الإمام قد أراد أن يُولّيهَا، فحال بينه وبين ذلك عز الإسلام، ونبهه على أن البلاد بلادي، فيها عاملي.

وفيها إنتهب المحمل الشامي قبائل عَنَزَة[2] ولام[3]. وفيها يوم الإثنين توفي السّيد العلاّمةَ عَبد الرحّمن بن محّمد بن شَرف الدين الجحافي بمدينة صنعاء وكان عاملاً بحفاش، للحسين بن أمير المؤمنين المنصور ثم للإمام المؤيد بالله، ثم للإمام المتوكل، وعذره عن عمالتها فاستقر بصنعاء على أحسن حال، كان عارفاً بالنحو، وأصول الفقه، والمنطق، وله شرح على غاية السول، وكان متواضعاً إلى نهاية، وَتمسّك بالسُنّة النّبوية، فسمع مختصر الديبع لجامع الأصول، واستجاز فيه وفي غيره من السيد العلامة [٩٧] إبراهيم بن يحيى بن الهُدي، وسمع صحيح مسلم على الفقيه العلامة عبد الواحد النزيلي كما تقدم.

وفي العشر الآخرة من ربيع الثاني توفي السيد العلامة الحسين بن محمد النعمي التهامي من صبيا[4] سار إلى مدينة صعدة فقرأ بها الفقه على القاضي شهاب الدين

---

(١) تغطت: وفي (أ، ب، جـ) تعطلت.

(٢) عنزة: من أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر، تمتد منازلهم من الحجاز إلى بادية الشام (المنجد في الأعلام، ص: ٤٨٠) ويصف الهمداني في صفة جزيرة العرب ص: ٢٥٥- ص: ٢٥٨ أوطان قبيلة عنزة وساكنيها بنوع من الدقة.

(٣) لام: لم أعثر عليها ولعلها فرع من قبيلة عنزة.

(٤) صبيا: من المدن الرئيسية في ساحل الخلاف السليماني وتقع إلى الشمال من جيزان بمسافة ٤٠ كيلو متراً. (اليمن الكبرى، ص: ١١٩).

أحمد بن يحيى حابس وغيره، ثم وصل صنعاء فقرأ على العلامة المفتي في الفقه ودرّس فيه ولم يكن له في غيره يدٌ.

وفي هذا الشهر سار عز الإسلام محمد بن الحسن من صنعاء إلى اليمن الأسفل فاستقر باءِبّ وجبلة، واقتضى الحال أن يكفّ يَدَ وَلَدَه يحيى عن كثرة التصرُّفات لما رآه من كرمه وتهالكه على فعل المعروف، واستبد في نزوله هذا بمحصول بلاد العدين، وفي آخر هذا الشهر سار جمال الدين علي بن أحمد بن أمير المؤمنين إلى فيفا[1] وانضم إليه رئيس الإمام الفقيه ......[2] الجملولي فواجه إليه بنو مالك ومن انضاف إليهم، وفيه انتهب الثمشي من مشايخ سفيان دراهم للحطروم في العمشية[3] في الوقت الذي عهدته في تأمين الطريق فيه، فعيبه قبائله على قواعدهم، واسترجعوا منه أكثرها.

وفي هذه السنة أو التي تليها تهيأ السيد العلامة عبد الله بن حسين بن جحاف للحج، فلما وصل صبيا حضر صلاة الجمعة هنالك فسمع من الخطيب تقديم المشايخ على أمير المؤمنين والجمع بين الإمام والسلطان صاحب الأروام، فلم يتماسك السيد عن القيام، والتكلم في جانب الخطيب بما ينكي من الكلام، وشرع الحال، يفضي إلى قتل وقتال.

وفي الأولى توفي السيد الفقهي أحمد الذنوبي، درس ببلاد حجة والظفير في الفقه وكان إذا خرج إلى بلده الذنوب[4] يشتغل بنفسه في أمواله ويفتي مع ذلك.

وفي هذا الشهر غزى الشريف محمد بن الحسين صاحب صبيا إلى أطراف بلاده مما يلي بلاد الحراميّة، فنشب الحرب بينه وبينهم، وكانت الدائرة عليه فقتل من أصحابه نحو السبعين، وانتهب سلاحهم، ولم يخل الشريف بنفسه عن

---

(١) فيفا: منطقة جبلية في عسير، تنسب قبائلها إلى خولان بن عامر (اليمن الكبرى، ص: ١١٩).

(٢) بياض في الأصل وفي (أ، ب، جـ).

(٣) العمشية: سهل صخري يمتد من واسط إلى حدود صعدة، وهو موطن غير مأهول تجري منه فروع وادي مذاب (اليمن الكبرى، ص: ٨٥).

(٤) الذنوب: من بلاد حجة.

الجنايات[1]، وكان فيما مضى هو الذي يغزو وينهب ويرضي ويغضب، فانقلب الدَّست، وانعكس البخت، وصار يُقصَد إلى عقر داره، ويُزعج من قراره، حتى قفرت القُرى التي يضبطها حكمه، ويجري عليها رسمه، وقُصارى دولته الدفع عن مجرّد صبيا.

وفي هذا الشهر توفي حاكم السودة بها القاضي العلامة، محمد بن علي الجملولي، وقد ولي منصب القضاء ببندر المخاء زماناً ثم رفع بقضاء السودة، وفيه حصل ما بين قبايل ذيبان وشوابة وهران[2] حرب أفضا إلى قتل جماعة ثم اصطلحوا.

وفي آخر جمادي [٩٨] الأولى توفي السيد العارف ناصر صبح الذي عارض المنصور بالله آخر دولته، وكان في تلك المدة قد سكن ثعلان، وأجابه من بها من السكان فقصده محمد باشا فتعبأ أصحابه للقتال، وتأهبوا للنزال، ثم بدا لهم الخروج إلى يد نائب الباشا، وآل الأمر إلى فتك محمد باشا بمشايخهم، وفرار السيد إلى العصيات[3]، ثم وصل من بعد شهارة وبها مات.

وفي هذا الشهر توفي السيد العارف المهدي بن الهادي النوعة كان ذا ولوع بالتاريخ وصنف فيه مؤلفاً في جلدين، سماه الإقبال، ولاه شرف الإسلام الحسن بن المنصور ذي السفال[4]، واستمر كذلك في زمن المؤيد ورفعه المتوكل فجعل لإبن أخيه صفي الإسلام أحمد بن الحسن ولاية فيه، فسار إلى بلده ساقين[5] ثم عاود حضرة الصفي ودخل معه حضرموت، وكان في مدة المؤيّد عَزم إلى ساقين، بمال جزيل، فرفع خبره إلى الإمام فاستدعاه من الطريق، وهو ببيت القابعي[6]، بما معه من المال، فوصل وذكر أن المال من غلة أمواله التي شراها أيام ولاية

(١) الجنايات: الكدمات والجروح.

(٢) شوابة وهران: شُوابَه بضم الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة آخره هاء، وهران بكسر الهاء آخره نون، وهما إسمان متلازمان يقرن أحدهما بالآخر لأنهما في محل واحد، ويقعان في شمال صنعاء بمسافة ثلاث أيام تقريباً. (هامش صفة جزيرة العرب، ص:٢٤٠).

(٣) العصيات: تقع إلى الشمال من حوث الواقعة إلى الشمال من صنعاء.

(٤) ذي السفال: من محافظة إب تقع إلى الجنوب من مدينة جبلة.

(٥) ساقين: من بلاد صعدة تقع إلى الغرب من مدينة صعدة.

(٦) بيت القابعي: تقع في ناحية شهارة من بلاد حجة.

الحسن له، ومما أحياه هنالك فكف عنه الإمام غير أنه سمح بجانب منه فقبضه الإمام لما عرف طيبة نفسه ببذله.

وفي شهر رجب سار صفي الإسلام أحمد بن الحسن إلى رأس غيل الخارد[1] الأعلى، سكن هناك أياماً وقطع شجرة كانت العوام، قد أعادت بها شنار الأصنام، ولأهل نهم فيها إعتقاد، جروا فيه على منهج الآباء والأجداد، ثم رجع الغراس، وقد قطع ذلك الغِراس، واجتثه من الأساس، ثم أن الصفي ما برح يعاود غيل الخارد، ويضم إلى التنقل جملا من المقاصد فصنع به الحمّام، وطنّب فيه الخيام، وطاب لديه المقام، وفي هذه المُدة أشار الإمام إلى ولد أخيه عز الإسلام أن يسمح له بالعُدين، فلم ير بداً من عدم الإسعاد، وهو حقير في جنب وفور الأجناد، وكثرة الأمداد، والسعي في حياطة البلاد والعباد أعاد الله من بركة الجميع آمين.

وفي هذه المدة أذن الإمام للشيخ عبد الله بن هرهرة بالعود إلى بلاده، وَفي نصف شعبان سار الإمام من وادي أقرّ المعروف بدرب الأمير وبيت القابعي، إلى سودة شطب[2]، ثم سار عنها إلى بلاد عفار وكحلان[3] وعاد إليها.

خُروجُ الفِرَنْـجِ إلى سَاحِلِ عَدَنْ - وفي نصف رمضان خرج جماعة من شياطـين البردقال[4] من سواحل الهند إلى ساحل عدن في ثلاثة أغربة فجرت الريح بأمرهم رخاء، وحالوا بين التجار وبندر المخاء، والنائب به يومئذ السيد ضياء الدين زيد بن علي الجحافي، وكان بحر الود بينهم وبينه [٩٩] غير صافي لحدث

---

(١) غيل الخادر: أحد الغيول التي تصب في وادي الجوف ومياهه تتجمع من عدد كبير من الأودية من مخلاف خولان العالية ومن صنعاء وهمدان وحضور وشبام حمير ومصانع حمير وأرحب وغيرها. (اليمن الخضراء، ص: ٥٤، ٥٥).

(٢) سودة شطب: وهي السودة، ذكرناها سابقاً.

(٣) عفار وكحلان: هي كحلان عفار من بلاد حجة تقع إلى شمال شرق مدينة حجة.

(٤) البردقال: وردت كذا وهي بمعنى (البرتغال).

أوصل إليهم في العام الماضي، لا يمحوا حنقه عن قلوبهم غير السنة المواضي، فأردف على صاحب دستهم ردفين، ووجّه إلى نحو أغربتهم مدفعين، مع عسكر يبتلعون كل بتان[1]، ويصيدون بعقبان راياتهم الشواهين[2] مع الغربان، فلمّا علم البردقال - كذا - أنه لا قدرة لهم على مناصاة تلك الأبطال، دبروا الحيلة بكل فكر ولود، وتفطنوا من مركب المسلمين لجبخانة البارود، ثم أرسلوا عليها بنادق من البارود بتلك الهندسة، فانقضت عليها من بطون الأوراق كالسهام المقرطسة. والطيور التي النيران لها أجنحة أو العساكر التي شرر الجحيم لها أسلحة، فأحرقت الجبخانة مركب المسلمين وصدقت المحنة والإبتلاء لأهل الدين، فانكسر مركبهم العامر، ودارت عليهم الدوائر، فهلك بالسيف من المسلمين من هلك، وأدرك الغرق منهم من أدرك، وانتظمت منهم سلسلة الأسر، من لم يبرز عليه الأمر، فتوجهوا تلقاء كوة[3] بالأسارى، وابتهج لقدومهم من هناك من النصارى، فلما حصلوا بين يدي النائب أرسلهم إلى حضرة سلطانهم الشيطان، وخاضوا البحر إلى أن وصلوا مستقره الذي هو بمغرب الجوان، وأخبر الفتى سرور من أهل المخا وكان من جملة الأسرى الذين رجعوا إلى اليمن، بعد أن أطلقهم سلطان الفرنج أنهم سافروا بهم في البحر سبعة أشهر، وفي البر ثلاثة عشر شهراً، ولم يتوجهوا إلى أميرهم الأقرب، إلا بعد أن قضوا كل مأرب، وترسموا على المراكب الهندية بباب المندب[4]، فأخذوا الأتاوه كما شاؤا، وانفردوا

---

(١) بتان: الحوت الضخم. (مجلة العرب، ص:٢٥).

(٢) الشواهين: جمع شاهين، طائر من سباع الطير. (تاج العروس، م٩، ص:٢٥٧).

(٣) كوة: لم أجد هذا الإسم في الساحل الغربي لبلاد الهند وهو القاعدة التي كان ينطلق منها البرتغاليون نحو البحار والسواحل العربية ولعلها (كاليكوت) التي تقع على الساحل الجنوبي الغربي لبلاد الهند، وفي مجلة العرب، ص:٢٥ (كوة من بلاد الدكن كانت مقر البرتغال في الهند).

(٤) باب المندب: يقع إلى الجنوب من مدينة المخا بمسافة ٧٠ كيلو متراً وهو باب البحر الأحمر، والمتحكم في مدخله الجنوبي، وإلى الغرب منه على بعد خمسة كيلو متر توجد جزيرة بريم (ميون)، وتطل على باب المندب سلسلة جبال بركانية أعلاها جبل الشيخ السعيد ٣٠٠ متر (اليمن الكبرى، ص:٢٨).

بغضب الله عليهم وباؤا، وانتهبوا سفر حضرموت، وأرهقوهم الموت، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما طرق مسامع الصفي أحمد بن الحسن هذا الفعل الشنيع، والخبر الفظيع، والإمام يومئذ بعمران، لم يأخذ منه حينئذٍ رخصة الإستئذان، لتضيق هذا الحادث الذي يجرح له صدر الإسلام، ويحل شخص الباطل في أعلى ذروة السنام، فوالا المراحل وأنضى الرواحل، وحلّ ما كان أحكمه من الإبرام، من معاودة بيت الله الحرام، لترجيح هذا المهم، ورفع هذا الملم، وأبرق وأرعد وناجى نفسه ببيتي أحمد.

تبــدل أيامي وعيشي ومنزلي ... نجايب لا يفكرن في النحس والسَّعدِ
وأوجــه فتيــان حيــاً تلثموا ... عليهن لا خوفاً من الحَرّ والبردِ

فرقم له في عليين ثواب الغزاة المرابطين، ولم يظفر بطلبته من أولئك الشياطين، فأنّها [١٠٠] طارت بهم الغربان إلى الوطن، قبل أن يصل إلى بندر عدن، والإمام سار إلى صنعاء بقي بها أياماً ثم ارتحل إلى ضوران، واستقر بتلك الأوطان، وفيها توفي بمكة المشرفة العلامة الزَّمَزمي. ....

....

....

....

....

....(١)

وفيها توفي بالمدينة النبوية العَلاّمة أحمد بن محمد القشاشي[٢]، وهو الذي شرح عقيدة الإمام المتوكل على الله.

ولما إستقر صفي الإسلام بعد أن جهز إلى ملك الهند هدية من الخيل العتاق، وخيل اليمن هناك أعز من بيض الأنواق، وأشف من البراق، فعاد

---

(١) بيـاض في الأصل، وفي نسخ الجامع (أ، ب، ج) وإن كان الناسخ في (ب) قد تابع الكتابة دون ترك بياض في الصفحة إلا أنـه بعد كلمة العلامة الزمزمي أتى بكلمة وفيها توفي بالمدينة إلخ ورقة ٤٨، وفي (جـ) ص:١٩٧ إشارة بحبر أحمر تقول بياض في الأم.

(٢) أحمد بن محمد القشاشي: في (أ) بعد كلمة العلامة بياض ثم القشاشي فقط.

الرسول بعد أيام بهدية مضاعفة، وتحف مرادفة وفي يوم الثلاثاء منسلخ ذي الحجة توفي الأمير الكبير، الصدر الشهير، الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ملك كوكبان، وحافظ حوزته في ذلك الأوان، وهو فرع من تلك الدوحة المتوكلية، وشعاع متصل بتلك الهالة الشمسية.

وابن الأُولى غير زجر الخيل ما عرفوا
إذ تعرف العرب زجر الشّاو والعَكَرِ[1]
جَمَال ذي الأرض كانُوا في الحياة وهم
بعـــدَ الوفـــاة جمال الكُتـــب والسّيَرِ

كانت مخاليف اليمن بحدوده، تحت رسم آبائه وجدُوده، تلقّاها المطّهر، من أبيه الأطهر، فرقم ملكه على صفحاتها بلسان السيف الأبتر...

ومـــا تقر سيوف في ممالكهـــا   حـتى يقلقل دهَراً قبل في القُلل

كَرّدُ[2] عنها أمراء الأتراك، بكل ملحمةٍ بَلَغت بها سيول الدماء إلى كعب الشراك، حتى طهر منهم كل رُستاق[3]، وأذاق شجعانهم السُمّ الزُعاق، وما خلا عن طرفٍ من العرفان، المنسوب إلى أخويه فخرالدين عبد الله الرضا، وجمال الدين علي المرتضى، ولكنهما تربعا في كرسي مملكة المعارف، ولبسا من قُمصُ التحقيق جميل المطارف، ومن وقف على ما دار بينهما في الجواب عن معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا مدينة العلم وعلى بابها، تنسم نفحة كلام أمير المؤمنين، وأعلم أن السلالة النبوية هم المراد بقول الصادق الأمين، لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، واختص جمال الهُدى باقتناه السر العرفاني، وَسَمتْ ذاته إلى إرتفاع التجرد عن حضيض هذا العالم الفاني.

ولما انقضى[١٠١]دور الدولة المطهرية المطهرة، تلعب من بعده وبعد أخيه الملك

---

(١) العَكرِ: القطيع من الإبل (تاج العروس، م٣، ص:٤١٩).
(٢) كَرّدُ: بمعنى صدوا أو ردوا.
(٣) رُستاق: جمعه رساتيق وهو السواد. (تاج العروس، م٦، ص:٣٥٧).

شمس الدين بالمملكة تلعب الصولجان بالكُرة، وفاتهم ضم النشر، وجمع الأمر، ففاضت روح مملكتهم إلى جسد الإشتراك، واستحكمت الأتباع على أمرهم حتى سقط إلى أيدي الأتراك، وأشخص منهم إلى الأروام من نفذت عليه أحكام، وصرفت بإمتحان أقلام، ثم لما إستحكمت وطأة الدولة المنصورية، والعصابة القاسمية، كان أهل هذين البيتين روحين في جثمان، وجوادين في مقبض عنان، فانضمت أيديهم على مُلك كوكبان، فأمروا فيه بالمعروف ونهو عن العصيان، وقسموا بالسوية. وعدلوا في الرعية، وما زال الأمير منهم يقفوا الأمير. والخطير المقدار يتبع الخطير.

نجوم سماءٍ كلّما إنقض كوكبٌ　　　بدى كوكب تاوى إليه كواكبه

وهم الآن درة تاج مجد باذخ، وعصابة دائرة بهامة ذلك العلم الشامخ، فيهم البُلغاء والعُلماء، والعُبّاد والكُرَماء، ولما انقضى حِسَاب الأمير الناصر، طلع تحته ولده الأميرُ عبد القادر، نجيب الأفعال، منقطع الأشكال.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ وَأَلْف - في نصف محرمها توفي حاكم صنعاء اليمن، القاضي العارف شرف الدين الحُسين بن يحيى السحُولي،وَدُفن إلى جنب أخيه بالتُربة التي تجمعهم بباب اليمن، وضيعة المحاريق مُلاصقة لمسجدهم. وفي هذه السنة كان من صفي الإسلام أحمد بن الحسن بن الإمام، إبتدأ شعار يوم الغدير[1] ثامن عشر ذي الحجة الحرام، بنشر الأعلام، وسل المشطب الحسام، ومد الحراب وأشراعها على الرقاب، ولما وصل الصفي إلى حضرة الإمام، وهو بجبور إجتمعا على فعل هذا الشعار، فقام به للشيعة شنار.

وجاء الخبر مع حاج اليمن أن عنزة إنتهبوا الركب الشامي، وهزموا أميرهم، وأسروا ولده، وهو صغير السن فتفاداه[2] منهم بمال جزيل، وأما أمير حاج اليمن فأن الحرامية تلقوه في رجوعه، وقتلوا من عسكره أربعة أنفار، ومن

---

(١) يوم الغدير: هو استعراض عسكري يقوم به الجيش وأفراد الدولة من أمراء ووزراء وغيرهم.

(٢) فتفاداه: كذا « فائفتداه ».

الحجاج رجلاً، بسبب تقصيره فيما يعتادونه، وقت دخوله، وحج العراق حج على أتم الأحوال، بسكون فتنة أحمد بن الحارث كما تقدم، ولما وصل أمير الحاج المصري المدينة راجعاً، تلقى فرمان العزل فانعزل، وسلم الأمر وامتثل.

وفيها ببلاد صنعاء ظهرت دود خضر وسود فمنعت الإنبات، وأكلت النبات، وظهرت الدبا[1] بالتهايم والسهول من الرمل، وفي صفرها عزل صاحب [١٠٢] مصر الباشا بسواكن، والباشا النائب بالمسوع[2]، وجدد أعني صاحب مصر هذا العام مقام الشافعي، وأصلح خللاً فيه.

وفي ربيع الأول كثر الجراد بتهامة فأتت على أكثر الزرايع.

وفي شهر ربيع كان القران الألفي وهو قران المشتري وزحل في برج القوس، وهو القران الأول من الدور الخامس عشر، كما أجمع عليه الحكماء وله عندهم أحكام، وفي هذا العام لم يدخل إلى بندر المخا غير يسير من البُن بسبب فتنة الفرنج المتقدمة. وفيها سار محمد بن أحمد بن الإمام إلى الإصلاح بين قبائل ذيبان، وعيال عبد الله، وكان الشر قد نشب بعد وصوله بين أهل الرجّو، وبعض أهل البلاد بسبب ضربهم الطّبل في بلاد الرجّو، ثم زال الإنضراب وسكت الكل وأنسد باب.

وفيها وقع حرب في عنس ومذحج، وقتل منهم قدر العشرة، وفي جمادى الآخرة هرب الشيخ الجيد، من حبس ضوران إلى بلاده، وفيها وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن شيخ يقال له الجميلي وبلاده يقال لها البديع، متوسطة بين الدواسر وبين الأحساء، وولاية بلاده منسوبة إلى الشريف صاحب مكة في

---

(١) الدبا: آفة زراعية تأكل نباتات المحاصيل الزراعية في فصل الصيف وهي كما وصفها المؤلف ديدان ذات لون أخضر وأسود، ولها مُسميات مختلفة في كل جزء من اليمن ففي تهامة تسمى الدبا وفي محافظة تعز تسمى الجُدم أو الجدمي وغيرها من المسميات..

(٢) المُسَوَّع: هو (مُصَوَّع) مرفأ في شمال شرقي أثيوبيا على البحر الأحمر (المنجد في الأعلام، ص:٦٦٨).

الجملة فأكرمه وعاد بلاده ومعه خطيب، إستدعاه المذكور، فلما إستقر ببلاده خطب للإمام جمعة، أو جمعتين ثم عاد الخطيب، ولم يتم ذلك الترتيب.

ولما قبض عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام جانباً من بلاد ولده يحيى، أخذ بطرف من أعمال الجند[1]، وأذن لأهل النوبة بالإنصراف، فساروا إلى حضرة عمه صفي الإسلام، فأمرهم بالإستمرار على عهدتها معه، فضربت في هذا العام، واشتاقت إليها نفوس العوام، لما يسمعونه عن أهل الأسنان العالية المشاهدين لدولة الأروام، ولم يكن قصد عز الإسلام غير زحلفتها من باب ولده، لتلقيها وأربابها جلاً وافرة من مدده، مع كرمه المشهور، على صفحات الدهور، فلما تم له مراده، وغفل عنها عماده، أمر فضربت بين يديه، وضوعفت أسبابها، وأقيم أربابها وقد تركها الإمام الأعظم صلاح الدين محمد بن علي[2] تُضرب بين يديه، وتعرض في كل عرضة عليه، بعد أن قبضها على الشريف إدريس، والجواب عن فعلها ونحو ذلك، من القدُوحات التي غلَت بها أفئدة الباغضين، وهمهمت بها أفواه المتأكلين كفعل الدّواة المحلية، والمحضرة، وإسدال الحجاب بعض الأحيان، ونحو ذلك [١٠٣]، مبسوط في كريمة العناصر، في الذب عن سيرة الإمام الناصر، وغيرها من كتب مولانا الهادي بن إبراهيم بن علي المرتضى.

إنتزاع ظَفَارْ مِنَ يَدِ ٱلأَمِيْر خَلَفْ - وفي آخر شهر رجب، إختلف الأمر على خلف وإضطراب، وهو الأمير على ظفار من جهة العُماني المسمّى سُلطان بن

---

(١) الجند: قاع واسع يقع شمال شرقي تعز وبه آثار مدينة اندثرت وما زال قائماً بها الجامع المعروف باسم جامع الجند الذي بناه معاذ بن جبل عام ٨ هجرية.

(٢) صلاح الدين محمد بن علي: هو الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي (ولد سنة ٧٣٩ هـ ومات سنة ٧٩٣ هـ) تولى الإمامة بعد سقوط التكليف عن الإمام المهدي علي بن محمد بسبب مرضه عام ٧٧٣ هـ وقام بكثير من الحروب منها حصاره لصنعاء ٧٧٥ هـ وحروبه في تهامة سنة ٧٧٧ هـ والتي أدّت إلى أسر إبن حباجر قائد جند بني رسول وله مؤلفات منها (شرح نوابع الكلم للزمخشري). (مصادر الفكر الإسلامي، ص:٥٧٧-٥٧٨).

سيف[1]، فإن آل كثير ما زال ذلك المعْقِل شجاً في حُلُوقِهم، وراية سوداء في سُوقهم، لأنه نازل من حضرموت وعمان، منزلة الواسطة من عقد الجُمان[2]، فهم يرون أن خَلَفاً تطفل على ظفار ويتناشدون في مجالس السمار.

قـدرٌ أحَلّكَ ذا المجاز وَقَدِرى وأبـى مالـك ذو المجَاز بـدارِ

فشنّوا الغارات عَلى خَلف، وكاد أن يذوق مرارة التّلفَ، وقتلوا من أصحابه زهاء أربعين، وكان أرسلهم لإستنجاز مطالب، وقضاء مأرب، فلما رأى خلف أن الفرار نهاية الملاذ، وأن قراة إمارته صحّت من الشواذ، هرب إلى حيث يجد الإعتصام، وخدمت ضميره جوار في البحر كالأعلام، فأصبح أثراً بعد عين، ولم يترك بظفار غير مدفعين، فدخلها السُلطان محمد بن جعفر الكثيري، وَبدّل قوانينها والأحكام، وحوّل الخطبة بها للإمام، ولمّا سَكّ هَذَا الخبر مسمع العُماني وكسرَ من سورة نصبه التحتاني، شمخ أنفه، وتشاوس طرفه، وقال لم نبعث أمير، إلى ذلك الصقع الحقير، إلا تلبية الداعي آل كثير، وإشالة بضبع من عدم النصير، وإلا نحن في غنية عن تلك البلاد، بمملكتنا الوافرة، ودولتنا القاهرة، وأما أميرنا خلف، فله عن هذا الألف المركوز خلف، وهو متبرّ عنه من المبادي، ولسان حاله ينادي.

فيـا برق ليس الكرخ دَاري وَإنما رَمَـاني إليـه الدّهر منذُ ليالي.

إلى كلام يميل به الحيداء، وهو بالحقيقة يتنفس الصعداء.

وفي أول فصل الصيف من هذه السنة حصل غيم ومطر طبق جزيرة اليمن،

---

(١) سلطان بن سيف: هو السلطان سيف بن مالك اليعربي (مات سنة ١٠٩١ هـ/١٦٨٠ م) ثاني أئمة اليعاربة الأباضية في عُمان، بويع يوم وفاة الإمام ناصر بن مرشد (سنة ١٠٥٠ هـ) بنزوى، فطرد البرتغاليين من مسقط واشتبك معهم في معارك بحرية مختلفة واستطاع أن يحمي شواطىء عمان من هجماتهم، وازدهرت البلاد في أيامه، وكان شجاعاً حازماً متواضعاً لرعيته، يسير في الطريق وحده، يسلم على الناس، ويحادثهم واستمر كذلك إلى أن مات بنزوى. (الأعلام، ج٣، ص:١٦٦).

(٢) الجُمان: اللّؤلؤ (فارسية).

في شرق وغرب وقبلة وعدن، واتصل كذلك بشهر رجب وشعبان، فمن الزرايع ما بطل[1] لكثرة المطر، ومنها ما أثمر وهو الأكثر، وهبط السعر عند جذ الثمار، حتى بلغ سِعر القدح[2] إلى عشرة كبار. وفي شعبان حصلت غوائر ما بين بلاد خيار[3]، ووادعة الظاهر، فقتل سبعة أنفار من الجانبين، فأدبهم الإمام، وارتفع ذلك الخصام، وفي رمضان احتال[١٠٤] الهيثمي للخروج من حبس كوكبان فتم له الخروج، لكن شعر به أهل الأهجُر في الطريق، فأعادوه وضوعف عليه التضييق. وفيها توفي حاكم ذمار القاضي الفقهي المبرز في قواعد الفقه، والفرائض محمد بن صلاح الفلكي، وكان له اليد الطولى، في علم الهندسة والمساحة، مع دماثة أخلاق، وحسن عبارة، ولطف مَسَاق، وللسيد صفي الدين أحمد بن الحسين رحمه الله في تاريخ وفاته.

....

....

....

....

....[4]

---

(١) بطل: بمعنى تلف.

(٢) القدح: تطلق كلمة قدح في اليمن على مقدار مكيل معين من الحبوب.

(٣) خيار: من حاشد ترجع إلى الظاهر.

(٤) بياض في الأصل أما نسخة الجامع (أ) فتوجد إضافة إلى البياض بخط مغاير لخط الناسخ ومشار إليها في أسفل الصفحة بتاريخ ١٠٧٣ هـ وهو عام وفاة الفلكي محمد بن صالح كما كان متبع في تاريخ الميلاد والوفاة، فبعد الأبيات الشعرية يثبت التاريخ، وهي هذه:

يا دهر رفقاً بنا رويدا ... فما على الأخيار من مدارك
سلبتنا من حوى المعالي ... وكان في الصالحين شارك
وذاك عين الوجود حقاً ... وخير من حازه اختيارك

وفي شوّال طلع عز الإسلام محمد بن الحسن من اليمن الأسفل إلى ذمار، ثم إلى ضوران فقر بالإمام ناظره، وأشفى به خاطره، ثم توجه إلى صنعاء والسعود ناظرة إليه، وراية الإقبال خافقة عليه، ولما انهمك الناس في الطلب، واختلط على الإمام حال ذوي الإستحقاق وإضطرب، أمر العمال بعرض التحاويل، وهو نظر دقيق من هذا الإمام الجليل.

وفي هذا العام أتفق أن حاكم بلاد بعدان تنازع إليه خصمان، فبعد تقرير الأمر بين يديه، رغمت أنف أحدهما بعد الحكم عليه، فثارت حرارته وهاجت مرارته، ففتك بالحاكم، وقتل بعده بالقصاص اللازم.

وفي هذه المدة توالت الفتن بين بني حذيفة، وسحار، من بلاد صعدة، فسار إليهم جمال الإسلام، علي بن أحمد بن الإمام، فاستاق أشياء من مواشيهم على جهة التأديب، وفيها كتب الإمام إلى سلطان العجم عباس شاه، على طريق المعاهدة، وجلب الالفة، فأجاب الشاه بما يدعوا إلى الصفا. ويكمل بشروط الوفا.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَلْف -

وفي نصف محرم منها خسف القمر ببرج الدلو حتى انطمس جرمه، وفيها سار الإمام [١٠٥] من ضوران إلى صنعاء. وفي عيد النحر حصل بعمران حرب بين قبائلِها وعيال سريح[(١)] بسبب دخولهم إليها بالطبول على ما جرت به قواعد القبائل، من الآنفة عن ذلك وذهب في الفريقين أربع نفوس، وكان بها يومئذٍ السيد بدر الدين محمد بن أحمد بن الإمام، ففرق بين الفريقين، ورفع الفتنة من البين.

وفي هذه المدة فرض الإمام مجباً يؤخذ من أهل البيع والشراء، وضَرَبَ

= محمــــد طبــــت فزت فإنــــه فــــاز فردوسهــــا قرارك
تاريــــخ عام قضيــــت فيــــه ثم بــــدار النعــــيم دارك

وفي نسخة الجامع (ب) بياض ورقة ٥٠، وكذلك في (جـ) بياض ص:٣٠٣.

(١) عيال سريح: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة صنعاء يحدها شرقاً أرحب وغرباً ثلاء وشمالاً عمران وجنوباً همدان.

ناظر الوقف على كل واحد من الجزارين شيئاً معلوماً، واستمر ذلك إلى ربيع الثاني، من سنة سبع وسبعين، وتضرر به الناس فرفعه الإمام، وأما الناظر فأبقاه لسهولته على الناس. وفي العشرين من جمادي الأولى، سار الإمام من روضة حاتم إلى الخارد، لضيافة إستدعاه لها صفي الإسلام، أحمد بن الحسن، ثم سار منه إلى ناعط[1]، ثم خرج إلى السودة، ثم سار إلى شهارة واستقر بها زماناً.

وفيها وصل رجل من الغرب الأقصى من القيروان[2]، ومما أخبر به أن بعض أمراء تلك البلاد له مرآة يرى الإنسان فيها باطنه كما يرى ظاهره، وهذا لا يكاد يصدق به والعهدة عليه فيما نقل.

وفي رجب طلع القمر في برج الدلو خاسفاً، وفي رجب توفي القاضي العارف أبو القسم[3] بن الصديق التهامي الضمدي، بمحروسة زبيد جعل إليه الإمام منصب القضاء بها بعد إرتفاع يد القاضي إسحق[4] بن جغمان، ولما مات بها للتاريخ المذكور أعيد القاضي إسحق إلى منصبه، وفي رمضان جاءت الأخبار أن الأنقريز[5] إنتهبوا بندر سُورَت[6] في الهند، وخرجوا عن طاعة سلطانهم فتغلبوا على بلدانهم.

وفيه حصل شجار بين سفيان وسحار بحضرة الإمام بشهارة، وأفضى إلى تراجَم وتراجُم فحجز بينهم عسكر الإمام، وفي شوال مات الأمير طالب بن

(١) ناعط: جبل في حاشد كانت ملوك حمير تسكنه ولهم فيه بناء عجيب في خارف وهو مطل على حقل عمران من الشرق. (اليمن الكبرى، ص:١٩٤).

(٢) القيروان: مدينة في تونس أنشأها عُقبة بن نافع عام ٦٧٠ م، وكانت عاصمة للأغالبة والفاطميين إلى جانب المهدية، كما كانت داراً للصناعة ومحطاً للقوافل ومركز زراعي وسياحي، وفي ليبيا توجد منطقة صحراوية تسمى القيروان كثيرة الواحات، يرتفع فيها شمالاً الجبل الأخضر ومن مدنها بنغازي. (المنجد في الأعلام، ص:٥٥٩).

(٣) أبو القسم: كذا، (أبو القاسم).

(٤) إسحق: كذا، (إسحاق).

(٥) الأنقريز: كذا (الأنجليز).

(٦) سورت: من مدن الساحل الغربي لبلاد الهند، وتقع إلى الشمال من مدينة بومباي.

الحسين الجوفي، أمير بيحان، وتلك البلدان، استدعى إلى صنعاء من أجل قتل بعض قرابته ببيحان فتوفي بها.

وفي شوال مات القاضي العالم علي بن سعيد الهبل، بعد أن طعن في السن، وذهب بصره كان حاكماً بشهارة، بتولية المؤيد بالله، معولاً عليه، مرجوعاً في أكثر القضايا إليه، فلمّا مات إمامه إنتقل إلى بلاده خولان صنعاء، وسيقت إليه واجباتها، ولما قضى نظر الإمام المتوكل على الله بتولية البلاد، إرتفعت يد القاضي عن الإصدار والإيراد، وتخلف عنه ما كان ينساق إليه من الأمداد، فانتقل[١٠٦] بأهله إلى روضة حاتم، وأدرك بها حسن الخواتم، فهي كما قلته في قصيدة.

مَا يَعدل الروّضة الغنّا وبهجتها — سِوَى الجنَان فلا تنقص ولاَ تزدِ
فنونهـا نعمـةٌ للناظرين وَفَي — أفنانهـا نعمـةٌ للطّائر الغرِدِ
أقمارَها عانقت أغصانها جذلاً — وصافحتها قَمَاراهَا يدً اليَدِ
والفوج يحمـل في راحات ساحتها — مجامر النّـد في الحارات والسّدَدِ
والنّهر يمشي الهوينا في جداولها — كأنـه الملك يمشي مشي مُقتصدِ
يسقي قوارير كرم للبياض[١] بَدَا — كلؤلؤ بـين منثور ومنتضـدِ
ورازقيـاً[٢] غدا في كف قاطفه — كأنـه ذهـبٌ في كفّ منتقـدِ

ومات القاضي بها في التاريخ المذكور. وفي ذي القعده حصل حرب في صعفان من بلاد حراز بسبب محجر المرعا[٣] إختلفت فيه أحكام الحكام، فأخذ كل فريق بقول إمام وأفضى الشجار إلى قتل سبعة أنفار، فبادر الإمام بالإرسال عليهم، وأدبهم بمقتضى الحال.

---

(١) البياض: نوع من أنواع العنب اليمني.
(٢) رازقياً: نوع من العنب اليمني الجيد ويسمى (العنب الرازقي).
(٣) محجر المرعا: منع الرعي في المرعا وتحويله إلى ملكية خاصة محجور الإقتراب منه.

وفيها أمر الإمام الشيخ عامر بن صلاح الصايدي بالنزول إلى تعز، وٱفتقاد ما شجر بين السيد الحسين الحرابي، عامل عز الإسلام محمد بن الحسن، والشيخ راجح الكينعي عامل الإمام بعد أن قتل في البين واحد من أصحاب أحد الرجلين، فنزل إلى هناك والتأمت بوصوله الأحوال ما بين الرئيسين.

وفيها أمر الإمام ببناء قصر مدينة عيان، وإعادته على ما كان، في دولة آل عثمان، فناب على عمل عمارته السيد الرئيس صالح عقبات، ولما كمل بنيانه، وارتفعت أركانه، على كره من أهل البلاد، لميلهم إلى دواعي الفساد، استقر به السيد وأمر الإمام أن تجمع زكوات خيوان[1]، وغيره إلى ذلك القصر، وما زال السيد مستقراً به إلى أن ظهر له من سفيان، ما يقضي بالخدع والعصيان، ولم يكن عنده نصاب يقطع به تلك الأسباب، فاستعفا الإمام عن البقاء بعيان، ورفع إليه حديث سفيان، فأجابه واستدعاه، واستحسن ما رآه.

وفي هذه السنة ساخ جبل في جهات مدوم[2]، من بلاد الشرف وكان على ظهره أموال هلكت بهلاكه، وفي شهر ذي الحجة ثارت فتنة بين خيوان، وبين صُبارة في سفيان، وذهب من الجميع سبعة أنفار، فأدبهم الإمام، وهدأت نار حربهم عن الاضطرام.

وفيها أو التي بعدها أحرق الإمام كتاب الفصوص، لابن عربي وهو محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن عربي [١٠٧] الطائي الحاتمي الأندلُسي، بناءً على أن ما فيه كفر بحت.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَأَلْف - في نصف محرمها خسف القمر في برج الدلو.

---

(١) خيوان: منطقة عامرة إلى يومنا هذا تقع إلى الجنوب من حرف سفيان ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب ص:٩٧ فقال: وأرض خيوان بن مالك وهو من غُرر بلد همدان وأكرمه تربة وأطيبه ثمرة..

(٢) مدوم: من بلاد حجة.

إستيلاءُ صَاحِبِ البَصْرَة عَلَى الحسَا وَالقَطِيْفْ - قد ذكرنا فيا مضى أن عيسى باشا طرد أباه، ومشى فيا يأباه، حين لم يخفض له جناح الذل من الرحمة، ولا استفاد حين عدم بر الوالدين دوام النعمة، وإن أباه صمد إلى الحجرة النبوية بقلب ملسوع، وحال غير مجموع، ففي هذه الأيام ناقشه صاحب البصرة الباشا حسين، وتاقت نفسه إلى بلاده ففتح العين، إلى ضمّ القطرين وطحنه بالأنفاس، وهم أن يرسل عليه شواظين من نارٍ ونحاس، فعند أن أنس من مملكته رماه[١٠٩]من حشاه ذلك القطر العريض الطويل، فكأنما جنا له غرس العقوق حبة فيل، فارتفع عن كرسي ملكه ولا كإرتفاع المسيح، وخرج من بلاده راهباً والراهب قد يسيح، وآنتهى به الهرب إلى حرم الحبيب، وسوحه الرحيب، فوقع على الأمان بدعوة الخليل إبراهيم، وكان قد أدرك عيسى من الخوف ما أدرك موسى الكليم، واتصل بحمى الشريف زيد، وخلص من حبائل الكيد، وكتب عرضاً إلى السلطان، يستعديه على صاحب البصرة، ويستخرج من رفيع العتبات راية الأفراح لتحصل النصرة، فكان بسبب ذلك التجهيز على الباشا حسين كما سيأتي، فإن الباشا عيسى بعد أحيان عاوده الزمان، وانتصر له السلطان، ولعلها عادت عليه عواطف توبة أبرمها، أو حسنة قدمها.

وفي ربيع الأول سار عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام، إلى ذمار. وفيه جاء الخبر عن مكة أن أسواقها زينت لفتحٍ حصل لجنود السلطان ببلاد مالطة.

وفي ربيع آخر هبت بجهات لحج ريح عقيم، فيها عذاب أليم، فاحتملت في الجو شيئاً من الحيوانات، وقيل إنها إحتملت ثلاث نسوه، ثم دفع الله ضرها، وكفى أمرها. وفي نصف هذا الشهر، سار صفي الإسلام، أحمد بن الحسن بن الإمام إلى أعلى الجوف، فوصل إلى محل يسمى الملتقى بسفال[1] وادي شوابة، فأصلح أحوالاً، وأقام هناك أموالاً، وهي أوطان مُغلة، كانت مهملة، منذ زمان

(١) بسفال: كذا (بأسفل).

فزرعت الذُرة، والبُر[١]، والشعير والجلجلان[٢]، ولم تنبت الفواكه، والبن بعد تكرير الغرس، إنما كان ينبت الشجر ولا يثبت له ثمر. وفي أول جمادي الأولى ظهر نجم في المشرق له ذنب طويل، ونور مستطيل، في مقدار سبعة أذرع، ثم انتقل إلى وسط السماء، واعوج كالقوس، ثم عاد إلى الإستقامة، وإبتدأ ظهوره في برج الثور، وقت السحر ثم انتقل إلى المغرب، ثم عاد إلى المشرق، وقبل الفجر، ثم بعد نحو شهرين إضمحل، وهو من النيازك، وقد جاء في الحديث النبوي، ما يقضي أن ظهورها معلم لإرتفاع الأسعار، وقد جرت بذلك العادات، في غالب الأوقات، وفيه وقع ببلاد برط وقت العصر صعقات[٣]، لنجوم خرّت[٤] من السماء، فوقعت ببلد هناك تسمى العنان[٥]، وسمعت أصواتها في بلاد سفيان وفي تاسع وعشرين من جمادي الآخرة كسفت الشمس، وقت صلاة الضُحى من يوم الجمعة في برج الجدي بعقدة الذنب.

وفيها وصل السلطان بدر بن عبد الله الكثيري، إلى الإمام من طريق الجوف، وكان قد أعد للإمام [١١٠] هدية فأنتهبتها بدو المعضة عليه، أهل المشرق، واستأذن السلطان بدر الإمام في الحج ومعه ولد أخيه، فسار ومات بطريق الحج، فرجح رأي الإمام أن يوجه للشحر نائباً، فسير إليها الفقيه أمير الدين القرشي، وقرريد ولد السلطان على ولاية حضرموت، وما إليها وهو السلطان محمد ابن بدر.

وفي رجب ظهر في جبل جُبَع من مساقط بلاد حُفاش، رجل ينادي ويعظ الناس، ولا يعرف له محل مخصوص دخل هيجة لاحمة، وتوارى بها أياماً وسمى نفسه عبد الله وادعى تارة أنه واعظٌ شريف وتارة أنه المَهْدِيْ وليس هذا زمان

---

(١) البُر: هو القمح.
(٢) الجلجلان: السمسم.
(٣) صعقات: كذا.
(٤) خرّت: سقطت بسرعة كبيرة.
(٥) العنان: تعرف اليوم بسوق العنان وهي مركز بلاد برط.

المهدي، كما يظهر لمن راجع الآثار النبوية، والملاحم المروية، مع أن ظهور المهدي من مكة كما جاء في الأخبار وآل أمره إلى أن عمر هناك قصراً، وجعل حوليه أماكن الخيل، وله أصحاب قد أفسد أحوالهم وزين لهم الشيطان أعمالهم، وحقيقة أمره أنه رجل من بني سود، لهم أصل في الرئاسة[1]، والتظهر بما فيه غرابة من الأمور، فيلبث نهاره بالبيت الذي عمره، ويوهم القصاد أنه نائب عبد الله، فإذا أرخى الليل سدوله، لبس هيئَة الصوفية، من القبع والمسبحة ونحو ذلك، وقد يلبس الملابس الفاخرة ثم يخرج إلى الخلاء وشواهق الجبال، وتظهر منه أصوات تقع في خاطر من يسمعها، وأصحابه عند هذا الشغل يرصدون من مكان قريب ليحفظوه ويقوموا بخدمته، فمن رام أن يأخذ منه وقفة يشاهده فيها فلا سبيل إلى ذلك، إنما يكون بينه وبينه قيد رمح أو أكثر، إما في ليل دامس، أو مع التستر الشديد في ليالي القمر فيخاطبه بألفاظ عامية، تقضي بأنه من أحاد العوام، الذين يستفزون طيش ضعفة العقول، وما زال على هذا الحال حتى تأثل حاله، وجمع النذور من كل أوب، وشحن بها بيته، وأخبرني صاحبنا القاضي العلامة، فخر الدين عبد القادر بن أحمد بن عبد المؤمن النزيلي[2] حماه الله، إنه نحى إلى والده أن عبد الله المشار إليه، هو السودي بعينه، فأرسله إلى هناك ليأخذ حقائق الأحوال؛ وهـذا القاضي عبد القادر بمحل من الذكاء لا يجوز معه التراهات، ولا تتفق عنده الخرافات فعزم ومعه من يخدمه إلى هناك، فعند أن وصل طلب موقفاً من السودي، فأسعده إلى ذلك، فأتقن كلامه وكيفية عبارته [١١١] ونغمات صوته، وإنفصل عنه إلى مكانه الذي صرفه إليه، وكان قد ذكر له أن يأخذ له رأياً من عبد الله في الإتفاق، فقال لا يتهيأ لك الإتفاق بمولانا عبد الله إلا في

(١) الرئاسة: (الرياسة).

(٢) عبد القادر بن أحمد بن عبد المؤمن النزيلي: وفي البدر الطالع عبد القادر بن أحمد بن (علي) بن عبد المؤمن النزيلي (مات سنة ١١٥٤ هـ) وهو من البلغاء في نظم الشعر والنثر، كما كان خطيباً بجامع صنعاء أيام الإمام المتوكل على الله وبعض أيام ولده المنصور بالله. (البدر الطالع، مـ١، ص:٣٦٩).

الليل بمحل كذا وكذا، وسينبهك على ذلك من نأمره بالتنبيه، فلما أقبل الليل أرصد القاضي فخر الدين باب بيت السُّودي ومعه أتباعه كذلك، فلم يشعروا إلا بخروج السودي من الباب على هيئة منكرة، ولم يزل يتلفت حذراً من أن يطلع على تدليسه ثم إلتقاه جماعة وبعدوا عنه، ولما بعد عن بيته ظهرت منه تلك الأصوات، وأشعر القاضي بالمسير إليه، فسار إليه ووصل بالقرب منه ولم يصافحه، بل كان بينهما مسافة فما زال يؤنسه ويسأله عن والده، ويبحث عن أشياء ذكرت النهار بحضرة السودي، قال القاضي فغير صوته بأن رفعه، وإلا فالصوت الصوت والرجل الرجل، والعبارة العبارة، فاستأذنته وقد فرغت من تحقيق حاله.

وقد أفضى تدليس هذا المذكور إلى الملحمة التي طحنت الجماجم وأنست بالعظائم. فإن السيد إبراهيم الحدوري، في رجب في سنة إحدى عشرة ومائة وألف. ثار من جبل مدوم، وادعى أن عبد الله هو المهدي المنتظر، وإنه نائب المهدي ثم استفلوا أهل الشرف، وطافت عساكره البلاد بالسيف، إلى أن وصلوا ثلاء، فانعكس حالهم، وأصدق فيهم أهل ثلاء الطعن والضرب، ووصلوا ببقيتهم إلى سمسرة وهب، وهم نحو الثمانين، ولما وصلت إلى صنعاء أجناد الإمام متوجهة على ذلك الفاجر، الحقيق بقول الشاعر.

شريفٌ أصله أصل حميد ولكن فِعلُهُ غير الحميد
كأنّ الله لم يخلقه إلاّ لتنعطف القلوب على يزيد

فتكوا بهم صبراً عن آخرهم، وتوجّهوا لبلاده وقد استفوا أهل الجهات الغربيّة، وأكثر أهل البلاد الظاهرة، والظليمية[1] حتى إنبهر منه الشريف صاحب مكة ذكر لي ذلك عنه من لقيه في حجة تلك السنة، واتفقت ملاحم ذهب فيها من الجانبين، تحت السيف، نحو خمسة آلاف نفر، وآل أمره إلى

---

(١) الظليمية: ظليمة من بلاد حجة تقع إلى الشمال من مدينة حجة.

الفرار إلى صعدة، حضرة السيد العلامة علي بن أحمد بن الإمام، فلما خاض معه في مستند ما فعله، أجاب بجواب يقتضي بأنه من أغنام الناس فحبسه ثم أطلقه إلى السيف.

وقد وضعت ما هو أبسط من هذا في تسيير أمره وبدو شره، وكنت لا أشك في أنه أحد الدجاجلة، لولا أن في الحديث أن بين الساعة قريباً [١١٢] من ثلاثين دجالاً كل واحد منهم يدّعي النبوّة، وهو لم يدع النبوة كما سلف، وقلت في ذلك:

في رجـــبٍ داعٍ دَعَـــا ... إلى فَسَادٍ وَتَلـــــــفَ
يـــا بئس مَـــا قدّمُـــهُ ... من القبيـــح واقـــترفَ
في فتكـــــه بالعُلَمَـــــا ... وكُــــلَّ مَن لَـــه شَرفَ
وَوصفـــه قَـــد جَـــاءَ في ... تاريخـــــــه شرّ الشّرفَ

وقلت

مثال المعالي بالعوالي اللهاذم[١] ... ومسح الطلا بالبيض لا بالطلاسم
وتحت ظـلال المشرفيـة جنّـة ... أرائكهـا منضودة من جماجم
محت سود أرقام الكهانة في الوغا ... ذوابـل أرمـاح كنقش الأراقم
وجرد إذا هـاج الوطيس تزأرت ... عليهـا لهامـيم الكماة الضراغم
تناعس إبراهيم في سنة الكرى ... ومـال إلى أضغاثه كـل نـائم
ورام افتتاحـاً للبـلاد بجُبـةِ ... وقبـع وطلسم غدا نقش خاتم
وفي كـل وادٍ هام بالسحر قلبهُ ... ووافقـه في سخفه كـل هايم
وصيّر تمويـه الكهانـة حُجـة ... فطـاف بـه في حَجة والتهايم
ولو كـان (بدر بن المقنع)[٢] مقنعاً ... لكـان عليه اليوم دين الأعاجمِ

---

(١) اللهاذم: السيف القاطع.

(٢) بدر بن المقنع: هو بدر بن المقنع الخرساني (مات ١٦٣ هـ/ ٧٨٠م) ثائر من أهل مرو، ادعى الحلول، وقام بفتنة في ما وراء النهر فقضى عليه المسلمون في عهد أبي جعفر المنصور. (المنجد في الأعلام، ص ٦٨٠).

أما أن (هاروتاً وماروت)[1] حذرا ... ببابل من يشرى بصفقة نادمِ
وللنصح قالا إنما نحن فتنة ... لقوم فلا تكفر برب العوالَمِ
فما بال إبراهيم علم قومه ... وأهمل نصحاً كان ضربة لازمِ
وزاد على هذا فأودع سحره ... حمائل في قمصانهم والعمائمِ
يروم دوام الملك في (قفل مدوم)[2] ... وهيهات غير الله ليس بدائمِ
أيُدعى إماماً من تعاطى شريعة ... بجهل وعادى كل قطب وعالمِ
وبث إلى الآفاق جمعاً مكسراً ... بما وفاقه حتى انثنى غير سالمِ
فحكمت الأبطال فيهم صوارماً ... وما غيرها في فيصل من تحاكمِ
ولو حكموا في ما أتوا من صنيعهم ... لدانوا بأن الله أعدل حاكمِ [١١٣]
أيا قاسم دم قاسماً كل مغنم ... فإنك في ذا العصر أهيب قاسمِ
سللت سيوفاً مزقت درع سحرهم ... وكان لجرح البغي أشفى المراهمِ
وأودعت أطواق الحديد رقابهم ... وهل ينفع المسحور غير التمائمِ
وحين تمادوا في قبيح فعالهم ... بعثت بأساد الجلاد القشاعمِ
تطوف من الأبطال شرقاً ومغرباً ... بطوفان نوح من قنا وصوارمِ
لقد نصبوا فوق الذوابل أرؤساً ... تنوح على الخرصان نوح الحمائمِ
وأفنوا بطاريق الوغا في بروجها ... ولو أنها لاذت ببرج النعائمِ
لإن فرّ إبراهيم عن حومة الوغى ... فمن فوقه طير الشقا أي حائمِ
وما فرّ إلا والمهند خلفه ... يلوح وأصوات الردى في هماهمِ
فلو كان فرعوناً[3] ودبر حيلةً ... إلى الجوّ لاستنزلته بالسلالمِ
ولو كان بلقيساً[4] لأرسلت آصفاً[5] ... فجاء به في لمحة أيّ راغمِ

(١) هاروتاً وماروت: ورد ذكرهما في القرآن الكريم على أنهما ساحران فتنا الناس بسحرهما فأخذهما الله بالنكال. (المنجد في الأعلام، ص٧٢٤).
(٢) قفل مدوم: موضع في بلاد حجة.
(٣) فرعون: لقب لملوك مصر، ولعل الشاعر هنا يقصد فرعون موسى لشهرته.
(٤) بلقيس: ملكة سبأ التي عاشت في القرن العاشر قبل الميلاد.
(٥) أصف: تقول الأساطير أنه من جن سليمان بن داود كان يملك قدرة خارقة في سرعة إحضار الأشياء.

تنحل عنا صعدة الشام لائذاً فكان لبرق الشؤم أمثل شائمِ
مضى ليقص الحادثات لمن بها وقد قص من علياه ريش القوادمِ
وكان لشدق الهندواني طعمة فللّـه سيف طاعم أيّ طاعمِ
كذا من عصى في مذهب البغي رأسه فليس له غير المواصي العواصمِ

ولما انحسم ضرره، وبتر عمره، توجهت الأجناد إلى تتبع بقية أصحابه، وفيهم السودي، فاتفقت عند ذلك حروب متعددة، تولى شأنها الأمير السيد الأعظم إسحاق بن المهدي، وغيره وكان غاية ذلك الإستيلاء على جماعة السودي، وفرّ بنفسه إلى حيث يخفى مكانه، ويستتر جثمانه، وسكنت زعازع فتنته، واستراح الناس من قبيح فعلته، وليس هذا محل القصة، وإنما جرّ إليه ذكر السودي المسمى بعبد الله.

وفي أول شعبان سار صفي الإسلام أحمد بن الحسن إلى معين من بلاد الجوف، وأرسل جماعة من الجند إلى صروم المعضة، الذين انتهبوا هدية السلطان بدر، فاستاقوا بعض مواشيهم، ثم تبعتهم المعضة بعد عزمهم[1] ففاتتهم المواشي، وقتلوا من أصحاب الصفي أربعة أنفار. واتفق بين بني أسد بسفيان، هذه الأيام غارات، ذهب فيها ستة أنفار. وفي هذا الشهر سار السيد [١١٤] العلامة محمد بن علي الغرباني[2]، من صنعاء إلى برط، ولما وصل إليهم ذكر لهم أشياء استنكرها من السيرة المتوكلية، وأنه قد تضيق عليه القيام، وعليهم الإجابة والإنعام، وآل أمره إلى العود إلى صنعاء لانخرام ذلك الحساب، وعدم من يعينه على فتح هذا الباب.

وفي رمضان توفي السيد العلامة عز الدين بن دريب، بالطويلة غربي كوكبان، وبيته هنالك، وكان صاحب عرفان في الفقه مشاركاً في غيره، وسمع البخاري

---

(١) عزمهم: مستعملة في اليمن بمعنى رحيلهم.

(٢) محمد بن علي الغرباني: من العلماء نازع الإمام المتوكل على الله إسماعيل في الإمامة فلم يتم له ذلك وبقي في برط من سنة ١٠٧٥ هـ بقصد الدعوة لنفسه بالإمامة ثم رحل إلى خولان العالية ومات سنة ١٠٩٦ هـ (مصادر الفكر الإسلامي، ص٢٢٣).

على بعض بني النزيلي، وكان في زمن المؤيد بالله نائباً بالطويلة[1]، فلما صارت إلى الأمير الناصر بن عبد الرب، بولاية الإمام المتوكل عذره عنها، فاستمر استقراره بها وتولى منصب القضاء، وكان بصيراً بواقع الجواب، كتب إليه الإمام وهو أمير بخدار، للداعي أحمد بن أمير المؤمنين صنو الإمام، وكان من كتابه: لا ينبغي من مثلكم وأنتم بمحل من العلم، أن تكونوا بغاة علينا، ومحاربين لنا. وصنوكم أحمد المتقدم إلى الدعوة عليكم. فأجاب الإمام: ظنية اجتهاديه. وكان صاحب توقد وحدة، وفي الأحاديث الدائرة على الألسنة، الحدة تعتري خيار أمتي.

اتفق في بعض مجالس تدريسه أن رجلاً راجعه في العقائد، وكان ذكر له أن مذهب آبائك كذا وكذا، فقال أنا أعرف بمذهب أهل البيت منك، وأقوالهم وكتبهم، ورواياتهم، وأحوالهم، ثم أمر بإخراجه من حضرته، وأن لا يعود إليها.

ولما استقر الصفي هذه المدة بالجوف وجد هنالك مآثر أشبه بأهرام مصر، محفوفة بنهر مراد، ونهر شوابه[2] وهو نهر فوار لا يمكن عبوره أيام الأمطار، وفي غيرها لا يعبره إلا الشطار. قيل وهو كنهر السحول[3] باليمن، لكن أهله أشرار، وليس في الغالب من أهل القرار، إنما عمدتهم على اللحوم والألبان لا على الثار، ولما تخلل الصفي ومن معه تلك المآثر، التي تبهر الإنسان، وتنطق عن ساكنيها بغير لسان، دبت عليهم نمل كأنها الرمل، وأزعجتهم عن ذلك المحل. وهذه الآثار المجهولة، والأطلال التي كانت مأهولة، قد حلت في نظيرها في بلاد دهمة طيور على من أراد أن يفتش عن عجائبها، حتى اضطرتهم إلى الخروج عن جوانبها.

وفي شوال اتفق أن بيتاً بالقرب من دار النقيب جوهر سعدان، شرس على أهله الجان، وأصابه طائف من الشيطان، فتكرر إليه الرجم في الليل

---

(١) الطويلة: مدينة صغيرة تتبع محافظة المحويت وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة صنعاء.

(٢) منطقة بين الجوف وأرحب.

(٣) نهر السحول: هو ليس نهراً بمعنى الكلمة وإنما وادي يرفد المياه النازلة إلى وادي زبيد ويقع إلى الشمال من مدينة إب إلى الشرق من جبل حُبيش.

والنهار، حتى كاد أن يسلب عقول أهله كما سلبهم القرار [١١٥]، ولصدور مثل هذا عن الجان نظائر وأشباه، وأما تشكلهم ففيه الخلاف، وأنكره العلامة صاحب الكشاف، وتكلم عند تفسير قوله تعالى ﴿كَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾(١) بما لا تدعو إلى تمحله الحاجة، ولا يمس محافظة على قاعدة إخوانه المعتزلة(٢)، وقد قابله كلام سعد الدين بما يكفي ويشفي. ورأيت سيدي عز الإسلام محمد بن الحسين بن المنصور، قد كتب على هامش حاشية السعد، ما لفظه رأينا من هذا الشكل ما يبهر العقول، ويردع رائده عن طرق الفضول، انتهى.

وفي ثاني شوال توفي الشيخ الرئيس أحمد بن عامر الجماعي، من مشايخ اليمن الأسفل، وهو الذي تزوج إحدى بنات شرف الإسلام الحسين بن المنصور. وفي آخر شوال سار إلى مكة بإمارة الحج، السيد بدر الدين محمد بن صلاح الجحافي، وزير الإمام وعُذر الحاج فرحان، عن ذلك لما حصل بينه وبين الحرامية في العام الماضي.

التَّجْهِيزُ عَلَى حُسَيْنِ بَاشَا صَاحِبِ البَصْرَة-

قد ذكرنا فيما مضى أن الحسين باشا صاحب البصرة، أخرج عيسى باشا عن وكره، وضمّ قطره إلى قُطره، والقدر يقول لعيسى أنت عائد إلى ربع ملكك الفسيح، فاصبر كما صبر سميّك المسيح، حيث نسب إليه كل أمر عظيم، حتى قيل هو القديم، وأحد الأقانيم، وأما الحسين فقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فسيرك التسعة والتسعين بعد إزعاجه، وكان عيسى قد عرض شكواه إلى

---

(١) من سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٢) المعتزلة: جماعة من المسلمين اعتمدوا على المنطق والقياس في مناقشة القضايا الكلامية، أهم تعاليمهم:

١ - إن مقترف الكبيرة ليس بالكافر ولا بالمؤمن بل في منزلة بين المنزلتين.

٢ - حرية الإختيار، أي أن الإنسان ذو إرادة حرة وليس مجبراً على إتيان أعماله.

٣ - القرآن مخلوق.

كما ناقشوا قضايا التوحيد والعدل والصفات الإلهية. (المنجد في الأعلام، ص٦٧٣).

الأبواب وابتهل مع ذلك في الباب، الذي ليس دونه من حجاب، فجاءه من خبر ذلك الإبتداء، أنه قد لبيّ له في ذلك النداء، وفي أثناء ذلك أخذ حسين باشا يُقبل منه في الذروة والغارب، ويشعره بأنه مقلع عن تلك الأحداث تائب[1]، وأنه يعاود ملكه ولا ملامة، ويقدُم إليه على الرُحب والسلامة، فأشار عليه بعض خواصه بالإعراض، وذكر أن هذا التذلل من هذا الجبار لأغراض، وأنك لا تأمن الغوائل، وأهونها السم القاتل، فقد سلف منه إلى بعض من عارضه هذه الدّسيسة، وتحققت من فعلاته هذه الفعلة الخسيسة، فرجح عند الباشا جانب المشير، وقضت الخيره به وما ندم المستخير، وأجاب: إني إنشاء الله قادمٌ عليه، وأخذ بالتحرز الكلي لديه، فسار إليه واتفقا على ذلك الكلام، وتناول لذيذ خطابه، وامتنع عن طعامه وشرابه، وانفصل إلى قطره ملحوظاً بعين الاعظام، نافذ السهام.

ثم لم يلبث الحسين باشا [١١٦] أن ملأت مسامعه الألسنة أن البواش السلطانية، والأمراء العثمانية، قد أقبلوا إليه بالخول[2] والخيول، ورموا دائرة مملكته بأفلاذ كبد إسطنبول، وكان قد ظهر فتكه، وتأثل ملكه حتى تسلطن على الحقيقة، وأخذ في يده من صروف الأقدار وثيقة فلمّ عند ذلك أطرافه، وحمّل مناواة صاحب التخت أكتافه، ووزع جيوشه على أطراف البصرة، وربما ضرب تحت رمله ونظر في النجوم نظرة، ومع ذلك فإنه لاطف أمراء السلطان، وعرفهم أنه غلامه، وبكرلبكيه وخدامه، وأن الباشا عيسى قد طاب خاطره وقر بعوده على مملكته ناظره، وربما دس إلى الأكابر مالاً، وله مراهم في القلوب لا توجد في كتاب مالا، وخوفهم بأنه مقصود مدافع، وأنهم إن لم يرجعوا صب عليهم البلاء الواقع، ورمى بنفسه إلى نحر المهالك، وكان معهم في المملكة كصاحب مالك، حيث قال.

اقتلوني ومالكـــــــــاً   واقتلوا مَالِكـــــــاً معي

---

(١) تائب: (تايب).

(٢) الخول: العبيد والإماء (المنجد، ص١٩٩).

فعادوا عنه إما لذاك وإما لهذا، وليتهم رجعوا إلى اسطنبول يتسللون لواذا، فإنهم عادوا في هيعة[1]. وتجميع ونوبة وترجيع.

فهم في جوع لا يراها إبن داية وهم في ضجيج لا يحس به الخلدُ

قيل إنهم زهاء أربعين ألفاً، من حضرة السلطان، ينضاف إليهم جمع من بغداد وكثير من البلدان، فلما حصلوا في اسطنبول، أمر السلطان محمد أعيانهم بالمثول، وقال لهم أُمِرتُم أن تأتوا بحسين باشا في الحديد، أم على هذا الوجه الذي ينافي المروّة، ويسود وجه الفتوة، وربما عرض الكبراء[2] على السيف، وأذاقهم وبال الميل والحيف، وكان من خبر حسين باشا ثبوت الوطأة على مملكة البصرة، من هذا التاريخ إلى سنة ثمان وسبعين، وسيأتي هناك تمام الخبر، وما رعفت به أنف القدر.

وفي ذي القعدة توفي بالأبناء القاضي العارف الهادي بن عبد الله الحشيشي، وكان قد بلغ الشيخوخة، وكان من أعوان الإمام القاسم بن محمد، وولده المؤيد رئيس قومه بني حشيش وأهل السر، واتفق له تعب كثير في ولاية سنان باشا، فإنه شدد على عالم الفقهاء البوادي، ولما كان المذكور من جملتهم فرّ إلى بلاد خولان، ورافق القاضي سعيد بن صلاح الهبل[3]، فبقى هناك في حال جميل حتى دخل سنان باشا[4] إلى خولان[117]، فهرب ورفيقه إلى بدبدة، ولم يشعروا إلا وقد أطل عليهم من رؤوس الشواهق، ولمعت من بطون بنادقه البوارق، وكان المذكور ممن الطلب في أثره، فألم إلى تنكر الملبوس، فغير إشارة الفقهاء وخلع عن عاتقه

(1) هيعة: خوف وفزع (تاج العروس، م٥، ص٥٦٢).

(2) الكبراء: (الكبرى).

(3) سعيد بن صلاح الهبل: قاضي وعلامة فاضل من تلاميذه الإمام المتوكل على الله إسماعيل، سكن صعدة مدة ثم عاد إلى الأهنوم ومات بها سنة ١٠٣٧ هـ (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٩٦).

(4) سنان باشا: هو سنان باشا الكيخيا قائد عسكري عثماني عمل في اليمن تحت إمرة حسن باشا الوزير، ثم أصبح والياً على اليمن من عام (١٦٠٤-١٦٠٧م). لمزيد من المعلومات يفضل الرجوع إلى كتاب سيد مصطفى سالم (الفتح العثماني الأول لليمن).

الأزرار، واعتم بالسباعية[1]، وتأزر بالإزار، وبقى على ذلك نحو ثماني سنين، حتى أفضت البلاد إلى يد جعفر باشا، وعاوده الأمان، فعاد إلى الأوطان. وفي ذي الحجة مات بالمرض ببيت القابعي عالم واتفق مثله ببندر المخا.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍ وَسَبْعِينَ وَأَلْف - في محرمها وصل حاج اليمن، واتفق معهم في الدخول بعض شلش[2] مع الحرامية، وقتل منهم واحد، ومن مصكر المحمل إثنان. وفي هذه الأيام رجع صفي الإسلام، أحمد بن الحسن من الجوف وكان في عزمه النفوذ إلى برط، لتقرير الواجبات، وتمهيد الأحوال وربما أراد ضبط البلاد بعمّال، فتفطن لذلك قضاة الجهة، وعلماؤها بني العنسي، ولهم الواجبات تساق إليهم بغير واسطة، فاتفق رأيهم ورأي أعيان برط، أن يستدرك الصفي، على وجه خفي، فحثوا البُرد بالرسائل إلى الإمام، وإلى إبن أخيه الملك عز الإسلام، بما يتضمن أن أحوال البلاد في الصلاح وما هناك خلل، ومنادي طاعتها يؤذّن لدولتكم بحيَّ على الفلاح حيَّ على خير العمل، وصفي الإسلام لا تحمله البلاد هذه الأيام، والواجبات المفترضة في الأموال، قد توجه مصرفها من غير واسطة العمال، فعاد أحمد بعد أن نفذت تلك الرسائل، ونجعت في خاطر الإمام وعز الإسلام تلك الرسائل.

وفيها سار الأمير الفاضل عبد القادر بن الأمير الناصر، إلى حضرة الإمام فقضى حق الزيارة، وأشار إلى اتساع التكليف بعض إشارة، ووقف مع الإمام على أمرٍ يُرجع إليه، وكلام في ذلك يحسن السكوت عليه.

وفيها ساخت جبال باليمن منها جبل في جهة الأهجر حتى كبس[3] الطريق ومنع المارة عنها ومنها ببلاد كحلان وعفار. وفيها مات الفقيه العلامة بدر الدين محمد بن لطف الله الخواجا الشيرازي الأصل، ثم الصنعاني، بوطنه الجراف، خرج

---

(١) السباعية: عمامة يمنية يلبسها أفراد الشعب العاديين ولونها غالباً ما يكون أسود، بعكس عمائم القضاة والسادة ذات اللون الأبيض والشكل الدائري المميز.

(٢) شلش: لعله يقصد بها بعض احتكاك.

(٣) كبس: دفن.

جده من شيراز، واستقر والده لطف الله وشكر الله باليمن، وأما صنع الله وشهرمين، فسافرا إلى مكة واستقرا بها، وكان للطف الله والد صاحب هذه الترجمة في نعومة العيش، والتنقل إلى أماكن النزهة، والأحوال المبسوطة، حال لا يشاركه فيه غيره، نشأ ولده هذا على منهاج الطلب، ولازم حضرة القاضي فخر الدين عبد الرحمن [١١٨] بن محمد الحيمي رحمه الله، فأدرك في المعاني، والنحو، والأصول، والمنطق، ودفن بجزيمة، وأنيف قبره ووضع عليه صخرة، فيها تعريف نسبه، ومرثاة بليغة، أنشأها القاضي العلامة محمد بن إبراهيم السحولي، وله نظم في نهاية اللطف، منه المقطوع الذي سلف.

وفي جمادى الأولى سار الإمام من شهارة إلى حبور، فصادف بها أوقات روح وحبور، واجتمع هناك من السادة آل جحاف بالعلماء الأعلام، والكتبة الكرام، وكان كملاؤهم قد قاموا بمملكته وقعدوا، فسعدت حضرته بخدمتهم كما سُعدوا.

وفي هذا الشهر سار عز الإسلام، محمد بن الحسن بن الإمام، من ذمار الكرد إلى اليمن الأسفل، فسكن بيريم، وحُسن التدبير لا يبرح ولا يريم، ثم طاف بعد ذلك في البلاد، إلى أن استقر بجبلة. وفي هذه السنة خرج شريف من المأخذ، عن طاعة الإمام، وطعن في شيء من سيرته في الأنام، وقال: أن العطاء قصر على نوع خاص من تلك المصارف الثمانية، وربما تاقت نفسه بعد ذلك إلى تسنم الزعامة، والتسمي بالإمامة فلما لم يتلق حديثه بالطاعة، والسمع، ورأى لسان حال الناس بغير الجمع.

أصمّ لا يسمع الشكوى وأبكم لا يدري المقال وعن حال المشوق عَمي

توجه إلى عُمان، وأقلع عن ذلك الشأن، ويقال إنه ركب البحر فمات فيه.

وفيها استقر شرف الإسلام الحسين بن الحسن برداع فاصلح سورها، ونظم أمورها. وفيها توفي حاكم زبيد القاضي إسحق بن جغمان من علماء الشافعية، ودفن بمدينة زبيد المحميّة. وفي شعبان وصل صفي الإسلام أحمد بن الحسن من

الخارد، إلى حبور حضرة الإمام بعد أن استدعـاه ليفاوضه فيما يجاب به عن الشاه، بعد أن وصل جوابه كما سلف، وطلب فيه الإعانة على التخريج على ملك [عُمان][1]، لتوسطه بين مملكتي اليمن والعجم، فلما وقع الخوض في ذلك تولى الجواب بعض كملآء الحضرة، بأن الرأي أن يسدّ هذا الباب، وأنتم الآن أعنا بما في قاعدة مملكتكم من أطراف الإفتقاد، وأنواع الإنتقاد، والصواب طي هذا الخبر، والإشتغال بما حضر، وأخذ يذكر الوجوه المرجحة للتأخير، فوقع كلامه من خاطر الإمام وأجاب على الشاه بما مضمونه: إنا إذا رأينا نهضة وقصدنا عُمان، وتقاضى الحال استمداد عون منكم، مال أو رجال، نبهناكم على ذلك. ومن الأسباب في عدم تمام التجهيز على صاحب عُمان، عقابيل فتنة حسين باشا بالبصرة، وكون عز الإسلام [١١٩] مائلاً خاطره عن هذا الرأي بالكليّة، وهذا أمر عظيم، لا يعقد من دونه مفاوضة ذلك الملك الجسيم.

وفيها جاءت الأخبار بوقوع خسف عظيم في تبريز[2]، من بلاد العجم، وقد كثر في الزمان المتأخر وقوعه في العجم، ولعل حكمته لعن آخر الأمة أو لها فإن وفور هذه السمه في بلادهم، وقد أخبر بعض الحنفية أن رجلاً من بلادهم حرق المصحف الكريم بالنار استخفافاً فما جرأ عليه أحد ولا انتهره أحد، ولا يبعد أن يكون مجوسياً، فأن بلاد العجم وفارس كانت مجوسية قبل النبوه وهرموز[3] الآن وقع الخسف ببعضه وخلا الساكن عن جميعه، وهو في سواحل جهات بلاد العجم مما يلي بندر كُنح، وكُنح من بنادر فارس والعجم وهو في مملكة الشاه، وكان الفرنج قد ملكوا هرموز في المائة التاسعة ثم زالت دولتهم عنه.

---

(١) [عمان]: في الأصل «نعمان».

(٢) تبريز: مدينة في شمال إيران غربي إقليم أذربيجان، تشتهر بصناعة السجاد والطنافس والأقمشة الحريرية (المنجد في الأعلام، ص١٨٢).

(٣) هرموز: وردت كذا وهي «هرمز» الجزيرة الإيرانية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من ميناء بندر عباس.

سائحة بلاد الأزبك[١] متوسطة بين العجم وسمرقند[٢] وبخارى[٣] وهي على تل ساحل البحر الهندي[٤]، وهم حينئذٍ أشعرية[٥] ولا يزال السيف مصلتاً بينهم وبين الإمامية لتقارب البلاد، ولأن بين المذهبين نسبة التضاد، وهي داخلة في مملكة صاحب سمرقند الشريف عبد العزيز، وهو سلطان مستقل له ما وراء النهر من بلاد الإسلام إلى حدود الهند في الجهة البرية مثل كاشغر[٦] وبلاد سمرقند وبخارى وكثير من بلاد الترك المسلمين في جهة المشرق ويليه بالوسط بلاد الشاه، وهي جبال فارس وشيراز[٧]، إلى حدود تبريز، وأصفهان[٨]، يحيط بها من المغرب بحر فارس، ومن المشرق وبلاد ما وراء النهر، وهي سمرقند، وبخارى المذكورة، والسند[٩] له ملك مستقل كالهند، والترك، وخاقان ملك الترك مُلكه إلى الباب، والأبواب، يلي سد يأجوج ومأجوج[١٠]، وأطراف

---

(١) الأزبك: هي ازبكستان حالياً إحدى الجمهوريات الإسلامية السوفيتية تقع في جنوب غرب الإتحاد السوفييتي إلى الشمال من أفغانستان.

(٢) سمرقند: عاصمة ازبكستان وتقع في جنوب شرق البلاد، وقد أنجبت عدداً من كبار المفكرين المسلمين نسبوا إليها.

(٣) بُخارى: تقع إلى الغرب من مدينة سمرقند، وهي ثاني مدينة ازبكستانية في الأهمية بعد العاصمة. وتشتهر بمساجدها ومدارسها ومعامل السجاد والمنسوجات الحريرية (المنجد في الأعلام، ص١١٩).

(٤) على تل ساحل البحر الهندي: تحديد جغرافي غير دقيق.

(٥) أشعرية: فرقة إسلامية تنسب إلى أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الأشعري. (تاج العروس، م٣، ص٣٠٢).

(٦) كاشغر: مدينة صينية صغيرة تقع في أقصى غرب الصين، إلى الشمال من ولاية كشمير الهندية.

(٧) شيراز: مدينة في جنوب غربي إيران، فتحها أبو موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص في أواخر خلافة عثمان وتجدد بناؤها على أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك، واشتهرت بخمرها وسجادها. (المنجد في الأعلام، ص٣٩٨).

(٨) أصفهان: أو إصبهان مدينة في إيران بين شيراز وطهران أعطت عدداً كبيراً من الأدباء، اشتهرت بتجارة الحرير والطنافس. (المنجد في الأعلام، ص٥٠).

(٩) السند: باكستان الغربية.

(١٠) سد يأجوج ومأجوج: لعله سور الصين العظيم (ويأجوج ومأجوج في القرآن أقوام مخربون عاثوا في =

الترك، في المشرق لا يدرى الآن هل دخل أحد منهم في الإسلام أم الكل باقون كما كانوا عليه أيام فتوح الدولتين الأموية، والعباسية، وأما جميع بلاد سمرقند، وهي بلاد الترك التي تقرب إلى جهة بلاد الإسلام، فهم مسلمون من أيام العباسية، وفتوحاتهم، وأما ما خلفها فالظاهر أنهم من التتر[1] إلى حدود الصين، وهم خلق كثير لا يعرفون الإسلام، وحد بلاد إبن عثمان صاحب الروم، البصرة، والعراق، والموصل[2]، وأعظم هؤلاء الملوك مُلكاً وآبهة واقتداراً هو صاحب الروم هذا ما تلقاه بعض النقلة عن لسان الشيخ العارف محمد بن الحسن المُلاّ الحنفي، والعهدة عليهما والله أعلم[١٢٠].

وفيها مات الفقيه أبو بكر عبد الله صُفير، بالصاد المهملة المضمومة، والفاء المفتوحة والياء المثناه التحتية، والراء المهملة، ورأيت له شعراً مقفاً موزوناً يمدح الإمام الأعظم القاسم بن محمد. وفي ذي الحجة من هذه السنة استدعا صفي الإسلام أحمد بن الحسن قبيلة همدان[3]. لتسويد العيد، فتأهبوا للوصول، وبلغ بني الحارث[4] أنهم سيضربون الطبل عند المرور من بلادهم إلى الغراس، فتحزبوا، وتحرشوا، وتنصبوا، وأشعروا همدان، إن من دون ذلك اختلاف المران، وانعكاس المشرفيَّة، وإطراد الأعوجيَّة، فإنها بادرة تكون عليهم فيها عار، ويلحقهم من أجلها ظنيةٌ وشنار، فجاشت خواطر همدان، وقالوا: لا بد من

= الأرض فساداً فوقى ذو القرنين الناس عدوانهم ببناء سدٍ يحول دون طغيانهم) (المنجد في الأعلام، ص٧٤٦).

(١) التتر: هم المغول.

(٢) الموصل: مدينة في العراق وقاعدة محافظة نينوى وهي مركز زراعي وتجاري وصناعي ومن أهم مناطق إنتاج النفط في البلاد، وبالقرب منها أنقاض نينوى العاصمة الأشورية (المنجد في الأعلام، ص٦٩٥).

(٣) همدان: تقع بالشمال الغربي من صنعاء ويطلق هذا الإسم حالياً على المنطقة المجاورة لصنعاء يحدها شمالاً عيال سريح، وجنوباً بلاد البستان (بني مطر)، وشرقاً بني الحارث وأرحب وغرباً قضاء كوكبان (اليمن الكبرى، ص٧٥).

(٤) بني الحارث: وهي منطقة صنعاء يحدها شمالاً بلاد أرحب، وجنوباً بلد سنحان، وغرباً بني مطر وهمدان وشرقاً بني بهلول وبني حشيش ونهم (اليمن الكبرى، ص٧٤).

المرور غايته أن تصطدم الرؤوس، وتندق الصدور، فنحن الملا، والفرانيق العلا، سابقتنا قديمة، ومنزلتنا عند الأئمة والملوك فخيمة، ونحن شيعة أئمة الدين، والمراد بقول أمير المؤمنين[1].

فلو كنت بواباً على باب جنّة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

فيا صباحاه لمصافحة الصّفاح، واختلاف خرصان الأرماح. فلما نقل هذا التقاول إلى الإمام، استدعى إلى حضرته صفي الإسلام فوصل الصفي إلى صنعاء، فكان ذلك حداً للخصام، حيث حوا جمعاً ومنعاً.

وفي ذي الحجة خسف القمر ببرج القوس. وفي ثانيه توفي السيد العلامة المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي المفضلي، ببلاد ولايته عتمة، ودفن بها، وكان قد جمع سيرة الإمامين المنصور بالله وولده المؤيد، وطرفاً من سيرة المتوكل، ولم أقف عليها عند رقم هذا الكشكول، ليتصل بصفحات خبره من قميصها ذيول، وولى عتمة فاستمر بها من دولة المؤيّد إلى وفاته، في عشر الثمانين، ممتعاً بسمعه وبصره.

---

(١) أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب الذي مدح همدان بقصيدة شعرية تقديراً منه لجهودهم ووقوفهم إلى جانبه وقد جاء فيها:

ولما رأيت الخيل تُقرع بالقنا ... فوارسها حمر النحور دوامي
ونادى ابن هند ذا الكلاع ويحصُب ... وكندة مَعْ لخم وحيّ جذام
تيمّمت همدان الذين هُمُ هُمُ ... إذا ناب أمرٌ جنتي وسهامي
وناديتُ فيهم دعوة، فأجابني ... فوارس من همدان غير لئام
فوارس ليسوا في الحروب بعزّل ... غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشمَّ المطاعين بالقنا ... ونِهْم وأحياء السبيع ويام
ووادعة الأبطال يخشى مصالها ... بكلّ رقيق الشفرتين حسام
ومن كل حيٍّ قد أتاني فوارس ... كرام لدى الهيجا وأي كرام
جزى الله همدان الجنان فإنهم ... سمام العِدافي يوم كل سمام
رجال يحبون النبيَّ ورهطه ... لهم سالفٌ في الدين غير أثام
هُم نصرونا والسيوف كأنها ... حريق تلظى في هشيم تمام
فلو كنت بواباً على باب جنَّة ... لقلت لهمذان ادخلوا بسلام

(الصليحيون، ص١٧-١٨).

وحين عرف الشيخ راجح الكينعي، عامل الإمام على دكة تعز أنه لا يتم له مع عامل عز الإسلام مراد، وإن الإشتراك مظنة للفساد، اعتذر هذه الأيام عن نيابته واعتزل، ومن أمثالهم (مُكره أخوك لا بطل) فسار إلى حضرة ولي السعادة، وربما وله في باطن الأمر إرادة.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَلْف - في محرمها وصل خبر الحج بالسداد، فلم يتفق في حرم الله شيء من الإلحاد، غير أن حاج العراق انقطع بسبب ما اتفق من فتنة حسين باشا. وحج بهذه السنة المتقدمة السيد العلامة جمال الإسلام، فربما حاول وقفة من الشريف زيد، فاعتذر عنها، واتفق باليمن شدة[١٢١]، لتأخر معالم المطر، وظهور الجراد، الذي كثر وانتشر، ثم رخصت بآخر السنة الأسعار، واضمحلت أسباب الأعسار. وفيه قرر الإمام على بلاد الحيمة، الجبا والضمانة[١]، وكانت قبل مسوقة إلى الإمام، بالأمانة لسوالف صنعوها مع المؤيد يستحقون بها التقريب، والتقرير لليد، فكان البعض تساهل في الحق الواجب، ولم يعرف أنه ضربة لازب[٢]، ووجه المصلحة مكشوف والخرص دليله معروف، ولما امتنعوا وارتفع منهم جماعة إلى حضرة الإمام شاكين لم يُشكهم الإمام، واستقر ما أراده من الأحكام.

وفيه سار الإمام من محروس شهارة إلى سودة شظب، لأحوال تقاضت، وأسرار نظر فاضت. وفي رابعه وفدت أخبار مكة بوفاة زيد بن المحسن، وهو أميرها المشهور، وهزبرها المصور، وإليه أيضاً من السلطان نيابة الحجاز والمدينة، وينبع والصفراء[٣]، وعنزة وبدر[٤]، وخيبر[٥]، ونجد الأعلا كالطائف وما يتصل به من اليمامة، إلى بيشة إلى بلاد البديع التي بها الشيخ الجميلي إلى

---

(١) الجبا والضمانة: نوع من الضرائب تؤخذ على الأرض الزراعية.

(٢) ضربة لازب: واجب ثابت (تاج العروس، م١، ص٤٧٠).

(٣) الصفراء: اسم وادي يقع إلى الجنوب من ينبع.

(٤) بدر: تقع إلى الجنوب الغربي من المدينة المنورة.

(٥) خيبر: تقع إلى الشمال من المدينة المنورة.

الصفده[1]، إلى حلي، إلى عتود[2]، وبيش، ورثاه الشيخ صارم البلاغة، إبراهيم ابن صالح الهندي[3] بقوله.

بـــأبي المجـــد عَزٌّ أمّ القُراء ... وابـك زيداً يا عمرُ أي بكاء
واجر حمراء دمعتيـك لوجـه ... وسدوه بالراحـــة البيضـــاء
مـات من قدحهُ المعلى وأضحى ... ثاويـاً في ضرائـــح المعـلاء
يـــا لنـــاع أصم لمــا نعـــاه ... أذُن المكرمـات والعليـاء
قرح القلـب في المقال بغيه آل ... ترابُ كم قـد أثار من برحاء
يـا خليـلي سائلا كـل ركـب ... أصحيـحٌ ممـات زَيـد العُلاء
واسألا عن مشاعر البيت (فالطا ... ئف) و(المنحنا)[4](فشعب مناء)[4]
لا عجيبٌ (لطيبة)[5] أن نعته ... وبكتـــه بعينهـــا الزرقـــاء
واسألا عن (أبي قبيس)[6] أبـاقٍ ... هو أم قد هوى إلى (البطحاء)[7]
وإذا مـا بكت بعين (حنين)[8] ... (بكّـةٌ)[9] عن حنين صادٍ وباء
وقليـل أن يحزن الحجر الأسو ... د فالحزن عـــــادة السوداء

---

(١) الصفدة: لعلها السودة المجاورة من الغرب لصحراء النفود، فالصفدة لم يذكرها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) ولا ياقوت في معجمه وإن كان الأخير قد أشار إلى صفد التي ببلاد الشام.

(٢) عتود: وادٍ أعلاه في عسير وأسفله في تهامة. (هامش صفة جزيرة العرب، ص٧٧).

(٣) ابراهيم بن صالح الهندي: هو إبراهيم بن صالح الهندي الصنعاني (مات سنة ١١٠٠ هـ) أشعر أهل عصره، وله ديوان شعر في مجلد ضخم، وكان يتشبه في مدحه وحماسته بأبي الطيب، وأكثر مدحه في الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، والإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم. (البدر الطالع، م١، ص١٦، ١٧).

(٤) المنحنا فشعب مناء: مواضع معروفة بقرب مكة.

(٥) طيبة: اسم لمدينة الرسول ﷺ (معجم البلدان، م٤، ص٥٣).

(٦) أبي قبيس: اسم الجبل المشرف على مكة (معجم البلدان، م١، ص٨٠).

(٧) البطحاء: بطحاء مكة.

(٨) حنين: قرب مكة، وقيل هو وادٍ قبل الطائف، وقيل وادٍ بجنب ذي المجاز (معجم البلدان، م٢، ص٣١٣).

(٩) بكة: من أسماء مكة ذكره القرآن الكريم.

كم قلوب سعت إلى جرات[1] الـ ... كرب واستسلمت إلى (المسعاء)[1]

ونفوس سالت على (مروة)[1] الوجد ... ومالت عن عهد ذاك (الصفاء)[1] [١٢٢]

(ومقام إبراهيم) لم يك برداً ... وسلاماً عليه نار الأساء

ولكم قد بكى له (الركن والحجر) ... بعين من (زمزم) قرحاء

وترى الكعبة الشريفة لاحت ... في حداد الرزية الدَاداء

وحجيج الشام لما نماه ... ذكر الملتقى على (الصفراء)

وشجى يوم موته ركب مصرٍ ... فبكاه بدمعة حمراء

أي رُزءٍ عم البسيطة كرباً ... مثل يوم الشهيد[2] في كربلاء[3]

ومصاب لُديه جدلت الآما ... ل صرعى واسود وجه الرجاء

لا تسل عن عفاته أين صاروا ... لحقوا بالعقاب[4] والخنساء[5]

حملته بنات نعش[6] فأمسوا ... وهم في منازل العوّاء[7]

حامليه على السرير رويداً ... ليس بالمستطاع حمل (حراء)[8]

دافنيه في الرمس مهلاً أفيقوا ... لا تواروا بالترب شمس الضحاء

---

(١) جرات، المسعا، مروة، الصفاء: من مناسك الحج معروفة.

(٢) الشهيد: الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٣) كربلاء: مدينة بالعراق تقع إلى الجنوب من مدينة بغداد تقريباً. استشهد فيها الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه وفيها قبورهم. (المنجد في الأعلام، ص٥٨٥).

(٤) بالعقاب: هي (عقاب) أم الشاعر جعفر بن عبد الله بن قبيصة. (تاج العروس، م١، ص٣٩٣).

(٥) الخنساء: أعظم شواعر العرب، قتل أخواها معاوية وصخر فرثتهما محرّضة قومها على الأخذ بالثأر، وقد أسلمت واشترك أولادها الأربعة في موقعة القادسية وفيها قتلوا، لها ديوان شعر أكثره في الرثاء. (المنجد في الأعلام، ص٢٧٤).

(٦) بنات نعش: مجموعة من النجوم تشاهدها جهة القطب الشمالي وعددها أربعة عشر نجماً، إحداها تسمى بنات نعش الكبرى والأخرى بنات نعش الصغرى (المنجد، ص٥١).

(٧) العواء: من المنازل الفلكية للقمر، وهي خمسة كواكب يطلق عليها ورك الأسد، أو أربعة كواكب تعرف أيضاً بعرقوب الأسد، وسمي بالعواء لأنه يطلع في ذنب البرد فكأنه يعوي في أثره يطرده. (تاج العروس، م١٠، ص٢٥٩).

(٨) حراء: جبل يقع شمال شرقي مكة، كان النبي يتعبد فيه قبل بعثته (المنجد في الأعلام، ص٢٣١).

حـاذروا كفّـه فذاك عبابٌ مَوجُـه طافح بفيض النـداء
كـان جيداً كم رمت أهدي إليه قبـل هـذا الرثاء دُرّ ثنـاء
فعزيز عـلى البلاغـة أن تبـد ل دُرّ الثنـا بجزع الرثـاء
أين أخلاقـه الكريـمة كانـت ذات زهرٍ كالروضـة الغنـاء
أين أقلامـــه وأين مواضٍ منه تجري في الدهر مجرى القضاء
أين خطيّـــه المثقـف إمّـا دارت الحرب فهو قطب الرحاء
أين شهباء جُرده حين أضحى ثاويـاً وسط باطن الشهبـاء
عظم الله يــا صفي المَعَـالي لـك أجراً في سَيّـد النبلاء
في أخيك الشريف زيد ومحض آل ودّ في البعـد مؤذن بالإخاء
كيـف والجامع السلالـة منكم نسب يعتزى إلى الزهراء
والملوك الكرام في الناس أكفاء وحسن العزاء للأكفـــاء
أنتم يـا بـني الإمـام وزيـد وبنوه كأنجم الجوزاء
عزّ منهم محمـــداً أو أخــاه أحمدالجمدواضح الأنباء[١٢٣]
ثم عَزِّ الهمام سعـــداً فسعـدٌ هو فـــأل الخلافــة القصاء
آس قلباً في صدره الرحب شهما فزوال الأساء بالتّاساء
وبخـير الورى التأسى وبالمـا ضـين والتابعـين والخلفـاء
قـل له أنت مرهفُ ليس تخشى صَـدءاً من حوادث الجُـلاء
لم يمت يـا أخـا السّيادةَ ليثٌ أنـت في غابـه صنيع الحماء
لا ولا يطرى الحسود ببـــدرٍ أنـت سارٍ من أفقه في سماء
فاستـنر كوكب السرور فقد لا ح لومـض العزا بمحس الهناء
لا تضق عن أبيك ذرعاً فزيدٌ خالـد وسط جنـة المـاواء
صار في زمرة النبي وسبطيه[١] وضيف البتول[٢] والمرتضاء[٣]

(١) سبطية: الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب.
(٢) البتول: فاطمة بنت الرسول ﷺ وزوج علي.
(٣) المرتضاء: علي بن أبي طالب.

غـاب مستكرم السجية والفضل حميــد الأصبـاح والأمساء
وسلامٌ عليـه تـترى وَجَـادَت تُربـه كـل ديمـةٍ وطفـاء

ودفن بمكة المشرفة على شرفها أفضل السلام ورحمة الله.

إضْطِرَابُ[1] **أحْوَالْ الأشْرَافَ وَتَقرّر المُلك لِسَعْد بن زَيْد** - فتطاول الشريف حمود، إلى أن يكون صاحب البندر المعقود، وهو خليق أن يصعد عليه التاج، ويكون أمير تلك الفجاج، لتلك النخوة القرشية، والحركات السُبعيَّة. ولا يحوط جانب ذلك المقام، سيا مع غُرْبة الإسلام، غير من أطعم الأساد، وأروى الصّعاد، إذا همهم مالت الأسد عن طرقه، وإذا غضب خلع هياكل السلطنة من عنقه.

وصولٌ إلى المستصعبات برأيه فلو كان قرن الشمس ماءً لأوردا

وما المراد أهليته لأجل ملاحظة أحوال الشرع، فسيأتي أثناء هذا التاريخ ما يقضي أنه من وراء ظهره، لكنه كان بمكة يومئذٍ من أعتام الجهل من العرب، والترك، والعبيد، وغيرهم من لا يقمع رؤوسهم الأسيفه، ولا يقوم إعوجاجهم إلاّ حيفه، فالحال كما قال:

قـد استشفيـت من داءٍ بـداءٍ وأكـثر مـا أعلّـك مـا شَفَاكَـا

لكن اتفق أن زيداً أنجب أولاداً كانوا أعلق بذيل نيابة السُلطان، وأشهر إلى خاطر الأميرين ذي الفقار وشعبان، وأكثر الميل إلى الشريف سعد وأخيه محمد، فاغتنم غفلة الشريف محمد [١٢٤]، وكان يومئذٍ بالمدينة وسنانه أطول، وسنه أكبر وأجلّ، وحين قضيت إمارة سعد بليل، نادى محمد يحيى بالثبور والويل، وقال كيف إمارة الأحداث، لا بُدّ أن يجرّ على هذا المنصب أنواع الأحداث، ويدلّ على إجتثاث هذه الرتبة من أصلها، كما دلّت في سالف الزّمان براقش[2] على أهلها.

---

(١) اضطراب: صُححت في الهامش كذا وهي في الأصل (انضراب) وكذلك في (أ،ب،جـ).

(٢) براقش: من مدن حضارة معين في بلاد الجوف وتقع إلى الجنوبالغربي من مدينة معين قريباً من جبل يام (تاريخ اليمن القديم، ص٣٤)، وبراقش اسم كلبةٍ جرى بها المثل يقال دلت على أهلها براقش (منتخبات في أخبار اليمن، ص٦) وهي المراد في هذا السياق.

أورَدَهَـا سَعدٌ وسعدٌ مُشتمِـلِ   مَـا هَكذَا تُورَدَ يَا سَعد الإبل

إلى كلام يخب فيه ويضع، وتوجّع عظيم لو نفع. وكان انتصاب سعد مشروطاً برفع خبره إلى الأبواب، وما جاء من هناك فهو المعتمد والصواب، وربما أن رفع هذه القضية، إلى مسامع السلطنة العثمانية كان عقب دس البراطيل[1]، التي انتفع بها كم من عليل، وانتقع بها كم من غليل، فوقع الإتفاق من نائب جدة وسائر أعيان مكة على أن يرفعوا خبر الشريف زيد، وإنهم متوقفون على من تنسب إليه تلك البقعة، ويذكر بالخطبة مع صاحب التخت، وتخرج برسمه الخلعة، وتأخر الجواب إلى رجب هذه السنة، ثم ورد لسعد بولاية مفوضة، ودولة ممكنة فكان أخوه أحمد خادم إشارته، وهارون وزارته، فالتفت سعد إلى ضبط المملكة بجأش ثابت، وقدم أرسخ من الثوابت تركع بين يديه الأشراف والملوك، وتزهو باسمه ورسمه المنابر والصكوك، وحين لباه القدر وأسعد، ومال عن الشريفين حمود وأحمد، تردد في جوانب الصفراء وينبع وتلك الديار، مستندين في إمضاء الأحكام إلى قائم السيف البتار.

ومن تكن الأُسُد الضّوارى جُدُوده   يكن ليلـه صُبحاً ومطعمُه غصبَا

وفي آخر ربيع الثاني سار إلى برط السيد بدر الدين محمد بن علي الغرباني، وانفذ رسالة إلى الإمام، تتضمن القدح في شيء من الأحكام، وهذا السيد له فطنة قوية، وبلاغة علويّه، وباع في العلوم غير قصير، ونظر إلى سائر الكمالات غير حسير، غير أن الولايات أرزاق، وليس التقيد بها لكل كامل على الإطلاق.

وفيه رفع الإمام ما كان وضعه بالأسواق، ولم يبق من القبالات إلاّ ما كان من قبل. وفي جمادى الأولى اتفق بصنعاء وقت الضُحى زلزلة ورجفات، ومضت بها وما حولها جراد، لم يعهد مثلها في الكثرة، قيل أنها ارتفعت من بطون تهامة إلى الجبال، ثم انتشرت في الشام، حتى بلغت دمشق وحلب، ثم انتهت إلى الروم، ولم تعاود اليمن إلى سنة خمس وثمانين كما سيأتي. ووجد مكتوبات في

---

(١) البراطيل: الرشوة (المنجد، ص٣٤).

أذنابها برقم نميم، محمد بن إبراهيم، فسبحان القادر الحكيم [١٢٥]. واضطربت هذه الأيام أحوال الأشراف، وخاف كل واحد على نفسه التلاف.

وفي نصف جمادى الآخرة خُسِفَ القمر عند طلوعه ببرج الجوزاء. وفيها أخبر تجار عُمان الواصلون إلى اليمن، إنه قد برز أمر السلطان صاحب القسطنطنية، بالتجهيز على حسين باشا صاحب البصرة، وَعَلَى ذِكْرِ ٱلبَصْرَةِ فهي الآن فؤاد قطرها، وقاعدة مصرها، تنسب تلك البلاد إليها على العموم، ويستقر بتختها منصوب الروم، بها قصور وبروج، يتخلل حريمها بساتين ومروج، ولها نهر مجرور من دجلة يمضي في كل شوارعها، ويتبلبل في حافتها، فيلذ لسامعها، ولشُعبَه إلى بيوتها، جداولٌ مدمجة، ينصب منها إلى حياضٍ مصهرجة، فينتفع به أتم الإنتفاع ثم يرسل إلى تلك البساتين، فيجاوب أطيارها بأفنان التلاحين ويقبل أرض رياضها المغدقة، ويتلوث بأقدام أغصانها المورقة، فطوبى لمن وصلها بفصل الربيع، واستملى من أزاهر أفنانها فن البديع، ظلّ أغصانها حاجبٌ للشمس، ولا يأذن إلا للنسيم، لأن كل غصن ملك متوج من زهره بدرٍ نظيم، وطيرها لحنه فارسي معرب التلحين، فلو تكلم بلسان عربي مبين، لأفصح معرباً وأنشد مطرباً.

بادر لروضك تلق فيه مُهيئاً ... للقاك بالمعنى الذي يَستغرِقُ
فالطير تشدو والنسيم مُحرّكا ... والغُصن يَرقصُ والغَدير يُصفّقُ

ولها فضل على بغداد بتخلل النهر جميعها فلكل حارة منها حظ مقسوم، وشرب معلوم. وتلك لاستعلاء بعضها عجز نهرها عن سير الإرتفاع، وانسابت ثعابينه فيما انحدر من البقاع، وأمّا الكوفة[١] فهي الآن خراب، لا يسكنها غير الضبا والضباب، شعراً.

---

(١) الكوفة: مدينة في العراق تقع على ساعد من الفرات غرباً، أسسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية، واتخذها علي بن أبي طالب عاصمة له وفيها قتل، وكانت إلى جانب البصرة مركزاً للثقافة العربية. (المنجد في الأعلام، ص٥٩٨).

لبلدة سامُرّاء[1] قد فاض سرها   فسبحان حامي سُرَّ مُرًّا وماحيها

وفي سابع وعشرين من رجب توفي القاضي، العلامة فخر الإسلام عبد القادر ابن علي المُحيرسي ببلده المحيرس من أعمال الشاحذية[2]، وولي الحكم هنالك، فسلك فيه أيمن المسالك، بقدم واقف في العلوم على تخوم الرسوخ، وغرار فهم يقطع من مقاولة الخصوم عِرق اليافوخ[3]. قرأ على العلامة المفتي بعلمي المعقول والمنقول، ووافق رأيه في مختارات الأصول، وكلاهما متشرع في بحر الحجة محمد ابن إبراهيم، مشرع إلى بحر الشبه خطّى تصميمه الصّميم، وقد دار بينه وبين الإمام، كؤوس خلاف هي الدّمن المدام، وكان القول فيها ما تقول حَذَام، ومن رأى ما في كتابي الإيثار، والعواصم، من تيسير جعل الخلاف لفظياً، أعرض عن تطويل تلك الأبحاث ونبذها ظِهرياً، [١٢٦] وما أحسن قول صاحب الجمل:

يكفيك من جهة العقيدة مسلم   ومن الإضافة أحديٌّ حيدري

وقد لاقى حاصل معنا قول بن دقيق العيد[4].

تجاوزت حد الأكثرين إلى العُلاَ   وسافرت واستبقيتهم في المراكزِ
ولجّجت في الأفكار حتى تراجع   اختياري إلى استحسان دين العجائزِ

قلت: حديث عليكم بدين العجائز. قال السخاوي: لا أصل له، لكن عند

---

(١) سامراء: مدينة عراقية تقع على ضفة دجلة اليمنى، اتخذها المعتصم العباسي عاصمة له وأطلق عليها اسم «سُرَّ من رأى»، وقد انحطت بعد أن نقل الخليفة المعتمد العاصمة من جديد إلى بغداد. (المنجد في الأعلام، ص٣٤٦).

(٢) الشاحذية: تقع جنوب غربي كوكبان ولخصب أرضها يسمونها تهامة الجبال (هامش صفة جزيرة العرب، ص ١١٠).

(٣) اليافوخ: الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل وهو فراغ بين عظام جمجمته في مقدمتها وأعلاها لا يلبث أن تلتقي فيه العظام (المنجد، ص٩٢٦).

(٤) ابن دقيق العيد: هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥-٧٠٢هـ/١٢٢٨-١٣٠٢م) قاض، من أكابر العلماء بالأصول تعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة، له تصانيف منها «إحكام الأحكام» و«اقتناص السوانح» وغيرها، وكان مع غزارة علمه ظريفاً له أشعار. (الأعلام، م٧، ص١٧٤).

الدّيلمي من حديث محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني[1]، عن أبيه عن إبن عمر مرفوعاً إذا كان في آخر الزمان، واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء. وإبن البيلماني ضعيفٌ جداً، قال إبن حبان: حدث عن أبيه، بنسخةٍ موضوعة، لا يجوز الإحتجاج به انتهى. من مؤلفات صاحب الترجمة حاشية على شرح الأزهار، قرر فيها طهارة رطوبة الكفار، وهو الذي نهض به الدليل، كما قرره الأمير الحسين، وصرح به في بعض شروح البحر، وإن الطلاق يتبع الطلاق، حيث كان بألفاظ، وأحسب أن له شرحاً على الثلاثين مسئلة فقد منه نسخة، منسوبة إليه وفيها من العبارات الرائقة، والتحقيقات الفائقة ما يُسلب الأذهان، ويلهى عن (صُغْدُ شغُد)[2] سمرقند وشعب بوان[3]، وله جواب على الفقيه العلامة أحمد بن مطير في شأن المعونات التي يأخذها أرباب الأمر.

وفي هذه السنة جاءت الأخبار بوفاة الشاه عباس بن الشاه صفي بن الشاه عباس، ملك العجم فتسنم تحته أحد أولاده، ثم قتله سليمان أخوه، ومشى في رسمه، وتقلد عَضب[4] حكمه وبآءَ بإثمه، وإثمه، وسببه الحَسَد، الذي ما خلا عنه جَسَد.

دائم دعــا قابيــل من قبلــه ∗ إلى الــذي أحــدث في صنوه

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني: لم أعثر له على ترجمة فيا بين يدي من مراجع، وأما أبوه عبد الرحمن البيلماني راوية الأحاديث فقد توفي نحو ٩٠ هـ وأصله من الأبناء الذين كانوا باليمن كان مولى لعمر بن الخطاب وله رواية عن ابن عباس وغيره، واختلف رجال الحديث في توثيقه. (الأعلام، ج٤، ص٧٩).

(٢) صغد شغد: كذا، وصُغْدُ اسم ثلاثة مواضع بسمرقند، وبخارا، وأرمينية ومنها مجموعة كبيرة من المحدثين هم «الصغديون» (تاج العروس، م٢، ص٣٩٩) والمشار إليها هنا صغد سمرقند، أما شغد فهي زيادة.

(٣) شعب بوان: صقع بفارس يوصف بكثرة المياه والأشجار وفيه يقول المتنبي:

يقول بشِعــب بوان حصــاني ∗ أعن هــذا يسارُ إلى الطعــان

أبــوكم آدم ســنّ المعــاصي ∗ وعلمــكم مفارقــة الجنــان

(تاج العروس، م٩، ص١٤٦).

(٤) عَضب: السيف القاطع (تاج العروس، م١، ص٣٨٦).

قالوا: وغير سليمان هذا كثيراً من أحداث والده، التي كان قد تظهّر بها مثل الخمر والبغايا، وهم بالمنع عن نكاح المتعة، فصده عن ذلك علماء الإماميّة في زمنه، وكأنهم هموا بالتسجيل عليه، إنه صادم الشرع المسكوك، وهو المُفتعل المأفوك، ولعوام العجم والروم جنوحٌ إلى تنفيذ ما يصدر عن علمائهم، حقاً كان أو باطلاً. واشتهر بهذا عساكر الأروام، فإن صاحب تحتهم متى صدر عنه مالا يرضاه العلماء نهضوا إلى شيخ الإسلام، وجمع بحضرته أهل الحل والإبرام، وحرر بشهدهم سجلاً يتضمن أن السلطان قد تعطل عن المصلحة، أو غلب فساده صلاحه [١٢٧]، وبذلك يتوجه رفعه ويتم خلعه، وأن الحنكار[١] الأعظم، والجناب المعظم، الذي كملت به المقاصد، وعرى من وجوه المفاسد، الواجب على من تحمل كلمة التصديق، وتمسك من الشرع بحبل وثيق أن ينصر ألويته، ويحف أنديتـه، ثم يضع شيخ الإسلام عليه ختمه، فيلتزم من عداه من العلماء الحضار ختمهُ، ثم يفاض الأمر على وزير التخت، فيشعر من عداه ويتم الدست فإن قبل المخلوع قوبل بالسلامة، وإلا نال عواقب الندامة، وقد يعدم الأمان فيتمناه، وقد يذهب الذي فيه عيناه. ومع عدم تفريط سليمان، فإنه نزل من الإفراط بمكان، ولم يعلم أن تعمق التطهير للفرحين مظنة للفساد، وأنه.

رُبّما أخرج الحَزين جوى الحزن　　إلى غـــير لائـــق بالسدادِ
مثلما فاتـــت الصـــلاة سلـيمان　　فأنحنا عـــلى رقـــاب الجيـــادِ

نُقل عَنهُ فيمن سكرَ بالشّراب، أنّه أفرغ في حَلقه الرّصَاص المُذاب.

وفي رجب وصل إلى حضرة الإمام مندوب السلطان، محمد بن إبراهيم بن أحمد خان، بن عثمان، صحبته هدية ليست بسنية، وفي صحبته جماعة من بواردية الإنقشارية[٢]، والأسباهية[٣]، فانقبضت عنه الخواطر، ولم تقر بما جاء به

(١) الحنكار: لعلها صفة من صفات القادة (تركية) مثل دويدار الخدام الصغير الذي يدخل على حريم القصور.
(٢) الإنقشارية: هم الإنكشارية، مشاة الجيش العثماني.
(٣) الاسباهية: أو السباهية، وهم الفرسان الذين يعملون في الجيش العثماني.

النواظر، وأقصي عن حضرة الإمام، بعد أن مازجت الخواطر منه أوهام، فأثابه الإمام بما يليق، ودُل على قارعة الطريق، فتوجه طريق صنعاء وقد ارتفع إلى الخواص بعض خبره، وإنه أظهر فيما بعد أن الهند منتهى سفره. فلما وصل صنعاء وبها عساكر صفي الإسلام أحمد بن الحسن، وهم في أبهة لها أساليب، يرتجف لها فؤاد شبيب، وقائدهم داهية في سربال، وفارعةٌ يقوم بها قيامة الأبطال.

أسدٌ دم الأسد الهزبر خضابه　　　موت فريص الموت منه يرعدُ

فملأ به النواظر، ولقي منه الهزبر الكاشر، لكنه أخذ يقلل حاله في أعين الناس، ويخبر عن كثرة شجعان بلاده، وما هم عليه من الباس، ويخبر أنه برز أمر السلطان قبل العام الماضي بالتجهيز على الفرنج، وأن تعمل المذاكي، وتلمع المواضي، فرماهم على سبيل الفور بسبعة لكوك، فصادف سقوط الثلج الذي سَدّ عليهم طرق السّلوك، فاغتنم الفرصة الإفرنج. وقتلوا منهم خلقاً عديداً. «هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالاً شَدِيداً» بعد أن تراموا بالزبارط[1] والمكاحل[1]، ثم اجتلدوا بالرماح والمناصل، وكانت الدائرة بالهزيمة على المسلمين [١٢٨]، وريح النصر خافقة بها ألوية الكافرين، ولم يعد غير نصفهم إلى اسطنبول، فوعدهم، السلطان بنيل السُّول، ثم كمل بهم عدة عشرة لكوك، وربط فيالقهم وكراديسهم بالبواش والوزراء والملوك، وأنفذهم كالنصال إلى نحور الفرتقال، فأنسوهم ليلة الهرير، وحَصَدوا من رقابهم الجم الغفير. ثم قال: ما هؤلاء الذين في حضرتكم إلا في عِدّة أهل البلطات، وهم الذين يحملون زبر الحديد، تجاه الجيش لإصلاح الطرقات. فتلقى حديثه بعدم الجدال، وحملت حماسته على كاهل الإحتمال، ولما وصل إلى حضرة عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام وأشرف على العرضة، التي عقدت بقاع جبلة، فرأى أساليب الأروام بتلك النوبة التي يحمحم لها الجواد الصافن، ويحترك لها الفؤاد الساكن.

---

(١) الزبارط والمكاحل: من أنواع الأسلحة النارية، وهي غير معروفة بدقة لدينا.

وشربٌ أحمت الشِعرى شَكَايِمُهَا ووَسَّمَتها علـى أنَافها الحكُمْ

وكانت خيُوله في قدر ألف عِنان، على أكثرها فُرسان الروم والمولّدين والسودان، ثم حول نظره إلى عساكر الرماح، والبنادق، والغواشي والرايات والألوية والبيارق، فرأى ترتيباً داخله معه من الإعجاب، ما أجرا على لسانه الصواب، ثم قال: إذا كان ولا بد من مليك باليمن، فهو هذا مولانا محمد بن حسن. ثم بعد أيام انفصل عن حضرة عز الإسلام، وقد ثقل كاهله بنواله، وقلد جيده بأفضاله، فسار إلى المخاثم، خاض البحر وأعمى خبره إلى الآن، وذهب حيث ذهب القارضان. وفي هذا الشهر ارتفعت الأسعار.

قِصّةُ يَهُودِ اليَمنِ وَدَعْواهُم تَحوّلَ المُلكَ إِلَيهْم لَعَنَةُ اللهِ عَلَيهِمْ

وَفي رجَبَ ظهر عن اليهود ما فيه قبح وشناعة، واستحكم عليهم السخف ونهاية الخلاعة.

وسخيف من ساءه المن والسلوى وأرضاه الفوم والقِثاءُ

فتأهبوا للاقلاع عن المقام، واللحوق بإخوانهم ببيت المقدس والشام، وادعوا أن ملكهم المسيح بن داوود قد ظهر، واستتب له الملك وتم، فباعوا أمتعتهم ببخس الأثمان، وتأهبوا للإجتماع على المضي في طريق الشيطان، ومنهم من أخبر أنه سيأتي لهم ما يحملهم إلى ذلك المحل، من غير تعب ولا وجل، وفي الكشاف عند تفسير قوله تعالى ﴿إن في صُدُورِهِمْ إلاّ كبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغيه﴾(١) في سورة غافر، ما لفظة المجادلون هم اليهود، وكانوا يقولون يخرج المسيح بن داوود يريدون الدجال، ويبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وأنه آيةٌ [١٢٩] من آيات الله، فيرجع إلينا الملك فسمّى الله ذلك كبراً، ونفى أن يبلغوا متمناهم إنتهى. والدجال خروجه آخر الزمان، وليس ملكهم هذا كما يدعون، وليس هذا وقت خروجه، فحرر القاضي شهاب الدين أحمد بن سعد الدين سؤالاً إلى الإمام، ووقع في الجواب ما يقضي بأن عدم وقوفهم على رسوم الذمّة ينقصها، وتنوقل

(١) من سورة غافر، آية ٥٦.

هذا الكلام حتى اتصل بكوكبان وشبام، فهتكوا حريم من عندهم من اليهود، وأخذوا ما معهم من الأثاث والحُلي والنقود، ولما صرخ الصّارخ بشبام أن هذا عن أمر الإمام، بادر أهل حاز والغرزة إلى نهب من عندهم. وَوَصَل جماعة من همدان وحضور إلى صنعاء، فأجدب عليهم المرعا، وخاب المسعى، ومنعهم أمير البلد السيد جمال الدين علي بن المؤيّد، وحين بلغ نهبهم الإمام سد هذا الباب، وذكر أنه لم يأمر بالإنتهاب، وتوجهت على الذين انتهبوهم الآداب. ولمّا شرعت نار سخفهم أن تطفى، وحصل التغافل عن فعلتهم التي لا تخفى، عمدوا إلى رجل منهم فجملّوه بأحسن الثياب، وأداروا عليه كؤوس الشراب، ولما أخذه غول الخمرة، وخاضت به في الغمرة، طلع إلى القصر الكبير، ورام أن يتسنم كرسيه والسرير، ويدعو إلى طوعه بالمأمور فيه والأمير، فكلم السيد جمال الإسلام، بالعبرانية بكلام معناه: أنه قد تم ملكك فقوض الخيام، واخرج عن القصر وسلم الأمر. فبادر أهل الحضرة بإنزاله، وتبادر كل منهم إلى نعاله، وصبوا له مطرةً بلا ريح، جزا ذلك الفعل القبيح الشنيع، ثم مضوا به إلى حبس البستان، وأنزلوه بمنازل الهوان، وخلعوا ما عليه من ثياب الحرير، ومسخت رئاسته[1] إلى التعزير، كما مسخ إخوته إلى القردة والخنازير، ورفع شأنه إلى الإمام، فعاد جوابه بما فيه كفاية الناس من شره، وإذاقته عواقب نكثه ومكره، فأوصلوه إلى الحَلَقَة، وضربوا ثمّ[2] عنقه، وعلق بباب شعوب[3]، وبقي مدّة على هيئة المصلوب. وعند ذلك ضاعف الإمام الآداب على اليهود وأسقط عمائمهم عن الرؤس، ورفع كبارهم إلى الحبوس.

وفي هذه السنة إتفق حربٌ بين العصيمات وخيار، وقتل من الجانبين ثلاثة أنفار، فأدبهم الإمام، وتحاجزوا عن الخصام. وفي شعبان انتهب برط قافلة من العمشيـة كانت في عهدة سفيان فلحقهم العار بذلك على قاعدتهم، فصادفوا جماعة

---

(١) رئاسته: (رياسته).

(٢) ثمّ: هناك.

(٣) باب الشعوب: هو الباب الشمالي لمدينة صنعاء وما زال اسمه وموضعه معروفين إلى اليوم.

من برط فقتلوا منهم أربعة وجنوا على آخرين، واستعادوا بعض المنهوب، وفي أثناء ذلك انتهب العرصان والمعضة، وهم البدو الذين بأطراف مساقط الجوف، قافلة جاءت من حضرموت. واشتد برد هذه السنة [١٣٠]، وكان شروعه عند ابتداء رجوع الشمس فاستمر قدر شهرين.

وَفي السَّاعةِ الرَّابِعَة من ليلة الأحد ثامن عشر من رمضان رجفت الأرض، وانشق لها بعض البيوت، وانتبه النيام، وصاح من في قلبه رقة، وعمت أكثر البلاد اليمنية، وفي بعض الملاحم المنسوبة إلى أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الرجفتين المذكورتين في شهر جمادى الماضي، وهذا شهر رمضان علامة لشدة البرد(١)، وغلا السعر، وقلة المطر وقد اتفق ذلك كله. قلت: قال السخاوي قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول ثلاثة كتب لا أصل لها، أصول المغازي، والملاحم، والتفسير، قال الخطيب في جامعه: وهذا محمول على كتب مخصوصة في المعاني الثلاثة غير معتمدٍ عليها لعدم عدالة ناقلها، وزيادات القُصّاص فيها. وأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة، والفتن المنتظرة، غير أحاديث يسيرة، وأما كتب التفسير فمن أشهرها كتابا الكلبي(٢)، ومُقاتل بن سليمان(٣)، وقد قال أحمد في تفسير الكلبي: من أوّله إلى آخره كذب، قيل له: فيحل النظر فيه، قال: لا. وأما المغازي فمن أشهرها كتاب محمد بن إسحاق(٤)، وكان يأخذه عن أهل الكتاب

---

(١) لقد أشار المؤلف إلى شدة البرد في شهر رمضان وحدوث الهزة الأرضية التي يسميها (الرجفة) دون أن يربط بينهما، لكن هذه الإشارة الحاذقة من قبل المؤلف وربما العارضة تؤكد صحة النظريات العلمية التي تقول أن زمن حدوث الهزات الأرضية وكثرتها يتزامن مع اشتداد البرد.

(٢) ابن الكلبي: هو هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب بن بشر الكلبي، (مات ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م) مؤرخ وعالم بأخبار العرب وأيامها، له أكثر من مئة وخمسين كتاباً. (الأعلام، ج٩، ص٨٧).

(٣) مقاتل بن سليمان: هو مقاتل بن سليمان، أبو الحسن البلخي (مات ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م) مفسر كبير دخل بغداد وأقام في البصرة وفيها مات له «التفسير الكبير» (المنجد في الأعلام، ص٦٧٩).

(٤) ابن إسحاق: هو أبو بكر محمد (مات ١٥١ هـ/ ٧٦٨م) محدث ومؤرخ من أصحاب السير =

وقد قال الشافعي: كتب الواقدي[1] كذب، وليس في المغازي أصح من مغازي موسى بن عقبة[2] إنتهى.

وفيها حدث مولودٌ عينه بجبهته ثم مات، ونتجت[3] بهيمة فلواً[4] له أظلاف كالبقر، وولد ببيت عذاقة مولود له أُذنان كأذني الحمار، وعين بجبهته، وقيل إنه تكلم في المهد.

وفيها وجد بجهات بيحان، وما يقرب من مدينة سبأ بين صخرتين، صنم من حديد، طوله ذراع له عنق ورقبة ورأس، وفي وجهه فصان يلمعان، وإذا احتركت الريح دخلت عنقه فسُمع له خوار.

وَفي آخر شهر شوال جهز الإمام الحاج اليماني صحبة ولده يحيى، ومعه الفقيه محمد بن علي جميل، والحاج فرحان، وجاءت الأخبار في ذي القعدة بانتهاب الحراميّة من أدركوه. وفي نصف ذي الحجة جهز الإمام زيد بن خليل الهمداني، والحاج عثمان زيد، جهة حضرموت في قدر مائتين من العسكر، وجاء الخبر أن بيشة صارت محتازة من قبائل تلك الجهات، وأميرها يومئذٍ الشريف سعيد بن شنبر، فرجع حاج اليمن من الشرف لذلك الحادث، والشريف حمود استمر على

= والمغازي، نشأ في المدينة ومات في بغداد، من تصانيفه «السيرة النبوية» و«الخلفاء» و«المغازي» (المنجد في الأعلام، ص٨).

(١) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السهمي، أبو عبد الله، الواقدي (١٣٠-٢٠٧ هـ/ ٧٤٧-٨٢٣ م) من أقدر المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، انتقل من المدينة إلى العراق في أيام الرشيد فولي القضاء ببغداد، واستمر إلى أن مات فيها من مصنفاته «المغازي النبوية» «فتح إفريقية» و«فتح العجم» و«فتح مصر والإسكندرية» و«مقتل الحسين» وغيرها. (الأعلام، ج٧، ص٢٠٠).

(٢) موسى بن عقبة: هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي. (مات ١٤١ هـ/٧٥٨ م) عالم بالسيرة النبوية، من ثقات رجال الحديث ولد ومات بالمدينة من مصنفاته «كتاب المغازي» قال الإمام ابن حنبل: عليكم بمغازي بن عقبة فإنه ثقة. (الأعلام، ج٨، ص٢٧٦).

(٣) نتجت: ولدت، وتستخدم في اليمن للحيوان فقط.

(٤) فلواً: الفلو (الجحش) (المنجد، ص٥٩٤).

ذلك الحال، واستمر في إمارته إلى الجلال، وكان هذه الأيام بالمبعوث[1] فانتقل إلى وادي فاطمة موفور الجانب محفوفاً بجماعة من الأتباع والأقارب. وارتفعت الأسعار بطريق مكة هذه السنة وعدم المطر في المشارق، فرحل أهلها عنها [١٣١] وقل في غيرها واتصل القحط ببلاد العجم وفارس حتى أن بعضهم باع ولده في سد رمقه، فتفرقوا في البلاد وألجأهم الحال إلى دخول عُمان، واتصل القحط بما وراء النهر، وبلاد الصين.

وفيها منع الصفي أحمد بن الحسن عن رمي العسكر إلى دائر[2] مدينة صنعاء، فرأى من يرمي إليه عقيب خروجه من صلاة العيد فضربه قال الراوي: فحمل إلى مكانه ومات.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَلْف - فيها استقرت إمارة سعد، ووفدت الأخبار بصلاح الحج، وتوفر المحامل الأربعة اليمني والشامي والمغربي، وشرعت الأسعار في الإنخفاض.

تَجَلِّي حُسَين بَاشَا عَنِ البَصْرَةَ بعد عَجْزِهِ عن عَسَاكِرِ السَّلْطَنَةِ -

قد ذكرنا في حوادث سنة خمس وسبعين بعد الألف أن عساكر السلطنة المجهزة على ثغر البصرة على حسين باشا رجعت إلى الأبواب من غير قتال، إما لعدم القدرة عليه، أو للرغبة في المال، وأن السلطان رماهم في زوايا الإهمال، ووبخهم على اتفاق ذلك الحال، ففي هذا العام وَصَل إلى السُلطان أعيان البصرة، شاكين بحسين باشا أنه عمل بغير الشّرع، وخالف في قضاياه العَقل والسَّمع، وسَرَى أمره، وعَظُم زَهُوه وَفخرهُ. فانتدب له السُلطان من أكابر الشجعان، زُهَاء أربعين ألفاً، وساروا إليه، فحين تلاقت المصاف، هلكت عوالم، واصطدمت جماجم، وحين رأى حسين باشا انحراف قلوب الرعايا عنه ولا سيما أهل البصرة،

---

(١) المبعوث: كذا، وفي معجم البلدان، م٥، ص٥٢ (مَبْعُوقُ).

(٢) الدائر: السُّور.

فبواطنهم عليه خراب، لأنهم أقرب إلى ملابسة هوانه، وَأَمسّ بما صدر من يده ولسانه. جمع حشمه وذخائره، وحشّد أعيانه وعساكره، وخرق سوق البصرة بأصحابه، وَوادَعه في أثناء المرور بانتهابه، وذهب إلى بلاد الشاه: عباس، وخلص من لهوات الهِرمَاس، وكتب أصحاب السلطان إلى الشاه أن بينك وبين السلطان صُلحاً على شروط منها أن لا تأوي له طريداً، ولا تلبّي له فقيداً، فمره بالخروج إلينا وإلا طردته إلى حيث تخفى آثاره، ولا يقر قراره. فأمره الشاه بالذهاب إلى حيث شاء، وقال له بلادي لا تسعك أيها الباشا، فالمؤمنون عند شروطهم بالمنقول والمعقول، ولا حاجة لي في حل ما قد انبرم بيني وبين صاحب اسطنبول، فسار حسين باشا إلى الهند وعمى خبره وخفى أثره.

وكان يومئذٍ يحيى بن عَليَا من أقارب حسين باشا فاستحسن الأمراء أن يقعدوه مرتبة ذلك الفار، ويقرنوه بعيّنة روميّة من الخيار، لما رأوه من حسن سمته ومعقوله، ولم يعلموا أنه من غلائله [١٣٢] وذيوله، ثم رجعت الأجناد العثمانية، إلى الحضرة السلطانية، فحمد جميع ما فعلوه إلا تولية قريب الباشا فإنه لم تطب نفسه بتوليته، وقد جهز عليه في سنة ثمانين كما سيأتي.

وفي محرم جاءت الأخبار أن الفرنج طاسوا[1] في البحر إلى حدود مسكت بجهة عُمان ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم. وأما حمود ففعل غير المحمود، تربص لخروج القافلة من جدَّة إلى مكة، وفيها ثلثمائة محمل من نفيس الأموال فلمّا توسطت الطريق استاقها عن كمل، وأهلها حجاج وتجار من اليمن والهند ومصر، وفي خلال ذلك تلقى بعض أقاربه ستين جملاً خرجت من القنفذة وانتهبها كل ذلك من حمود وأقاربه، تغيظاً من سعد لا حياه الله ولا بياه.

وأي قضيّـــةٍ فيهـــا إذا مَـــا جنـــا زيـــدٌ بــه عمروٌ يقـــادُ

واستاقت الحراميّة على الحجاج في الدخول قدر عشرين جملاً. وفيها وفد

(١) طاسوا: أوغلوا.

على الإمام رسول الشريف سعيد بن شنبر بمكتوب يطلب فيه من الإمام الإمداد بعسكر ومال على أهل بيشة الذين كانوا في جماعته، فخلعوا ربقة طاعته، فرجح الإمام عدم الإسعاف إلى ما رام.

وفي يوم الأحد تاسع ربيع الآخر توفي السيد العارف جمال الإسلام علي بن المؤيد بالله، ببلد ولايته صنعاء، بعلة القروح المتولدة في رأسه وظهره، وكان قد علق به قبل ذلك ألم المفاصل والنقرس والبواسير مدّة، وكان إليه من والده نيابة صنعاء وما إليها كالحيمة وغيرها، فاقتضى الحال آخر المدة قصره على صنعاء، وطرف من البلاد القريبة، وكان معروفاً بالسياسة ورعاية مناصب الناس على مراتبهم، ملأحظاً لجانب المعروف، لا يخلوا عن الإجتماع بملامح الناس، وأشرافهم للمذاكرة في العلوم، مبسُوط الأخلاق، سهل الطريقة، غير متطاول في الملبس، والمسكن، حتى روى عنه بعض أقاربه أنه لم يتحول عن منزل مرقده وزاويته التي يعتادها فيه، غير منافس في تنظيف عَرشه، ولا تحسين فرشه، واستمرت ولايته بصنعاء قدر أربعين عاماً، غالبها أحوال جميلة، وأوصى إلى أخيه السيد شرف الإسلام الحسين بن المؤيد بالله[1]، وقبر في صرح مسجد الإمام الوشلي[2]، وبنى عليه صنوه قُبة عظيمة.

وفيها وصل إلى شهارة مندوب الباشا الذي بالحبشة، في جماعة من خدمه، فأنزله الإمام، بحيث يليق به من الإكرام، ومات عقيب وصوله. وفيها خرجت من الهند إلى المخا ابنة السُلطان صاحب الهند تريد الحج ومعها مال خطير[١٣٣].

---

(١) الحسين بن المؤيد بالله: هو الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام القاسم بن محمد الحسني ولاه عمه المتوكل على الله إسماعيل (الجهات الشمالية من اليمن) وقد اهتم بشراء الضياع وإحياء الأرض الخالية من السكان وتأمين الطرق، مات بشهارة سنة ١٠٨٤ هـ (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٨٩).

(٢) مسجد الإمام الوشلي: من المساجد العامرة بصنعاء وهو مسجد قديم العمارة، نسب إلى الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوشلي المتوفى سنة ٩١٠هـ والمقبور بجواره. (مساجد صنعاء، ص١٢٧).

فقُضي عليها بالمخا قبل إدراك الحج. وفي يوم الأحد سابع ربيع الثاني وصل إلى صنعاء بدلاً عن السيد علي بن المؤيد، ولد عمه السيد القطب النجيب العلامة محمد بن المتوكل[1]، بولاية الأحكام، والتفويض العام، في صنعاء والحيمة، ونهم وخولان، وحراز وسنحان وثلاء، وبعض بلاد همدان، مع إطلاق يده في رفع المظالم من سائر البلدان، واستقر بقصرها، واستقل بنهيها وأمرها، بعد أن كان قد ناب عن عمّه السيد العلامة عماد الإسلام يحيى بن الحسين بن المؤيّد[2]، بمفاوضة مع صفي الإسلام أحمد بن الحسن حتى يصل عن الإمام ما يعتمده الخاص والعام. وفيها افترق جماعة من حاشد وبكيل بذيبين، وذهب بالقتل نحو سبعة أنفار، وحصل القحط وارتفع السّعر، وانتجع أكثر أهل القرى عن بلادهم، وصال على أهل برط قبائل يام[3]، واستاقوا شيئاً من موَاشِيهم.

وفيها اتفق بالجراف بحضرة القاضي العلاّمة الحسن بن يحيى حابس خصومة بين بني عرهب، وبني المُتيّم، بسبب مجاري الماء فوثب رجل من بني المُتيّم، على رجلين من بني عَرهَب فقتلها في الحال، فانتدب له غُلام مُراهق من بني عرهب فقتله قصاصاً. وفي هذه الأيام نام جماعة بمحل واحد في بيت القابعي، فانتبه أحدهم مرعوباً، وفزع إلى سلاحه وأقبل على أصحابه يطعنهم واحداً واحداً حتى هلكوا.

(١) محمد بن المتوكل: هو الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم ابن محمد (١٠٤٤-١٠٩٧ هـ) بويع بالإمامة سنة ١٠٩٢ هـ واشتهر بالعدل حتى صار عدله في رعيته مثلاً مضروباً فكانوا يلقبونه بأبو عافية لأنه لا يضر أحداً منهم في مال ولا بدن. (البدر الطالع، م٢، ص١٣٩-١٤٠).

(٢) يحيى بن الحسين بن المؤيد: هو يحيى بن الحسين ابن الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام القاسم ابن محمد الشهاري (١٠٤٤-١٠٩٠ هـ) ولد بشهارة وانتقل إلى صنعاء، له منظومة شعرية اشتملت على عقيدة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم صنفها في حياته وشرحها، وله رسالة في توثيق أبي خالد الواسطي راوي المجموع، ولاه الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بريم وذمار وعفار وقد مات في شهارة (البدر الطالع، م٢، ص٣٢٩-٣٣٠).

(٣) قبائل يام: من نجران وهي فصيلة من قبائل همدان بن زيد (اليمن الكبرى، ص١١٨).

وفيها قتل الصوباشي[1] على سوق صنعاء، رجل من شعب لإحن قديمة بينهما. وفي ليلة خامس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر عند طلوعه ببرج الثور، وفيه جاء الخبر أن أصحاب حمود غزوا بندر القنفُذة، وأرادوا انتهابه فحرقوا أطراف البندر، ودافعهم أهلها، فانكسروا بعد أن ذهب بالقتل ثلاثة أنفار. وفيه شرع محمد بن الإمام، في استنباط غيل بالجرداء من أعمال سنحان فوجد الحفارون ثم آثار مجارٍ قديمة، وهو حال الرقم جارٍ يزيد تارةً وينقص أخرى. وفيه وقعت حروبٌ في البحر ما بين العُماني، والفرنج بحدود بندر مسكت، وفي رَجَب غزت المعَضّة وهم بدو الجوف، ومعهم غيرهم إلى بيحان، فلقيهم الأشراف بذلك المكان، ووقع بينهم حرب آل الأمر إلى قتل ستة من الأشراف، وجماعتهم ونهب بعض المواشي. وفيه انتهب القافلة بالعمشية أهل جبل غُربان، من أطراف بلاد خولان فأرسل عليهم الإمام نحو خمسمائة من العسكر فانتهبوا مواشيهم، وجاءوا بها إلى الإمام، فوصلوا بعد ذلك إلى الحضرة يشكون، وعن فعلهم يعتذرون، فردّ إليهم الإمام بعض النّهب بعد ردّ [١٣٤] ما أخذُوه، وفيه وصل إلى الإمام مشايخ الحراميّة، من تلك البلاد التهامية، ومساقط البلاد النجدية، بموجب طلب الإمام لهم، لما انتهبوه على الحاج.

قصّةُ الشَّرِيْفِ حَمُوْد بْن عَبدِ اللهِ وَالأَرْوَامِ

قالوا إن الشريف حمود بن عبد الله لمّا تقررت لسعد مَراسم الولاية، ولُحِظَ من السّلطنة العثمانية بعين العناية، أنفذ ولده إلى حضرة السُلطان، وأودع إليه ما في خاطره من الأشجان، فتعرض له صاحب مِصر بالتّعويق[2]، وَمَنَعَهُ عن مرور الطريق، فاستشاط حنقه، واستطار قلقه، فأخذ يعتسف الأمور، ويحجر الطريق السُلطانية عن المُرور، فَتوجَّه عليه أحد البواش بِمصر، في عساكر

---

(١) الصوباشي: المشرف على السوق.

(٢) التعويق: التأخير.

معدودة، وألوية معقودة، وخزائن منقودة. وكان الشريف يومئذٍ بينبُع فحطّ الباشا على أطرافه، وتأهب حمود في حاشيته وأشرافه وفيهم محمد بن يحيى بن زيد، فابتدأ الحرب حمود فصدمهم بخميس هو غُرّته، وجيش لا يتقي بالسّابريّ[1] معرته، قلب جنبيته ذو احسن، قد أشرعوا خرصانهم، وأرخوا أرسانهم.

وَفي أكفهم النار التي عُبدت قبل المجُوسُ إلى ذا اليوم تضطرم
هندية إنْ تُصَغِّر معشراً صغروا بحدها أو تُعَظِّم معشراً عظموا

فلفح بينهم هجير العراك، ووقع الإختلاط والإشتباك، حتى احتست الرماح من أقداحِ الرؤوس المفلّقة، وفاضت أرواح ما أُخالها من التي هي في أجواف طير خُضر مُعَلّقة، وقَهرت بآخر المعركة صولة العصابة الحسنية، فاستأصلت شأفة الطائفةَ العُثمانية.

وأزرق الصُبح يَبدُو قبل أبيضهِ وأول الغيث قطر ثم ينسكبُ

ناهيك أنه لم ينج من العَطَب إلا من سُعد بحته بالهرب، وأعيت عنه مواقع الطَّلَب، ثم أمر الشريف حمود بذخيرة الباشا وشحنته، وفيها ما يخجل ضبط نفيسه الأقلام، وتقطع لأجله الأواصر والأرحام، فنفح الأشراف من تلك النفائس بجمهور، وادّخر ما بقي منها لعواقب الأمور، ومحمد بن يحيى في هذا الحرب قلب ساقته، وَعُقَاب رَايَتِه.

وفي شعبان سار الإمام من بيت القابعي إلى سُودَة شظُب فصام بها رمضان. وفيه أرسل الإمام إلى حضرة سعد بن زيد نقيباً من الأهنوم يستطلع أخبار البصرة، وما آل إليه أمر حمود. وفي رمضان توفي نائب جيزان وأبي عريش الشريف محمد بن صلاح، وكان في نظم الأحوال، وحفظ [١٣٥] أطراف البلاد بمحلٍ عظيم، وخلفه ولده الشريف أحمد بن محمد. وفي ثاني وعشرين منه وهو الثالث والعشرون من شُباط ظهر وقت المغرب، من مسقط الشمس في المغرب، عمود

---

(١) السّابريّ: هو درع دقيق النسج في إحكام (هامش طبق الحلوى).

نور مستطيل جداً أشبه شيء في عرضه، وطوله بالمنارة، مشتمل على برج الحوت وأول برج الحمل، ولبث قدر عشرين يوماً يغرب وقت العشاء، وهو من ذوات الأذناب، التي يحدثها الله في غالب العادة عند أن يحدث غلاء الأسعار، وَقلّة الأمطَار، وتعقّبه غَلاَء شديد، وفاقة في القُطر اليمني، ودار الناس في البلاد لطلب الكَلاَ والزّاد. وفيها أو التي بعدها مات القاضي العلاّمة، المفتي عبد العزيز بن محمد بن عمر النُعمان الضّمدي، وله كتاب السُّلَّم، شرح معيار الإمام المهدي، وحاشيته الموشح للخبيصي، وهي معروفة متداولة في قدر حجم المُوشّح، وَمَا كان شَرعَ فيه من تخريج شفا الأمير الأعظم الحُسين بن بدر الدين ولم يتم. وفيها توفي قاضي جيزان عبد الله الضّمدي، وفي شوال جاء صحيح الخبر بخروج طائفة مصر والشام على الشريف حمود، ثم النفوذ إلى مكة، وهم زهاءأربعة الآف، فيهم خمسة أُمراء. وفي هذه الأيام جهز الإمام النقيب سعيد بن ريحان، أميراً للحاج اليمني واختاره لكماله واستمرار حسن أحواله، وضُعف حج اليمن هذا العام، بسبب ما اتفق فيه من القحط العام، واتفق أيضاً بمكة، وسائر تهامة بحيث رجع بعض الحاج من صبيا.

وبهذه السنة أُصيب أهل قرية بالشرق، بصواعق تتابعت وكثرت، فأهلكت بعض من في القرية، فانتقل الباقون إلى قرية أخرى، ومن أعجب ما اتفق عند ذلك أن بعض المنتقلين، نقل من أحجار تلك القرية إلى التي انتقل إليها، فأصابته الصواعق فتركت تلك القرية وأحجارها، وتحامى الناس بعد ذلك آثارها.

وفيها أنشأ السيد محمد بن علي الغُرباني رسالة[1] بها اعتراضات في السيرة المتوكلية. وفيها اتفق بين الجند العُماني والبرتقال[2] حرب بالبحرِ، ورجع الفرنج من باب المندب، بعد أن لبثوا فيه نحو ثلاثة أشهر، واشتد القحط بمكة حتى

---

(١) رسالة: كذا في الأصل، وفي (أ، ب، ج) رسائل.

(٢) البرتقال: كذا في الأصل وفي (أ، ب، ج).

روي أنه يموت بكل يوم مائة نفس فأكثر، ومن الدواب والأنعام ما لا يحصر، واستمر هذا الحال أيضاً باليمن من شوال إلى آخر سنة تسع وسبعين، حتى اتفق أن رَجُلاً بصنعاء كُفن بعد أن كملت أمارات موته، ثم أصعد على النعش، وحمل فتحرك وأفصح بالكلام، وهتف بالطعام، فأعطي ما طلب، وظهر أنه إنما ساخ وانقلب، وأكل بعض الناس الميتة، وكثير من الناس يطلب القوت بالبكاء والتمارض، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حتى كان بسبب هذه الشدة [١٣٦] في اليمن أنـه جاوز المخا إلى جُدّة مركب شاحن من النفائس العالية، والتفاريق[١] الغالية، وكان هذا بخلاف العادة. وفيها تعرض بعض هذيل من قبائل مكة لانتهاب القافلة الداخلة إلى مكة من جُدّة، فشعُر بهم الشريف سعد، فوثب عليهم وثوب الأسد الورد، وَضَرَب منهم رقاباً، وقطّع أميرهم إرباً.

ألا لا يجهلن أحـــد علينـــا فنجهـــل فوق جهـل الجاهلينـا

وفي ذي القعدة طلع عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام من إبّ وجبلة إلى البلادالعليا، فاستقر بيريم أياماً ثم تقدم إلى ذمار، وَعيّد فيه الأضحى، ثم سار إلى ضوران، لزيارة ضريح والده الحسن ابن أمير المؤمنين، ثم تقدم إلى صنعاء اليمن، فوصلها في محرم السنة الآتية.

وكان تحويل هذه السنة بدخول الشمس أول درجة الحمل آخر شوال، واتفق قران بين المشتري والزُّهرة ببرج الثّور، وكان المريخ في العقرب، وزحل في أول برج الدلو.

وفي هذه السنة ترسل الإمام للنهي عن بيع الشيء بأكثر من سعر يومه، لأجل النساء وصرف القروش بالدراهم، والجريرة مع عدم مساواة مقابلها.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَلْف - كان زُحل بالدلو. وفي أول محرمها جاء خبر الحاج أنه دون العادة سيما حاج اليمن، وأما العراقي فانقطع هذا العام، ولما

---

(١) التفاريق: البضائع المختلفة الأنواع.

شارف حاج اليمن الوصُول إلى مكة أنفذ الشريف إليه رسولاً يقول له: إن الأمر مُضطرب، والحال مُنقلب، والمحمل المصري منطوٍ على شراسه، ومعه عدة من ذوي المناصب والإمارة والسياسة، وقد استنشقنا منهم سموم التحرش الوقاد، وأنسنا من جانب طورهم نار الإلحاد، وهذا حرم الله الملحوظ بعين التعظيم، ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم نذقه من عذاب أليم، فالوصول منكم في زي الإمارة، قد تحترك معه النفس الأمارة، والموافق دخولكم في غمار الناس، واستنادنا إلى جانب السلطنة يقتضي أن لا يُلاحظ جانبكم، ولا نُشيّد في الظاهر صاحبكم، والعمل فيما بيننا وبينكم على الباطن مَعمُور، فإن المذهب واحد، والعمدة على المقاصد، وقد علمتم بصُنع حمود، فلا يكن غيره المقصود، فتُصَاب غير المقاتل ويصدق قول القائل:

وحملتني[1] ذنب امرئ وتركته   كذا العُرّ[2] يكوي غيره وهو راتع

فولج هذا التدبير إلى مسامع الأمير، وأطرح الأبهة الملوكية، واستقر بعد دخوله في الشبيكة على صورة خفية، ولما طرح العسكر السلطاني الأثقال، وأناخ بالمقام الشريف الرحال[١٣٧] إنصرف الأعيان ببعض الجنود، إلى دور الشريف حمود، وقد كان مال عن طريق مرورهم وانحاز وتجلّى بأجلد أعيانه إلى مشرق الحجاز، فتوغل في بلاد خيبر، في الأغوار والأنجاد، وانتقل من بطون الوهاد، إلى صهوات الأطود، وراوح بين سوء الظن والحزم وقد كانا أخوين، وناجى نفسه بالبيتين الفائقين، بل القصرين الشاهقين:

إذا خليـــلٌ نكرت جانبـــهُ   لَمْ تُعيِـــني في فراقــه الحيــل
في سِعـــة الخافقـين مضطَربٌ   وفي بــلادٍ عن أُختهــا بــدل

ولما خرجوا عن آخر أعمال الحج، عادوا إلى طلب حمود في كُل فج، ولم يُعذروا سعداً عن الرّحيل ليكون أوّل مقاتلٍ، وأكيس دليلٍ، فهو أطعن هناك

---

(١) وحلتني: وفي (أ) ورقة ٧٠ لحملتني.

(٢) العُرّ: الجمل المصاب بالجرب.

بمشاقِص[1] القتال، وأفطن ثم بخيس ذلك الريبال، فتوجهوا جميعاً إليه، ومالوا بجملة تلك الأجناد عليه، فكانوا كمطلق العنان إلى العنان وأنشدهم الحال من غير لسان.

إذا شاء أن يلهو بلحيـة أحمق   أراه غبـاري ثم قال له الحق

فانعطفوا على قبائل ينبع وما والاها من العُربان، وجرّعوهم كؤوس الوبال والهوان؛ وأنضدوا بأعناقهم السلاسل، وشردوا بهم من خلفهم من القبائلِ، واحتزوا رؤوس الرؤوس[2] وهم ثلاثة عشر شيخاً. ولمَّا رأى سعد بن زيد فظاعة الأمور، سدّد وقارب في التخفيف عن الجمهور، وتدارك بعض الإختلال، وعمل بمقتضى الحال، وانصرفت طائفة الروم وأشوى سهمهم المسموم، بقلوب لها غليان، وصفقة يتأسى بها أبو غَبْشَان[3]، وانقلب سعدٌ إلى دار السّعادة، وقد ثنيت لملكته الوسادة، وبقي حمود في تلك النجود، يزأر زئير الأُسود، ويحمحم جواده ويجود، غير أنه نفذ ما لديه، وقد كان عنده ذخيرة، ولكن تم ما لا مزيد عليه.

وفي أول محرم تغلب جماعة على قلعة دثينة، وذلك أنه كان بها رتبة على القواعد القديمة، في حفظ القلاع، بمن لا يفارقها ويكون بحشمه وجميع ما يتعلق به، فقصدا إلى القلعة جماعة معهم سلاحهم، وأظهروا أن قصدهم زيارة أرحامهم، الذين بها، فلما استقروا طمعوا في الإستيلاء عليها، فقتلوا نائب القلعة، وولده وأغلقوا بابها، فَرُفع خبرهم إلى شرف الإسلام الحُسين بن الحسن،

---

(١) المشاقص: النّصال العريضة أو السهام فيها نصال عريضة (المنجد، ص٣٩٧).

(٢) الرؤس: زعماء القوم.

(٣) أبو غبشان: هو المحترش بن خليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي، كان يلي سدانة الكعبة قبل قريش فاجتمع مع قصي بن كلاب في مجلس لشرب الخمر، فأسكره قصي ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه، ثم أعطى المفاتيح لابنه عبد الدار فأخذها بسرعة إلى مكة، وعندما أفاق أبو غبشان من سكرته ندم (فضربت به الأمثال في الحمق والندامة وخسارة الصفقة). (تاج العروس، م٤.، ص٣٢٩).

فاحترك خاطره لهذا الفعل الفظيع، والمقصد الشنيع، وبادر إليهم برئيس معه كفاية هذا الأمر من العَسكر النّفمة فحاصروهم، وضيقوا عليهم، فلما قطعوا بإخفاق مساعيهم إنسلوا من القلعة في وقت خفي فيه أمرهم على عسكر الدولة فدخلها العسكر، فظفروا برجل منهم أقعده[١٣٨]أجله، ولقي عمله، فقتلوه وعادوا إلى شرف الإسلام. وفي آخر محرم حصل انتهاب في العمشية بسبب ركّة[1] في سفيان، وتنقلهم للقحط في البلدان، فجهّز جمال الإسلام علي بن أحمد مع القوافل عسكره إلى عيان، وارتفع القُطر[2] واشتد الغلاء في عامة اليمن. وفي صفر صال قبائل بني حبيب وآل كثير الذين مستقرهم شرقي بلاد صبيا مما يلي جبال الخسر، ومساقط بلاد فيفا وحقارها إلى حدود خبت البقر، فاستولوا على بلاد بيش وشردوا أهلها بعد أن انتهبوها، ثم أقبلوا على عتود، والشقيق، ومحل النائب للإشراف فقتلوا بعض أهلها ونهبوا الأطراف، حتى انتهوا إلى مدينة صبيا، فوقع بينهم وبين أشرافها القتال الشديد، ولما طال استصرخوا بالإمام، وطلبوا الغارة والالمام، وكان الإمام قد وَصَل إلى صنعاء بآخر محرم، |ووصل بوصوله عز الإسلام محمد بن الحسن.

وفي هذه الأيام هَبَّت ريح بالقَذَف. من بلاد حَضُور، فاحتملت بعض أهلها، وَسَاقطت البعض على جُنُوبهم، وحملت جميع الحَبّ من الجَرين[3]، وَبَلاهم الله كما بلا أصحاب الجنة ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[4] فإنه نُقل عنهم أنهم مع تلك الشدة التي قدمناها ﴿ٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ. أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ. وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[5] ولم يبالوا بسد رمق من يحترم دمه، ولا شالوا بضبع من عثرت به الأقلال قدمه، والأعراب مظنّة لفسق القلب

---

(١) ركّة: ضعف في الإنتاج الزراعي.

(٢) القَطْر: جمع قطرة، وهي نقط الماء المتساقطة من السُحب.

(٣) الجرين: جمع جُرُن وهو مكان تجفف فيه المحاصيل الزراعية (المنجد، ص٨٨).

(٤) من سورة القلم، الآية ١٧.

(٥) من سورة القلم، الآية ٢٣، ٢٤، ٢٥.

وذهوله، وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. ولما انتهى أمير الحاج هذا العام إلى بعض الطريق ادعى بعض أهل البلاد، أن أصحاب الأمير قتلوا من أصحابه رَجُلاً، وأرادوا أن يأخذوا بالثأر، أو ينتهب القُطار، فهم الأمير بالقتال ثم أحجم عن ذلك، بعد أن عرف العجز عما هنالك، وأنه إن فعل لا محالة هالك.

وفي ثامن عشر محرم توفي القاضي العلامة الذّكي الورع صفي الإسلام، أحمد ابن سعد الدين المسوري، وكان قد صحب الإمام الأعظم المنصور بالله ثم المؤيد بالله، فوزر له وخطب، ثم استمر آخر مُدّته على تلك الحال مع المتوكل على الله، وكان عند المؤيد عظيم الجاه، مبسوط الكلمة، نافذ الإرادة كثير المواجهة للإمام، بما ينقدح في خاطره، مما يعتقده أنه يتوجه عليه، من نصيحة الأئمة، من غير تخوّف لمظنّة التشنيع، ولا ملاحظة أن النصح في الملإ تقريع، وكلامه مع ذلك نافذ الإرادة جيد الإفادة، معقود بكيميا السعادة وتناقص هذا الحال من الإمام المتوكل فقرّب وَبعّد، وصوّب وصعّد. والذي استفاض عنه، إفناء جُل أوقاته في مقاصدِ صحيحة، وسعايات مليحة، وقد رأيت في بعض المجاميع ما يجرح الصدر، ويغلب على قائله [١٣٩] بعض التحامل، في شأن هذا الرجل الجليل، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا، لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء. وله رسائل ومسائل جرى فيها على أسلوب مخصوص بقدر ما عنده من العُدّة، وغلب عليه محض التشيع حتى نسب إليه عقيدة الجارودية.

وفي ليلة الخميس ثامن ربيع الأول مات ملك اليمن، عز الإسلام، محمد بن الحسن بن الإمام عقب وصوله من ذمار، بمحروس الروضة، وقبره مشهور، عليه قُبّة فاخرة، وَدُفن بجانب من بساتينه، وكان موته رُزأً للإسلام وانحلالاً في النظام، فإنه كان عَيناً في الملوك والعُلماء، ورأساً في الحُلماء والحُكماء، مهيب الجانب، شديد الوطأة على المردة والبطالين، نظامه لقانون الملك، مُلاحظاً لجانب العلم والعُلَماء، أخذ عن القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس، أيام سُكونه

بصعدة، وغيره من علماء وقته، وسمع الكشاف والبحر، وأثاره في كتبه، تدل على طول اتصال العلماء بحضرته، وله خزنة كُتب، غالبها فيه عناية، وكان يستصحب الكُتب في أسفاره، ويصحبه أهلها، واستمر ملكه مع سعادة قربت له البعيد، وإطاعة في كل ما يُريد، حتى نفذت أوامره ونواهيه إلى تحت سرير الخلافة. وصلى عليه عمه المتوكل على الله، وحضر دفنه، وله شرح مرقاة جده القاسم بن محمد، وجواب متين على الشيخ العلامة أحمد بن علي بن مطير، وغير ذلك، ومن مآثره الحميدة توسيع جامع ذمار، من غربيه قدر الثلث، وعمارة منارته بعد نقضها[1]، ورثاه الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي بقوله.

قضى الفخار فلا عين ولا أثر ... واحلولك الأفق لا شَمسٌ وَلاَ قَمرُ
أمهبط الأمر ما هذا الذي صنعت ... يد القضاء وماذا أحدث القَدرُ [١٤٨]
وَمَا الذي مَادت الدُنيا لصدمته ... تفجّعاً وتواري النجم والشَجرُ
وَمَا الذي جَزَر البحر اللّهام له ... واستشعر الحشر منه البدو والحضرُ
وَمَا الذّي مَادمنه الكون واضطربت ... لهُ الجبال وَرِيع الرّأد والسّحَرُ
يا ناعي الجُود والمَجد الأصيل صَهٍ ... مَاذا زعمت لفيك التُرب والحجرُ
مَهلاً رُويَدك فيما قد صدعت به ... دَهْيَاء يذهب منها السّمع والبصرُ
أفق فإن جناح الجيش مُنخَفِضٌ ... مّما ذكرت وَقلب المُلك مُنكسرُ
مَات الهُمام أبو يحيى وَحَسبُك من ... رُزءُبة يتحامَى حرّها سَقَرُ
مَات الّذِي كَانت الأفلاك دَائرة ... بما يشاء وَلديه النّفع وَالضّررُ
مَات الّذي كان للروّاد منتجعاً ... وَللعُفَاه إذا ما أخلفَ المَطَرُ
مَات المَليك الذي كانت موَاردُه ... للوارِدين عُبَاباً ما بها كدَرُ
هُدّت معالي المباني يوم مَصرعه ... وَمَربَع المجدَ والعَليَا مُندَثرُ
وأقلعت يا لعمري من أنامِله ... سُحبٌ شآبيبها الأبريز[2] والبدرُ[3]

(١) نقضها: هدمها.
(٢) الأبريز: خام الذهب.
(٣) البِدَر جمع بدرة، الصرة فيها نقود.

وغـاض بحر عُلوم منه كم حُفظتَ مَسَائـل وهي في جيد العُلى دُرَرُ
وكـان في صَدرِهِ حِلْمٌ يُحقِّر مَا يجنـــى المُسيء وللزّلات يغتفرُ
مَن للرّعيـل وللخيل العتاق ومن يزهو لدَيك بها التحجيل والغررُ
وَمَن لمُرتَبـك الأمر الخطير وَمَـن للمُشكلات وجُنح اللّيل مُعتَكرُ
لَهفي لأخلاقه الغُرّ الكرام[1] إذا تصرّمَت وَذَوَى من روضها الزهرُ
لهفي لهمّتـه القَصَا إذا خَمدَت نيرانهـا وهي لا تنفـك تستَعِرُ
لهفي لِسَطوتـه كلّت مَضاً ولكمْ بفتكهـا مَضَـت الهِنديّـة البُـترُ
لهفي لعزمتـه العُظماء إذ هُزِمتَ رعَا لَها وهي ملأ الأرض تنتشرُ
لهفي لأقلاَمـه مَـا كَان أنفذها حكماً بكـاد لَها المِريخ يَأتمرُ[2]
نَضَـى مِن العُمر سِربالاً فضَافَضه مَمـدُودَةً وعَـلى التقوى تنقصرُ
طوته أيدي الرّدَا طي الرِداء ولَم يزل ثنـاه بطيب النشر يذّكرُ
لَم أنس نعشاً لـه أضحَت تشيّعهَا الأفلاكَ والشُهب والأملاك والبشرُ [١٤٩]
ومن دُعـا أمـير المؤمنين لَـهُ وَسِيلَـــةٍ وَهَي الزُلفَـا والظّفرُ
طودٌ تحّملـه ظهر السّرير وَهَل تحّملت جَبَـلاً مِن قَبله السُّررُ
واستنهضُوه إلى قَـبرٍ فقلت لَهمُ يَـا بُعد مَن قَال أن البَحر ينقبرُ
وَحُفرة أودَعُوهَـــا من شمائلـهِ زهـراً تَنُوح عليـه الأنجُم الزُهَرُ
لقـد بَكتُـه خراد الحيّ نائحَةً حتّى لَقد سَال في أجفَانها الحَورُ
يا ليت أكفانه من مُهجتي نُسِجَت وَلَيت حُفرته في القلب تنحَفِرُ
يا عَين لا تدخري دمعاً ليوم غدِ فليس إلا لهـــذا اليَوم يُدّخرُ
لا تكنزي ذَهَبـاً عـلى كبـدي يحمَى وتكوى لتعذيب بها الفكرُ
قالوا دُمُوعك بالدُرّ الثمين همَتَ فَقُلت وَالقَلب في أثنائه شَرَرُ
تِلـك اللآلي التي قد كُنت أنظُمهَا في مدحـهِ هي من عيني تنتثرُ

---

(١) الكرام: وفي (أ) ورقة ٧٧ (الكريم).

(٢) وفي (أ) ورقة ٧٧ نجد أن البيت الذي مطلعها (لهفي لأقلامه...) تأتي في الترتيب قبل البيت الذي مطلعها (لهفي لعزمته..).

مَا أن تُوفي لَه الأَحداق حق أسىً   وَلَو غَدَتَ وَهي بَين الدّمع تنحَدرُ

وقد كثر في هذه القصيدة مد المقصور للضرورة، ولا يخفى ما في قوله أودعوها، وقوله طود يحمله الخ فسائر المعنى قول الأول.

ما كنت أحسب قبل موتك أن أرى   رضوى[1] على أيدي الرجال يسيرُ

وقوله، قالوا دمُوعك، البيتين فسائر البيتين للزّمخشري[2] في مرثاة شيخه أبي مُضر، وتتبع محاسن القصيدة يخرج إلى التطويل.

وَاسِطته عقْدٍ فَريد وَجَوْهَرَةٌ يَتَحَلَى بها المنكبُ والجِيَدْ لم يأت زمان الرقم إلا وقد دَرِسَت تلك الأثار الملوكية، وأتى الجديدان على أكابر الدَّولَة العِزّية، وَتَعطَّلَت عنه وأكثر أولاده المغَانِي، ولم يبق إلا ذِكرُهم الجَميل وَهُو العُمر الثّانِي، وقد أبقى الله عَلَى عِزّ المُلك وَالدّين، فإنه ترك عليه في الآخرين، بأصغر أولاده عُمراً، وأجلهم علماً وعملاً وخطراً، وهو أبو العزّ ضياء الملك زيد ابن محمد[3]، فهو اليوم زهرة غُصن الإفادة وجوهرة عقد السيادة، تعبق بحضرته نسائم البركات ويستمد من أنفاسه كرائم الدعوات، فاضت إليه أسرار العارفين فأودع دَراريها، أصداف قُلوب المُريدين، وألقيت عليه بُردة العلماء المخلصين، فألبسها من يتجمل بها لرئاسة الدنيا والدين، فموارد تلقينه ترفض بالصفاء، وإلى أصابع راحته [١٥٠] التي أطلقت مفتاقاً من وثاق، وفكت مرتهناً من غلاق، يُعنعِن النيل الوفاء، مع أخلاق لا يتحمّل النسيم عن الروض إلا إيّاها، وشمائل لا يتدفق النهر السلسال إلا سجاياها.

---

(١) رضوي: كذا في (أ، ب، جـ) وفي النسخة الأصـــل | (مرضوي)، اسم جبل قرب المدينة المنورة (معجم البلدان، م٣، ص٥١).

(٢) الزمخشري: هو محمود بن عُمر، أبو القاسم (مات سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤ م) ولد في زمخشر وهو إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير، من مؤلفاته (المفصل في النحو)، (الكشاف عن حقائق التنزيل)، (كتاب الفائق في غريب الحديث)، (أساس البلاغة)، (أطواق الذهب)، (نوابغ الكلم). (المنجد في الأعلام، ص٣٣٨).

(٣) زيد بن محمد: هو زيد بن محمد بن الحسن توفي سنة ١١٢٣ هـ. (مصادر الفكر الإسلامي، ص١٣٤، ٢٩٤).

بـــأبي عَمرو زيـــداً ثوبُـــهُ طَاهرٌ بــــين أهــــل الكِسا
مغنم التقوى زكــــاة حَازهَـــا فِطَرة لم يحو منهــــا أخمُسَا

درس على مشايخ الوقت، وقد صار الآن شيخ الشيوخ، وإمام أهل الرسوخ، يتقدم على غيره من العلماء في تلقين الطلبة لحقائق شرح القاضي عَضُد الدين، والكشاف، وحواشيها جمّل الله به مجالس الذكر والنّوال، وربّى في رُبَوة المجد غُصن شبابه الذي طاب وطال، ومحل ذكره مداخل السنين الآتية لكني ختمت شجون الحديث خشية من قواطع الأمل، ومصارع الأجل، قبل أن يتجمل هذا المرقوم بجلّي ذكره، وجلّى فخره وله كتاب المجاز، شرح الإيجاز، وله أيضاً كتاب إقامة القُسطاس، للحُكم بين الأساس والنبراس، وغيره من الفوائد.

وَقبْل هَذهِ المُدة بأيام قلائل بَعَث الإمام بهدية سنية، للباشا مُصطفى، الذي هو بالحبشة، عوضاً عن هديته، التي وَصَلت منه فأكرم رسُول الإمام، وذكر له محبّته لأهل البيت عليهم السلام.

وفي هذه الأيام خرج إلى اليمن كثير من أعراب البلاد القَاصيَة يطلبون المعاش لشدّة وقعت هُناك، وغالبهم سُليمانيّة، فإنه ظهر من آحادهم[1] التعرض لأكل الأطفال. واستقر الأمر في بلاد عز الإسلام محمد بن الحسن على أمرٍ مفصُول، فيما بين ولديه والإمام، بعد خوض فيما يصلح أن يصير إليهما، وكان الإمام قد فوضّ أحمد بن الحسن عَمّهُما في سائر البلاد فأسعد ثم اعتذر. وأمّا أرباب الدولة العزيّة، فإنهم تمزقوا وتفرقوا، وذهب عنهم ما كان قد اعتادوه من سَنى الوظائف، والجوامك المنضبطة مع الأمان، على استمرار ما فرغ منه، وعدم الإلتفات إلى معارضة حاسد، أو مزاحمة صاحب عهدة، فمنهم من أوى إلى صفي الإسلام، ومنهم من أضرب عن لزام الدَّولة، والبعض من الأعيان والعسكر اتصل بالسيدين ريحانتي عز الإسلام، ومنهم من دخل تحت الفناء الكائن بهذا العام، فإنه عمّ اليمن مع إستيلاء القحط عليه، حتى حُصر موتى

(١) آحادهم: كذا.

الروضة إلى قدر ألفين، وموتى ضوران إلى قدر ثمانية آلاف، وخرج منها في يوم واحد سبعون جنازة، ومن صنعاء في أيام مُتعددة كل يوم [١٥١] قدر ثلاثين جنازة، وهكذا في سائر البلاد كالتهايم، والحازات[١] والجبال والشرف.

وَفي ربيع الثاني أرسل الإمام ولده الحسن بعساكر مُغيرة على شريف صبيا، لدفع تلك القبائل التي صالت عليه فساروا إلى هنالك، ونزلوا ببيش خارج صبيا، فهربت القبائل إلى بلادهم[٢]، ثم حصل منهم حدث في الطريق، فجهز الحسن بن الإمام الفقيه الرئيس محمد بن علي جميل الحَبُوري، في عسكرٍ معه آخر نهار بلوغ الخبر، فساروا ليلتهم ونهار اليوم الثاني، وظفروا بكثير منهم، وقتلوا خمسة، وذهب واحد منهم، وسُلبت مواشيهم، وانحازوا إلى الجبال، وكان بعض النهب مما انتهبوه على أهل صبيا بالمُدة السابقة.

وفي هذا الشهر مات القاضي العارف عبد الجبار قاضي لاعـة رحمه الله، وفيه غزت قبائل بني نوف من دُهمة إلى سفال[٣] الجوف، فأخذوا شيئاً من الماشية، فغزاهم بعد ذلك نهم وقتلوا منهم. وفي هذه الأيام وصل إلى حضرة الإمام من طريق البحر الشريف أحمد بن باز، من بني حسن ملوك مكة المُشرفة، متشكياً من سعد، وإنه استبد بالأمداد، كما استبد بالحل والعقد، وكان قد هبط مصراً ليلحق بالروم، فما تمّ له ما يروم، وصده نائب مصر عن ذلك المراد، وتلى له ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٤]، فأنف من العود إلى مكة، وعاد إلى اليمن في ضيق وَرِكة، وحين وصل صنعاء علقت به

---

(١) الحازات: الأرض الواقعة بين سهول تهامة وجبال الهضبة اليمنية، وفي (أ) ورقة ٧٨ (الحفادات).

(٢) بلادهم: كذا وفي (أ) ورقة ٧٨ (بلادها).

(٣) سفال: كذا.

(٤) من سورة القصص، الآية ٨٥.

الأمراض، وغلبت عليه الأعراض، فنضى بها بُرد الهُموم، ولبس أدراج الأجل المَحتُوم، ودُفن بقبة الإسكندر، إلى جنب قبر الشريف المحسن، بداخل باب السبحة.

وفي ربيع الآخر توفي السيد العارف الهادي بن أحمد القُطابري الدّيلمي طلع مع عز الإسلام إلى صنعاء ومات بها، وكان شاعراً مشاركاً في الفقه، آخذاً في النحو، وقُطَابر[1] بالضم كعُلابط، قاله في القاموس. وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى، توفي السيد العلامة الهادي بن أحمد الجلال، بالجراف، وكان يومئذٍ عند صنوه الإمام الفاضل الحسن بن أحمد، سكن أولاً بمدينة ذمار، وكان يختلف منها إلى اليمن، لمعلومه[2] من عز الإسلام مُحمَّد بن الحسن، ثم نقل إليه أولاده واستوطنه، وفي أيام سُكُونه باليمن سمع في الحديث النبوي، وأثاره تدل على فطنة وتظلع، وشرح الأسماء الحسنى، شرح وافق في بعض مسائل الأشعرية، وخالفهم في مسئلة الكسب، وألحقهم على أحد تقديرين بالجهمية[3]، وأثبت الروية [١٥٢]، وجعلها كمذهب أوائل الحنابلة حقيقة، وجوّز حُصُولها في الدُنيا، وقطع في عقيدته التي صنفها بخروج العصاة الأشقياء. وفي هذه السنة توفي الفقيه العارف، علي بن يحيى القملاني، من بلاد قملان، في أيام صعدة كان مشاركاً في الفنون، على مذهب الإمام زيد بن علي الأول، واشتدت الأزمة في هذه المدة حتى انتهب الطلاب جانباً من زرايع قراضة، في بلاد لاعة، فَقَتَل منهم أهل البلاد إثنين.

وفي آخر ساعة من يوم الإثنين تاسع وعشرين من جمادى الأولى كسفَت الشمس في بُرج العقرب بعقدة الذنب. وَفِيْ جمادى الأخرى سار الإمام من صنعاء إلى ضُوران، واتفق الخسوف القمري في ليلة خامس عشر هذا الشهر، بالرأس من آخر بُرج الثور.

---

(١) قُطابر: من بلاد صعدة تقع بالشمال الغربي منها. (اليمن الكبرى، ص١١٣).

(٢) معلومة: شيء معلوم من الأموال المقررة له.

(٣) الجهمية: فرقة إسلامية تنسب إلى مؤسسها جهم بن صفوان الراسبي السمرقندي (مات ١٢٨ هـ/ ٧٤٥م) وهم الجبرية التي تقول إن الإنسان مُسيّر، وتنفي الصفات. (المنجد في الإعلام، ص٢١٩).

وفيه مات فقيه القاعدة[١] الحُصَباني بجهات تعز، وكان عارفاً بالرمل والِفلك والحرف، واستدعاه صفي الدين أحمد بن الحسن ليوافقه[٢] على ما يريد فعرفه ببعض شيء واعتذر عن بعض. وفيه رفع الله أمر الشدة والقحط بمطر، وقع باليمن في ليلة واحدة، وكان آخر مطر الوسمي[٣]. بتشرين الثاني من شهور الروم، فتوفرت الثمار، وسقطت الأسعار، ولان الشتاء وسقط الثلج بجبل عيبان، غربي صنعاء، وكان لا يعتاد ذلك من قبل، وإنما يسقط بجبل القاهر[٤] في حضور.

وفيه انتهب ذو محمد من برط قافلة بالعمشيّة، داخلة إلى صعدة وقتلوا من أهلها واحداً في حد سفيان، وآل عمّار، وتلقفها دُهمَة وانتهبوا أكثرها، ثم أغارت عليهم آل عمّار، وسفيان فانتهبوا ما بقى، ثم ما سلمت بعد ذلك من انتهاب برط لجانب منها من أيدي المُنتهبين، وسبب ذلك الشدة المُتقدّمة وقد تعطل[٥] القبائل بانقطاع معاليمهم.

وفيه سار السيد فخر الدّين عبد الله بن أحمد بن الإمام من جبل العر غربي صعدة، إلى سرج وآل حبيب، وهم من القبائل الذين صالوا في تهامة على بلاد صبيا، وكانوا قد ترافعوا عن بطن تهامة، بعد استقرار الحسن بن الإمام في بيش، فقصدهم عبد الله من الجهة العُليا، فظفر بهم واستاق شيئاً من مواشيهم، وقُتل منهم نحو ثمانية رجال، وكان قد تجيّش عليهم ببعض القُبُل الحادة لهم فأسعدوه لإحن بينهم.

---

(١) القاعدة: مدينة صغيرة تقع شمالي مدينة تعز.

(٢) ليوافقه: كذا وفي (أ) ورقة ٧٩ (ليوقفه).

(٣) مطر الوسمي: هو مطر أول الربيع، وسمّي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثراً. (تاج العروس، م٩، ص٩٣).

(٤) جبل القاهر: هو جبل النبي شعيب حالياً.

(٥) تعطل: كذا، وفي (أ) ورقة ٧٩ (تعلل).

وفي نصف هذا الشهر طلع حسن بن المتوكل من بيش إلى درب مُلَوْح، فقصد فيمن إليه تلك القبيلة الخارجة عن الطاعة، وكانوا قد لجأوا إلى جبل لهم جمعوا أمتعتهم إليه، واتكلُوا في حفظ أرواحهم وأموالهم عليه[١٥٣]، فتسنّم الجند عليهم الجبال، وألوا بهم من حيث لا يخطر لهم ببال، ولما قاربوا حصنهم التحم القتال، ودُعيت نَزَال، وكان يوماً مشهُوداً، حُزّت فيه هامَات المُخالفين، والذاهب منهم بالقتل نحو الستين، ثم أن باقيهم انهزم، وترك ذلك المعقل الأطم، والذاهب من عسكر الدولة ثلاثة أنفار ثم عاد الناس إلى بيش، ووصل بعض مشايخ بلاد فيفا يخاطب أصحابه بالوصول، ويفصح من جهتهم بالإمتثال والمثول، وكان ممن سبق منه بعض اعوجاج، فبادر قبل ظهور دائه بالعلاج، لعلمه أن الدولة غير مغفّلة لقضيته وأنّ:

من حُلقت لحيـة جـارٍ لَـهُ   فليسكـبُ المـاءَ عـلى لحيَتِـهِ

وفي رجب توفي السيد الكريم، عماد الإسلام، يحيى بن محمد بن الحسن بصنعاء، وأُخرج إلى الروضة، بأمر عمه صفي الإسلام. فَدُفن إلى جنب قبر أبيه، وكان موته راحةً لمثله، عن تعب الأحوال، وخلوصاً عن قيد الإعتلال، فإنه كان قد احتجب أكثر أوقاته، لتقاصر المواد مع ما قد ألفه من الأمداد، وإفاضة جزيل النّوال، على من تعرّض له بالسُؤال، حتى ذكر عنه في هذا الباب، ما يُحيّر الألباب، وحين مَات افتُقد مُخلّفه فلم يوجد فيه غير آلة الملك من أنواع السّلاح، المُعدّة لسَاعات الكفاح، وشيء من الحُلي لا يُؤبه لهُ بالنظر إلى سعة مملكة أبيه.

وفي شعبان توفي السيد البليغ أحمد بن محمد الآنسي، وله ديوان شعر فيه الجيّد، والمُتَوسّط، وتميّز بالحدة الخارجة عن الحدّ، وَلَهُ تشيع باحتراق لم يكن عن عدة في طريقه، فإن الرجل كان عازفاً عن المعارف، ولكنه صحب جماعةً من أهل عصره، دان بدينهم، وعلة هذه المسئلة قديمة. وقد ورث تلك الحدة ولده

علي بن أحمد، وله شعر أجاد فيه بعض الإجادة. وأحمد بن أحمد، وغلَبَ على شعره مراعاة التجنيس، واحتدّ فيه على كبار الدولة، فاستخرج خباياهم من أقفاصهم، ولم يكن في اليمن ممّن استحدّ بسنّي العوارف، بشعره مثله، وجهّز منه شيئاً إلى مكة، في دولة الشريف أحمد بن غالب، فأثرى به كثيراً، وهاجا شعراء مكة، وفي حساب الناس أنه غلبهم، وأحسبه كذلك، فما يعاب شعره بغير شيء من اللحن وركة المعنى، مع ديباجة لا يظهر معها ركة المعاني، إلا لمن تصفح قصائده، وقد اجتمع له بعنايته ديوان أكبر من ديوان أبيه، وغالبه جيّد[١٥٤]. وعند كتب هذا التاريخ، وقد استودعتهما المقابر، ولحقا بأمس الدّابر، توفي علي بن أحمد ببلاد أنس، وأحمد بن أحمد بمحل الأدب، حبس بندر زيلع[٢]، وكان حبسه لما ذكرنا عنه، ومن كلام السلف اللسان سبعٌ إذا أطلقته أكلك[٣].

وفي هذه السنة وصل حسن بن الإمام درب ملوّح، واستقر فيه أياماً ينتظر وصول آل حبيب، ثم انتقل إلى صبيا لمشقة الحال بسبب القحط، فوصل إليه جمع من أعيانهم، فربطهم بالحبال، ثم توجّه بهم إلى حَضَرة أبيه بجبور، فلما وصلوا إليه عاتبهم، ورأى منهم من غلظة الطبع والجهل بالشرع ما أعذرهم مَعُه بعض العُذر، ثم وعظهم وعرفهم بصفة الشريعة، والإسلام، واستحسن إعادتهم إلى بلادهم، فأحسن إليهم وأعادهُم، وقد أخذ عليهم المواثيق، في الإستقامة على سواء الطريق. وكان الإمام قد لَوّم على الحسن في العود من غير ظفرٍ بالجميع فأرجعه إلى صبيا، وأبي عريش، ثم رأى أن الصواب فيما فعله لعدم الجَدْوى، واستقر هنالك إلى أن تهيّأ لإمارة الحج، واشتد القحط بهذه الأيام فكان بسببه انقطاع طريق العمشية، وهيجان دهمة في أطراف البلاد، وتخطفهم لأطراف بلاد الجوف واليمن الأسفل.

---

(٢) زيلع: مرفأ على الساحل الإفريقي لخليج عدن، وهو من الموانىء الصومالية، كان قديماً مركزاً لتجارة العبيد وتصديرهم لبلاد العرب (المنجد في الأعلام، ص٣٤٢).

(٣) اللسان سبعٌ إذا عقلته حرسك وإذا أطلقته افترسك.

وَفي هذه الأيام غزى صاحب عُمان إلى بندر الدِّيو[1]، وهي مصالحة للفرنج، طَرَقَهُ من طريق البحر الزخار، واستغفل من فيه من التجار، فانتهب ما فيه من الرغائب، وشحنَ به بطون المراكب، وانقلب إلى بلاده، وفيه جماعة من المسلمين ذهبت أموالهم، وانهتكت أحوالهم.

وفيها وصلت الأخبار أن صاحب اسطنبول وجه إلى ثغر مَراكِش[2] جُنُوده، وعقد لأخذها بنوده، وانفصل الأمر عن حيازته لُملكها، ورتِّبت البشائر في البلدان، والعشائر، وتتبع ذلك فتح الجريد[3]، وهو محل هنالك.

وفيها انتهب أهل حباشة من سفيان بعض قافلة مارة، فتوجه عليهم من الحضرة، السيد الرئيس صالح بن عَقَبات، في جماعةٍ من العسكر، فارتجع ماأخَذوه، واعتلّوا بأن فعلهم ذلك لقطع ما يعتادونه، ووصل شيخ حباشة إلى الحضرة، فأودع الحبس إلى أن مات فيه.

وَفي ليلة الأحد سادس عشر رمضان توفي القاضي العلامة، الحسن بن يحيى حابس، بمحروس ذمار، ودفن بها بحوطة الإمام يحيى بن حمزة، وكان سار إليها بأمر الإمام، لافتقاد تركة عز الاسلام، محمد بن الحسن [١٥٥] بن الإمام، وكان مشاركاً في الفنون، صاحب ذكاء وظرافة، ونفاسة، وغلب على حاله سعادة متصلة، فقضّى بصنعاء والجراف غُرر الأيام، ونال من الدولة جليل الجاه وجميل

---

(١) الديو: ديو Diu جزيرة هندية ٣٤،٧٥٠ كم٢ في (بحر عمان) جنوبي شبه جزيرة كاتياواز (المنجد في الأعلام، ص٢٩٧).

(٢) مراكش: مدينة في بلاد المغرب تقع على نهر تانسيفت في سفح الأطلس الأعلى. (المنجد في الأعلام، ص٦٤٩).

(٣) الجريد: ناحية في تونس الوسطى تشمل واحات توزر ونفطه والوديان والحامة، وكانت مركزاً تجارياً هاماً في القرون الوسطى، وهي اليوم مركز هام لزراعة النخيل. (المنجد في الأعلام، ص٢١٢).

الإعظام، مع مال لا يهرق معه ماء المحيّا، وسعادة صعدت به من معقد الخاتن[1] إلى مناط الثريّا، وقد رأينا للمال دخلاً في معرفة قدر العلماء، في وقتنا ولعل الأمر كذلك في سائر الأوقات، سيما مع دهماء الناس، فإنهم يعدلون بالتبجيل إلى صاحب الدنيا، سيما إذا صادف ذاك نفوذ كلمة، وقد أشار إلى ذلك من قال:

وإذا مـا جمعـت علماً ومـالاً　　كنـت عـين الزمـان بالإجماع

وفيها مات القاضي العارف محمد بن جعفر، وكان حاكماً ببلاد رازح. وفيها توفي القاضي العلامة الحبر البحر الصديق، بن ناصر رسام السّوادي، كان المذكور محققاً لقواعد الفقه، وإماماً في العربية، وإليه القضاء لجهة صعدة وساقين، يتنقل فيها، سمع على السيّد العلامة دأود بن الهادي[2] التفسير، والكشاف وغيره، وعلى الشيخ الإمام قطب الدين لطف الله بن محمد الغياث، شرح نجم الدين للكافية، وشرح العضد للمختصر، وله قراءات، في غير ذلك على غيرهما من مشايخ وقته، وأفاد عالماً في الفنون على أنواعها.

وَفي آخر شوال مات بصنعاء اليمن القاضي العلامة، محمد بن يحيى العنسي، وكان ذا دراية بالنحو والأصول، مشاركاً في الفقه جميل الإعتقاد، وَفيها مات الشيخ علي بن ناصر بن راجح الذي ذكر عنه الخلاف على المؤيد بالله فيما مضى. وفيها تجلّى أمير حلي والحراميّة عنها، بسبب حرب وقع بينه وبين كنانة أفضى إلى تعطل دياره، وانتفى قراره.

. وفيها ابتلعت الأرض رجلاً في بلاد رازح بما معه من الأغنام والبقور[1]، ولم

---

(١) الخاتن: كذا، وفي (أ) ورقة ٨٠ (الحاتن)، والحتن بالتحريك حروف الجبال (تاج العروس، م٩، ص١٧١).

(٢) داود بن الهادي: هو داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن (٩٨٠-١٠٣٥ هـ) شيخ الزيدية في زمانه وكان عالماً بعدة علوم وله «شرح أساس الإمام القاسم ابن محمد». (البدر الطالع، م١، ص٢٤٦، ٢٤٧).

(١) البقور: كذا، والباقور والبيقور: جماعة البقر وهي من أسماء الجمع (المنجد، ص٤٥).

يبق إلاّ يده في كمال الظهور، فسبحان القادر على ما يبهر العقول، ويخرق العادات في كل الأمور. وفي هذه الأيام نزل في وادي مور[٢] سيل عظيم من أعالي جبال ساقين وخولان وبلغ إلى تهامة، وأهلك عدة من الأموال.

وفي ذي القعدة توفّي الفقيه الأديب، المنشىء المحاضر محمد بن حسن أفندي، وهو الذي ترتب للإنشاء، لدولة عز الإسلام محمد بن الحسن، في أوقاتٍ صَفى له جوّها، ولمع بسعده ضوءها، وحين عملت أقلامه على الأنابيب الصّم، ونال من حظ الدولة المحمدية [١٥٦] ما فات الوزير بن القُمّ[٣]، ولازم عز الإسلام سفراً وحضراً، وكبر في عين الدولة خطراً، وقد كان لَهُ بَلاَغَةٌ متوسطة لكن قبول الدولة ضوع أعطارها وضاعف شنارها، بما تجمل به من خطير المراتب، وسنّى المواهب وهي التي تنعش النفوس، وتزف المعاني إلى الأرواح زف العروس، ومازال مواضباً على خدمة عز الإسلام، حتى أفيض على مخدومه نفحةٌ من دار السلام، ثم اتصل بخدمة عمه المتوكل، ومات بضوران للتاريخ المذكور، وما كان خالياً عن مشاركة في النحو، وله يدٌ بعلم الرمل والفلك.

وفيها سيّر الإمام لولاية ظفار حضرموت الشيخ زيد بن خليل، فبلغ إلى

---

(٢) وادي مور: (وهو من أكبر الأودية ويأتي من غرب بلد حاشد وجبل يزيد ومن غرب جبل الضلاع والطويلة ومن شمال بني حبش والجويت والخبت ومن عموم مسور وحجة وكُحلان ومن وادي هبة بالقفلة ومن الأهنوم ومن الجانب الغربي الشمالي من العمشية ومن جنوب بني عويو ومن سحار ومن جنوب ساقين من خولان بن عامر وشرق وشحة وكشر ومن شرق الشرفين وجنوبها ويلتقي في المضيق بين الشرفين وحجة والفرع الجنوبي من لاعة يمر بالطور غرب حجة فيلتقي بالفروع الأولى في الواعضات وفيه نهر كبير يسقي الزُهرة وتفيض السيول إلى البحر في اللحية، وتضيع معظم المياه الدائمة تحت الرمال) (اليمن الكبرى، ص٢١).

(٣) بن القم: هو محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز، أبو الحسن القمي (٥٥٧-٦٣٠هـ/ ١١٦٢-١٢٣٢م) وزير من أكابر الكتاب، ولد في قم وسكن بغداد وولي كتابة الإنشاء، وفي سنة ٦٠٦ نقل إلى دار الوزارة، وقربه المستنصر ورفع قدره وحكمه في البلاد والعباد، ولم يزل في سعده إلى أن عزل وسجن بدار الخلافة ببغداد إلى أن مات، وكان أديباً يجيد اللغتين الفارسية والعربية (الأعلام، ج٧، ص٢٥٤-٢٥٥).

الشحر وأرسل ولده إلى هناك، ووصل بعد ذلك إلى حضرة الإمام نائبه الأول مولاه الحاج عثمان زيد، وفي آخر ذي القعدة وصل إلى بندر المخا سلطان الأزبك، ومستقر مملكته كاشغر[1]، شرقي بلاد فارس ومعه قدر خمسمائة من العسكر والأتباع، ولهم شوكة ونجدة، وكان قصده الحج ففاته في هذا العام، واتفق خصام بين أصحابه وبين عسكر حاكم المخا السيد ضياء الدين بن زيد بن علي الجحافي، فذهب من الفريقين جماعة، أكثرهم من أصحاب السلطان، ولما علم الحاكم أن حسم مادة شرهم لا يكون إلا بأقوى مما هو فيه، استطاب نفس مقدّمهم وسلم ديات القتلى.

وفيها وصل إلى اليمن من الأقطار الهندية، سُؤال يتعلق بغامض الفرائض والضّرب والقسمة، ولفظُه: بَعد البسملة، تيمُّناً بذكر الأعلى ما قول أئمة الدين، رضوان الله عليهم أجمعين، إذا أوصى الرجل لرَجُل بمثل نصيب أحد بنيه، ولآخر بمثل ما يبقى من الثُلثُ بعد النصيب، وكان النصيب مثل جذر المال، ولآخر بمثل نصف رُبُع خُمس سُبُع تُسع عُشر ذلك الجذر، ثم مات وخلف ثلاثة بنين انتهى. وتصديره من حضرة السلطان أورنقزيب، على يدي محمد خان أمين، فعرضه الإمام على من له رسوخ قدم في هذا الفن من علماء ذمار[2]، وغيرهم فمنهم من قال هو طلسم مستور، إذ لا ينقسم في الظاهر على جهة الجبور، وأجاب عنه القاضي المهدي بن عبد الهادي الثلائي من علماء الزيدية، وتصدّى للجواب عنه أيضاً بعض علماء الشافعية، ورأيت بخط بعض السادة الآخذين في هذا الفن، أن الكل قد عجز عن حل السؤال، وأن الأمر في حل مشكلة كما قال:

وكُــلٌّ يَدّعي وصـــلاً لليـــلى ... وليـلى لا تقرّ لهم بذاكا [١٥٧]

---

(١) هي قشغر: مدينة في تركستان الصينية، (المنجد في الأعلام، ص٥٥٢).

(٢) أصبحت مدينة ذمار بعد انتشار المذهب الزيدي في اليمن بؤرة لقاء ثقافي وصراع فكري بين علماء المذاهب المختلفة، وتركز فيها أكابر علماء وفقهاء ومدرسي المذهب الزيدي.

وأنه قد أجاب عنه في بعض مصنفاته بجواب يحل معاقده، ويوضح مقاصده، ولم أقف على شيء من ذلك، وعند الله علم ما هنالك، فإن معي في تحقيق نقل السؤال كما هو نظراً وفهم معنى اللّفظ كيف ما كان متوقف على تلقيه كما كتبه مُلقيه. وفي غُرة ذي الحجة تعرض العُمانيون بساحل عدن والمخا للإنتهاب، ووقعوا من مرادهم على ثلاثة جلاَب، وهي مما وصل للفرنج إلى باب الفرضة[1]، وكافح الفرنج عن أموالهم فهلك بالقتل منهم جماعة، وعجز نائب المخا دفعهم لكثرتهم فإنهم وصلوا إلى هنالك في سبع براش، وكان قد جلب عليهم بغوائِر من زبيد وغيره، واستدعى من الإمام زيادة من العسكر المختارة، فلم يصلوا إلا وقد انفصلوا، واتّصلوا من الأموال بما اتّصلوا، فضعف البندر بسبب هذه الخارجة، وتوجه بعض المراكب إلى جُدة.

وفيها توفي السلطان محمد بن بذر الكثيري، ملك حضرموت. وفي ذي الحجة جاء الخبر أن العمانيين بلغوا في عودهم إلى حدود سواحل بلاد المهري[2]، ثم دخلوها وانتهبوها، وعاثوا بجزيرة سقطرى[3]، وانتهبوها، وأمسكوا شيخها فأوردوا هامته حدادهم، وعادوا قبحهم الله إلى بلادهم.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ وَأَلْف - عزل يَحيَى بَاشا - قد ذكرنا في أثناء حوادث سنة خمس وسبعين أن طائفة السلطان صاحب اسطنبول، بعد طرد حسين باشا عن

---

(١) باب الفرضة: باب من أبواب مدينة عدن القديمة. (هدية الزمن، ص٢١).

(٢) بلاد المهري: هي بلاد المَهَرة جزء من حضرموت يحدها شرقاً عُمان وغرباً وادي حضرموت المعروف بوادي المسيلة، وشمالاً المناهيل والربع الخالي، وجنوباً البحر العربي (اليمن الكبرى، ص٦).

(٣) سقطرى: تابعة لأراضي المهرة وتبعد في البحر عن الساحل أربعمائة كيلومتر جنوباً وهي جزيرة واسعة تقدر مساحتها ١٠٠ كيلومتر طولاً في عرض ٣٠ كيلومتراً، ويجلب منها الصبر السقطري واللبان والبخور (اليمن الكبرى، ص٦-٧).

البصرة، بوّشوا بها قريبه يحيى عليان[1]، وإن السلطان مال عن ذلك الشأن، وكان الأحبّ إليه أن تجتث علائق حسين باشا، وأن صنيعهم بتولية قريبه لم يكن كما شاء، وحين أخذ يحيى من حظ الباشويّة، ما سبق في علم باري البريّة، وانقضى دور ولايته القسريّة، وهبط عليه نافذ الأوامر القهريّة،وتحركت عليه نفس السلطان، فأجلب عليه من كل مكان، حتى سلبه تلك البُردة، وفار عليه التنور بأبطال تمور من عين وردة، بعد معركةٍ غرق في تامورها العباب، وشابت لهولها قوادم الغراب.

وفي محرمها وفدت الأخبار إلى صنعاء بتام عمل الحج، واجتماع محامل العراق والشام ومصر واليمن، وبخروج حسن باشا مُولاً من الأبواب على الحجاز ومكة وجدة، وتوليه للمدينة عند مروره إليها، وانضرب[2] لذلك خاطر الشريف سعد بن زيد، وأوجس منه المكر والكيد، فاستخدم الأبطال، وعمر بالإحسان قلوب الرجال، وكان أهل مكة قد ارتجفوا في أوائل الحال، وأغلقت الدكاكين فصاح الباشا بالأمان، وأمر بإسقاط المكوس والضّمان، ثم صار إلى جُدة، وأراد أن يجمع بها من عدة [١٥٨] الحرب ما يستعين به على زحلفة يد الشريف وبالتحقيق أن ولاية سعد سماوية ممن بيده أزمة التصريف، وكان قد عرض على حسن بن الإمام عقيب إتمام الحج أن يقيم عنده تلك المدة، ويقوم بكفاية من معه من العسكر فلاطفه بالإعتذار وقبل منه.

وفي هذه الأيام طاس جماعة من أولئك العمانيين إلى جيزان، في أثر مركب بايزيد لأنه جاوز المخا، فتبعوه ظناً منهم أنهم سيعُودون به ففاتهم إلى جدة، وهرب عنهم أهل جيزان عند دخولهم، ثم ارتفعوا عنه وقد كذبت أوهامهم وطاشت سهامهم. وفيها مات القاضي صلاح بن يحيى الحسي، وكان إليه منصب القضاء بالحويت، فجلس مكانه القاضي العارف عبد الحفيظ النُزيلي. وفي صفر

---

(١) عليان: كذا، وفي (أ) ورقة ٨١ (علياً).

(٢) وانضرب: كذا.

مات شيخ القراءات السبع بصنعاء محمد السُلاخ بضم السين المهملة والخاء المعجمة بوزن غراب، وكان مكفوفاً.

وفي صفر استدعا الإمام ولده جمال الدين علي بن أمير المؤمنين من الخا، فوصل إليه وأذن للسيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن الحسن، وصنوه أحمد في النزول إلى بلاد ولايتهما العُدين، فسار إليه من طريق النايجة، ومضيا إلى رماع[1] وتهامة حتى دخلا وادي العُدين، فمات به أحمد بن محمد وقبر بالمذيخرة[2] رأس العُدين، واستقر الضياء ببلد ولايته، وكتب له الإنشاء مع المشارفة على أحواله للسيد الأديب جعفر بن المطهر الجرموزي[3]. وفيه قتل السيد صالح بن حسين الحنكي بصنعاء، على يدي ولد ريحان، ورجلين آخرين أحدهما عبد دلال، والآخر من أهل الشام، كان خادماً للسيد، وكان خاصةُ فعامل على قتله الرجلين، وأخذوا ماله بعد فعلتهم القبيحة، فانبعث شنيع فعلهم إلى حاكم صنعاء يومئذٍ، وهو عز الإسلام محمد بن المتوكل، فضبط العبدين، وانفلت الخادم الشامي، فتُبع وردّ من بلاد الظاهر، ثم تهدده بالضرب، فأقر بما كان من الثلاثة، فشُدّد على الجميع، ووصل أولياء دم السيد من الشام، ولما تعلق

---

(١) رماع: اسم وادٍ يأتي من ضوران آنس ومن حمام علي وشمال جبال عتمة وشمال وصاب وجنوب ريمة ويشق طريقه بين جبال وصاب وريمة وينزل إلى بني سوادة والمشرافة ثم الجروبة والحسينية من أرض الزرانيق ويصب إلى البحر الأحمر. (اليمن الكبرى، ص١٩).

(٢) المذيخرة: من بلاد العدين اتخذها علي بن الفضل عاصمة له، وصفها بعض الأدباء فقال:

مذيخرة تخضرُّ في زمن الشتـــا ... وتزهو بأسنـــى بهجـــة وسرور
وفي بطنهـا الأنهـار تبـدو كأنهـا ... سلوك لجـــين في بساط حرير

(هامش صفة جزيرة العرب، ص١٠٢-١٠٣).

(٣) جعفر بن المطهر الجرموزي: كاتب وشاعر (مات سنة ١٠٩٦ هـ) ولاه المتوكل على الله إسماعيل بلاد العدين، ثم صار كاتباً عند عبد الله بن يحيى لما استولى على العدين، ومن طريف شعره:

تشابـه ذقـني حـين شبـتُ وبغلـتي ... فكلتاهما في اللون أشيـب أشهـب
فوالله مـا أدري عـلام أتيتـكم ... عـلى لحيـتي أم بغلـتي كنـت أركـب

(البدر الطالع، م١، ص١٨٣).

دم السيد بذمة المذكورين لم يرَ أولياؤه أنهم أهل للقصاص ،قالوا : وكان المباشر ولد ريحان ، وهو في حال الرقم في قيد الوجود ، فأطلقوا عن الإعتقال ، بعد وفاء الأدب ، وأمّا ماله الذي كان سبب قتله فإنه استخرج من أماكن بعد أن دُلّ عليه ، وصار إلى أهله وراثة ، وخسرت صفقة أولئك الثلاثة . ولم يمضِ شهر من اليوم الذي مات فيه أحمد بن محمد ، حتى قُضي على أخيه السيد العلامة إسماعيل ابن محمد بالعُدين ، فذرفت لمصرعه عيون الأعيان ، وتوالت لفقده مواضع الأشجان ، وأصبحت العيون عَبْرَا ، والأرجاء غَبْرَا ، وكان بَقيَّةُ أعيان الدولة العزية بجاه لائِذين ، ومن طوارق آفات الإمتهان بجواره عائذين ، فضوعف لهم أجر الصابرين[١٥٩]على البلاد بذهاب واسطة عقدهم ،وولي حلّهم وعَقدِهم ،وكان بمثابة من سائر العلوم ، فآثاره في كتبه تقضي بالوقوع على طائل عظيم ، وحظٍ جسيم ، وله سمط اللآل في شعر الآل ، وقعد مكان ولايته السيد جعفر بن مطهّر بولاية الإمام . وذكر بعضهم أن السيد صارم الدين ، في هذه الأحايين ، تحرك للدعوة بسبب إشتباه إسم الإمام ، بإسم ذلك السيد الهمام ، فظن أنه المقضي عليه ، والموجه وجه القضاء إليه ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، وكان ملك عز الإسلام وأولاده الأعلام ، إلى تاريخ وفاة ولده إسماعيل فوق أربعين عاماً .

وفي صفر مات السيد العارف الحسين بن علي بن صلاح العُبالي القاسمي وأصل والده من بلاد الحَرَجة بالشام ، سكن بالعُبال من بلاد حجة ، ونسب إلى السيد الحسين إختراق التشيع ، وتضليل المعتزلة وجماعة من الأئمة ، كالإمام المؤيّد بالله الهارُوني ، والإمام يحيى بن حمزه ، والإمام المهدي ، وإنكار الدجال وقد قالوا :أن الأحاديث بخروجه آخر الزمان بلغت التواتُر ، ونُسب إليه أيضاً إعتقاد الحُسينيَّة ، وقد انقرض مذهبهم السّخيف ، والطعن في كتب السُنّة النبوية ، وإن الدابّة لا تكون على الحقيقه ، وإنما هي المهدي ، وفتح راء الرّوم من قوله تعالى ﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[1] ، وتفسيره بمذهب الحسين بن القاسم وغير ذلك ، فلا حول

---

(١) من سورة الروم ، آية ١ ، ٢ .

ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. وفيها توفي القاضي العارف بدر بن حميد، من ذُرية حميد الشهيد كان له معرفة بالفقه، وتوجه إليه منصب القضاء والخطابة، في جبل عفار وكحلان، بدولة محمد باشا، وفضل الله باشا واستمر أياماً على القضاء بدولة المؤيّد، ثم عزل، وكان زاهداً في ملبوسه، متواضعاً مطّرحاً للمراتب العلويّة، وعرف دولة الوزير حسن، وكان الباشا سنان يومئذٍ كدُخداه وخادمه. وأخبر أنه رأى الوزير في بعض الأعياد خارجاً إلى الجبانة[1] لصلاة العيد ومعه أبطال الأجناد، والنّوبة التي تأوّب لها جبال الجياد، فلما نزل الوزير عن الحصان، ودخل باب الجبّانة احتضنه بيده الأمير سنان، وكان في نهاية الجسامة والظرافة، والوزير في نهاية اللطف والنحافة.

وفيها جاءت أخبار حضرموت بأن عشرين برشة من الفرنج غزوا بلاد العُماني، مكافأة لمغزاه الماضي إلى الدّيو، فدخلوا أطراف بلاده، وسواحلها وانتهبوا فيها، وقتلوا من أصحابه فوق عشرين نفساً. وفيها رفع الإمام الآداب عن أهل الذّمة بعد أن مات بعضهم من الجوع وأسلم البعض.

وفي وسط خريفها درت شآبيب الرحمة وعاودت الحياة البلاد والعباد والحمد لله. وفيها غزت دهمة إلى حدود براقش[١٦٠] بالجوف فانتهب طرفاً من إبلها وهي ترعا. وفي هذه الأيام عرض الإمام على ولد أخيه القاسم بن أحمد بن الإمام الدخول في ولاية البلاد التي تحت يد صنوه محمد بن أحمد، فأباها إحتشاماً لجانب أخيه، فعظم بذلك عنده وعند الناس. وفي ربيع الأول وصل إلى الإمام مكتوب من ملك عُمان سُلطان بن سيف ولفظه:

بسمْ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

من إمام المسلمين، سُلطان بن سَيف، رأس العرب اليَعرُبي، إلى عالي ذروة جناب المعظم، الهمام المكرم، إسماعيل بن القاسم، القرشي العَرَبي، أما بعد فإنّا نحمد الله على سوابغ آلائه، وجميل صنعه وبلائه، ونستر شده إلى سلوك سبيل

---

(١) الجبانة: مُصلى فسيح مكشوف تقام فيه صلاة العيد.

رضاه، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطاه، إنه بيده مفاتيح كل خير، وكفاية كل بؤس وضير، وإن سألت أيها المحب عنا، ورمت كنه كيفيّة الحال منا، فإنّا نحمد الله في حال يسرّ به الودود، ويُسَأله الحسود، ثم لتعلم أيها الملك المبجّل، والسيد المجلل، أنه قد وصل إلينا في مدة أيام قد تصرمت، وشهور قد تخرّمت، رجل من جنابكم يزعم أنكم أرسلتم بيده طروساً بها دُرَرٌ من رائق لفضكم وخطابكم، غير أنه يقول أن المركب الذي أقبل فيه عابه الإنكسار فغرق في اليم، فأدرك الطروس المصطرّه حكم التلف، ثم بيد أنّه قد تناها إلينا من نتائج لسانه، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه، أنكم علينا عاتبون، ومِنّا واجدون، لأجل قطع خدّامنا في العام الماضي للمشركين على بابكم، وأخذهم لسفنهم القاصدة إلى جنابكم، ولعمري إنّا ندري أنّ العتاب بين الأخلاّ عنوان المودة الخالصة والصفاء، ورائد محض المحبة الصادقة والوفاء، غير أنه يجب عن افتراق الجرائم، وانتهاك المحارم، فأمّا نحن فلم نسلك إلى ارتكاب ذلك سبيلا، ولا نجد لك على إلزامنا فعل ذلك دليلا، إذ كُنّا لم نجهّز مراكبنا، ونحشد مخالبنا، لسيّارة رعيتك، ولا لاستباحة أهل حكمك وقضيتك، لكن جهزنا الجيوش والعساكر، وأعددنا اللهاذم والبواتر، لتدمير عبدة الأوثان واعداً الملك الديان، تعرضاً منّا لرضى رب العالمين، وإحياء لسنة نبيه الأمين، ورغبة في إدراك فضل الصابرين المجاهدين، وحاشا مثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام، وأعداء الله والإسلام، الست من سلالة علي بن أبي طالب، السّاقي للمشركين وبّى المشارب، وأنت تدري بما جرى بيننا وبينهم من قبل في سواحل عُمان، وفي سائر الأماكن والبلدان، من سفك الدماء وكثرة الصيال، وتناهب الأملاك [١٦١] والأموال، وإنّا نأخذهم في كل موضع تحلّ به مراكبهم وتغشاه، حتى من كُنح وحميروية(١) بندرى الشاه، ولم يُظهر لنا من أجل ذلك عتاباً ولا نكيراً، فإن كنت في شكٍ من ذلك

---

(١) كُنح وحميرويه: كذا، وفي (أ) ورقة ٨٣ (كنج وحميروة)، ويذكر عبد الله الحبشي في مجلة العرب ص٣٠ أن (كنج مدينة صغيرة على ساحل منطقة لنجة في إيران وتوجد إلى الشمال الشرقي من مدينة لنجة بحوالي أربعة أميال على شاطىء رملي)، أما حميرويه فهي غير معروفة بدقة.

فاسأل به خبيراً، إلاّ وإنّا نذكِروك أيها الملك، والذكرى تنفع المؤمنين، وإنّا لك من المنذرين، وعليك من الحذرين، إنّا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار، وهي عنا نازحة الفيافي والقفار، لم نرَ في تملّكها صلاحاً لشيء أوجبه منا النظر، وحاكته الأذهان والفكر، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة، ولا لكلمة علينا ظاهرة، ولا يد غالبة، ولا كف سالبة، وساعة ما خرج منها عاملنا خَلَف خلّف بها شيئاً من مدافع المسلمين، لغفلة منه جرت عن حملها في ذلك الحين ولما ملكتم أنتم زمام عنها، وأجتليتم ضوء بدرها وشمسها، لم تدفعوا إلينا تلك المدافع، كأن لم يكن من ورائها ذا يدٌ ولا دافع، فاعلم أيها الملك أن البعل غيور، والليث هصور، والحرّ على غيرِ الإهانة صبور، ومن أنذر فقد أعذر، وما غدر من حذّر، على إنّا لإصلاح ذات البين بيننا وبينكم طالبون، وفي استيفاء صُحبتك راغبون، ولإطفاء الفتن والإحن بيننا وبينك مؤثرون، فإن كنت راغباً في الذي فيه رغبتنا، وطالباً لماله طلبنا إخمادها، فأدفع لك الخير لنا إيّاها، ولا تتحسّن بسرعة الإعتداء حُميّاها، وإن أبيت إلاّ الميل لاغتنامها، والجزم على نفس امرىء على خبط ظلامها، ففي الإستعانة بالله مِمنّ إعتدى فسحةٌ وَسَعَةَ، ومن كان مع الله كان الله مَعَه، والسلام ورحمة الله، إنتهى المكتوب بحروفه.

وفيهِ من رئاسة(١) الألفاظ، وتخيّر كلمات الأنفة، والسمو ما يقضي بأن عامله المُسَّمى بخلف إنما رغب عن ظفار لرغبة مخدومه، وقد سلف صفة إخراجه عنه شيء من هذا، وهذه صناعة فحول الملوك على أيدي أكابر الدولة وبلغائها فإن من البيان لسحرا، وإلا فإن خلفاً لم يخرج من ظفار إلا بما دهمه من جيش السُلطان الكثيري، ولو كان خروجه رغبةً لما رغب عن المدفعين، وهو أمسّ ما يكون إليهما، وكيف لا وهما آية الإبقاء على دولته، ورئاسته، وأعظم ما يتجمل به عند الوفود، على مخدومه العُماني.

وينتحــل المقهور كُــل تعلّــةٍ ... ولا بُــدّ للمَغلُوب أن يتعلّــلاَ

---

(١) رئاسة: (رياسة).

والإمام أمر بإطلاق المدفعين، وتولّى الجواب من لا يحسن الدخول في هذا الباب، ولأمر ما حافظ الملوك على تشييد مناصب كتاب الإنشاء كالصاحب[1]، والصابي[2]، والقاضي الفاضل[3]، وغيرهم ممن يكون ترشيحه في دست الكتابة، نصف المملكة، أو ثلثيها، وأسمج [١٦٢] بملك يطبق الدنيا مُلكه، ولا يجد إذا نابه ما يدعو إلى الكتابة غير الأفدام.

وفي نصف ربيع الثاني غزت دُهمة من برط، ومعهم بنو نوف، إلى حدود معين من بلاد الجوف، فانتهبوا ما فيها، وأقدموا إلى صافية الصفي أحمد، فأرسل ولده الحسين بن أحمد في جماعة إلى معين، فلم يصادف أولئك الغازين، وكانوا قد ارتفعوا قبل وصوله، وتعقب ذلك مسير جماعة من برط إلى أطراف المراشي[4]، ومعهم الداعي السيد محمد بن علي الغرباني، وطلبوا الواجبات من أهلها، وكانت قطعة للقاضي علي بن محمد العنسي، ومن إليه فمنعوا عنها فاقتتلوا فذهب واحدٌ من أهل القرية، فحمل عليهم أهل القرية، وَجَنو على جماعة منهم ثم رجع السيد الداعي إلى المَرانَة.

وفي هذه السَّنَة صَالح الشريف حمود، سعد بن زيد ملك مكة، ولم يدخل مكة خشية غيلة الأروام، فسكن من الحجاز في أمنع مكان، وجال في ميادين

---

(١) الصاحب: هو الصاحب بن عباد، إسماعيل أبو القاسم الطلقاني (مات ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م) أديب ولغوي من الكبار، ولّي الوزارة ١٨ سنة لمؤيد الدولة وأخيه فخر الدولة البويهيين، له تصانيف قيمة منها «المحيط في اللغة» و«كتاب الرسائل». (المنجد في الأعلام، ص٤٤٥-٤٤٦).

(٢) الصابي: كذا (الصابيء) هو إبراهيم بن هلال، أبو إسحاق الحراني (٩٢٥-٩٩٤ م) أشهر الكتاب في عصره، تقلد ديوان الرسائل في دولة بني بويه، واشتهر برسائله، له ديوان شعر و«رسائل الصابيء» (المنجد في الأعلام، ص٤٠٠).

(٣) القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن علي (مات ٥٩٦ هـ/ ١٢٠٠ م) من مشاهير وزراء صلاح الدين الأيوبي، ولد في عسقلان من فلسطين، ورافقه في رحلاته إلى مصر وسورية وتولى عنه إدارة الدواوين، كان سريع الخاطر في الإنشاء واشتهر برسائله. (المنجد في الأعلام، ص٥٤٣).

(٤) المراشي: جبل مقابل لبرط من جهة الشرق وهو جبل خصب فيه فاكهة العنب الذي يأتي أكله في السنة مرتين (هامش صفة جزيرة العرب، ص١٦٠).

تلك الوهاد بمَن معه من الفرسان، وكان قد ترك الشّهودَ لأطراف القنا، وأرسل عنان فرسه إلى عنان كل عَنَا، وما استفاد مِن نجدته غير قرع النجود، والعدول عن سَكنهِ إلى مساكنة السيدان[1] والأسود، مصاحباً القرضابة[2]، منشداً لأترابه وأحبابه.

ولي دونكُم أهلُون سِيد عملّس[3] وأرقط زِهلول[4] وعرفاء[5] جَيأَلُ
هُم الأهـل لا مُستودع السّر ضايعٌ لديهم ولا الجـاني بما جَرّ يُخذلُ

والباشا حسن استقر هذه الأيام بجُدة، وأعدّ بتحويل السياق إلى مكة عدّة.

وفيها اتفق بين السيد محمد بن عبد الله العياني، وناظر الوقف بصنعاء شجار في أملاك، فرفع إلى حاكم البلد، السيد عز الإسلام محمد بن الإمام، واقتضى رأيه تأديب جماعة السيّد، فاحترقت لذلك أنفاسه، وأعان على غيظه وسواسه، فلبس الغرارة وجعلها لغيظة أمارة، واشتعل نار غيظه حتى رَمَت بشرر كالقصر، لما كان قد ألفه من نفوذ الكلمة التي تقدم معها أرباب الأمر.

وَمَـا كُلّ وقتٍ يُمنحَ المرءِ سُؤلهُ فَخُذ عفوما واتَى ودع كُلما استَعصَا

وفي إحدى جماديين مات حُسين بن أحمد الوادي، وكان بارعاً في استخراج الكواكـب، من جـداول الزّيجـات، وترتيـب الأَحكام عليهَا في السكون والحركات، فلما أراد السفر إلى قعار، نظر في أحكام الفلك الدوّار، فقضى عرفانه بالنقلة من صنعاء إلى وهب في ساعة اختارها، وأثاره من علم آثارها،

---

(١) السيدان: (سيدان) بالكسر (الأكمة) (تاج العروس، م٢، ص٣٨٦).

(٢) القرضابة: الصعاليك والفقراء. (تاج العروس، م١، ص٤٢٧).

(٣) عملّس: الذئب الخبيث. (تاج العروس، م٤، ص١٩٧).

(٤) أرقط زهلول: الأرقط هو النمر (تاج العروس، م٥، ص١٤٣) الزهلول هو الأملس (تاج العروس، م٧، ص٣٦٤) بمعنى النمر الأملس.

(٥) عرفاء: الضبع (تاج العروس، م٦، ص١٩٤) والعرفاء: الضبع لطول عرفها وكثرة شعرها (المنجد، ص٥٠٠).

فأمسى هناك، ثم أصبح مسافراً وقد أطاعته أفلاكه [١٦٣] وضل عنه ملاكه، فإنه ما استقر ثمّ إلاّ وقد دعاه مدبر الأملاك، ومدبر الأفلاك، فانتظم هالة محيّاه، برج الضريح، قبل أن يعيد في تحريكه نظره الصحيح، سبحان من علم لذاته العظمى، ما كان وما يكون، وله الملك والملكوت، ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللهُ﴾(١) ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٢) وشيخه في الفلك الفقيه حسن بن عبد الله السرحي(٣)، صاحب الزيج المعروف.

وفي هذه الأيام وقعت من الصفي أحمد بن الحسن إشارة إلى الإمام، في أن يوجّه إليه العُدين، ويكون نظره إلى ولده بدر الإسلام، محمد بن أحمد بن الحسن ابن الإمام، لأنه حضر موت عمه ضياء الدين، فرجح نظر الإمام استمرار السيد جعفر بن المطهر على عمله، قلت عند كتب هذا المسطور، وولده المشار إليه إمام هذا القطر اليمني، ومفيض فرات مشرعه الهني، وهو المهدي لدين الله محمد بن المهدي لدين الله أحمد بن ملك اليمن الحسن بن المنصور، وسيأتي عند ذكر دولة والده ودولته استيفاء الكلام بعون مفيض الإعانة العلاّم.

وفيها استدعى الإمام حاكم اللحية والضّحي(٤) ومور، وهو النقيب سعيد الجزبي، فاعتذر بضعفه عن الوصول، وناب عنه ولده في المثول، فصدّقه في قوله وعَذَره، وعلى كمران واللحيّة قصره، وتوجّه الضّحي ومور، إلى غيره على الفور.

وفيها وصلت إلى الإمام اتحافات وهدايا من الباشا عيسَى بن الباشا علي

---

(١) من سورة النمل، الآية ٦٥.

(٢) من سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٣) حسن بن عبد الله السرحي: من علماء الفلك، لا نعرف الكثير عنه سوى ما ذكره مؤلف (طبق الحلوى) ويحيى بن الحسين في كتابه (بهجة الزمن) (أنظر مصادر الفكر الإسلامي، ص٤٨٦).

(٤) الضّحي: من مدن تهامة، تقع إلى الجنوب من (الزيدية) بمسافة ٢٠ كيلومتراً. (اليمن الكبرى، ص٩٦).

مقدّمي الذكر، وفيها حصّة للصفي أحمد بن الحسن، وشرف الدين الحسين بن المؤيد، فعاد رسوله بثواب الإثابة، ورياض المنا المستطابة، وفي آخر رجب سافر الشريف علي بن حسن المكي من صنعاء إلى مكة، وكان قد أقام باليمن قدر عشرين سنة، ولم يترك له الصفي أحمد شيئاً في نفسه مما يوصله إلى بلده، ويحمله عند الوصول بين أهله وَوَلده، فلبث هنالك ثلاث سنين بعد استقراره، وثار بينه وبين قريبه الشريف حيدر خصام، خلص فيه عن قيد الوجود إلى فضي الإعدام، وأعان حيدر على غلبته الركة، التي لحقته بسبب انكسار إحدى رجليه، عند خروجه إلى اليمن، في بلاد خمر بسقوطه من على فرسه، ولما قتله حيدر، واستشعر من قرابته الشر، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ففارق مكة إلى اليمن، ومشاها خطا عليه كتبت.

وَفي هَذِهِ الأيام اتفق بين العماني والفرنج في البحر قتال شديد، وكان ريح النصر في مبادئه مع جند العُماني، ثم عطف الفرنج عليهم فقتلوا منهم زهاء مائتي نفر، وانهزم الباقون، [١٦٤] وثبت الفرنج في البحر يعوثون أياماً حتى خرج منهم من خرج إلى المخا.

وَفي عاشر شعبان اقترن زحل والمريخ بأول برج الحوت. وفي هذه الأيام غزى قوم لا يدرى منهم إلى برط فقتلوا نحو المائة. وفيها اغتال أهل ظفار، وقتلوا من أصحاب الإمام عشرين من الخيار، فانحصر أمير الدولة وهو ولد الشيخ زيد بن خليل، واحتار، فرجح نظر الإمام إرسال عبده الحاج عثمان زيد إلى حضرموت لنيابتِه، واستدعاء الشيخ زيد خليل، ولده من ظفار، فخرجا جميعاً إلى الحضرة. فأمّا ظفار فتغلب عليه أحد جند الدولة الكثيرية، واستند في الظاهر إلى الحضرة العلية، وكان الإمام قد عرض ولاية بلاد حضرموت، وما يتعلق بها والدّخول إليها على إبن أخيه شرف الإسلام الحسين بن الحسن، فامتنع عن ذلك بمشاورة صنوه صفي الإسلام، وأرسل بعض مقاومته ولم يتم له مرام. وفي رمضانها توفي العلامة المحدث زين العابدين بن عبد القادر الطبري، إمام مقام الشافعية بالحرم الشريف، ودفن بمكة، وهو صاحب أسانيد عالية في الحديث النبوي.

وفي رمضانها توفي النقيب الرئيس، سعيد بن ريحان فجأة في يريم، بلد ولايته، وكان والي المخا في مدة سابقة ثم عزل عنه وفي هذا العام جاءت الأخبار بافتتاح السلطان صاحب اسطنبول قلعة مالطة، وهي كالواسطة، وكان السلطان قد أفنى الأموال والرجال في فتح سائر بلادها، فتم له فتح الجميع في قدر سبع وعشرين سنة.

وفي شوال رفع الإمام حاكم المخا السيد الكريم زيد بن علي الجحافي، بالسيد العلامة الحسن بن مطهر الجرموزي(١)، لأسباب حرك بعضها الخواجا نور الدين، منها قواعد حديثه قرّر نور الدين في خاطر الإمام أنها من السنّة التي لا يكون ثواب من عمل بها إلى يوم القيامة لمن سنها، والله أعلم بحقيقة الأمر.

وَفي ذي الحجة مات السيّد صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، بجهات بلاد صعدة، وكان له يدٌ في الإنشا والنظم الرائق، وقد وجّه إليه طرفاً من وظيفة الإنشا، وغيرها عز الإسلام محمد بن الحسن أيام دولته.

وفي هذه الأيام طاف بمكة سيل عظيم، ودخل المسجد حتى بلغ باب الكعبة. وفي سلخ ذي الحجة وصل إلى حضرة الإمام، ولاة ظفار وحضرموت، وفرغ الدست لملوكها آل كثير، ولم يبق من ولاة الإمام غير الفقيه أمير الدين القرشي في الشحر، فلما رأى الإمام أن الوقت لا يساعد على استئناف تخريج على تلك الأقطار النائية، صيّرها في ولاية السلطان علي بن بدر فجعله في جبهتها غرة، وتناساها بالمرّة [١٦٥] وأسداها إلى السلطان يداً في الظاهر، وناب عنه في صياغة هذا الصنع قول الشاعر:

---

(١) الحسن بن مطهر الجرموزي: هو الحسن بن مطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، الجرموزي (١٠٤٤-١١٠٠ هـ) ولد بعتمة ودرس على عدد من العلماء فبرع في النحو والصرف والمعاني ولبيان والمنطق والفقه والحديث والتفسير من مؤلفاته شرح (نهج البلاغة) و(نظم الكافل)، ولّي أيام المتوكل على الله إسماعيل حراز ثم بندر المخا، ومات بصنعاء (البدر الطالع، م١، ص٢١٠-٢١١).

وَخُـــذ النوّم من جُفُوني فإنّي   قَـد خَلعتُ الكَرى عَلى العشّاقِ

فسار إليها السُلطان، وَطَلع تحتها في أشرف طالع وأسعد قران، فزهر بدره، ونَفَذَ نهيه وأَمره.

قال المؤلف أبقاه الله في نسخته المنقولة هذه منها من خطه، كمل الجزء الأول من طبق الحلوى في الليلة المسفرة عن رابع وعشرين من شوال أحد شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف، على يد مؤلفه الفقير عبده بن علي بن الوزير، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

إنتهى كما وجد في الأُم بلفظه [١٦٦]

الجزءُ الثَّانِيْ مِنْ طَبَقِ الحَلْوَى وَصِحَافَ المَنِّ وَ السَّلْوَى

تأليف

عبد الله بن علي الوزير

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَلْف

سَعِد فيها الحال، وطاب العيش وطال، فإن المُصرات حركت غرابيلُها، وأعادت الأرض سرابيلها، فدرّ الضرع، ونما الزرع، وكانت الشدة قد أتت على الطارف والتلد، وأذهلت الوالد عن الولد.

مُنَازَلَةُ الفِرَنْجِ لِبَنْدَرِ المَخَا -

وفي غرة محرم وصل البُرتُقَال - كذا - إلى باب المخا في سبعة أخشاب، ما بين برشة وغراب، وأذنوا حاكم المخاء السيد الحسن بن المطهر، أن بقلوبهم الوجد عليه مالا يمحُوهُ الإستغفار، ولا تطفي سعيره البحار، لأنه لما وقع بجماعتهم البُاني، سلك معهم مسلك التواني، وأشعروه أنهم له قاصدون، وعليه لعدم الوفاء واجدون، وما كرهوا أن يطاردهم في البحر الزخار، فيظهروا له الهرب والإنكسار، ثم ينعطفوا عليه وقد توسط لُججا، وخاض ثبجا[1]، فيهلكوه ومن معه دفعة واحدة، ثم يرجعوا للبندر غنيمة باردة، وما زالوا هناك، وقد أخذوا

---

(١) ثبجا: الثبج - علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه، أو وسطه ومعظمه (تاج العروس، م٢، ص١٣).

اللامة، وركزوا الأعلام علامة، والسيد الحسن عند أن علم أن هذا حادث لا بد فيه من النظر واستجماع الأهبة، أخذ يداجيهم ببذل المال، وهو في أثناء ذلك يستدعي الرجال، وأخذ منهم صلح ثمانية أيام حتى ينظر في أمرهم، وكان المخا قد انجفل[1] عنه أكثر أهله تخوفاً على الأرواح والأموال، مع ما كان قد صدر من الفرنج من قبيح الأفعال، فإنهم انتهبوا قبل هذا الوصول ثلاثة أغربة، الغراب الخارج من عدن إلى المخا، لصفي الإسلام أحمد بن الحسن بن الإمام، وغرابين آخرين خرجا إلى عدن، ولما استولوا على الأغربة خرقوا البعض منها، وعند أن وصلت غارة زبيد، وموزع[2] وجحاف[3] إجتمع بالمخا نصاب وافر، وسكنت بعد ذلك الخواطر، ولما علم الفرتقال - كذا - أن المخا قد غصّ بالأبطال، بادر قدر ثلاث مائة نفر إلى قلعة فضلي، وفيها جماعة من المسلمين فنصبوا لهم السلالـيم، وأذاقوهم العذاب الأليم، وكان قد هرب منهم من لم يثبت في مواقف الصدام، ولا يصده عن شنار الفضيحة احتشام، فأما الذين ثبتوا فهلك منهم بالسيوف[4] نفوس، والباقون مارسُوا أحوالاً فيها تعبٌ وبُؤس، إلى أن لحقهم غوث المخا بغارة شعواء، وألوية تذهب باللّأواء، فرمت بنادقهم ما في بطونها إلى ظهورهم، وروّوا صدا سيوفهم من بُحور نحورهم، وبعد أن أذاقوا أرواحهم [٢] الأمرّين، واحتزوا من رُؤوسهم نحو العشرين، دَفّت ببقيتهم أجنحة غربانهم، حتى حطوا في وكر بقية إخوانهم، وكانوا قد أرسو في البحر سفينهم، وهيأوا هناك كمينهم، فاجتمعوا كعصابة الرأس، وعادوا في ثاني يومهم للمراس، وطمعوا في دخول البندر وانتهابه، فأرسلوا عليه صواعق المدافع من بابه، وراموا تحريقه من جانب غير حصين، فانتبه لهم رصد ذلك المحل من المسلمين،

---

(١) انجفل: هرب مسرعاً. (المنجد، ص٩٤).

(٢) موزع: من مدن تهامة تقع إلى الشرق من ميناء المخاء بمسافة ٣٠ كيلومتراً (هامش صفة جزيرة العرب، ص٧٢).

(٣) جحاف: لعل المؤلف يقصد به جاحف وهو وادي يقع شمال بيت الفقيه.

(٤) بالسيوف: كذا، وفي (أ) (بالسيف).

ووقعوا من جميع هذه الأفعال على خراب جانب من قصر الإمارة، وقتل شخص واحدٍ من السيّارة، ولم يستحسن الذين في البندر أن يخوضوا لهم اللّهام، لأنهم أحذق فيه بمواقع الصّدام ولما استعصى عليهم ما سلكوه، واحتقروا غاية ما أدركوه، رجعت بهم ظهور الأخشاب، على متن الخضمّ العباب، وما زالوا أربعة أشهر يتيهون في الموج، ويستشقون فوج الغرة من كل أوج، حتى قطع الأياس بأفوخ فَسَادهم، وجرّهم الغيظ بأنوفهم إلى بلادهم، وأولئك القاصدون لقلعة فضلي كانوا بعد الوقيعة قد أضاعوا لواءهم، لما دهمهم من الرعب وراءهم، فوصل به إلى صنعاء مأمور الإمام، وركز في أعلا خان جليل بمشهد الخاص والعام. وكان الإمام قد أرسل ولده علي بن أمير المؤمنين، مدداً لمن في المخا من المرابطين، وتوجّه إليهم أيضاً صفي الإسلام وفي صحبته عز الإسلام ولد الإمام فلم يصل علي إلى عدن، إلا وقد انطفت نيران الفتن وأما الصفي أحمد وولد الإمام فعادا من ضوران بعد حين والعود أحمد. وهؤلاء الفرنج طوائف مختلفة، ومذاهب غير مؤتلفة إنقريز[1]، ولونده[2]، وفرنصيص[3]، وفرتقال، والفرتقال هم أهل القضا والقضايا، والباقون لهم كالرعايا، وقد ذكر المسعودي[4] في مروج الذهب، أن فرنج الهند أصيلون فيه من قبل الإسلام[5] وذكر القطب المكي في تاريخ بني عثمان أن طائفة الفرنج في الهند خرجوا في القرن التاسع وضرّوا في سواحل اليمن، وكان خروجهم من وراء القُمر بضم القاف،

---

(١) إنقريز: كذا، انجليز.

(٢) لوندة: هولنديين. (هولندة).

(٣) فرنصيص: كذا، فرنسيين.

(٤) المسعودي: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي (مات ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) مؤرخ ورحالة وباحث من أهل بغداد أقام بمصر وتوفي فيها من مؤلفاته (مروج الذهب) و(أخبار الزمن ومن أباده الحدثان) و(أخبار الخوارج) و(سِير الحياة) و(السياحة المدنية) وغيرها (الأعلام، ج٥، ص٨٧).

(٥) فرنج الهند أصليون فيه من قبل الإسلام: كلام غير صحيح فالتواجد الأوربي في بلاد الهند وفي البحار الشرقية ابتدأ بعد نجاح «فاسكوداجاما» وهو بحار برتغالي من الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ م/ ٩٠٣ هـ.

من خلف بحر الحبشة، استطرقوا من أصل بحر المغرب، من بلادهم بحر الحبشة، ثم بحر الهند إلى هذا المحل الذي سكنوه في الهند، ولهم قلعة في الهند تسمى كُوة، بضم الكاف، هي محل سلطانهم.

وفي صفر أو ربيع عند رجوع الفرنج من باب المندب، وافقوا جماعة من تجار الحسا وعُمان، في مرسا بروم، ما بين الشحر وأحور، وفيهم من عسكر العماني نحو ثلاث مائة نفر، فألجأوهم إلى الهرب إلى بروم، بعد أن انكسر غرابهم المشئوم، وتركوا لهم مركبهم [٣] بتفاريقه، فلم يتمكن الفرنج من غير تحريقه- كذا- لأن العسكر العماني رما عليه فما جسرت الفرنج تصل إليه، ولم يذهب مالمرماه غير واحد من العمانيين.

وفي هذه الأيام وردت الأخبار عن حسن باشا أنه سار هذا العام الماضي من جدة إلى مكة للحج، ورام في الباطن أن يكون هو زعيم البلد الحرام، وضَابط قانونها بيد الحلّ والإبرام، فوجد لواء السعادة في يمين سعد، ولم يتصدّر لشيء مما أضمر بعد، وكان قد أرسل إلى أمير الحاج الآغا فرحان، وأشعره أن يدخل مكة بأصحابه في قالب الأفراد، وأن دخولهم بلامة سلاحهم مما يجرّ إلى فساد، فما حرك الآغا لكلامه رأساً، ولا رأى من مخالفته بأساً، ورد عليه أن سَعْداً هو حاكم هذه الأقطار، بقائم السيف البتار، وَمَا أمر به فَهُو المختار، فلما قضى منسك الحج عاد إلى جدة.

وفي صفر سار عز الإسلام محمد بن أحمد إلى عيان، وطالب مشايخ برط بما أخذوه في العام الماضي، على مارّة الطريق إلى صعدة فسلموا له أعواضاً ببعض ما انتهبوه. وَفي ربيع الأول ظهر نورٌ عظيم، في مسجد النهرين[1] من صنعاء، واستمر ضوئه داخل المسجد من صبح يومه إلى العصر، وتواثب عليه عوام البلد يكتحلون منه وأهل المحل يقولون هذا المسجد مبروك عَليه، ونقلت هذه الأيام

---

(١) مسجد النهرين: من المساجد العامرة بصنعاء يقع غربي السائلة (مساجد صنعاء، ص١٢٥).

براهين للولي المقبور بِسعوان[1] المسمّى بفليح، منها أن رجلاً دهن بشيء من سليط[2] مسجده فسقطت لحيته إلى يده، ولم نجد له ذكراً في التأريخ اليمنية القديمة، والحديثة، وهذا المقام العامر البنيان، لا يشاد إلا على من له شأن. وفي هذه الأيام استقر صفي الإسلام أحمد بالفراس، بعد طلوعه من ضوران حضرة الإمام، فتعقب ذلك وصول السلطانين، الواحدي والعولقي، إلى حضرة شرف الإسلام الحسين بن الحسن برداع ثم إلى حضرة الإمام، فطالبها بحدث العام الماضي وانتهاب القافلة، فأصلحا فيها، ثم حصل التقاص فيما بين أصحابها في القتلى التي ذهبت من بعد دخول الصفي المشرق، فزاد للواحدي على العولقي قدر خمسة عشرْ قتيلاً، فأما القتلى التي من قبل فأغلق من دونها الباب، ولم يجر فيها قلم الحساب، وكان العولقي قد خرج في نحو ألف مقاتل، فمنعه السلطان صالح الرصاص واختار منهم مائة نفر.

وفيها وصل إلى حضرة الصفي أحمد بن الحسن، قاسم بن علي شيخ ذي محمد - كذا - في أربعين نفراً، وصحبته القاضي جمال الدين علي بن محمّد العنسي، ثم نفذ بن معه إلى حضرة الإمام، يستعفيه عن دخول محمد بن أحمد إلى بلاده. ولم يسعده [٤] الإمام وأعاده بمن معه إلى البلاد، بعد أن أنعم عليهم بالكسوة والأعذار، وفي خلال وصولهم الحضرة وعودهم تعرض جماعة من ذي حسين لطريق خيوان، فصادفوا بها شريفاً وولده من حوث، في الجبل الأسود[3] فرموها، فأصيب ولد السيد. ثم إن محمد بن أحمد نقل مخيمه إلى بلد الحراب، رأس وادي المراشي، وهي باب برط، وطريقه فاضطرب حال أهل برط، بين الرضا بدخوله والكراهة، ثم إن الصفي أحمد بن الحسن لما استشعر توانى الأمور دهمه من جنسه بالجمهور، وجاءت طريقه بطن الجوف، وتوسط أماكن لا يأمن فيها إلاّ

---

(١) سعوان: وادٍ خصب فيه قرى ويقع شرقي شعوب بمسافة ميل (هامش صفة جزيرة العرب، ص١٥٤).

(٢) سليط: كلمة دارجة يمنية تطلق على (الزيت).

(٣) الجبل الأسود: يقع في بني جماعة إلى الشمال الغربي من مدينة صعدة.

الخوف، حتى سار إلى معين ثم منه إلى أبراد، ووقع عسكره من بعض مواشي بني نوف على المراد، وكان بنو نوف من دهمة، واستقر في طرفه مما يلي بلاد برط، قدر شهر لرأي رآه، وأحوال مقتضاه، ولم يخل عن مشقة نالت من لديه، لبعد القوافل والإمداد عليه، ثم طلع إلى برط، وابتدأ ببلاد ذي حسين، فدخلها قهراً واستقر في بلاد رجوزة[1] أياماً، ونال من معه التعب بسبب توعّر الطريق، وكثرة هوام تلك الأماكن وأحناشها ومات بعض حريم الصفي هناك، وجملة من الخيل وسائر الدّواب وشرع الحال في الفساد، وسار عن الأميرين جماعة من الأجناد، ولم يبق عند الصفي غير خواصه.

وَفي هذه الأيام أخرب عزّ الدين محمد بن أحمد بن الامام بيتاً هنالك كان مجتمعاً للفساد وكان عمره قرا جُمعَة أيام دخوله إلى هنالك بدولة سنان باشا.

وَفيها مات الأمير محمد كاشف ببرط، وكان من أعيان أصحاب الصفي، ومَبدأ رئاسته مع أبيه شرف الإسلام، وكان قد ناب على وصاب، وهو الذي خرج مع الصفي إلى الحوادث، في تلك القضايا والحوادث.

وفيها شمّر الهمّة حاكم المخا في عمارة القلاع الخاوية، تحرزاً من فعلات الفرنج الملاعين، مع اعتيادهم للوصول في كل حين. وفي خامس عشر جمادى الأولى خسف أكثر جرم القمر، في برج الحمل وغرب كاسفاً.

وَفي يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى، مات السيد العارف علي بن يحيى ابن أحمد بن المنتصر الغرباني، بظفير حجة، وكان في سن الثمانين انتقل جده المنتصر إلى ظفير حجة، في دولة الإمام شرف الدين عليه السلام، وأصله من غربان، وله هناك دار وأوطان، وقد ولي القضاء برهة في أيام المؤيّد بالله، ثم تركه لحدة طبعه، وأخرجه أهل الظفير في بعض الأيام إلى حجة ثم رجع إليه واعتزل في بيته.

---

(١) بلاد رجوزة: تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة صعدة، يحدها شرقاً خب وغرباً المراشي وسوق العنان، وجنوباً المطمة، وشمالاً سوق العنان.

وفي هذه الأيام وصل تركي إلى الحضرة، وأوصل إلى الإمام هدية من صاحب الحبشة، وطاقاً فاخراً فلبث بالحضرة قدر الشهر، وصرفه إلى بلاده بعد [٥] أن عظم له الوَفر.

وفيها انتدب فقيه من بني حنش للتدليس على العوام، فتسمى بعبد الله وادّعى أنه شريف، وكان قد قرأ في مدة سابقة على القاضي الحَسَن الحيمي، قراءة لم يحصل فيها على طائل، غير أنه كان يحسن الإنشاء، ويخلب العقول، من حسن بما شاء، فوصل كحلان، وطاف حجة وتلك البلدان، والعوام تحفّه على سرير التعظيم، وتقسم برأسه عند كل أمر عظيم، فصاحب البخت من حقّق أوصافه، ومرفوع الرُّتبة من انجرّ له بالإضافة، فلما تخوّف عامل حجة السيّد محمد بن الحسين الجحافي، من تبالغ أحواله، وطول أذياله، استدعاه إلى حضرته، وعجَّم عود نبعته، فوجده في زي المدلسين الشطار، ولم ير عنده من المعرفة إلا ما تخلو عنه الأغمار، فصرفه عن بلاده، وقطع بذلك مواد فساده فركب البحر، وسار إلى حضرة حسن باشا، ثم استقر بعد ذلك بالطائف، وما يعجزه أن يتمسك بشيء من تلك الوظائف.

وَفي نصف جمادى الأولى عاد جمال الإسلام علي بن أحمد من أملح[1] إلى صعدة، وخروجه إليها كان بسبب ما بلغه من دخول الأميرين إلى برط، وكانا قد أشعراه بزيارة بلده فخرج لأخذ الأهبة، ولم يتم دخولها، فإن الإمام رجح توقفهما عن الدخول، وأمرهما بالإنصراف والقفول، وجاءت الجنود في الرجوع من طريق صعدة مائلين عن طريق وادي السيل، والمراشي التي تخرج من عيان لصعوبتها، وقد دُخل برط في الدولة العباسية، وَدَخله عنوة إمام اليمن الهادي

---

(١) أملح: من أودية صعدة ويقع إلى الشرق منها، ويتخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً ويضيع في الرمال. (أنظر اليمن الكبرى، ص١١٦).

عليه السلام، والإمام أحمد بن سليمان[1]، والإمام المنصور بالله[2]، والإمام شرف الدين عليهم السلام، ودخلّه قُرا جمعة في دولة سنان باشا، ولما أجمع الصفي بالارتحال بمن معه، خاطب أهل برط في شأن الداعي السيد محمد بن علي الغرباني، فأجابوا أن لا سبيل إلى إخراجه، وضمّن كبارهم صغارهم في حفظه، وأن لا يتفق منه شيء مما يتشوش مِنه الخاطر، وحرر الداعي عقيب ذلك قصيدة إلى والده وهو بصنعاء منها:

وَعجْ ببني القاسِم الأكرمين ... وَمَن لَهُم في العُلى أوَجُ
وأتحفهم بشريف السّلاَم ... وعاتبهُم إن هُمُ عَرجُوا
وَقُل مالكُمْ يا بُحور الحجا ... أتيتُم بشيءٍ بكُمْ يسمجُوا
جُنودكم كُلها أقبلتَ ... على رَجُل واحدٍ تُزعجُ
وليس لَهُ ثروةٌ لا ولا ... لهُ ثم أوسٌ ولا خزرجُ
ولم يأتكُمْ مِنهُ ما تكرهُون ... سِوا أنهُ قال ذا المُدرج [٦]
وما قال إنّي إمامٌ ولا الإ ... مَامَة عنكُمُ لهَا مخرجُ
ولكنه قال إن كان ما ... ذكرت هو المنهج الأوهجُ
فهبُّوا إليه إذا شئتمُ ... وإلا فما شِئتم فانهجُوا
وردُ علي إذا شئتمُ ... مقالي إن كان يُستَسمَجُ

وفي هذه الأيام رجع مندُوب شرف الإسلام الحُسين بن الحسن إلى حضرموت

---

(١) الإمام أحمد بن سليمان: هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر (٥٠٠-٥٦٦هـ/ ١١٠٦-١١٧٠م) دعا لنفسه في بلاد صعدة ونجران والجوف، وخرج معه رجلين من شيعته إلى جبل برط فبايعه بعض قبائل دهمة، ثم سار إلى وادي أملح ثم إلى نجران، وفي سنة ٥٤٥ دخل صنعاء فبايعه الناس، وفي أيامه قوي نفوذ (بني حاتم) فوقعت بينه وبينهم حروب من مؤلفاته (أصول الأحكام في الحلال والحرام) و(حقائق المعرفة في معرفة النظر ووجوبه).. و(الرسالة الصادقة في بيان ارتداد الفرقة المارقة).. وله جملة من القصائد والأشعار.. وغيرها (مصادر الفكر الإسلامي، ص٥٣٤-٥٣٦).

(٢) الإمام المنصور: هو المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي (أنظر ترجمته ص ٤٨، ٤٩، من الكتاب).

ولم يحصل على طائل مما دخل لأجله، وقيل إنه قتل من أصحابه إثنان، والسبب في ذلك أن أبناء دولة تلك البلاد أنسوا إلى الإستبداد.

وفي ثاني وعشرين من رجب وقع قران المريخ وزحل ببرج الحوت. وفي هذه الأيام غزا الشيخ الجيد إلى أطراف بلاد دثينة، في جماعة فقتلوا نفرين من أصحاب شرف الإسلام. وفيها وصل الخبر أن سيواجي ملك (الرّازبوت)، شاوره بعض أقارب سُلطان الإسلام، أورنقزيب في أن يكون من حزبه، وأن يعضده على حربه، فأجابه إلى ما دعاه واجتمعا على قصد بندر سورت، فانتهباه، وتشهّرا بعد ذلك بالخلاف، وهو أقرب البنادر في سمك البحر إلى بنادر اليمن، والمسافة ما بينه وبين عدن عند صلاح الريح مقدار عشرين يوماً، ومنه إلى محل السلطان مقدار الشهرين في البر، ثم أن سيواجي بعد ذلك سَعَى في مصالحة السلطان فاصطلحا.

وفيها اتفق بصنعاء أن بيتاً (بزُقاق الغُول) تسلط وتسلطن على أهله الغول، وأساء الجوار، وأضرّ بالجار، ومبْدَأ أمره أن حريم البيت[1] تمنعن الحان في إحضار شيء من الأطعمة، وتكرر منهنّ ذلك فحضّر ما أردنه على وفق الإقتراح ثم ندم ذلك المشوم، على إحضاره ذلك المطعوم، فأفسد على أهل البيت عدة أيام، كلما هيأوه من الشراب والطعام، ثم عمد إلى ملبوسهم الخطير، ففتّه قطعاً ثم رماه في البير، وما زال يصابحهم ويماسيهم بمسيس الضّرر، ويرميهم من جحيم تمرّده بشّرر، حتى أتلف معظم ما معهم من المتاع، وأودع نفايسهم حيث الإتلاف والضياع.

وأخبرني أخي ومخدومي عثمان بن علي[2]، بارك الله لي في عمره، كما شرفني

---

(١) حريم البيت: نساء البيت.

(٢) عثمان بن علي: هو عثمان بن علي بن محمد بن عبد الاله الوزير (١٠٥٢-١١٣٠ هـ) أخذ عن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم والفقيه علي بن جابر الشارح والحسين بن محمد التهامي وغيرهم، وكان إماماً في الفروع حاكماً مفتياً، تولى القضاء بجهات السر من بلاد بني حشيش وفي بني الحارث،

بخدمة أثره، أنه احتاج يوم أيام طلبه بصنعاء المحمية بالله إلى بيت ينقل إليه أهله من الجراف، فدل على بيت بحافة سوح السعادة من جوار الإمام الناصر صلاح الدين عادت بركاته، ولما أراد النقلة إليه، أُخبر أن هذا البيت منذ أيام، يرجم بالحجارة السود، تخر إليه في الهواء من جهة جبل نُقم [٧]، قال فطفته فرأيت فيه جُملة من الأحجار، وعليه دلائل الوحشة والإقفار، ثم شاهدت فيه تلك الأحوال ورأيته يُرجَم مثل قبر أبي رغَال، فنقلت أهلي إليه، وتعوّذت بالله وتوكلت عليه، فلما استقر به الحلال، ذهب عنه ذلك الحال.

وفي ذي الحجة أمر عز الإسلام محمد بن الإمام في صنعاء بالتسعير مما عدا القوتين لضرب من الصّلاح. وفي خامس عشر من ذي القعدة كان تحويل السنة الرّومية، عند دخول الشمس أول درجة في الحمل، والمريخ بالثور، وزحل بالحوت، والمشتري بالأسد، والشمس والزهرة وعطارد بالحمل، والجوزاء بأول درجة من الميزان، ثم تدخل السنبلة.

وفي هذه الأيام بعث صاحب عُمان إلى حاكم المخا بألفي رطل من الرصاص معونة له في دفع الفرتقال - كذا - .وفيها مات الشيخ العارف المتصوّف محمد بن الشيخ طاهر بن بحر ببلدة المنصورية[1] بتهامة، وكان على طريقة والده في إكرام الضيف، وبسط الأخلاق. وفيها مات السيد الفاضل إسماعيل بن إبراهيم الحضرمي ببلده أكمة سلم ما بين الحيمة وحراز، وكان استوطنها مدة، وتصدر لتلقي المارّة بالإحسان، والأخلاق الحسان، وامتد إليه قبائل الجهة بالنذور، وكان لا يدّخر عن القصّاد ولا عن نفسه شيئاً منها، ومن كراماته أن بعض المارّة رأى بعض جواريه على مورد الماء فخامره خاطره بما لا يليق، وعرف الشيخ فانحرف

ومن مصنفاته «انتهاز الفرص بشرح القصص» شرح لقصيدة الإمام شرف الدين وسكن في آخر أيامه مدينة صنعاء وأخذ عنه صنوه عبد الله بن علي الوزير (مؤلف هذا الكتاب)، وغيره. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٤٥).

(١) المنصورية: تقع إلى الشرق من مدينة الحديدة إلى الشمال من بيت الفقيه.

عنه خاطره فجن في الحال، وآل به الجنون إلى أن حطّ في الحديد، ومات بعد أن قاسى الحال الشديد.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِثنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَأَلْف -

في مدخل يومين أو ثلاث من محرم وصل الخبر إلى صنعاء من طريق السراة أنه لمّا رَمَى حسن باشا جمرة العقبة، اتفق على رميه من رأس الأكمة التي هي جنوبي الجمرة، يقعد فيها أهل اليمن للتفرج، إثنان، أحدهما من بواردية الشريف، والآخر من هذيل[1]، فأصيب في فخذه فخرّ لوجهه في آنه، وأحاطت به عصابة فرسانه، فأدخلوه التخت، وفتكوا بثلاثين رجلاً في ذلك الوقت، أغلبهم من لا يحمل السلاح، ولا يطيق النزال والكفاح، لما ثار بهم من الشراسة، وداخلهم من الغيظ والحماسة، واضطرب هنالك الحجيج، وارتفع الصراخ والضّجيج، ووقع الناس في أمرٍ مريح، ومنهم من أعجزه محموله، ومنهم من اختلط معقوله.

أخبرني من شاهد الحال، أن أصحاب الباشا مضوا بعد ذلك سائرين، وأعملوا السيف فيمن وجدوا من المسلمين[٨]، فلما مروا بأمير حاج اليَمن، ورأى فعلهم السخيف، ووضعهم السيف، في القوي والضعيف، لزمته الأنفة فصفّ لهم عسكر الإمام بجانب الطريق، وفعل فعل المتحرش فلزم لهم المضيق، فأغضوا عنه عجزاً لا حلما، ومضوا بعيون عَبَرا وأكباد كلَما، وتسارع النهب في أطراف منى، وقاسا ضعفة الحج أشد العناء.

والشريف ركب من حينه بعد أن لبس لامة حربه، وحين قرب منهم ورأوا بريق الصفاح، وتعاقب الأرماح وعرف أن في خوضه لاستفصال القضيّة نوعاً من الايهام، مع ما لا يفوتهم أن ذلك الأمر بإشارته والسلام، رجع للفور العود إلى

---

(١) هذيل: نسبة إلى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر، أبو حي من مضر (تاج العروس، م٨، ص١٦٦) وهي من كبار قبائل العرب المضرية المشهورة سكنوا قرب مكة، ودافعوا عن الكعبة لما حل أبرهة على مكة. (المنجد في الأعلام، ص٧٢٧).

مضربه، وانتبه لحفظ حقيقته وضبط منصبه، فتقدم أصحاب الباشا في التختروان[1]، ودخلوا مكة في النفر الأول بالعساكر والركبان، والشريف دخل وحده، وقد أذن بالتحرز والبطش جنده، وكانت الوقعة يوم الأربعاء وقت الظهر في النفر الأول لأن عرفة كانت الأحد والعيد كان الأثنين، ولم يكن الباشا رما لما رمى غير ثلاث حصيات، وبعد ذلك انضربت - كذا - أحوال مكة، وبطل البيع والشراء فيها، وتأخّر عن السفر ركاب البحر للخوف ما بين مكة وجُدّة.

ولمّا كان ثامن عشر شهر ذي الحجة سار الأمير على حاج اليمن إلى دار الشريف، وتضرر ومن معه بسبب البقاء من سعة النفقة، وإهمال أحوالهم، فوعدهم بالجواب إلى اليوم الثاني، ثم استدعى فيه أمير المحمل الشامي وخلى به وسار بعد ذلك إلى بيت الباشا حسن، وتعقّب ذلك إذنه للناس بالإنصراف وأصحب حاجّ اليمن من قبله إنمّا فارقهم من جُدّة، واستقر به نائباً عن الباشا ثم خرج الباشا مع أمير المحمل الشامي في التختروان، وأظهر للشريف أنه عازم إلى حضرة السلطان، فلمّا وصل المدينة استقر بها واستدعى زيادة من مصر ورفع القضيّة إلى الأبواب، وانتظر هنالك الجواب. ويقال أن ذلك الصواب حَمَل عليه فهلك منه قالوا والسبب في الحديث الذي اتفق مع حَسَن باشا ما ذكر للشريف من أن الباشا موصّى من الأبواب ومُصرّ بالقبض عليه، وإن فرمان الولاية لحسن باشا قد كان بيده وإنمّا كتمه لعلمه أنه لو أظهر ما عنده لعجز عن مقاومة سعد مع ما عرفوه من جُرأته، وإنه لا يبالي أن يستبد ويستند في ملك مكة والحجاز إلى نفسه كما فعل ذلك فيما سيأتي من السيرة.

وفي هذا الشهر ولدت بسعوان إمرأة عجلاً فبقي يومين ومات، وفي ربيع الآخر طلع [٩] جمال الإسلام، علي بن المتوكل إلى حضرة والده الإمام.

---

(١) التختروان: سرير يشبه الهودج يحمل على الأكتاف.

وفيه اتفق أن السيد جعفر بن المطهّر نائب العُدين فرّ بعض أصحابه إلى مشهد الشيخ صلاح، فأمر بإخراجه من جُورته[1] فلم يساعده إلى ذلك أحد، فسار بنفسه وأراد إخراجه فخرج عليه حنش عظيم، وما زال يراه في كثير من أوقاته فسار إلى المذيخرة، فلم يشعر به إلاّ قد أطلّ عليه من باب مكانه، فصاح واستوحش لذلك.

وانتهبت هذه الأيام قافلة خرجت من جُدة متوجهة إلى حسن باشا، فيها طعام ورصاص، وكان السياق يخرج من مصر إلى ينبع في البحر حتى تصل إليه. وفي جمادى الأولى استولى الخسوف على جرم القمر، بالرأس بمصاحبة زحل، ومقابلة المريخ للكسوف، بالسنبلة، واستمر خمسَ ساعات. وكان حساب اليهود لعنهم الله قد تغير في هذه السنة، في توفية أعيادهم على الشهور الرومية، فقدموه على وقته بقدر شهر كامل، فجعلوه سبت السبوت في هذه السنة في جمادى الأولى وهو في آخره، ورجعوا في العام الثاني إلى الصواب، ثم عادوا إلى التقديم.

وفي جمادى الثاني وصل إلى الإمام الشريف عبد الكريم بن باز، من عتود ومعه نحو ثلاثين نفراً، يطلب الإمداد بالمال والسلاح ليستعين بذلك على طرد القبائل الثائرين عليه هناك، وكان الشريف سعد قد ولاّه تلك الجهات، وأمره بالذبّ عنها فلبث عند الإمام نحو خمسة أشهر ثم أعانه بالذي طلب وسار إليها.

وفي هذا الشهر عرض الإمام على ولده صفي الإسلام أحمد ولاية ذمار، فأباها واشتاق إلى شُهارة وتلك الديار لأنها أوطانه القديمة، ومواضع حَلّ التميمة[2]، فولاّه نصف بلاد عذر فتجاوز عنها إلى غيرها ونهي وأمر، وعارض شرف الإسلام الحسين بن المؤيد بالله حتى وهنت أحكامه، واتسعت أوهامه،

---

(١) جُورته: مجاورته لقبره.

(٢) التميمة: (التميمة المعلقة على الصبي) تاج العروس، م٨، ص٢١٦، وهي عبارة عن أوراق مكتوبة توضع في حرز يعلق على رقبة الصبي ليبعد عنه الأذى والعيون الشريرة وتحل عنه في سن معينة، وفيها يقول الشاعر:

بــلاد بهــا حــل الشبــاب تمائمي ... وأول أرض مس جلــدي ترابهــا

وضاق صدره، واختلط أمره، ولمّا وفد عيد الأضحى خرج الحسين عن شهارة، وأقام العيد في قرية الصابة، ثم عاد وكتب إلى الإمام يستعفيه عن ولاية ما في يده من البلاد، وكان يرى أن ذلك منبه على الإفتقاد، وقامع لأحمد عن دائرة الإصدار والإيراد، فلم يعد الجواب إلاّ بأمر أحمد، باتخاذ الريح، والطبول والعسكر، وعرض أهل العُهد والجند على الدفتر. وفي هذه الأيام سار إلى الإمام كثير من أهل شبام، وكوكبان، وشكوا إليه أن الأمير عبد القادر بن الناصر، أخّر عنهم بعض ما يعتادونه فأرجعهم إليه مصحوبين بالفقيه محمد [١٠] بن عز الدين الأكوع، الذي كان مع شرف الإسلام الحسن بن المنصور. عونياً وخازناً. وفي خلال ذلك سار السيد الإمام العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل إلى الوادي، والسيّد الرئيس عماد الدين يحيى بن أحمد الحمزي، إلى صنعاء قال بعض قرابة الإمام وكان في خاطرهما شيء من ذلك، فلما استقر الفقيه بكوكبان، دفتر الحقوق بقلم التحقيق، ونظر في قانون التقسيط بنظر التدقيق، فربما عالت الفريضة على الكبراء، ودخل النقص على الأعيان والأمراء، فظهر وجه الرعاية للسيدين، وقصدهما بعناء قول بن الحسين.

وندعهم وبهم عرفنا فضله   وبضدّها تتبين الأشياءُ

ووفدت الأخبار إلى هذه الديار، أن قصّة حَسن باشا لّما اتصلت بالسلطان كدّرت أحواله، وشوشت عليه باله، وربما استنبط فيها تغلب الشريف على ما دون مصر، فبرزت أوامره على صاحب مصر، أن يجهّز على جُدّة، عساكر فيها كفاية لحفظها ريثما ينتقد الأمر.

وفي هذه الأيام دخل الفرنج إلى جزيرة سقطرى، من بلاد المهري فصالحهم لعدم القدرة على حربهم، وسكنوا منها بمكان يقال له قشن[١]، وكان الإمام قد همّ بتجهيز الشيخ زيد الهمداني عليهم فبلغه تجهيز محمد شاويش من مصر إلى مكة فأضرب عن ذلك.

---

(١) قشن: مدينة ساحلية صغيرة تقع إلى الشرق من مدينة (سيحوت).

وفي ذي الحجة جاءت كتب من الشقيق[1] وجازان تتضمن، الأخبار بخروج محمد شاويش وجنوده قالوا: وأصله من اليمن. وفي سابع عشر ذي القعدة دخل مكة في قدر ثلاثة الآف وحط بالعمرة، والشريف سعد عند ذلك أمر بلالاً من المماليك، بالمرور على الجناب محمد شاويش لتسلم الخلعة فسار إليه وأعطاه المعتاد منها. وكانت الأخبار قد وَصلت من جيزان إلى هذه الجهات، وفيها أنهم انفصلوا عن جُدّة، وقد وصل إليها خبر تجهيز الوزير حسين باشا، على الشريف سعد مع المحمل الشامي، وكان الإمام قد جهّز لإمارة الحج الآغا فرحان، ففي منسلخ ذي الحجة وصل منه مكتوب يخبر أنه وصل بمن معه إلى السعدية[2] محل الإحرام، للتوجه إلى المناسك العظام فجاءته كتب الشريف قاضية بالإرجاف والتخويف، آمرةً لَهُ ولمن معه بالرجوع إلى اليمن مخبرة أنه سيصل إلى مكة بيك حسين في خيل وخَوَل، وأمراء ودول، وقد تقدمه محمد شاويش بتلك الجنود، والعسكر المفقود المنقود، وأن الخيل الداخل إلى مكة قدر الألفين، والعسكر وركاب المطايا زهاء عشرة آلاف راجل على خمسة آلاف مطيّة[١١]، كل راجل معه بندقان، ومعهم الدباب وهي آلة للحرب، قد كان بنو أيوب[3] وبنو رسول[4] باليمن يتخذونها، واتخذها الإمامان الأعظمان، صلاح الدين الناصر، وولده المنصور، وأخبر بعض من حضر دخول الوزير حسين إلى مكة أن جملة الرجالة من عسكره إحد عشر ألفاً. ورجع الآغا فرحان بمن معه من السّعديّة، رابع ذي الحجة وكان قد أنفذ بعض ما عنده من الصرّ إلى الشريف سعد فقبضه ولمّا

(١) الشقيق: من موانيء الخلاف السليماني تقع شمال غرب (صبياء) على بعد ٥٠ كيلومتراً. (اليمن الكبرى، ص١١٩).
(٢) السعدية: تقع إلى الجنوب من (مكة) إلى الشمال الغربي من ميناء (الليث).
(٣) بنو أيوب: حكموا اليمن من سنة ٥٧١ هـ إلى سنة ٦٢٥ هـ وكانوا يتبعون ملوك مصر. (اليمن الكبرى، ص٢٦٧-٢٦٨).
(٤) بنو رسول: حكموا اليمن بعد الأيوبيون واستقلوا به عن مصر واتخذوا مدينة (تعز) عاصمة لهم، واستمرت فترة حكمهم من سنة ٦٢٥ هـ إلى سنة ٨٥٩ هـ (اليمن الكبرى، ص٢٦٨).

وصل في الرجوع إلى (المظب)، أغار جماعة من قبائل البلاد على آخر القافلة فمنعهم أهلها وتراجموا بالحجارة، فرجع الآغا ورما بالبنادق وقتل منهم أربعة وهرب الباقون، وتبع حاج اليمن في الخروج وزير الشريف ومعه بعض الحشم والمماليك فأدركهم بحلي، ووصل مع الأمير إلى حضرة الإمام. ولمّا تألبت هذه الجموع على الشريف أخذ حذره، وأحكم أمره، فوصل عرفات ثم نزل مناً، وأصبح يوم النفر الأول عازماً إلى جبل الطائف، وأعرض عن لقاء الأمراء والبواش، فلمّا سار حصل من هذيل الإنتهاب، لمن لحق في الأعقاب بوادي نعمان[1]، وانتهب هذيل بني عصيه، وقتلوا منهم من لم يسلم سلبُه[2]، واستقر سعد هذه الأيام بالطائف. وفيها جاءت الأخبار بأن الفرنج وصلوا إلى السّاحل، ومنعوا الخارج والداخل، في أحد عشر مركباً، فاستدعى السيد الحسن بن المطهر أخاه جعفر بن المطهر فوصل إليه من العدين في أربع مائة مقاتل، واستدعى من زبيد نحو المائة، وعز الإسلام محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام أعد جيشاً نافعاً لوقت حاجته، وصرف السيد الحسن إلى دواير المخا جملة من العسكر، وكان قد أنفذ رتبة إلى قلعة فضلي، فاستمر الحطاط على المخا قدر شهر، ثم وقعت المراسلة بين الفرنج والسيّد بالصلح على أن يسقط على تجارهم الداخلين المخا بقدر ما كان أخذه السيد زيد بن علي أيام ولايته، ثم دخل تجارهم بعد ذلك إلى البندر، ورجع الآخرون إلى بلادهم.

وفيها شرع صفي الإسلام أحمد بن الحسن في استخراج غيل بالقرب من الحمراء، ولمّا توسّط الحفّارة في عمله انهدم عليهم، فهلك نحو سبعة، فأضرب عن العمل فيه.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف - [١٢]

في غرة محرّم منها حلّ زحل آخر برج الحوت، واتفق قران الزهرة وزحل

---

(١) وادي نعمان: وادٍ بين مكة والطائف. (معجم البلدان، م٥، ص٢٩٣).
(٢) السلب: ممتلكات المسافر.

ببرج الحوت. ولمّا استفصل من في اليمن خبر سعد والأروام، ورفع خبر التجهيز عليه إلى مسامع الإمام، وكان في الأخبار تهويل، يقضي بأن مكة غير منتهى سفرهم، فإنهم لا يتركون اليمن وقد تمكنوا، وخاض مع الإمام بعض الناس في الأخذ للأهبة، وملاحظة جانب سعد بالتقوية، حتى عاد جواب صفي الإسلام أحمد ابن الحَسَن وولده عز الإسلام، بعد استمداد مشورتها أن الرأي إظهار الغفلة فاستحسن ذلك الإمام، ورأى أن الصلاح موادعة الأروام، وأن الرأي كما قال بعض أهل الأحلام.

لا تصغ إن شردعا فالشرّان | تنهض له ينهض وإن تسكن سكن
وسديد رأي لا يحرّك فتنه | سكنت وإن هي حركته لها اطمأن[1]

ولمّا لم يتم الحج لأهل اليمن كما وصفناه، قال الشيخ إبراهيم بن صالح في ذلك.

أظلما عن البيت الحرام نذادُ | على مثلها الخيل العتاق تُقادُ
وخسفاً يسام الهاشميون إنها | لفادحةٌ فيها الحتوف عتادُ
فلا نامت الأجفان يا آل قاسمٍ | وكيف وفيهن السيوف حدادُ
ولا حملتكم من نتايج داحسٍ[2] | شوازب[3] إن لم يستشب زنادُ
إذا لم يُصن عرض الخلافة فيكم | فمن أين مجدٌ طارفٌ[4] وتلادُ[5]

---

(١) هذان البيتان لإسماعيل بن أبي بكر المقري المتوفى سنة ٨٣٧ هـ، ويوردها المؤلف في مؤلفه «أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبير العزب» بالشكل الآتي:

وسديد رأي لا يحرك فتنة | سكنت وإن قامت تأنى واطمأن
والشر مثل الليث إن تنهض له | ينهض على عجل وإن تسكن سكن

(مجلة دراسات يمنية، العدد الأول ١٥/٩/١٩٧٨، ص٨٢، ١٠٢).

(٢) داحسٍ: كذا، وفي (أ) ورقة ٩٣ (داحشٍ)، إشارة إلى حرب داحس والغبراء التي وقعت بين عبس وذبيان واستمرت ٤٠ سنة، ذكرها زهير بن أبي سلمى في معلقته (المنجد في الأعلام، ص٢٧٧).

(٣) شوازب: جمع شازب وهو الضامر المتغير اللون. (المنجد، ص٣٨٥).

(٤) طارفٌ: يبهر عين من نظر إليه (المنجد، ص٤٦٤).

(٥) تلادُ: من تلد، كناية عن القدم. (المنجد، ص٦٣).

تدافعت البيد الموامي[1] بقومكم   تدافـــع ذُلّ في صماة صمادُ
ورُدّوا حيارى خائبين بصفقة   ينـال بها ريح الردّى ويفادُ
وقـد شارفوا أرجاء مكة فانثنوا   بفاقرة[2] تُفري الأديم وعَادوا
بـني القاسم المنصور هل تحسبونها   بهينـةٍ لا بـل عنـاء وعنـادُ
فعزماً فأنتم أسرة السؤدد الذي   مبانيــه فوق النـيرات تشادُ
ألستم بأهل الركن والحجر والصّفَا   بلا وهي أوطـان لـكم وبـلادُ

فــلا تتركوا الأتراك في جنباتهــا
علـى الغي قـد ساسوا القُرُوم[3] وسادوا
وصولوا مُصـالاً يـترك البحر جـذوةً
وحزمـاً فمن فوق الجمار رمـادُ

ويا آل قحطان[4] ويا آل حاشدٍ   وآل بكيـل[5] آن آن جهادُ
يذاد عن البيتِ الحرام حجيجكم   كما ذيـد من ذيب الفلاة نقَادُ[6]
فشدوا حزام الحزم فالطرف أن يدع   مشدَّ حزام مال منه بدادُ [١٣]

ألا أيقظوا نُجـل العيون عن الكرى[7]
فليس بهَـا إلاّ قــذاً وسُهَـادُ

إذا فاتها من أسود الركن نظرة   فـلا دار في أحداقهنّ سَوادُ
قليـلٌ بأن تشرى منَى بمنيّـةٍ   ليـالي لقـى تزهوا بهن سُعَادُ

---

(١) الموامي: المفازة الواسعة أو الفلاة التي لا ماء فيها (المنجد، ص٧٨٠).
(٢) بفاقِرة: الداهية الشديدة فكأنها تكسر فِقَر الظهر (المنجد، ص٥٩٠).
(٣) القروم: مفردها قرْم الفحل من الإبل. (المنجد، ص٦٢٤).
(٤) قحطان: أبو القبائل اليمنية جيماً.
(٥) آل حاشد وآل بكيل: أكبر قبيلتين يمنيتين إلى يومنا هذا.
(٦) نِقَادُ: جنسٌ من الغنم صغير الأرجل. (المنجد، ص٨٣٠).
(٧) الكرى: النوم.

وتجريع كأس الموت أن تدر زمزم واعوزت الورّاد منه ثِمادُ[1]
ونحر الفتى المكروب في عرفاتها على وقفه فيها الحروب ترادُ
ألذّ وأحلى للكَمِيّ[2] مذاقه ألا انتبهوا يا قوم طال رقادُ
إتقذا عيون منكم بمذِلّة وتغضي عيون حشوهن قَتَادُ[3]
ويصفوا على ذا الضّيم[4] للحُرّ مشربٌ
وكيف وشرب الهون منه برادُ
دعوتكم هل تسمعون نِداء مَن يحرّض لكن لا يجيب جمادُ
فيا سيف سيف الله من حسن أجب فقد لقحت حربٌ وثار نهادُ
أأحمد ماذا العود منهم بأحمدٍ ولكن حديث الضيم منه معادُ
فثر ثورة واغضب لربك غضبةً بعزم له فوق النّجوم مهادُ
وقل لأمير المؤمنين أمثلها يراد بنا والمُقربات[5] جيادُ
لأيّة مغنىً هذه الخيل تدّعي وبيض المواضي والرّماح صعادُ
وفيم تجر الجيش وهو عرمرمٌ لهامٌ به غُصّت رُبَى ووهادُ
أغايته يوم الغدير[6] لزينة وغاية جرد الخيل منه طرادُ
أبا الله والدين الحنيف وصارمٍ على عاتق الإسلام منه نجادُ
ويأبى أمير المؤمنين وبأسه وفي الثغر والرأي السدّيد سدادُ
وأنصاره الأساد أقيال يعربٍ[7] غطارف في دين الآله شدادُ
فيا أيها المولى الخليفة عزمةً فقد شاب فودٌ[8] واستشب فؤادُ

---

(١) ثِمادُ: الماء القليل (المنجد، ص٧٤).

(٢) للكَمِيّ: جمعه كُماة وأكْماة الشجاع أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة (المنجد، ص٦٩٨).

(٣) قَتَادُ: شجر صلب لهُ شوك كالإبر (المنجد، ص٦٠٨).

(٤) الضيم: الظُلم.

(٥) المقربات: الخيل الكريمة الذي يُقَرَّب معلفه ومربطه (المنجد، ص٦١٧).

(٦) يوم الغدير: يوم استعراض الجيش، سبق الإشارة إليها.

(٧) أقيال يعربٍ: سادة يعرب، ويعرب هذا ابن قحطان جد اليمنيين.

(٨) فودٌ: جانب الرأس مما يلي الأُذُنين إلى الإمام (المنجد، ص٥٩٨).

فلا تبر أقلاماً سِوَى من لهاذمٍ[1] لها من دماء المارقين مِدادُ
ولا كتبٌ إلاَّ الكتايب والظبى ولا رسلٌ إلاَّ قنا وجيادُ
دعى أحمد الهادي بمكة مفرداً فمال ذووه عن دعاه وحادوا
وقام وجنح الكفر داجٍ غدافُه[2] وما الكون إلاَّ ظلمةٌ وفسادُ
وأنت له فينا أجلّ خليفة بكفك للنّصر المبين قيادُ [١٤]
فَسَيِّر أمير المؤمنين جحافلاً لهن من السحب الثقال مرادُ
وحث بخيل الله وأبعث رِعَالها[3] فقد سَاء تأليف وعزّ ودادُ
وجهّز صفي الدين يمضي بهمةٍ بأشراكها نسر السماء يصادُ
وأيّده بالأبطال إبنا عمه وبإبنك عزّ الآل تثن وسادُ
ولا تطوِ أحشاء الفخار على جَوَى[4] تاجج منه جذوة وزنادُ
أيقصى عن البيت الحرام ركابنا ويهدم من آل النبي عمادُ
ألا تذكر الأتراك غارب أثلة[5] وأنود[6] إذ ذاقوا الوبال وبادوا
ويا رب يَوم أدركوا فيه مصرعاً وللوحش منهم منهلٌ وزوادُ
فعودوا عليهم عودةً مُضرِيةً[7] يصاب سليمٌ[8] عندها ومرادُ[9]

---

(١) لهاذم: السيف الحاد القاطع.
(٢) غدافُه: ليلهُ (المنجد، ص٥٤٤).
(٣) رِعَالها: اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال (المنجد، ص٢٦٨).
(٤) جَوى: الجوى شدة الحزن، وجوى الشيء كرهه (المنجد، ص١١٢).
(٥) غارب أثلة: غارب أثلة معروف ببلاد عذر من حاشد قتل فيه من الأتراك أربع عشر مائة (هامش طبق الحلوى)، وفي هامش (أ) ورقة ٩٤ (غارب أثلة محل معروف قتل فيه من الأروام أربع عشر مائة).
(٦) أنود: إمام الإمام القاسم بن محمد عليه السلام (هامش طبق الحلوى) وفي (أ) ورقة ٩٤ (وكذلك أنود). وفي اعتقادي أنه موضع قتل فيه عدد كبير من الأتراك.
(٧) مضريةً: نسبة إلى مُضر بن نزار الجدّ الأعلى لفريق من القبائل العربية العدنانية (المنجد في الأعلام، ص٦٦٨).
(٨) سليمٌ: نسبة إلى سليم بن منصور، من أقوى قبائل العرب العدنانية، وهي فرع من قيس عيلان، أقامت بين مكة والمدينة على حدود نجد والحجاز وعنيت بتربية الخيل كما عاونت الرسول في فتح مكة (المنجد في الإعلام، ص٣٦٤).

إذا أحرمت بيض السيوف محلةً وفاض نجيعاً[1] أبطح وجيادُ
هنالك يشفي غيظ نفس كريمة وقد حان من أهل الضلال حصادُ
ودونكم الحذّا[2] من قلب عارفٍ لها حكمٌ ما أن لهن نفاذُ
لقد أرسلت أمثالها وترسلت فواصل فيها للعداة صفادُ
أصيخوا لها سَمعاً وعواما يقوله خطيبٌ بليغ الواعظات جوادُ
سَلامٌ عليكم إن عملتم بحكمها وإلاَّ فلا جاد الدّيار عهادُ

وكان مع عود الوزير حسين باشا مع المحمل الشامي، تمهيد أحوال الحجاز وشد الوطاة على غيره بسبب ما فعلوه في العام الماضي، وأخبر الزوار عند وصولهم أنّهم رجعوا والعساكر العثمانية مُتوجهة على الشريف سعد لمناجزته، وإنه يومئذٍ يريد الخروج، من الطائف إلى بجيلة[3]، وكانت الأخبار قد ارتفعت إلى حلب، وغيره أن صاحب اليمن قد استولى على الحرمين بمساعدة الشريف سعد، وأثبت له المراسيم الإمامية وزاد مؤذنه في الآذان حيّ على خير العمل، حتى نفذ مكتوبان من حسين باشا أحدهما إلى حلب والآخر إلى حضرة السلطان بما يتضمن إنه باقٍ في المدينة المنورة وأن سعداً قد تزحلف عن الحرمين اللذين هما مستقر سلطان الحجاز إلى غيرهما من البلاد، وأن صاحب اليمن بمعزل عما نقل عنه.

[١٥] وفيها انتهب سُحار[4] وآل عمّار[4] قافلة خرجت من صعدة، فيها نقدٌ كثير مصدر إلى صنعاء وبندر المخا، قيل أن سببه أن أمير تلك الجهات جمال الإسلام

(٩) مُراد: حي من اليمن وهم ولد يحابز من مذحج، سمي مراد لتمرده، موطنهم الجوبا والحدا (اليمن الكبرى، ص١٩٢). وفي المنجد، ص٦٤٩ (مُراد - من قبائل الجنوب (اليمن) بلادهم في الجوف بين نجران ومأرب).

(١) نجيعاً: النجيع هو الدم المائل إلى السواد (المنجد، ص٧٩٢).

(٢) الحذّا: العزيمة الماضية (المنجد، ص١٢٣).

(٣) بجيلة: ما بين الطائف وبيشة (أنظر ص٣٨١ من الكتاب).

(٤) سُحار وآل عمّار: إلى الجنوب من مدينة صعدة بحوالي ٢٠ كيلومتراً.

علي بن أحمد بن الإمام، كان في هذه الأيام بحضرة الإمام، ففارقه بعض مشائخ بلاده من غير أن يعينه على إحسان من الإمام، ينفصل به إلى بلاده فضاق صدره، واستحكم كبره، وصَنَعَ ما صَنَعَ، ولمّا سار جمال الإسلام إلى صعدة، استرجع الباقي ورده على أهله، وما زال عقب ذلك يتخطف حول صعدة وأحمد ابن المؤيّد، وهو في عيان أرسل مع بعض القوافل جماعة من عسكره إلى باب صعدة، وفيها جاءت الأخبار من الجهة الشحرية برِكَةِ[1] أميرها، أمير الدين القرشي وأنه اضطر إلى مصالحة من بها من السلاطين.

وفي ربيع الأول لمّا بلغ دهمة من برط، فعل آل عمار بباب صعدة كان ذلك أسوة لهم، في الجرائة غير ملتفتين إلى العواقب، وأن المرء إنما يتعزى للمصائب، ولا يتأسى بالمعائب فخرج جماعة منهم إلى رأس المصراخ، ونوّروا فيه للسيد محمد ابن علي الغرباني، قيل والسبب فيه أن الإمام أمر إبن أخيه أحمد بن المؤيّد بالله أن يجمع مواد البلاد البرطية، ويضمها إلى مصرف الأصناف الثانية، ومن له معلوم من قضاة برط أخذه من مخزان بيت المال فشق ذلك على القضاة، وأعوزهم إلى التبرم والتجرم، ولا شك أن تغيير المراسم، وانضراب المعالم سيما فيما يعود إلى الأرزاق، أمر تنفر عنه الطباع، وتنوء عن حديثه الأسماع، ولم يتمّ إلاَّ ما قاله القضاة، وأخذوا حقوقهم والسيوف منتضاة، وفي خلال ذلك غزاهم قبائل وائلة[2] فانتهبوا شيئاً من مواشيهم، وقتلوا منهم إثنين، وغزا برط إلى طريق العمشية فنهبوا فيها وعادوا إلى بلاد دهمة، ولمّا رأى السيد محمد بن علي تسارع الفساد مع عدم الحاصل فيما أراد نهاجها لهم، وشاور في ذلك عقالهم، وسكن هذه المدة عن حركات الدعوة.

وفي هذه الأيام وصل إلى الإمام شكاة من أطراف بلاد سنحان فوجه معهم

---

(١) برِكَةِ: ضعف.

(٢) وائِلة: بطن من همدان من بكيل من ولد وايلة بن شاكر بن ربيعة بن مالك موطنهم شرق صعدة (اليمن الكبرى، ص١٩٦).

على غرمائهم جماعة من العسكر، فلما استقروا حيث أمر وأبلغ ذلك عز الإسلام محمد بن الإمام، فاستدعى العسكر الواصلين من الحضرة فوقع منهم التلكي، فضاعف الرسل لهم وأشخصوا إلى حضرته فأمر بانتهابهم، وشدّد في عقابهم، فعجب من ذلك الغبي من الناس، وخَبَط في الأمر من لا يتفرّس مواضع الإلتباس، وجهل أن ولاية عز الإسلام فيها التفويض في جميع المطالب، وأن البناء بينه وبين والده أن الحاضر يرا ما لا يراه الغائب.

وفي ربيع الأول وصل إلى الإمام بعض مشائخ جبل [١٦] صبر[١] شاكين من العامل الشيخ راجح الأنسي، ولمّا أعرض عنهم الإمام لخامل[٢] ظهرت له، تحزّبوا على الخلاف، وساعدهم على ذلك أهل الحجريّة الأجلاف، فكفوا يد العامل، وأشرعوا أسنة العوامل، وحذفوا حيّ على خير العمل من الآذان وقتلوا من العسكر ثلثه[٣] في ذلك الأوان، وربما وجّهوا شيء من المطالب إلى حضرة الإمام، واستعانوا بالباقي على حوادث تلك الأيام، فوجّه إليهم الإمام السيد المقدام صالح عقبات، واعتنى عز الإسلام محمد بن أحمد بن الحسن في إطفاء شرارهم، وقمع أشرارهم، وجدد حينئذٍ عمارة المنصورة[٤] برأس جبل الحجريّة، وجرّ إليها المدافع وهي معقل قديم للملوك بني أيوب وذكرها إبن خلكان في ترجمة السلطان طغتكين[٥] صنو السلطان صلاح الدين بن أيوب، وأنه الذي اختطها.

---

(١) جبل صبر: جبل ضخم مرتفع واسع الأرجاء فيه كثير من الخيرات وعلى سفحه الشمالي تقع مدينة تعز.

(٢) لخامل: كذا، وفي (أ) ورقة ٩٥ (لخائل).

(٣) ثلثه: كذا، ولعلها (ثلاثة).

(٤) المنصورة: تقع في جبل الصلو جنوبي مدينة تعز وتطل على وادي الجنّات وهي اليوم مدينة خربة. (اليمن الكبرى، ص٣٩).

(٥) طغتكين: هو طغتكين بن أيوب قدم إلى اليمن عام ٥٧٩ هـ واستطاع أن يستولي على كافة أرجاء اليمن واتخذ صنعاء عاصمة له ثم اختط مدينة المنصورة وانتقل إليها، حكم اليمن الموحدة مدة أربعة عشر عاماً إلى أن توفي ٥٩٣ هـ.

وفي ربيع الآخر توفي بحصن مبين[1] نائب حجة السيد محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم الجحافي، وقعد مكانه أخوه علي بن الحسين. وفي هذه الأيام وصلت كتب مكة معلنة بخروج الشريف بركات، ومعه جماعة من عسكر السلطنة وصاحب المحمل العراقي إلى محروس المبعوث، وأن الشريف سعد بن زيد سار من الطائف إلى بجيلة، وهي ما بين الطائف وبلاد بيشة.

وفي خامس ربيع توجه صفي الدين، أحمد بن الحسن من الغراس إلى صنعاء، فبات بداره، ثم سار إلى ضوران حضرة الإمام، بعد أن أزعجه الإمام، للوصول للخوض فيما كان سعد بن زيد ذكره من استدعاء عساكر لأخذ الحرمين، وقد ذكرنا فيما مضى ما أشار به الصفي وولده العزي. وفي أثناء ذلك وصل مكتوب السنجق دار محمد شاويش، بكرلبكي السلطنة ونائبها في الخروج على سعد يذكر فيه أنه بلغه رجوع بعض حاج اليمن، وأنه ساءه ذلك، وربما أن التخوف من جانب الباشا حسين، وأن الشريف سعداً إذا أراد الخروج إليكم فاحذروا عن مساعدته، واسعوا في مباعدته، فخروجه إلى اليمن مظنة لتغير خاطر السلطان والرجل مرفوع خبره، متبوع أثره، فصادف كلامه شيئاً في نفس الصفي ومن أشار بشوره.

وفي جُمادى الأولى توفي السيّد العلامة صارم الإسلام إبراهيم بن محمد المؤيدي ببلده العشة خارج صعدة رحمه الله وأعاد من بركاته، وله الشرح على هداية سيدي صارم الدين إبراهيم بن محمد، وشرح الكافل وغير ذلك، وقيل أن له مؤلفاً في الأنساب سماه الروض الباسم، وفي نسب آل القاسم يعني القاسم بن إبراهيم، ولم أقف عليه [١٧].

وفي هذه الأيام وصل محمد عامر من الحبشة إلى ساحل المخا طريداً من سواكن، بعد وصول عمر باشا إليها، وكان قد أساء إلى جانب مصطفى باشا

(١) حصن مبين: يقع إلى الشمال من مدينة حجة، ومبين جبل يعد من فروع جبل مسور. (اليمن الكبرى، ص١٠٥).

نائبها الأول فأخرجه منها، ورام التغلب عليها، ولما انتهى إلى الساحل حار فكره، والتبس أمره، فعرّج عن البندر ولم يعلم أين استقر.

وفيها وقع المطر الجود بجبل أرتل وبيت بوس جنوبي صنعاء واجتمعت بخندقها السيول، وانهدم بها أكثر الغيول، سيا غيل الإمام، وقد اعتاد ذلك منذ أيام، وكانت الشّدة قد توالت، والأسعار قد تعالت وتغالت، وما زالت تتردد في سنة سبع وسبعين إلى تاريخ حدوث هذا الغوث، بهذا الغيث من السنين ولله الأمر.

وفي جمادى الآخرة هرب من بيشة مستقّر الشريف سعد بن زيد، وزيره الآغا شعبان في زهاء أربعين نفراً من العسكر والأعيان، فوصلوا إلى حضرة الإمام بصنعاء، وقد سلب في الطريق أكثر سلاحهم، وقاسوا أهوالاً في مفاداة أرواحهم. وفي هذا التاريخ وصل الخبر بوصول الجناب محمد حبسي إلى جُده ثم دخل مكة، وكان خروجه من مصر إلى البحر في نحو ثلاث مائة من العسكر، وصحبته جوامك الجند، ولمّا استقر ركاب محمد شاويش بالطائف جمع مشائخ هذيل وغيرهم، وحبسهم واسترهنهم فيما يحصل من التخطف حول الحرم الشريف من أشرارهم.

وَفِيْ هذه الأيام قبض عز الإسلام محمد بن المتوكل على الله مالاً خطيراً، أوصى به الآغا سعيد بن ريحان لجانب بيت المال، وكان في الأصل مملوكاً لملك اليمن الحسن بن القاسم فكاتب نفسه ولعل مكاتبة الحسن لسعيد من باب الإسعاد، وإلاّ فإنه من النوع الفائق في الملوك الأجواد.

وفي جمادى الآخرة مات السيد علي بن حفظ الدين سحلَة، بضوران وكان قد ولي بلاد حراز، ثم عذر منها والسيد محمد بن عبد الله العياني، بالروضة ودفن بخزيمة، وكان عمدة مع شرف الإسلام الحسَن في كثيراً من أموره، وولي من قبله بلاد اليمانية، من سنحان فاستمر بها إلى دولة المتوكل على الله، وحين توجهت بلاده إلى صفي الإسلام، أحمد بن الحسن زال نظره عنها.

وفي رجب عاد محمد شاويش من جبل الطائف ونزل إلى مكة بمن معه من الجنود والطوائف، وهو على مسافة يومين، وترك فيه عصبة من الرتبة، وبالقنفذة أيضاً قدر مائتين بنظر الشريف بركات، واستقر بركات هذه المدة بمكة وثبتت له الوسادة، بعد أن تحولت أحوال صاحب دار السعادة[١٨].

أخبرني بعض من وقف في خدمة سعد دهراً طويلاً، أن بركات كان في أيام مملكة سعد أخص خواصه لأوقات الصّفو والإستراحة، وكانت الأذهان منصرفة عن أن يناله حصة من ملك الحرمين، فلمّا أُجلى الشريف سعد عن مكة تطلّعت نفوس أكابر الأشراف إلى خطته فتلطف بركات في أثناء الليل في إرسال مندوب ظريف، أصحبه أكياساً فيها مال خطير إلى نائب السلطنة، وكان الأمر بيده في نصب من يراه آهلاً بطريقة التفويض فجمع النائب لتسلم الخلعة، وتقرير مراسم المملكة أعيان الأشراف، وقرر عليهم إمتثال ما بيده من السلطنة، في إقامة من يراه فأذعنوا لأمره، وفي بالهم أن ينص على من عدا بركات، ولمّا حصلوا في حضرته قام أرباب الخلعة، وناطوها بعاتق بركات، قال الراوي فشاهدت من تغيّر ألوان أولئك الأعيان، ما يدهش له الفؤاد، وينصدع له الجماد، غير أنه لم يسعهم بعد تقدم المواطأة غير السمع والطاعة، وأُخفق مسعى أولئك الجم الغفير، ولم يتم غير ما سبق به علم اللطيف الخبير.

وَفيه حصلت المواحشة بين جمال الإسلام، علي بن أحمد وشرف الإسلام الحسن بن المتوكل على العزيز العلام، بسبب أن بعض أصحاب علي رما في العرضة فأصاب لواء الحسن فانكسرت صعدته[1]، وكاد العسكران أن يفترقا، فحبس الرامي في الحال وحسم بذلك مادة النصال.

ولمّا استقر الحسن بصعدة، طالب مشايخ آل عمار وسحار فيما ذهب على القافلة من التجار، فأجابوا أن أكثر الفاعلين هربوا، وهذه بيوتهم بين أيديكم فأمرهم بتسليم ما فرضه والده من الآداب عليهم وسلّموه، وأُخربت بيوت

---

(١) صعدته: الصَعْدَة هي القناة المستوية المستقيمة (المنجد، ص٤٢٤).

الهاربين، وكان قد قبض على سبعة أنفار من الناهبين، فأمر أن تضرب الريح على أكتافهم في سوق صعدة، وحين خرج عنها أمر بضرب أعناق ثلاثة منهم وأرسل بباقيهم في الأغلال إلى حضرة والده، وحصل هزج عظيم فيما فعله فيهم سيما عند من طريقته أن المحارب إنما يقتل إذا كان قد قتل وإلاّ فقد قال الحسن والنخعي: أن الإمام مخيّر في العقوبات المذكورة في آية المحارب لكل جان عملاً بظاهرها، وروي ذلك عن إبن عباس، وعطاء وإبن المسيب.

وفي يوم الأحد سابع شعبان وقع قران بين المريخ وزحل في أوّل برج الحمل، وكان المريخ حينئذٍ في بيته وقوته، وزُحَل في بيت هبوطه، وارتفع المريخ على زحل في الأفق الشمالي بقدر ذراع، على حسب الزيج بتقسيم المتأخرين. وفي هذه الأيام أرسل الإمام بصدقة الهند [١٩]، إلى الشريف سعد بن زيد بعد وصول رسول السلطان أورنقزيب إلى حضرة الإمام وكانت مصدرة إلى الشريف قبل أن يبلغ خبر الخارجة عليه إلى الممالك الهندية، فاستحسن الإمام إستصحاب الحال، وكان الواصل بها السيد عثمان بن علي الحلبي، وادّعى أنه كان العام الأول بمكة، وأنه قدم الشريف جانباً من حصة هذا العام، فأخّر نصف التصدير وبعث بما بقي عليه على ذلك التقدير، وصادف وصول المال إليه وهو ببيشة، انحصار الحال وضيق المعيشة، فكان له خطرٌ جسيم، وموقع عظيم.

وَفي آخر رَمَضَان وصل خبر بخروج قلياطة[1] من نائب مصر من صوب البحر فيها طعام وجوامك عسكر الأروام، وخلعتان للشريف والسنجق دار محمد شاويش ونوبة روميّة ولواء وزيادة عسكر نحو المائتين، وإيداع إلى الشريف والسّنجق أن يشخصا قضاة مكة إلى محروسة مصر.

وفي هذه الأيام وصل الخبر أن مكة لبست شعار البشرى، بصلاح ما قد كان فسد، على صاحب الأبواب، في أطرف بلاده، ووصل إلى الإمام جواب الشريف بركات، والجناب محمد شاويش يتضمّن أن الحج ثابت ولا منع لأحدٍ

---

(١) قلياطة: سفينة، لم أعثر على أوصافها.

منه خلى أنهما شرطا على الإمام أن لا يبعث بأمير يصحبه عسكر، وطلب الشريف من الإمام ما كان يصير إلى السلطان الأول سعد بن زيد فاجتمع رأي الإمام، ورأي الصفي أحمد بن الحسن أن يعدل عن الآغا فرحان، وأن يكتفي بالشريف أحمد بن صلاح صاحب أبي عريش وجيزان، وكان قد اعتاد ذلك أيام المؤيّد بالله محمد بن القاسم رحمه الله، فلمّا اتفقت عليه الكلمة وهو بالحضرة نفذ إلى مكة المشرفة، في قدر ثلاث مائة من الجند، وتوابعهم ومعه تصدير الصرّ إلى الشريف بركات، قدر أربعة عشر ألف قرش، فسار المذكور من ضوران طريق تهامة فلمّا وصل العسكر إلى أبي عريش، اتفق بينهم افتراق، وحدث بين خاصة السيد ومن عداهم من العسكر شقاق، فرجع بعضهم إلى قريته، وبعضهم اعتل بحدوث علته، فنفذ بمن بقي معه، وكان له من الجميع مندوحة وسَعَة، فإن التخفيف كان مقترح الشاويش. وفي رابع وعشرين من شوال، اتفق قران الزهرة، لزحل وكان على حساب المتأخرين ببرج الحمل.

وَفي هذا الشهر استخرج عز الإسلام، محمد بن الإمام، بجبل (ثايبة) من بلاد نهم معدناً من [٢٠] الحديد إلاّ أن فيه قساوة مفرطة، وأعمال تحصيله عسيرة، ولمّا جرّبه الحدادون بصنعاء لم يحصل للعمل بل تكسر عند صك المطارق واضمحل فتُرِك بعد ذلك وَلَعَلّه من معادن الفضة لكنه فاتهم صفة عقده، فإنه قد ذكر صاحب سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، أنه ظهر هذا المعدن بدولته، واستخرج منه رئيس البلد الفضة وخمّسها الإمام عليه السلام، ولم يبق في هذا الزمان من يعرف ذلك وأنما يصنع في هذا الجبل الرصاص.

وفيه جاءت الأخبار أن صاحب عمان صالح الفرتقال - كذا - واستراح من شرّهم واستقال، وبخامس ذي الحجة كان وقت تحويل سنة العالم بحلول الشمس أول درجة في الحمل، على حساب المتأخرين، وزحل، وعطارد، في الحمل أيضاً، والزهرة والأسد، وأعلم أنه قد تكرر بهذا المجموع ذكر مثل هذا لا نريد به إلاّ تبيين مواضع الكواكب، لأمارات ذكرت بأن المتصرف في الكائنات يحدث عند

اختلاف تلك الحلولات، مقدورات مختلفة، وتلك الكواكب بحلولها تلك المراتب ما هي إلاّ معالم، ولحلول الحادثات مواسم، وإلاّ فله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

وما وقع من ذلك من كثير من الشعراء، بل جماعة من علماء أصحابنا وغيرهم في نظم ونثر، فهو على طريقة تقبل التأويل ومع هذا فالأمر خطير، والتقصّي عن إشكال مجرّد الذكر عسير غير يسير، غير إنّا قد رأينا من نظر في هذا الفن، وهو بمنزلة من التقوى عظيمة، ورتبة من الورع جسيمة، كالقاضي علامة الزيدية وشيعها، عبد الله بن زيد العنسي[1]، صاحب المحجة البيضاء، ذكر عند سيدي الهادي بن إبراهيم في بعض مُصَنَّفاته ما معناه، أنه دعى في بعض مواقفه بالزيج المظفري لمحمد بن أبي بكر الفارسي[2]، فنظر فيه ثم تغير لونه، واستدعى ورقة يكتب فيها وصيته، فلم يتمكن بعد ذلك على غير خط من طرف الورقة إلى الطرف الآخر، وقُبض إلى رحمة الله، هذا معنى ما ذكره أو أكثر معناه، وها أنا أورد فصلاً نافعاً في هذا الكتاب، زاجراً لمعتقد التأثير، ومزهِداً لصاحب الطرف الأخير، الذي أشرت إليه، وإن كنت قد جريت على نمطه ومَشيت عليه، ولا شك أنه أقل شغباً، وأهون محذوراً، والأعمال بالنيات فأقول:

---

(١) عبد الله بن زيد العنسي: هو عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي (مات سنة ٦٦٧ هـ) ناصر الإمام أحمد بن الحسين وكان الإمام يسميه الداعي أنفذه إلى صعدة وكتب لعماله أن يأتمروا بقوله، وبعد مقتل الإمام خرج إلى خولان، ثم توجه إلى تعز لمقابلة الملك المظفر الرسولي لديون علقت به، من مؤلفاته (الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة) و(المحجة البيضاء). جمع فيه كل أنواع علم الكلام والرد على المجبرة وسائر الفرق المخالفة.. وغيرها (مصادر الفكر الإسلامي، ص١١٠).

(٢) محمد بن أبي بكر الفارسي: هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي ارتحل والده إلى اليمن وبها ولد إبنه هذا، فأخذ الابن على جماعة من علماء عدن وبرع في علم المنطق والطب والموسيقى (مات سنة ٦٧٧ هـ) من مؤلفاته (نهاية الإدراك في أسرار وعلوم الأفلاك) و(معارج الفكر الوهيج في حل مشكلات الزيج) و(الزيج المظفري). (مصادر الفكر الإسلامي، ص٤٨٣).

فصلٌ - أخرج رزين العبدري عن إبن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من اقتبس [٢١] باباً من علم النجوم، لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبةً من السّحر المنجّم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر، وأخرج الستة إلاّ الترمذي، عن زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية، في أثر سماء[1] كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال هل تدرون ماذا قال ربكم، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب.

النوء هو طلوع نجم وغروب آخر، قال إبن الأثير في جامعه، وإنّما غلّظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في أمرها لأن العرب كانت تنسب الفعل إليها، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أي في وقت كذا، وهذا هو النوء الفلاني فذلك جائز انتهى.

وأخرج النسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو أمسك الله تعالى القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس كافرين يقولون مطرنا بنوء المِجْدح، المِجْدح بكسر الميم، وسكون الجيم آخره حاء نجم يقال له الدّبران، وبعضهم يضمّ الميم، وعن قتاده قال: خلق الله هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدا بها، فمن تأول فيها غير هذا فقد أخطأ حظّه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا يعنيه، وما لا علم له به، وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم أجمعين، وعن الربيع مثله وزاد والله ما جعل الله في نجم حياة أحدٍ، ولا موته، ولا رزقه، وإنما يفترون على الله الكذب، ويتعلقون بالنجوم، وأخرجه رزين وهو في البخاري تعليقاً من أوله إلى قوله ما لا علم له به، وقد تكلم

---

(١) أثر سماء: أثر مطر.

شراح الحديث في هذه المادة بما يشفي ويكفي، فليؤخذ من مظانه، وقد رأيت بعض متأخري أصحابنا الزيدية، وضع تاريخاً وذكر في أغلب أحواله، حلول الكواكب، واجتماعها وافتراقها، ومعالم خسوف النيرين[1]، ورتب على ذلك حوادث مستقبله يغلب نفسه على الطرف الأول، فَسَيأْتي ذلك فإنّا لله.

وقد برع من أهل الوقت في مدارك الفهوم، من مواقع النجوم، بعض من جمعني وإياه وشجة الرحم، من أشراف العصر وصنف كتاباً سماه (النجم الثاقب في حركات الكواكب) وكان قد حصل بيني وبينه من المكاتبات ما يلهوان السّهير، ومن الوداد ما يناجى به الضمير، للعلاقات الأدبية، والإجتماع في السلسلة الذّهبية [٢٢]، وكنت كتبت رسالة في تقريض مؤلّفه، أودعها إخوان الصفاء أصداف القلوب، وصدور كل سطرٍ مكتوب، وعندما رأيته يرى أنها قاصرة في ذلك الصنف شفعتها من خيُول البلاغة بما لا يسبق في ميدان الألف فقلت.

ردوا جَدوَل العين التي طاب سقياها ... فقد سَلْسَلَت في روضة الخدامواهَا
وحاكت لآليها ليالي بعدكم ... نظائر من زهر النجوم وأشباهَا
فلو نظمت زهر الدواري بعاتق ... كفيضان دمعي كان ذاك قُصارهَا
سلوا الفلك الدوّار عن مهجتي التي ... تمنّا حبيباً عنده يتمنّاهَا
حشاشة نفس أثرت بَعد بُعدها ... سموّاً فلم ترض الثراء عن ثريّاهَا
وبالرغم منها أنها سافرت ومَا ... أراحت يد الجوزاء راحة يمناهَا
تزاحم شمس الأفق في برجها فلا ... يعللها عن ذاك برج حُميّاهَا
وتعبر من نهر المجرة[2] مرتقا ... إلى أبرج منها لكيوان[3] أسماهَا

(١) النيرين: الشمس والقمر.
(٢) المجرّة: تتشكل من عدد هائل من النجوم والكواكب والسدم، وقد صنفها علماء الفلك وأعطوا كل مجرّة تسمية معينة حسب الشكل الذي تأخذه.
(٣) كيوان: زحل (تاج العروس، م٩، ص٣٢٦).

فتطلب في أثنائها من عَطَاردٍ[1] طريقاً إلى استخراج بعض خباياهَا
أحبة قلبي أن سمحتم بزورة لروحي فمنوا قبل أن تدنوا منايا هَا
إذا كان هذا البين جائزه الهوى فأهاً لما أسلفت من صَبوتي آهَا
أيقضى على روحي وعيد مهاتكم ديونٌ له من قبل أن يتقاضاهَا
أوت سرح قلبي وهو أخضر ناظرٌ وصيّرته بعد الخميلة مأواهَا
فلمّا رعت من زهره كل يانعٍ لوت جيدهَا أسرابها نحو مرعاهَا
وَصَاحَبَها نومي فإن عزّ طيفها وقد سلبت عيني الكرى كيف ألقاهَا
أخوض بدمعي لجّة في سفينةٍ من الشوق بسم الله في اليّم مجراهَا
فلو أنني ألفيت نوحاً وأهله لألقيتها لمّا استوت حيث ألقاهَا
ولم أتحمّل من رواسي صبابتي نواً يسأل الجوديّ أيّان مرساهَا
ولا ساهم الشوق المليم عواذلي فأدحض في أولى السّهام وآخراهَا
ولا خضت بحر الحب فالتقم النّوى فؤادي لولا أنّه سبّح ألاهَا
فأنس بعد الكرب فرجة يونس بمن حلّ أبراج الكمال وحلاّها [٢٣]
بمن إن دجت من مشكل الخطب ظلمةً
جَلاَهــا بنور الفكر منــه وجَلاَّهَــا

أضاء بنجمٍ ثاقبٍ من علومه فدلّ إليه الزاهرات ودلاّهَا
أفاض على زهر النجوم جداولاً فأحيا به تلك الزهور وحْياهَا
وجرّ على نهر المجرّة مطرفاً يحكم به ساس الدّراري وربّاهَا
وصرّف برجيساً[2] بثاقب رأيه على راحتي يمنى الأكف ويسراهَا
أعار كسوف الشمس نور ذكائه فقد صار يخشاها الذي كان يغشاهَا

---

(١) عطارد: كوكب صغير من كواكب المجموعة الشمسية وأقربها إليها يتميز بشدة حرارته، ويتم دورته حول الشمس بـ «٨٨ يوماً».

(٢) برجيساً: هو البرجيس بالكسر، وكذلك البرجس، نجم في السماء أو هو (المشتري) وقيل (المريخ) وفي الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الكواكب الخنس، فقال هي البرجيس وزحل وبهرام وعطارد والزهرة قال البرجيس المشتري وبهرام المريخ. (تاج العروس، م٤، ص١٠٧).

وما الزهرة الغرّا إلاّ خريدة ... تروم السُّراء سِرّاً لتستر مغزاهَا
فهيّا باسطُرلابُها[1] برجها الذي ... بـه نزلت قبل الشروع بمسراهَا
راء القمر النوار منـه بروضة ... تميل على الأغصان منها قمارهَا
فأخدمه تلك الجواري التي سرت ... على رسمه من غير أن يتسراهَا
وأصحبُــه في سير كـل دقيقـة ... قيوداً إلى الإخطاء لا يتخطاهَا
على نفسه فليبك حاماس[2] حسرة ... وإيّـاه في الأحكام جهلاً وإيّاهَا
أيـا ابن علي بن الإمام إبنِ لنا ... تدلّت لك الأفلاك أم حزت مرقاهَا
ففي عـالم الأفلاك خطّك نافذ ... وفي عالم الأفلاك حظّك أعلاهَا
فلو نطقت زهر الدّراري لعطّرت ... بشكرك أفواجـاً هناك وأفواهَا
لَمثـل عطاياك التي عمّت الوَرَى ... ومن للسّحاب الجَوْن أن يتعاطاهَا
ركبت مطا آثار آبائك الأولى ... بهم وخَـدَت للمكرمات مطاياهَا
سلَكْتَ حُساماً كان في كف حيدر ... أبيـك وسلسلت الكمال إلى طَهَ
لك الفَخْر بالآباء إذ حُزْتَ شأوهم ... عـلى كل من بارا كمالك أوبَاهَا
وهل خِطّة الآهلين إرثٌ فيزدهي ... بهـا قاصرٌ عنها كمن هو يرقاهَا
بتجديـد فولاذ السيوف مضاؤها ... فسقيـا له دهراً بعزمك سُقياهَا
ولله نظم أنـت بيـت قصيـده ... وريحانةٌ في المجد غصنك أعلاهَا

وَهَذا عارضٌ جره ذكر النجوم، وفي العصر يبين من له حصّة وافرة في معرفة تحريك الأفلاك، إن أنجح الله الأمل ببلوغ سير قمر التسطير إلى برج التسيير [٢٤]، شرحت حالهم وبينت كمالهم.

---

(١) أسطرلابها: الأسطرلاب آلة قياس فلكية تستخدم في رصد الكواكب ويستعملها كثيراً رجال البحر لتحديد اتجاه سفنهم.

(٢) حاماس: من كبراء المتكلمين في أحكام النجوم، وله كتاب الأحكام ذكر فيه بتلك الطريقة أحكاماً قد مضت، وأحكاماً مستقبلة وحوادث حتى ذُكر المهدي المنتصر عنه (هامش النسخة المنقول منها، وفي (أ) ورقة ٩٩ نفس الهامش أيضاً وبنفس الصورة).

وَفي هذه الأيام استقر سُلطان مكة القديم وملك تحتها الجسور الجسيم سعد بن زيد بن محسن ببيشة، مكان ثِمَال[1] أسودها، وعقاب بُنودَهَا يظهر عن مملكة الحجاز المُجَانبه، ولو شاء لمدّ إليها مخالبه، وسيأتي من خبره، ما يقضي بأنه المولّى عليها، وأن له العودة بعد العودَة إليها.

قلت في بعض أشعار الفقيه بن أبي مخرمة[2] في طريق الكشف ما يقضي أن سعداً أخر إمرة يقصا عن مملكة الحرمين، وينال ما نال جده المحسن بن الحسين، ﴿ولله غَيْبُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

واتفق بخارج مكة بهذا الوقت حربٌ بين الشريف أحمد بن زيد بن محسن والشريف حمود، ذهب فيه جمع من الطائفتين. وفي خامس ذي الحجة، سار الحسن ابن الإمام من صعدة إلى رازح[4]. وكان قد نقل عن جنابها، وصار ثاني الحسامين في قرابها لمزاحمة صاحب بجتها، ومدبّر تحتها.

وفي هذه السنة عقد الإمام محفلاً للدرس في مشكاة المصابيح للحافظ التبريزي، وسرده عليه ما عدَا ما أوّله الحُفّاظ، من الأحاديث المعدودة، خشية أن ينطبع ظواهرها في أذهان الأغمار، الذين لا يعرفون الباطن لظواهر الآثار، وهو مقام خطابي لعذر التارك لتلك الأحاديث، فإن القرآن المجيد الذي

---

(١) ثِمَل: غياث: ثِمَال القوم - غياثهم الذي يقوم بأمرهم (المنجد، ص٧٤). قال أبو طالب يمدح النبي ﷺ:

وأبيض يستقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وثمال الغياث الذي يقوم بأمر قومه. (تاج العروس، م٧، ص٢٤٧).

(٢) بن أبي مخرمة: عبد الله بن عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة (٩٠٧-٩٧٢هـ) من العلماء المتبحرين في فنون كثيرة درس في حضرموت وزبيد والشحر وعدن وتعز، ولّي قضاء الشحر، ثم رحل إلى عدن وأدى فريضة الحج ثم عاد ومات بعدن، من مؤلفاته (اللمعة في علم الفلك) و(الجداول المحققة في علم الهيئة) و(رسالة في معرفة الأوقات والساعات).. وغيرها (مصادر الفكر الإسلامي، ص٤٨٤-٤٨٥).

(٣) من سورة هود، الآية ١٢٣.

(٤) رازح: من جبال خولان بن عامر، غربي صعدة (اليمن الخضراء، ص١٦٧).

﴿لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(1) ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ.﴾(2) وقد استوى في حوار تلاوته العالم بمعناه، والجاهل به وَبِمبْنَاهْ، من غير نكير من فاضل على قاصرٍ فيما عناه، والقياس غير مطرود للتشكيك، والفارق بينهما ركيك ركيك، وقد منع بعض أئمة الزيدية، في الزمن الماضي من إملاء أحاديث الصفات ونحوها في مجالس التعليم، لمثل هذا وفيه ما قلناه، وقد وطّا أكناف هذه السّاحة بما لا مزيد عليه من التحقيق والتدقيق، الإمام الحجة المتأله الولي، محمد بن إبراهيم بن علي في كتابه القواصم والعواصم، في الذب عن سنة أبي القاسم.

نعم إذا تلى مثل ذلك بحضرة من يلبّس عليه ظاهره توجّه على خواص الحضرة، إيصال وجوه التأويل القريبة إلى ذهنه والله الهادي.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف -

في يوم الجمعة خامس محرّم جاءت الأخبار عن مكة المشرفة، بما فيه صلاح الأحوال، وحفظ النفوس والأموال، وخرج الباشا محمد شاويش إليها بنيابة المحمل الشامي، وصحبته قدر الألفين من الأجناد [٢٥] وخمسمائة من الخيل الجياد، وضربت خيامه ببركة ماجد، وظهر المحمل المصري بقوة وجنود، وألوية وبنود، وكان الحال مظنة الإضطراب، لتحلي سعد بتلك الأسباب، فجد الباشا في تسكين القلوب، وَوَعد من غدر من تلك القبايل والشعوب، وأعان على حسن الحال رخاء البلاد، وعموم الخصب للصياصي والوهاد، وأخفى العسكر السلطاني السؤال عن الإمام، وعن ملك اليمن أحمد بن الحسن، وشريف جازان أبلغ ما معه من الصدقات، إلى نائب الحرمين الشريف بركات.

---

(١) من سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٢) من سورة آل عمران، الآية ٧.

وأخرج الباشا محمد بعض من بقي بمكة من بطانة الشريف سَعد، وأرسل البعض إلى حضرة السلطنة، وأسقط المكوس عن أسواق مكة، وأثبت المياريث على القانون الشرعي.

وفي نصف محرم حصل القران بين الزُهرة، والمريخ في برج السرطان على مقتضى تحريك المتأخرين، وفي برج الجوزاء عند القدماء وكان المرتفع عند القران هو المريخ من جهة الجنوب، ثم انفكت الزهرة عنه قليلاً في البرج فعادت الوَرَىَ، ورجعت القهقَرىَ فقارنت المريخ أيضاً القران الآخر في نصف صفر.

ولمّا انتهى الشريف صاحب جيزان إلى ذكوان[1]، تبعه الشريف حسين بن زيد لاحقاً به للخروج إلى اليمن فلما وصل إلى الليث ناوشه بالحرب جمعٌ من القبائل، وأصابه منهم قاتل كتب منه مصرعه وثم ثمّة مضجعه، وقيل أن ذلك بإشارة من بركات والعلم عند الله في تحقيق الكائنات.

وفي صفر غزا جماعة من بني نوف إلى مهابط بلاد الجوف، فسلبوا وقتلوا، ثم اتبعوه الغزو إلى بلاد (بدبدة) وخولان وكانوا قد انتجعوا غيرها من البلدان، واتبعوه الغزو إلى براقش، فنشب بينهم حرب حُنين وهلك خمسة من الطرفين، فبعث صفي الإسلام أحمد بن الحسن بن الإمام عند ذلك جماعة من الرماة لحفظ الصَّوافي، وبقي جماعة بحضرته من أهل برط، وكاد أن يوقع بهم الشطط، وهمّ أن يتوجه بنفسه على كافة أهل ذلك الجبل فَسكّن من حفيظته الإمام، بأن هؤلاء من أعتامهم ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]، مع ما قد عرف من حالهم، أن كلاًّ منهم رمحه على بابِه، وزاده في غير جرابه، وأنهم لا يضبط جماعتهم في الأغلب رئيس بل كل واحد منهم يتسمّى بالنقابة والشيخوخة، ويدعوا الآخر بها ولهم بسالة في المعارك، وشطارة لا يشاركهم فيها مشارك.

---

(١) ذكوان: قبيلة من سليم (تاج العروس، م١٠، ص١٣٧) وسليم حي من اليمن من جذام (منتخبات في أخبار اليمن، ص٥١).

(٢) من سورة الإسراء، الآية ١٥. ومن سورة الفاطر، الآية ١٨.

وفي عاشر صفر وصل إلى الإمام مندوب الباشا عمر بهدية سنيّة، ومعه مندوب آخر من المدينة النبويّة، فطلب من الإمام أن يبعث معه إلى نائبها بأوقافها اليمنية، فأجابه الإمام بأنا لا نعلم شيئاً من ذلك فيما تحويه وطأتنا.

وفي العشر الآخرة منه توفي الشريف العارف، علي بن الحسين الحسيني الحوثي [٢٦]، وكان مكفوفاً حافظاً لتجويد القرآن ناقلاً الكثير من المختصرات، مشاركاً في الحديث سيما سنن أبي داوود فقد كان يسرد أكثره، ومجموع جده الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام، فقد كان على ظهر قلبه وكان يملي أبحاثاً من انتصار جدّه الإمام يحيى بن حمزة لا يخرم منها حرفاً، وشغله التطلع إلى العوام، عن التضلع في علوم آبائه الأعلام.

وبلغت الأخبار إلى اليمن في هذه الأيّام أن سيواجي ملك الرازبوت بالهند عاد إلى الخلاف على السلطان أورنقزيب وأثار في جهته غبار الفتنة، فشق ذلك على المسلمين وعظمة المحنة.

وفيها مات الأمير الهزبر الصمصام عبد الله العفّاري الحمزي، وكان من أعيان شرف الإسلام، الحسن بن الإمام، ثم لازم حضرة ولده محمد بن الحسن، وكان المذكور قد نافر الحسن في المدّة السّالفة إلى حضرة الباشا قانصوه ومصطفى بزبيد فلقى منهما من الرحب بما ليس عليه مزيد، وتصدر هناك للإمارة ونزل من أعيانها منزلة زحل من السيّارة.

وفيها وصلت كتب من المهري، صاحب جزيرة سُقطرى والسّاحل الحضرمي، الذي هو بين بلاد الشحر وظفار ويستدعي عينّة الإمام وأنه قد صمم على الإئتمام، والسبب في توسله هذا أنه كان قد انتهب فيما مضى بعض من وَصَل إلى ساحل جزيرة سقطرى، من أصحاب العماني فوجه إليه من ينتصف لأصحَابه، وليس عند كمال أنصابه فإنه آل أمره إلى الهرب إلى ساحل الشحر ودخل بلاده أمير عُماني، ولكنه لم يظفر ممّا قصد له بغير الأماني لأنه كان استصحب ما لديه ومن لديه، وقدّم جميع ما يهمّه بين يديه والإمام أشار عليه بعض ما يُوبَه لَهُ، أن

الرأي الإشتغال بما هو أهمّ، وأن المهري أنما فزع إليكم لمداواة هذا الألم، سيما مع تغير أحوال الأشراف، وهو يستدعي منكم الإستئناف بحفظ الأطراف.

وفي أول ربيع الثاني غزا أصحاب صفي الإسلام أحمد بن الحَسَن إلى أطراف بلاد دهمة من بني نوف واستاقوا بعض مواشيهم، وفيه وصل حضرة الإمام جماعة من بلاد خولان شكاة بجمال الإسلام علي بن أحمد، فأمر الإمام على بلادهم السيد العارف جمال الدين علي بن مهدي النّوعة، فساس وساد، وبلغوا من إمارته المراد، وسقّوا بنميرها رياض بواطن الأحقاد، وهكذا الرعايا لا يستقر لها حال، ولا ترتفع شكايتها عن العمال.

وفي هذه الأيام وصل إلى بندر المخا هارباً، محمد بن عامر الذي كان خالف عساكر السلطنة بسواحل الحبشة كما مضى في قدر خمسة عشر نفراً من اتباعه، فتبعه في البحر غُرابان فلما بلغا باب المخا تقهقرا راجعين، وكان قد خرج عليه إلى سَواكن زيادة عسكر [٢٧] أخذوا جميع خزنته وآلة معسكره، وهو الذي طرد مصطفى باشا عن الحبشة.

وفيها أطلق الإمام لليهود لعنة الله عليهم أموالهم، ورفع عنهم الزائد على الجزية. وفيها أظهر الإمام التوجع من برط سَيَما بني نوف بسبب تلك الأحداث، وعدم توقفهم فيما أمر به من مصير نصف الواجبات، إلى حضرة أحمد بن المؤيّد بعيان، ونصفها إلى القاضي جمال الدين علي بن محمد العنسي وقرابته، وكان القاضي قد استولى على الكل بمساعدة أهل جهته واعتل فيما فعله عند أن عوتب بأن البلاد غير داخلة في وطأة الإمام لعدم نفوذ أمره فيها فتوجه العتاب على صنوه الحسن بن محمد في الحضرة الإمامية، وقر الأمر على إرجاع مابقي في أيدي القضاة بعد أن كان الإمام همّ بالنقلة إلى ظفار وذيبين والإطلال على أحوال بني نوف فيما اعتادوه من الصنع مع أهل الجوف، ثم العود على مناقشة مشائخ البلاد، بِسبب مساعدتهم للقضاة الأمجاد، وتمّمَ إضرابه عن قصده وصول جماعة من أعيان برط إلى الحضرة السّامية، باذلين مجهود الطاعة،

مع ما عرفه الإمام من اختلاط أحوال ملوك مكة الأشراف، وتباطىء محمد شاويش عن رفع حقيقة الأحوال.

وفي أول شوال وصلت الأخبار الشّامية والحجازية أن السلطان ندب وزيره للخروج إلى مصر، وأمره برفع يد الباشا عنه أو الفتك به إن أمكن، ونَفّذ بعض أعيانه إلى ينبُع، فكان بسبب ذلك التفتيش على أحوال بركات ومحاصرة إبن مضيّان، وهرب الشريف أحمد الجعد بن زيد بن المحسن.

وفي العشرة الآخرة من شوال سقط عن فرسه نائب عدن، الآغا فرحان بالغراس حضرة الصفي فهلك من حينه، وأمر صفي الإسلام بضبط جميع ما يحتويه من الأموال والنفائس وطُبع بيته بصنعاء واتصل بجميع ذلك لأنه كان من مماليكه.

وفي منسلخ شوال توفي الشريف الناسك العارف صالح بن أحمد السراجي، وكان له مشاركة في أكثر الفنون، ومن مشائخه الإمام الرحلة محمد بن عز الدين المفتي.

وفي ذي القعدة رجع السيد الحسن بن المطهر إلى بندر المخاء محل ولايته، وفي العشر الآخرة من ذي القعدة وفدت على الإمام أخبار بأن سُلطان عُمان قد جهّز براشاً إلى المخا، فاشتغل لذلك خاطره، مع تخلّل فتنة حدثت بين آل عمار ودهمة واضطرب حال العولقي واستقلاله بنفسه.

وفيها أظهر الإمام الجزم بتولية ولده صفي الدين للبلاد التي كانت بيد الحسين بن المؤيد بالله، وكان مع أهل المعالم رغبة في أن تكون برسم ولده السيد العلامة يحيى بن الحسين، أو صنوه السيد البرّ التقي العلامة القاسم بن المؤيّد لأنها أقرب إلى معرفة ما كان يصير إلى أعيان الجهة السادة وغيرهم من المقررات، واحتدت [٢٨] أمزجة جماعة من الأشراف، حتى واجهه بعضهم بكلام فيه قساوة فاحتمل الإمام كلامه.

وفي سادس عشر ذي الحجة كان تحويل السنة بدخول الشمس أول درجة في

الحمـل، والزهرة، وعطارد، والمريخ ببيت شرفة الجدي، وزحل بيت هبوطه، الحمل والمشتري بالعقرب، والجوزاء هي بآخر برج الأسد، والرأس مقابل له وبالسابع الدلو.

وفي نحو سبعة أشهر من هذه الأيام وما بعدها ظهر أنين موحش من مقابر باب اليمن، وأخبر عنه من يُعتد بخبره ولعلّه بنوع من عذاب القبر نسأل الله سلامة الدارين.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف - في ثالث محرم حَصَلت عند الإمام أخبار مكة، وفيها أن سعداً وأحمد إبني زيد تَحيّزا إلى بلاد نجد العليا، وبركات عاد من بدر إلى مكة صحبته بن مضيّان، بعد أن ألبسه خلعة الأمان. واستطرق أصحاب العماني هذا العام جزيرة سقطرى، وقتلوا من أهلها جماعة صبرا.

وفي هذه الأيام عاث في البحر أهل عُمان، وتبعت براشهم إلى باب المخا البانيان، فشرعوا في الإنتهاب[1] وأقحموا جماعة منهم العباب، فتيقض لهم أهل صيرة[2] وعـدن، فرموهم بالبنادق والزبرطانات للحين، وقتلوا منهم نحو العشرين، فانهزم أولئك الأوباش، وتلاحق بفلهم بقية البراش، حتى اجتمعوا في باب المندب في أهبة وعساكر، ومنعوا بعد ذلك الوارد والصادر، فرماهم صفي الإسلام بجنود منصورة، وعضده ولده العزّ بجيش المنصورة، حتى أطفى الله نوايرهم، وقطع بسيوف الملكين دابرهم، ولله الحمد.

وفي أول صفر جاءت الأخبار بوفاة الشريف أحمد بن صلاح صاحب

---

(١) الإنتهاب: في نسخة الجامع ١٢٨ (ب) ورقة ١٠٣ بعد كلمة الإنتهاب بياض، وفي الهامش إشارة تقول (هنا سقط من الأم مقدار ورقة)، وفي الورقة ١٠٤ يبدأ الناسخ من (الجمعة بجامع صنعاء بما بلغ إليه من سعي الإمام في إبطال أحكامه، وأمر الولاة بعدم التعريج على ما يصدر منه من الأوضاع.. الخ).

(٢) صيرة: جزيرة صغيرة في أعلاها قلعة حصينة، تقع شرق مدينة كريتر عدن وترتبط معها بواسطة جسر حجري يمتد وسط مياه خليج حُقات.

جيزان، أمير حاجّ اليمن في القنفذة أثناء خروجه من مكة المشرفة، ومع خروج حاج اليمن، وفد على الحضرة الشريف محمد بن يحيى بن زيد، آنفةً عن الكون تحت وطأة بركات، وتخوفاً من جند السلطان بعد تلك الفعلات، واستصحب حشمه، وثقله، وأتباعه، وفارق بالكلية معاهده وأرباعه، وكان مع الإمام في أحسن مقام، ونهاية إجلال وإعظام.

ولما عزّ جانب المخا وعدن بعسكري الصفي والعزّ، وعلم العسكر العُماني عدم الطاقة على البندرين، فرجعوا بعد أن طلعت الثريا من المشرق فجراً، وهو موسم منصرفهم.

وهذا البحر ينغلق قبل البحر الهندي وينفتح قبله بشهرين[1]، والشريفان حمود وأحمد الحارث لم يجدا بداً من إصلاح جانب بركات، فسكنت بذلك زعازع الهلكات، خلى حدث وقع بعرفات من قبيلة هذيل، فجرّ عليهم بركات أسباب الويل.

تَجْهِيزُ السُّلطَانِ عَلَى اليَمَنِ -

وفي هذا العام أحترك خاطر صاحب التخت على إمام اليمن، فندب للخروج إليه وزيره الأعظم [٢٩] بجيوش قاهرة، وأبّهة وافرة، ولما انتهوا إلى حدود مصر لحقهم بريد صاحب الأبواب يأمرهم بالإضراب والإياب، وأن الفرنقال قد اضطرم شرهم، واستفحل أمرهم وجهادهم أبدر ما يكون، وأمر الإختلاف بين المسلمين بالنسبة إلى خلافهم هون، واتصل الخبر بمكة المشرفة، فضجت لذلك قلوب المسلمين ودعوا لصاحب التخت بالبسطة والمكين.

وصمد[2] بركات والشّاويش المبوّش على جدة بمن معهما من الجموع إلى باب

---

(١) إشارة إلى حدوث تغير في اتجاه الرياح الموسمية في هذا الوقت من العام مما يؤدي إلى توقف السفن عن الملاحة تجنباً للأخطار.

(٢) وصمد: كذا، وصعد.

القلعة، وضجوا بالدعاء المقرون بالتّأمين، في نصرة الإسلام وخذلان المبطلين، والتجهيز على ما عدا مالطة، فأما هي فقد صارت تحت وطأة السلطان، وهي بساحل الأندلس بعضها فوق البحر وكان الفرنج قد حصنوها وجعلوها معقلاً لسائر[1] البلاد المحيطة بها، وفيها جمع وافرٌ من المسلمين، وجوامع ومساجد يجتمع بها الإسلام، ولا يعترضهم في ذلك الكفرة الطغام، قال ابن بسام في تاريخ الجزيرة، جزيرة الأندلس، آخر الفتوحات الإسلامية، وأقصى المآثر الغربيّة، ليس ورأهم وأمامهم إلا البحر المحيط[2]، والروم[3]، وأوسط بلاد الأندلس مدينة قُرطُبَة[4] والجانب الغربي من جزيرة الأندلس أشبيليّة[5] وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي والجانب الشرقي من جزيرة الأندلس هو أعلا الأندلس.

وَفي صفر جهز الإمام إلى بلاد الشحر من سواحل بَلاد حضرموت، عبده الفتى عثمان زيد في ثلاث مائة من العسكر، واستوثق عليه في حفظ البندر من العماني تخوفاً من مثل ما صدر منهم فيما مضى. وفي هذه الأيام توفي بصنعاء الفقيه العارف أبو بكر بن يوسف بن محمد راوع الخولاني الأصل ثم الصنعاني، وهو من مشايخ شرح الأزهار، وأصول الأحكام، ولم يكن له يد في غير قواعد المذهب من الفروع، أخذ عن الإمام المفتي، وتبع طريقته في أصول الدين، وعنه أخذ سيّدي عثمان بن علي، والقاضي حسين بن محمد المغربي، وآخرون.

---

(١) لسائر: (لساير).

(٢) البحر المحيط: هو المحيط الإطلنطي.

(٣) الروم: البحر المتوسط.

(٤) قُرطُبَة: مدينة في إسبانيا (الأندلس) على الوادي الكبير، أسسها الفينيقيون ثم احتلها الرومان ١٥٢ق.م، واستولى عليها العرب فأصبحت عاصمة الدولة الأموية في الأندلس (٧٥٦م)، استعادها فرديناند (١٢٣٦م)، وهي مسقط رأس ابن رشد، ومن أهم آثارها العربية قصر الزهراء. (المنجد في الأعلام، ص٥٤٧).

(٥) إشبيلية: من مدن إسبانيا (الأندلس) شهيرة بقصرها (الحمراء) فتحها العرب ٧١٢م وانتزعها منهم فرديناند الثالث عام ١٢٤٨م. (المنجد في الأعلام، ص٤٨).

وفي هذا الشهر اعتزل القاضي العلامة أحمد بن جابر العيزري، صلاة[1] الجمعة بجامع صنعاء، بما بلغ إليه من سعي الإمام في إبطال أحكامه، وأمر الولاة بعدم التعريج على ما يصدر منه من الأوضاع، وقد طنز[2] عليه بعض علماء وقته بالحكم بخلاف المذهب، وبعدم أخذ الولاية من إمام الزمان، والمذكور في الفروع آية باهرة، وله طريقة في الزهد والجدادة، وإطعام الفقراء، وتعهُّد ضعفتهم لا يسلكها غيره في زمانه، ومع العوام أوهام [٣٠] إنه يحكم على الروحانيين ويستخدمهم في بعض الأحايين، وشاع هذا عند كثير من الخاصة.

وقد أخبرني شيخي القاضي الحسين بن محمد المغربي[3] أنه سأل عن شيء من ذلك فأنكره، وكان في بدء أمره بشهارة قد عورض من بعض أهلها بما كره معه المقام فانتقل إلى صنعاء.

وفي هذا العام جاءت الأخبار بانكسار برشة عمانية بساحل أحور عند رجوع أهلهامن ساحل عدن فهلك أكثر أهلها وشحنتها وخرج من سلم منهم إلى الساحل فانتهبهم أهل أحور وقتلوا بعضهم.

وفيه جاءت الكتب إلى عزّ الإسلام تشعره بمرض أبيه فأشفق عليه القطر اليمني، واتسعت دائرة الأراجيف، وظهرت تأهبات من مثل ولده وأحمد وشريف برط السيد العلامة محمد بن علي والسيد العالم يحيى بن الحسين بن المؤيد، والسيد العلامة الناسك القاسم[5] بن المؤيد، وأما الصفي أحمد بن الحسن فبادر

---

(١) صلاة: (صلوة).

(٢) . طنز: معنى طنز لغوياً (سخر)، وفي اللهجة الشعبية اليمنية طنز بمعنى قفز فجأة، وهو ما يتصده المؤلف.

(٣) الحسين بن محمد المغربي: هو الحسين بن محمد بن سعيد بن عيسى اللاعي المعروف بالمغربي (١٠٤٨-١١١٩ هـ) قاضي صنعاء ومحدثها، أخذ عنه جماعة من العلماء منهم مؤلف هذا الكتاب عبد الله بن علي الوزير، من مؤلفاته (البدر التام شرح بلوغ المرام) وله رسالة في حديث (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب) رجح فيها إخراجهم من الحجاز فقط. (البدر الطالع، م١، ص٢٣٠-٢٣١).

(٤) القاسم: (القسم).

بالكتب إلى أحمد بن المتوكل ليأخذ ما عنده من ذلك، ويطرح له النّصح على صفةٍ خفيّة، وجد واجتهد في تأليف قلوب الخاصة والعامة بالإحسان واللسان.

وكان أحمد بن الإمام قد أظهر نوعاً من الإستبداد، وقبض من خازن الإمام الفقيه العلامة الحسين بن يحيى حنش مفاتيح المخازين، وأخذ السيد العلامة علي ابن أحمد الأهبة في حفظ حقيقة حاله، ونظم أمر البلاد، وفهم من أنفاس السيد العلاّمة الكريم أحمد بن السيد العلامة إبراهيم التطلع إلى هذا المنصب وله فيه سلف لا يخفى، ونور مصباح لا يطفى.

وفي هذه الأيام وفدت الأخبار بوفاة الشريف المصور حمود بن عبد الله بالطائف، قالوا ولمّا قارب الرحيل، وقطع طمعه عن القال والقيل، ووضع رمح الرئاسة عن عاتقه، وسكنت عن همهمة القراع شقاشقه، ضجّ لما نَدَر منه أيام الشّرة والنشوة، وندم على ما أسلفه من التكبر والتجبّر والنخوة، حتى كان آخر وصيته أن لا يدفن ملاصقاً لجيرانه من المسلمين، كيلا يتأذون بما يصدر منه من الزفير والأنين، وهو يرجى له إن شاء الله بهذا القدر السلامة من عذابي الآخرة والقبر ولله القائل

العفو يُرجَى من بني آدمٍ فكيف لا يُرجى من الرّبِ

وفي رابع عشر ربيع الثاني وقع خسُوف قمري في بُرج الجدي بالرّاس غشيه بالسواد المظلم، والطالع الحوت.

في هذه السنة روي أنه ولد لناظر الوقف بصنعاء ولدٌ له رأسان وَفَمان، فسبحان المصور في الأرحام لما يشاء.

وفي آخر جمادى الآخرة كان قران الزهرة والمشتري في آخر برج العقرب، وفيه وصل كتاب العماني إلى الحضرة معاتباً فيما جرا في أصحابه [٣١] بساحل عدن وغيره.

وَقَبل ذلك اتفق بضوران خاصّة قريب من ثلاثين[1] رجفة قال بعض أقارب الإمام، وكان قد تضاعف على أهل اليمن الأسفل مطالب غير الزكاة، والفطرة، والكفارة، مثل مطلب الصلاة[2] على المصلي وغيره، ومطلب التُنباق[3]، ومطلب الرُباح[4]، ومطلب الرصاص والبارود، ومطلب سُفرة الوالي[5]، ومطلب العيد، فقال هذا القريب: هذا الذال.

وللإمام مندوحات بما كان يأخذه، وقد كان حازماً عالماً متيقظاً فيُحمل على السلامة ولعلّ ذلك بسبب التظالم والمعاصي وقد ذكر السيوطي في كتاب الصلصلة في الزلزلة ما يقضي بذلك، وقد وقع في القرآن العظيم ذكر الرجفة في قوم شعيب، وبعض أصحاب موسى وغيرهم، لأسباب مختلفة يشملها سلوك مالا يرضاه الله حسبما تقضي به التفاسير.

وفي هذه الأيام حرّكت رُؤسَاء الحجرية رؤوسها للخلاف فقتلوا بعض عبيد عزّ الإسلام محمد بن أحمد.

وفي غرة رجب كان وفاة السيد الإمام العلامة، مفتي اليمن ومجتهده محمد بن إبراهيم بن علي بن أمير المؤمنين شرف الدين، أخذ عن العلامة عبد الرحمن بن محمد الحيمي، والقاضي العارف أحمد بن صالح العنسي، وغيره وعنه حلق في الفنون على الإطلاق، منهم الفقيه العالم محمد بن أحمد النزيلي، ولخّص سيرة جده الإمام شرف الدين عليه السلام، ونظم الورقات لإمام الحرمين الجويني واجتمع فيه خصال الكمال، ما لم يوجد في أحد من التأخرين من السّمت وحسن الشارة والصورة، والعظمة في صدور الخاصّة والعامّة، واستمرار الإفادة للطلبة في

---

(١) ثلاثين: (ثلثين).

(٢) الصلاة: (الصلوة).

(٣) التنباق: غير معروفة ولعلها (التنباك) التبغ.

(٤) الرُباح: القرود.

(٥) سُفرة الوالي: طعام الوالي.

الفنون على أنواعها، والنسك المرضي، والورع في البحث مع المشيخة والطّلبة، والمنصب الرفيع، والجاه الواسع، وبسط الأخلاق إلى الناس على السّوية، ورشاقة الأسلوب وحسن الخط، والكفاف الذي يصون به ماء الوجه عن تكفّف اللّؤماء، سيما في هذه الأعصار سيما في جانب العلماء، فقد وجدنا لبسطة الكف أثراً في تشييد جانب العلم، وقد كان في السلف طرف من ذلك كما امتاز به من العظمة مالك بن أنس صاحب دار الهجرة عن غيره من أكابر أهل المذاهب الأربعة وله طريق متين في الحديث أخذه عن بعض علماء بني النزيلي، وشعر يعبق منه أعطار الفضل والسيادة، فهو متوسط في بابه كشعر أكابر العلما منه ماوصف به الفوائد الضّيائية شرح الحاجبية للمحقق المُلاّجامي.

يا طالباً راغباً في حل كافية ... أعيـاه تحقيق معناها وأعضله [٣٢]
هـذى الفوائد للجـاني| فما عسرٌ ... عليـــك إلاّ وأدنـــاه وسَهَّلَـهُ
جمع الفوائـد فيـه غير منكسرٌ ... ومجمـل البحـث بالتيسير فصَّلَهُ
فاسمـع لوصفي له في ضمن تورية ... إن الفوائـد جمعٌ لا نَظـير لَهُ

وفي شهر رجب وصل الخبر بخوض أصحاب العماني البحر، وخروجهم من مسكت عن البّر عندما تحركت لهم ريح الشرق، فأوجس الإمام وصفي الإسلام أن قصدهم السواحل اليمنية، بعد تقدم تلك القضيّة فظاهر الصاكر، وفعلا فعل المحاذر.| والحسن بن الإمام عاود صعدة هذه الأيام وعهد إلى الجمالي علي بن أحمد أن يجتمع العسكر عند الدخول محاذرة الفتنة وتذكر الذّحُول(١).

وفي أول شعبان كان كسوف الزهرة بمقابلة القمر، واحتجابها بالمشاهدة في برج القوس، ورجع المريخ بالمشاهدة إلى برج الثور، بعد أن قارب سير الثريا، واستمر كذلك إلى ذي القعدة ثم دخل الجوزاء.

وفي رمضان جاء الخبر بعزل محمدّ شاويش عن بندر جُدّة وكُسى على ولايتها

(١) الذُحول: الثأر أو العداوة والحقد (المنجد، ص٢٣٣).

يوسف آغا. وفي أثناء شوال جاءت الأخبار بتوجه الباشا والأمراء، إلى صوب بغداد عوضاً عن الرتبة، وصحبتهم إثني عشر ألف انقشاري، يتصافون إلى البواش، والآغوات، والسناجق، والإمارات.

ونجّل[1] البحر هذه الأيام خزنة وافرة فيها رصاص وبارود، فلما قاربت جدّة طار إليها شرار فرفعها في الهواء دفعة واحدة، وفي خامس شوال خسف القمر في السّرطان، وفي رابع وعشرين هوت من السماء بغضران، من أعمال السّر صخرة كان لها ضجيج عظيم سمعه من بصنعاء وتعقبه جدب أفضى إلى تمزق سكنته في الأرضين ﴿أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيهِم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾[2]، وعز فيه الطعام والشراب، وقطعت فيه أصول الأعناب، وكان أهله قد انهمكوا في الأيمان الفاجرة والطريق الخاسرة.

وفي هذه الأيام قالوا إن رجلاً ممّن يشتري الطعام نزل اليمن الأسفل، فعند أن بلغ الجند اضطره الحال إلى دخول بيت يسأل فيه ما يسد خلته، فوجد فيه رجالاً من أهل الشام، وعندهم أسلحتهم فأمروه أن يحمل شيئاً على ظهره في غرارة[3]، لا يعلم ما هو فلما انتهوا جميعاً إلى البرية انكشف أنه مقتول، وعند أن خافوا منه أن يخبر بما هم فيه جزموا بالفتك به، فألهمه الله إلى التوسل بالشيخ أحمد بن علوان، فلم يشعروا إلا بإنسان قد أقبل عليهم مشرعاً حربته إلى نحورهم، فدهمهم من الهول ما أذهلهم عن الرجل، وخلص من شرهم.

وفيها انكسرت بساحل جيزان جلبة فيها عالم من أهل صنعاء [٣٣] نحو السبعين ولم ينج غير خمسة عشر نفراً، واتفق لبعضهم أنه خلص على لوح منها بعد ثلاثة[4] أيام، لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً فسبحان من إليه تدبير

---

(١) نّجل: أخرج أو أظهر.

(٢) كذا، ﴿أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ من سورة الملك، الآية ٣٠.

(٣) غرارة: وعاء مصنوع من الجلد يحمل على الظهر، ويستخدمه المسافر في حمل أدواته، كما تنقل به المحاصيل الزراعية.

(٤) ثلاثة: (ثلثة).

الأحكام، ومن أياته الجواري في البحر كالأعلام.

وَفي ثامن عشر ذي الحجة كان شعار غدير خُم [1]، المعقود فيه ولاية الوصي[2]، وخطب فيه بليغ اليمن وعالمه محمد بن إبراهيم، الشجري السحولي خطبة الغدير، ولم يكن قد خطب بها قبل غيره، في حوزة الزيديّة.

وفي سادس وعشرين كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول دقيقة في الحمل، والزهرة وعطارد فيه، والمشتري بالقوس والقمر بالدلو، والذّنب وهو الجوزاء، وكذا المريخ بالسرطان، وزحل في أوّل الثور، وكانت السنة الداخلة الآتي ذكرها، مِن سنة ست وثمانين هي سنة خمس وستين شمسيّة، بسبب الإزدلاف، إذ لا يكون تحويل سنة العالم إلا في أول محرم سنة سبع وثمانين وهي مع ذلك بالنظر إلى القمرية، لا تسقط بل هي سنة سبع وثمانين بعد الخمس والثانين الماضية، وإنما هذا السقوط باعتبار الشمسية والزّحلفة بأيام البين وهي إحدى عشر يوماً وكسور في كل سنة، والله أعلم بحقائق الأمور.

كَرَامَةٌ لِلشَّيْخِ الصّفِي أحمد بن عَلْوَانِ أيضاً -

وفي هذه الأيام كان بثلا رجل من فقرا الشيخ أحمد بن علوان يتظهر بخوارق، فاعتقله القاضي المهدي بن عبد الهادي بقلعة ثلا، فوثب من رأس القلعة إلى سوق ثلا، ولم يضره ذلك فكان رادعاً للقاضي، وإضرابه عن التشكيك في كرامات الأولياء، وفي ذلك بحث خلافي معقود في أصول الدين، وثمرة الخلاف فيه أقل من لا شيء.

وإلى هنا انتهى الدور الثالث من أول الإسلام الذي يدور على ثلاث مائة وستين سنة لكنها شمسيّة، فتزيد على هذا بخمس سنين، فيكون انتهاؤه في خمس

---

(١) غير يرخُم: أنظر ص٢٤٠ من الكتاب.

(٢) الوصي: الإمام علي بن أبي طالب.

وثمانين، وعند أهل الأحكام أنه يكون فيه انقلاب وانضراب فيما يتعلق بأحوال الدول واستيلاء بعض الملوك على بعض، وهو تخمين بحت وتحقيق الحق في معلوم من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ (وما بينهما) فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ﴾[1].

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف -

فيها جاء في أخبار الحج إشتعال نيران الفتنة بين الحرامية والحجازيين، وكان في ذلك قتل جمع من الطائفتين، والإمام هذه الأيام نقل بعض خزنة ضوران إلى صنعاء اليمن، وأن سعداً نهض إلى الأبواب بعد أن استدعي [٣٤]. فسافر بصحبة أمير الشام. وفي محرم قُبض وزير الإمام الشريف محمد بن صلاح الجحافي الحبوري بضوران، وكان قد بسق في الوزارة فرعه، ونفذ فيها وصله وقطعه، صحب أولاً علامة اليمن الحسين بن القاسم، وعمل له في بلاد ظليمه وشظب ولمّا دعى أحمد بن الإمام القاسم بايعه وتابعه، وعندما انتظمت الأمور لأخيه، وصل إليه واقتصر في الخدمة عليه والإمام إبن خالته، وقد رثاه بعض شعراء اليمن بأبيات جرّدنا هذا التوقيع، عنها لما تضمنته من القدح، وعملاً بحديث لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء.

وفي آخر الشهر خالفت الحُجريّة وقتلوا رسول الإمام، وكان عز الإسلام محمد ابن أحمد قد همّ بالنّفوذ إلى يفرس[2] من المنصورة ليتبصر في أمرهم، وابتدر لإطفاء ثائرة خلافهم أبوه صفي الإسلام، وعضده على ذلك عسكر الإمام.

وفي هذه الأيام غزا عز الإسلام، محمد بن أحمد بن الحسن الزرّيَقة[3]، فثارت

---

(١) من سورة هود، الآية ٧.

(٢) يفرس: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تعز، وهي من أعمال جبل حبشي، وترجع شهرتها إلى وجود ضريح أحمد بن علوان بها.

(٣) الزريقة: من بلاد الحجرية وتقع إلى الجنوب من مدينة (التُربة) الواقعة إلى الجنوب من مدينة تعز.

نحوه الحجرية فأوقع بهم وقتل منهم ثلاثة، ونكا جمعاً وافر منهم وانتهب طائفة[1] من مواشيهم، واستمر الحرب أربعة أيام، وخلص عن قتل أربعة من أصحابه، ولمّا لحق عز الإسلام غوث عسكر الإمام انكسر المخالفون، وتفرقوا في الأودية والشعاب. واتفق أثناء هذه المدة قَصد من حَسَن بن الإمام إلى بعض البلاد الشامية لحدث أحدثه أهلها، ولم يقع على طائل لتوعر المسالك.

وفي خمسة وعشرين من صفر وَصَل الزوار وأخبروا أن الباشا حُسَيناً لم يَعُد إلى الأبواب، بل ينتقل من مكة إلى جدّة، وكان وصوله من الأروام في حال الأكابر، من الملوك حتى أن مجرد الخيل ثلاثة ألآف وخمسمائة، ولم يَعُد إلى الأبواب إلاّ بعد زمنٍ طويل، قرر فيه مراسم الحرمين، ونفذت أوامره فيه على من عداه من الملوك مثل بركات، والباشا صاحب جُدّة. وفي ربيع الأول جاءت الأخبار أن جماعة ذي محمد من برط استخفهم الطيش، فقصدوا معقل الأشراف الزاهر، فنهد[2] لهم الأشراف وجرّعوهم كؤوس السم الزعاف، ومحوا رؤوس صناد يدهم بألسنة الأسياف، ورجع فلهم إلى بلادهم مكسورين، وانجفلوا عن قصدهم مقهورين.

وفي هذه الأيام جاء الخبر بوفاة يوسف بيك، متولى جُدّة وخلع القفطان بولايتها على إبراهيم بيك. وفيها اتفق بين علي بن محمد بن أحمد بن الحسن، وشريف من بني عامر يسمّى حسين بن علي بن محمد بن عامر، مزحٌ أفضَى إلى جدّ، فوثب الشريف على علي وقتله، فاعتقله صفي الإسلام، وشفع في إسقاط القود عنه إلى أبيه فشفّعه.

وفي ثامن عشر توفي بصنعاء بعد وصوله من ضوران النقيب سعيد الجزبي، مملوك شرف الإسلام الحَسَن بن القاسم، وناله آخر مدته عقيب عزله [٣٥] وسكونه بضوران، إمتحانات منها المرض الذي مات مِنه، وكان قد ولى بندر

---

(١) طائفة: (طايفة).

(٢) فنهد: نهد للعدو: أسرع في قتالهم وبرز. (المنجد، ص٨٤١).

اللحبة والضحي، نحو من أربعين سَنَة من أيام الحسن، وما كان قبل ذلك إلاّ حراثاً مع سيده ابن مجزب من مشائخ الشام.

وفي هذا الوقت مال أهل البَرَويّة عن الأمير أحمد بن الحُسين، إلى عز الإسلام محمد بن المتوكل، وطلبوا أن تكون مطالبهم إليه، فثارت لذلك نفس الأمير ورفع القضية إلى الإمام، فرأى من الصلاح إرجاعهم إلى بلاد ولايته، واستمروا في ولايته من جملة أهل قطعته.

وفي غرة ربيع الآخر وصل الحضرة خواجا هندي له أتباع ويحمله على الفالكي[1] أربعة أنقريز، وأهدى للإمام هديّة سنية ،أثابه عليها، ثم وصل حضرة صفي الإسلام أحمد بن الحسن بن الإمام.

وفي هذه المدّة وَضَحَ تحقيق تجهز صاحب التخت بنفسه على صاحب بلاد الفرتقال - كذا - ، وذلك أنه لمّا سرى أمرهم، واستحكم شرهم، أفرغ السلطان مجهوده فحشر الأبطال من كل أوب، وجمع البواش - كذا - من كل صوب، وواساهم بنفسه النفيسة، وأسعر جحيم الحرب فأحمى وطيسه، ثم دهمهم بأجناد، يضجّ لها الهضب والوهاد، ويضيق عنها السُّوح، ويغبّر بعثيرها[2] اللّوح، ولمّا اتصل ببلادهم، ولاذ بأغوارهم وأنجادهم، انحازوا إلى قلعة تسمى عمارية، قد بسَقَ سمكها في الإرتفاع، وبَعد عهد حضيضها عن البقاع، واسعة الدّار والدور، مدمجة الأطراف واسعة السُّور، معمورة بالأبطال المجرّبة، والسيوف المدربة، والمدافع الدافعة، والشحنة النافعة، فقدّم بين يديه الوزراء والأكابر، والأتباع والعساكر، ووقف بخاصة ملكه على مسافة ثلاثة أيام بحيث يلحقهم غوثه السريع، ويربط أفئدتهم قهره المنيع، وعند إن اتّصل آخر المعسكر بأذيال القلعة، رأوا أن فتحها بالحرب الزبون، ممّا لا يتصوّر ولا يكون، فدبروا بطريقة التخمين والتقريب، إن حفروا هنا السراديب، وأفعموها بالبارود، واستوثقوا على

(١) الفالكي: سرير يحمل على الأكتاف.

(٢) بعثيرها: العثير هو التراب والعجاج (المنجد، ص٤٨٧).

أبواب القلعة بسور من الجنود، وعند أن تم لهم ما تمّ، ونجح تدبيرهم فيما راموه ثمّ، ألاحوا النار في أوائل سرداب، فخاض حولي القلعة لهام الإلتهاب، فكانت الغنيمة الباردة وهم غافلون، ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[1]، وبعد أن سعد البخت بتمام الدّست، عاد السلطان وقد فلج سهمه وهلك خصمه، وبوّش على تلك البلاد سبعة من المقدمين، ونال عند الله أجر الصابرين المرابطين. وفي هذه السنة انحسر بحر صنعاء فنزل إليها [٣٦] سيل من جبل الحفا[2] وحدة بني شهاب[3] وأخرب عرين خندقها الذي أصلحه الإمام. وفيها توجه بعض المراكب الهندية إلى جدة فرددتها الريح من حدود جيزان، فرجع أهلها إلى المخا والسّبب أن أيام الخريف يهيج فيها البحر اليماني قدر شهرين فتضطرب الجلاب باضطراب الريح.

وفيها وصل مكتوب من صاحب سواكن يخبر باستقرار الشريف سعد بحضرة السلطان محمد خان، وأن السلطان رماه بقتل حسن باشا فتنصل عن ذلك واثقاً بالدخول في المذهب الحنفي، استدراجاً لخاطر السلطان محمد، فانعطفت عليه قلوب الخواص، ومهدّوا له العذر فقبله السلطان.

وفيها همّ الإمام بتجهيز هديّة سنية لصاحب التخت لتطلع نفسه مع ما قد كان رفع إلى مسامعه، من التجهيز المتقدّم على اليمن، فخاض معه بعض وزرائه في أن ذلك ربما كان محركاً على تمام التجهيز، واستنباط لضعف صاحب اليمن، فاستحسن الإمام هذا الرأي وأضرب عمّا أراده.

وفيها وصل إلى الحضرة جماعة من أطراف بلاد عُمان من المشرق على مطايا

---

(١) من سورة يس، الآية ٢٩.

(٢) جبل الحفا: في النسخة المنقول منها (الحنا)، وفي (أ) ورقة ١٠٦ (الحفا) وهو الأصح، اسم لجبل يعد من نقم شرقي مدينة صنعاء.

(٣) حدة بني شهاب: إحدى منتزهات مدينة صنعاء تقع إلى (الجنوب منها). (اليمن الكبرى، ص٦٨).

يصفون أنهم كانوا عرفاً على بلادهم مستقلين خارجين عن ولاء سلطان عمان، فنظمهم في سلك مملكته بيد القوة، وأنهم يريدون أن يمدّهم بما يمنعهم من الرجال والمال، ويكونوا في رَعيته، فاعتذر الإمام عن هذا المطلب خاصة موازنة بين خيره وشرّه. وفيها اتفق خصام بين أصحاب الحسن بن الإمام والرعيّة بجبل رازح، أفضى إلى قتل نفرٍ من العسكر وخمسة أنفار من الرعيّة، وصالت الرعيّة على العسكر والجأوهم إلى القلعة، فصالحهم الحسن عندما رأى الحال يقتضي ذلك، وسار إلى أبي عريش، وأراد غزو آل حبيب ونحوهم من بلاد بني حرام، فصدّه الإمام عن ذلك حتى تحقق خبر الخارجة إلى مكة المشرفة، وكان المشير بذلك صفي الإسلام أحمد بن الحسن.

وفي نصف جمادى الأولى اتفق أن جماعة من رعاع أهل صعدة ما زالوا يتجمعون في الفندق الذي نظره إلى الفقيه عُمَر، المولّى من الإمام ويصدر منهم ما لا يليق قولاً وفعلاً، فرفع السيد العلامة أحمد بن إبراهيم المؤيدي ذلك إلى مَسَامِع الجمالي علي بن أحمد، فوضَعَهم في الحديد، فما كان بأسرع من أن وصل إليه عُمر يعاتبه، ويذكر أن التأديب فيما يتعلق بالفندق إليه، فلم يسعه غير إطلاقهم، فرفع ذلك إلى السيد شمس الإسلام، فلم يلق بُداً من البداية بتأديب عمر، الذي نهى وأمر واغتصب وقهر، فقصده مع جماعة من السادات، وأعيان الطلبة فلم يصادفه في غير جامع صعدة [٣٧] وتضيقت الحادثة فَضُرب هناك ضرباً مُبّرحاً، ثم خرج السيد عن صعدة إلى محلة، وطالع حضرة الإمام في صورة ما صَدَر فأراد إرسال القاضي عبد الله التهامي. لاستفصال القضية، ثم رجح عنده التغافل لضرب من الصلاح.

وفي رجب سار جمال الإسلام علي بن أحمد إلى نجران[١] لِتَغلبَ أهله عن

---

(١) نجران: تقع بالجهة الشمالية الشرقية من صعدة على بعد مائة كيلومتر تقريباً، وهي من بلاد يام يحدها جنوباً رملة همدان بن زيد ودهم، وشمالاً رمال قحطان، وشرقاً الربع الخالي، وغرباً صعدة وعسير. (اليمن الكبرى، ص١١٧).

المطالب فقبضها منهم قهراً. وفيه اتفقت فرقة بين عسكر شرف الإسلام، الحسن ابن الحسن برداع فَقُتِل نفر من أهل الشام.

وفي سلخ شعبان طُلب إلى الحضرة عز الإسلام، محمد بن الإمام فبادر. وفي نصف شوال خسف القمر فجراً في السرطان بعقدة الذّنب، وغرب خاسفاً، وكان خُسُوفَه العام الماضي بهذا البرج، وقد اجتمع في أوله ببرج الجدي الخمس الكواكب الشمس، والقمر والمريخ والزهرة وعطارد. ولمّا انقضى الشهر جهّز الإمام لإمارة الحج الحاج فرحان، وفي وقت السّحر ليلة ثالث شوال كان بصنعاء وغيرها زلزلة عظيمة أيقضت النائم وتبعها مثلها.

وفي هذه الأيام اتصلت الأخبار بأن جِلاب العماني بالبحر، وفيها عساكر. وفيها أمر الإمام أن تقوّم أموال الذميين في جميع البلاد، ويؤخذ منهم العُشر فجُمع من ذلك شيء كثير، وفيها سار حسن بن الإمام إلى فيفا فأدّب أهلها بتسليم شيء من الطعام لتغلبهم على الزكـاة ثم عاد إلى جبل رازح.

واتصلت بهذه الأوقات الزلازل والرّجفات بضوران، وفي بعضها انشق أكثر البيوت منها دار الحُصين حتى تناثرت الحجارة من جبل ضوران، وامتدّت الرجفة إلى صنعاء، وكان دوامها بضوران قدر قراءة سورة يس، وبعض من فيه اختلط معقوله، والإمام انتقل إلى معبر[1].

وفي خلال ذلك تقرر وصول العمانيين الى باب المندب، فبادر صفي الإسلام، أحمد بن الحسن، بإرسال السيد الحسن بن محمد الحرّه، في جماعة من الكفاة وأرسل ابن مَذيُور الى جبل الفضلي، وقد بلغه أن قبائل المشرق رفعت رؤسها سيا بلاد العولقي. وفيها انتهبت دهمة قافلة بالعمشية لتجار صعدة، وتعللوا بأن الإمام قطع الجامكية، فإن ردها أصلحوا ما فسد في العمشيّة.

---

(١) معبر: قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من مدينة صنعاء بحوالي ٧٥ كيلومتراً تقريباً، وتخترقها طريق السيارات الموصلة بين مدينة صنعاء ومدينة ذمار.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف -

وفيها توفي قاضي السودة القاضي العارف عبد الله التهامي رحمه الله، وفيها وصل إلى مكة رسالة من بعض الحلوليّة[1] بالهند فأجاب عنها علماء مكة، وكفّروا منشئها، وأوجبوا على السلطان أورنقزيب تحريق كتب المنشئ لها.

وفي سابع محرم كان تحويل السنة عند المنجمين، وزحل بالثور، والمشتري بالدّلو، والمريخ بأوّل درجة من الأسد، وعطارد مع الشمس إذ لا يفارقها [٣٨]، والزهرة بالثور، وفي نصف ربيع خُسف القمر ببرج الجوزاء وتجلا بسرعة.

وفيها وصل الجواب من أهل مكة عن سؤال بعث به الإمام إلى هناك، في سبب أفراد العم والخال المضاف إليهما، وجمع العمات والخالات المضاف إليهما، في قوله تعالى ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ﴾[2] وممن تولى الجواب الشيخ العارف محمد بن سليمان المالكي المغربي.

وفيها كان وصول المركب إلى بندر المخا، وهديّة من السلطان أورنقزيب للإمام، وصدقة لأشراف اليمن، والعمانيون الشاكون انفصلوا عن حضرة الإمام إلى بلادهم على وجه جميل غير أنه اعتذر عن خصوص مطلبهم.

وفي ربيع الآخر أرسل حسن بن الإمام من رازح إلى صعدة بجملة من أهله، وأمر أتباعه أن يسكنوهم بدار المطهر، وكان فيها بعض حشم جمال الإسلام، علي ابن أحمد فَتَغَيَّرَ خاطره لذلك مع ما قد سلف بينهما من أسباب الوحشة، فأمر بإرجاع أهل الحسن، وحيّرهم في باب صعدة، وكتب إليه وهو يومئذٍ بمجز[3] بمكتوب يتضمّن إنّ أَمَدَ الصبر عليك قد انتهى فأما رجعت من حيث جئت،

---

(١) الحلولية: فرقة من أصحاب المذاهب يعتقدون بأن الله يحل في بعض الكائنات. (دائرة معارف القرن العشرين، م٣، ص٤٧٩).

(٢) من سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

(٣) بمجز: مجز من بلاد صعدة تقع إلى الشمال الغربي منها.

وإلا وصلت على شريطة من يصحبك من يمضي معك إلى حيث تأمر، وتسير إلى حضرة أبيك، وإن أبيت أحد الأمرين فأذن بما يصدر في جانبك من الإهتضام، وقلة الإحتشام، والمكالمة بلسان الحسام. فسعي الساعي بينهما أن يدخل أهله من باب صعدة، ويسكنوا بدار عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام.

والحسن عاد من مجز يريد ساقين ويلتقي ثقله، فلما وصل إلى عُزْو[1]، لم يرخص له أهله في غير المبيت لأوامر نفذت إليهم من جمال الإسلام، ولما كثرت عليه الأراجيف عرّج عن ساقين، وقصد رازح، فتبعه جمال الإسلام حتى وصل ساقين، ووقع الحرب على خزانة الحسن فذهب من الفريقين خمسة أنفار ثم كان الإستيلاء على خزنته ومن معها من أصحابه. وبعد ذلك برح الخفا مع الجمالي فجمع من يعتد به من سحار وآل عمار وذكّرهم سيرته المرضية فيهم، وما قاسوه من انضراب - كذا - الحال بينه وبين الحسن ووصف لهم ما صار إليه حال الإمام من المرض المخوف، والزمان المفضي حالها إلى ختلال هذا القطر، وأنه أجمع رأيُه على الدعوة، وأنه طالب منهم المناصرة على ما يريده بالدعوة من نصرة الشرع، فأجابوه إلى ما طلب وَتَلَقَّبَ بالمنصور بالله، ثم قدّم للحسن جمعاً من الأجناد إلى رازح وعطّل عن بلاده آثار خلافة المتوكل، فأصفق[2] أهل الشام على إجابته، ونفذت أوامرَهُ إلى حدود سُفيان [٣٩]، ووصل مكتوبه إلى صفي الإسلام أحمد بن الحسن، يشعره بدعوته وأسبابها ويطلب منه المناصرة، ثم أودع مكتوبه إلحاقاً خاصاً مضمونه أن الحال قد اقتضى ما صدر منا فأعمل فيه برأي الشرع، ولا تلتفت على المحافظة على الملك، وإن يكن لك إليه رغبة كنت المقدّم، وكنا السيوف المسلولة على من ناوأك، فراجعه الصفي بما فيه تمريض للأمر، وكان السيّد العلامة القاسم بن المؤيّد قد كتب إلى الصفي بكتاب فيه تأنيس بما أراده الجمالي، والسيد العالم يحيى بن الحسين بن المؤيد كان عند وصوله

(١) عُزْو: من بلاد صعدة تقع إلى الجنوب الغربي منها.

(٢) فاصفق: اجتمع (تاج العروس، م٦، ص٤١٠).

إلى صعدة قد خاض مع الداعي بعض الخوض في شأن من ينتظم به الأمر، وفي أثناء مكتوب الداعي إلى الصفي أنه إن لم يتم الخوض فقد أرفع على استدعاء السيد محمد بن علي صاحب برط، والمفاوضة في الطريقة المثلى. وعند ذلك ورد مكتوب الإمام إلى صفي الإسلام، يضيّق عليه في التجهيز إلى صوب صعدةعلى الداعي، قبل تفاقم الحادث، وانتشار الحال فبادر الصفي إلى أخذ الأهبة من الغراس المحروس، ونصب الوطاق علامة التجرد والتبريز لمنازلة الداعي، ومن هنا ظهر فائدة رأي الصفي في متاركة الممالك النائية على القطر اليمني، وإن الأهمّ المقدّم حفظ الحقيقة فيه بلا زيادة ولا نقصان.

والرأي في تثبيت مَجدٍ قائم ... بالــذات لا تقويم جَـدٍ عَاثِرِ
ومن الغبـاوة بذل كنزٍ حاصلٍ ... في الحال لاستصحاب دين داثِرِ[1]
هَب أن ترى بيت الأنيس من الضي ... شرهٌ فاتبــع القطيــع النّافِرِ[2]

ولما اطلع بعض وزراء الرسوليين على ما جمعه مخدومه من الخزائن والذّخائر الملوكيّة، قال له يا مولانا هذه العدة تصلح لفتح مصر، أو كما يقال فأجابه بأني أحتاج إليها لمن يعارضني في اليمن بأقداح الشعير، ويأخذ مني الغرّة عند الإهمال والتقصير، فاستصوب الوزير رأيه، وجعله على رصانة عقله أكبر آية.

وفي ليلة الجمعة خامس جمادي الآخرة فاضت روح الإمام إلى دار السلام، وانقلب إلى ما أعدّه الله له من الكرامة والإكرام، وقد نال أجر من عمل بسُنّة جده الأمين وسلك في سبيل الحق مسلك أبائه الطيبين السابقين إلى الخيرات والمقتصدين، نور الله مصرعه، وفي أعلى الجنان أضجعه، ودفن صبح السبت بمحروس جبل ضوران.

---

(١) دين داثر: كذا، وفي (أ) ورقة ١٠٨ (دين أثر).

(٢) الأبيات لصاحب التاريخ من قصيدة راجع بها الأمير الحسين بن عبد القادر. (هامش مخطوط طبق الحلوى).

وكان مولده الكريم بنصف شعبان في سنة تسع عشرة وألف وفي ذلك كتب السيد العلامة إسماعيل[1] بن إبراهيم جحاف.

خليفة الله اسماعيل[1] مولانا — أوفى البريّة عند الله ميزانا [٤٠]

وفي ليلة النصف من شعبان مولده — فهاك تاريخه في شهر شعبانا

١٠١٩

وكان مدرساً في أغلب الفنون، آية باهرة في فن الفقه، فهو يّعد فيه من المذاكرين محباً للعلماء محبّباً إليهم، شفيقاً بالرعية سيما ضعفتهم من الطلاب، وغيرهم، وطالما أجتُذب بثيابه منهم حتى يُمزَق شيء منها، وطالما شافهوه بالقاسي من الكلام فكأنه لم يَسمَعه، ومن مؤلفاته العقيدة الصحيحة في أصول الدين، وقد شرحها من العدلية الفقيه العارف صالح بن داوود الآنسي[2] وغيره، وشرحها من الأشاعرة عالم مكة القشاشي، والشريف محمد الحيقردي، وأمين حجازي كما تقدم، ومن فوائده المسائل المرتضاة فيما تعتمده القضاة، وغير ذلك من الفوائد المعروفة بأيدي الناس، والإختبارات في مظان الإلتباس، واتفق في دولته من تعظيم جانب العلماء ما لم يتفق في غيرها، فعكف أكابرهم في مواقف الدرس عليه وماله إليهم بعلاقة العلم ومالوا إليه، حتى تحبّب كل منهم إليه مجهوده، ومنهم مَن تيمن باسمه الشريف حتى تسمّا به مولوده، وإلى ذلك أشار علامة المعقول محمد ابن ابراهيم السحُّولي، وقد طلبُه الرُّخصَة في زيارة أهله إلى صنعاء بعد أن ولد له مولود وهو الآن في قيد الوجود.

مولاي إسماعيل[3] لي طفل بكم — متبركـــاً أدعوه إسماعيـــلا[4]

(١) إسماعيل: (إسمعيل).

(٢) صالح بن داود الأنسي: (مات سنة ١٠٦٢ هـ) أخذ على مجموعة من العلماء منهم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وكان عالماً محققاً علي الأزهار من حفظه ومن مؤلفاته «شرح العقيدة الصحيحة» للإمام المتوكل على الله إسماعيل و«مختصر شرح العلفي للجامع الصغير» و«شرح المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة». (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٠٣).

(٣) إسماعيل: (إسمعيل).

(٤) إسماعيلا: (إسمعيلا).

قـد عيل صبري من مفارقتي له | لا للرّبـــاب ولا لأسماعيـــلا
مُنّوا بإسماعي نعم في مطلـــبي | لا تقطعوا طمعي بإسماعيـــلا

وكان لا يأكل الزكاة[1]، ومن كلام له يوصي أولاده وقرابته، «وأوصيكم أيّها الأولاد، ذكركم وأنثاكم، وسائر قرابتي وسائر بني هاشم، أن تجتنبوا الزكوات ولا تأكلوا منها شيئاً ولو أكلتم الشجر، فإن الذي خلقكم هو الذي يرزقكم ولا تفعلوا كما يفعل كثير من الناس، من التمسك بالشبه في ذلك، وابتغوا من فضل الله ولا يحملكم الثقل بالسكون في البيوت على ذلك، فأطلبوا الرزق من فضل الله وتنقلوا، ولا تتخذوا السؤال حرفة فبئست الحرفة هي، وإنها معينة على الفقر، ولكن أطلبوا الرزق الحلال وإحياء الأموال، وإن أمكن أن تجعلوا لكم نواباً في البيع والشراء فهو حسن نافع، وإن لم يمكن إلا بأنفسكم فافعلوا، فلأن يوجر أحدكم نفسه خير له من الحرام».

ولا يبعد أن يكون في قوله ولو أكلتم الشجر وجعله المرجع الأبعد رمزٌ إلى تضعيف مسئلة أن المضطر يقدم الميتة كما صدره في الأزهار، ووجه ضعفها منقدح وهو أن تحريم الميتة قطعي بخلاف تحريم الزكاة[1]، ولا شك أن طريقة [٤١] الأخذ بالأخرى معروفة، لكن دين الله بين العالي والمقصر وكان يميل في الأصول إلى التكفير بالإلزام ورتب على ذلك أحكاماً في أهل اليمن الأسفل، وعارضه في مسئلته بعض من لا يحسن الكلام ولا يتأدب، وهكذا الحال في صدر كل زمن فكم تحككت فيه بأفعى عقربُ.

ومن كلام له يُوصي به وَلده عز الإسلام، «وأترك الإكثار من المتعلقين الذين همهم الدنيا ويكفيك القيام بأهل الحصين فإنهم عدة إن شاء الله واستصلحهم بالرغبة والرهبة وأحبب حبيبك وأبغض بغيضك هوناً مَا، فلعل الحبيب لا يدوم حبّه، وما أكثر ذلك فيمن محبته لأجل الدنيا، ولعل البغيض يكون حبيباً،

---

(١) الزكاة: (الزكوة).

وما أكثره فيمن كان بغضه لأجل الدنيا، ودع ما يريبك إلى مالا يريبك، وأكثر من ذكر الله » انتهى.

قلت أنظر إلى هذا الكلام الغير متكلف، وما عليه من مسحة الكلام النبوي، وما ضُمن من الآثار التي فقهها نافع، وحديث دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة، أخرجه أبو داوود الطيالسي، وأحمد وأبو يعلي والدارمي، والترمذي، والنسائي وآخرون، وأخرجه شُعبه، أخبرني يزيد بن أبي مريم، سمعت أبا الجوزاء السعدي يقول للحسن بن علي، ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال كان يقول فذكره، قال الترمذي حسن صحيح، وقال الحاكم صحيح الأسناد ولم يخرجاه.

ومن كلام له يوصي به أولاده، « وأوصيكم بإصلاح ذات البين فإنه أفضل من عامة الصلاة والصيام كما جاء بذلك الأثر، قال الله تعالى ﴿وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ولا يتم ذلك إلا بالإحتمال والصبر، والتغاضي من كبير والعفو، والله يأخذ بنواصيكم ويتولاّهم » آمين.

الدَّوْلَةُ المَهْدَوِيَّةُ وَمَا شَجَرَ فِي أَثْنَائِهَا -

وفي ثالث موت الإمام جَرَّد الهّمة صفي الإسلام، فاستدعى إلى الغراس المحروس عز الإسلام محمد بن المتوكل، وولد عمّه بدر الإسلام محمد بن أحمد، والأمـير المقدام أحمد بن محمد بن الحسين، ومن أكابر علماء صنعاء القاضي العلامة محمد بن علي العنسي، والقاضي العلامة محمد بن علي قيس الثلائي[1]، والقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والقاضي العالم علي بن جابر الهبل، والسيد العالم عبد الله بن مهدي الكبسي، والسيد الفهامة غوث الدين يحيى بن غوث الدين ابن المطهر، فبـادر الجميع إلى حضرة الصفي واجتمع الكل لديه بعالمه وحاكمه،

(١) . محمد بن علي قيس الثلائي: من العلماء الكبار عاش بقرية القابل من ضواحي صنعاء وتوفي بها سنة ١٠٩٦ هـ. (مصادر الفكر الإسلامي، ص٢٢٣).

والقاضي البليغ عبد الواسع عبد الرحمن القرشي[1]، وكان ميل عز الإسلام محمد ابن الإمام إلى صفي الإسلام ظاهراً، لما يعرفه من سالف أحواله من رعاية الخاصّة والعامة وبذل مهجته في رعاية الإسلام [٤٢]، وعمارة قلوب خواص الأُمّة وهم العلماء بمزيد الرعاية وسابق خدمته لعّمه المتوكل على الله، حتى كان لسان حاله معه.

أخوك الـذي أن تدعـه لملمةٍ	يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

مع ما اقتصر عليه من الجدارة التي هي سيماء المؤمنين، والسعادة المطردة في الحركة والتسكين، والهيبة في قلوب الرعَايَا، وميل أكثر أهل اليمن إليه سيما صنعاء وحوازها، وأغلب من ذكر من العلماء رأيه هذا الرأي، خلى القاضي بدر الدين محمد بن علي قيس فقد كان منبطناً للميل إلى جانب السيد العلامة القاسم بن أمير المؤمنين المؤيّد بالله، لما تناقلت الأفواه عنه من النشأة الطاهرة والبرارة والشطر الصالح من العلم، واتفق بعد ذلك موقفين للإتفاق بين من ذكرت عقيب خوض طويل على إلزام الصفي بتحمل الأعباء فبويع بحضرة من ذُكر، وكان المتقدّم في موقف البيْعة إلى تمامها السيد عبد الله الكبسي، وعضده في انتهاز الفرصة الشيخ الرئيس الحسن بن أحمد بن عواض الأسدي، ووقع من بدر الإسلام محمد بن أحمد بعض خوضٍ في تقدّم دعوة صنوه والإشارة إلى الثاني، فلم يساعد إلى ذلك، واشترط الجميع في عقد البيعة عدم قيام من هو أصلح، ثم تعقب ذلك تسطير ولايات، منها ولاية عز الإسلام الحسين بن الحسن بن الإمام، ومكتوب إلى جمال الإسلام علي بن أحمد، ومكتوب إلى الحسن بن الإمام، ومكتوب إلى الأمير الخطير سيف الإسلام عبد القادر بن الناصر.

---

(١) عبد الواسع عبد الرحمن القرشي: وينتهي نسبه إلى عبد الملك بن مروان بن الحكم (١٠٢٦-١١٠٨ هـ) ولد بجيدان وانتقل إلى صنعاء، وأخذ على مجموعة من العلماء فبرع في علوم النحو والصرف والأصول والفقه وغيرها من مؤلفاته (الوعظ النافع فيا أنشأه القاضي عبد الواسع). (البدر الطالع، م١، ص٤٠٩).

وكانت البيعة سابع جمادي، وكان الأمير عبد القادر عند حدوث هذا الأمر العظيم، قد أخذ أهبته وجمع حشمه إلى حصن كوكبان، وحصل الروع مع أهل صنعاء ظناً منهم أن عز الإسلام سيحدث دعوة مع تغليب الظن أنه لا يتم ذلك لمكان الصفي بالغراس، فجبر الله غربة الإسلام بانخراط الكل في ألطف انظام، وعند ذلك بادر عز الإسلام، بتعريف أهل الحيمتين بما اجتمع عليه آراء من يعتد به من أهل الحل والعقد والأخذ عليهم في التقدم الى صف السابقين، فراجعوه في مبادىء الأمر بأنهم تحت الطوع، بعد الإتفاق من الكل على من يحفظ الحقيقة ويدعى بأمير المؤمنين.

واتفق أثناء ذلك خوض ونزاع بين أطراف أهل هذا القطر بسبب التقصي في أشراط - كذا - الإمام، التي منها الإجتهاد عند البعض، والمسئلة معروفة بأطرافها ودليلها، فلا حاجة الى الإطالة وهي من المطارح الظنية، وغيرها أجدر بالتعمق، وقد ذكرنا في الجزء الأول كلاماً عن المقريزي[1]، صاحب الخطط والآثار، يجدر الاطلاع عليه من هناك والمركز الأعظم منها في العصور التي تضاعفت [٤٣] شرّيتها بمصداق الحديث النبوي هو حقن الدّماء، وتسكين الدهماء ومراعاة قانون الشرع جُملة، وقد رأينا الشرع قام في الصدر الأول بدون هذه التطويلات.

ورُجح عن السيّد العالم علي بن الحسين الشامي[2]، من أولاد الإمام يحيى بن المحسن مفارقة صنعاء الى خولان مجانباً للخوض في خصوص هذا الحديث.

---

(١) المقريزي: هو تقي الدين المقريزي (١٣٦٤-١٤٤١م) مؤرخ بعلبكي الأصل ولد بالقاهرة وتولى القضاء فيها، علم في القاهرة ودمشق ثم انصرف إلى الكتابة، من مؤلفاته «السلوك لمعرفة الدول والملوك» و«المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار» و«النقود الإسلامية القديمة» (المنجد في الأعلام، ص٦٧٩).

(٢) علي بن الحسين الشامي: هو علي بن الحسيّن بن عز الدين بن الحسن بن محمد بن صلاح الحسني اليمني الشامي (١٠٣٣-١١٢٠هـ) أخذ على مجموعة من العلماء بصنعاء، ومن مؤلفاته «كتاب العدل والتوحيد» وقد غادر صنعاء إلى خولان، ثم عاد بعد مدة إلى صنعاء وتولى أوقافها إلى أن مات (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٦٣).

وظهر في هذه الأيام لشريف من آنس يقال له ناصر الدّين، مذهبٌ خاص منه تحريم الخل وتقبيل الكف عند المصافحة، وتناول قهوة البن، وإرسال الذوّابتين العليا والسُفلا، وغير ذلك، وكتب نُسخاً من أحكام الهادي عليه السلام غيّر فيها قواعد الخط المتفق على جملتها، والذي ظهر من حاله الغباوة الكلية، وأنه طالع كتاب الأحكام في بيته، وجمد علي ما في نفسه من عقيب خروجه من المكتب من غير أن ينهض الى من يُرشده الى كيفيّة الترتب، وقد قلعت بسببه مغارس من البن المتصل ببلده، وأدبه شرف الإسلام الحسين بن المتوكل بالإعتقال فلم ينجح فيه، وشرع الله أرسخ من ثبير فقد انقطعت بدعته ولم يتابعه عليها إلا من لا يلتفت عليه من العوام.

وتلقب صفي الإسلام بالمهْدي لدين الله، وتعقب دعوته ظهور دعوة السيّد العلامة الفاضل القاسم بن المؤيّد بالله[1] بشهارة، وتلقب بالمنصور بالله فأجابه الأهنوم، وغيره وامتنع عن إجابته الصفي أحمد بن المتوكل، وظهور دعوة شرف الإسلام الحسين بن الحسن بن الإمام، وتلقب الواثق بالله وبايعه عليها من حضر من الأعيان، وكان ممن حضر بيعة القاسم بن المؤيّد، السيّد العالم يحيى بن أحمد الشرفي، والسيّد العالم الزاهد يحيى بن إبراهيم الجحافي[2]، وأخوه السيد العالم إسماعيل بن إبراهيم، والسيّد العالم علي بن صلاح الضِلعي، ولما وصل الى شهارة

---

(١) القاسم بن المؤيد بالله: هو الإمام القاسم بن المؤيد بن القاسم بن محمد الحسني الشهاري (مات سنة ١٢٢٧ هـ) إبرز في جميع العلوم وأجمع جمهور العلماء على كمال معرفته حين اختباره عن دعوته في سنة ١٠٨٧ هـ، ثم بايع المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، وبايع بعده المؤيد بالله محمد بن المتوكل، وكذلك بايع المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم، وقد ضبطه صاحب المواهب وسجن بصنعاء عشرة أعوام، ثم أفرج عنه وأمره بالبقاء بصنعاء فمات بها (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٨٨).

(٢) يحيى بن إبراهيم الجحافي: هو يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن إبراهيم جحاف الحبوري، تولى القضاء بمدينة حبور أيام المتوكل على الله إسماعيل، له شرح الحاجبية، وكان مبرزاً في النحو والفقه والبلاغة وله شعر على نهج العرب العرباء ومات في حدود سنة ١١٠٣ هـ. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٢٢٦).

القاضي بدر الدين محمد بن علي قيس بذل البيعة، وجاءت بعد هذا أخبار دعوة السيّد محمد بن على الغرباني ببرط، ودعوة السيد العالم الكريم أحمد بن إبراهيم المؤيّدي[1] واتفق عقيب ذلك استيلاء أولاد عبد الله بن القاسم على قصر ذمار، وانتهاب ما فيه، وانتهاب أصحاب جمال الإسلام علي بن المتوكل على الله سوق جبلة، وحصل التخوّف ما بين إب وجبله ونقيل سُمارة[2]، واتفقت فتنة بين أصحاب السيد الحسن بن محمد بن أحمد المؤيّدي، والسيد جعفر بن المطهر الجرموزي ذهبت فيها نفوس، وبصعدة فتنة أخرى من أهل سوقها وقبيلة سحار وانتهب جانب من السوق.

وأما جمال الإسلام علي بن المتوكل فإنه شمر العزم الى تعز، والإطلاع على ما في مخازين الشيخ راجح متوليها، وكان يومئذٍ ببلاده، ثم أن علم الإسلام القاسم ابن الإمام كتب الى الإمام أنه دعى إلى الرضى، فراجعه الإمام [٤٤] بأن الأولى الإجتماع ومن اجتمع عليه الخوض تسنم غارب هذا الأمر، وعرفه أن دعوته سَابقة، وأغصانها في ربوة النهضة باسقة، وأما شرف الإسلام الحسين بن المتوكل فإنه جمع عصابة نافعة وأمدّهم ببعض الخزنة التي بضوران، ووصل الى الإمام نائب حجة السيّد علي بن الحسين الجحافي، وتتابع بعد ذلك ورود من حَوَالي شهارة، الى حضرة العَلَم لإجابة وأعيته[3]، مثل بلاد الأهنوم[4]، ووادعة والشرف، وعفار، وظفير حجة وظليمة، ولما رأى عز الإسلام، محمد بن المتوكل

---

(١) أحمد بن إبراهيم المؤيدي: هو أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي (١٠٥١-١٠٩٩ هـ) عالماً فاضلاً دعا إلى نفسه سنة ١٠٨٧ هـ ثم تنحى عن الدعوة وبايع الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن القاسم (ملحق البدر الطالع، م٢، ص١٩).

(٢) نقيل سُمارة: جبل ضخم يمتد بين حقل يريم والمخادر، واسمه القديم (نقيل صيد). (أنظر اليمن الكبرى، ص١٧٩).

(٣) واعيته: صوته (المنجد، ص٩٠٨).

(٤) الأهنوم: تقع بلاد الأهنوم شمال غرب صنعاء، وهي مشتملة على قرى عديدة، وجبال شامخة أشهرها جبل الأهنوم وسيران وذري وجبال شهارة والعيازرة، ومن قراها المعمورة علمان، المدان، العنسق، ومعمرة. (هامش نزهة النظر، ص٣٠).

على الله تباطى شرف الإسلام الحسين بن الحسن عن بيعة أخيه المهدي، سار إليه فاتفقا بذمار وخُتم القول على أن الحسين لا يأتي من طرفه إلا كل خير، ولم يصدر منه بيعة وعاد الى رداع، وعز الإسلام الى ضوران ثم عاد إلى صنعاء.

والإمام ندب الشيخ العلامة يحيى بن محمد بن الحاج الأسدي إلى حضرة الداعي، ثم جاءت الإمام الأخبار بأن السيد يحيى بن إبراهيم، بت القول بإمامة الداعي وأثبت له الخطبة بجبور، بعد أن توقف في الجمعة السالفة، والشيخ عاد بجواب يتضمّن طلب المناظرة، واضطرب الحال في شأن السيّد الحسين بن صلاح[1]، والفقيه العلامة الحسين بن يحيى حنش[2]، فقيل أنهما امتنعا عن بيعة العلم، ووصل إلى الإمام مكتوب الصفي أحمد بن المؤيد بالله يشعره بأنه قد انتظم في سلك أخيه، واتفق أثناء هذا الخوض حرب بين أهل خيار ذهب فيه سبعة أنفار، وأما السيد العلامة يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله فإنه ارتحل من صعدة نافراً خاطره من جمال الإسلام بسبب اقتضته حواث الأيام.

وَفي ثامن وعشرين من جمادي الآخرة وصل الشيخ يحيى من حضرة الداعي الى حضرة الإمام، يتضمّن العتب على الإمام وعلى من بايعه من العلماء الأعلام.

والحسن بن المتوكل على الله انتقل عن جبل رازح إلى أبي عريش، فبادر إلى رازح جماعة من أصحاب الجمالي، وانتهبوا ما بقي من خزانته، ثم إن الحسن بن محمد بن أحمد المؤيدي، وصل إلى حضرة الإمام عند أن رجح له تولية السيد جعفر بن المطهر، وانتهت إجابة الداعي إلى عمران وذيبين، وكان الإمام قد

---

(١) الحسين بن صلاح: هو الحسين بن صلاح بن عبد الرحيم الهدوي (مات سنة ١٠٩٣ هـ) أخذ عن مجموعة من العلماء منهم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وكان عالماً فاضلاً مدرساً بجامع شهارة. (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٨٧).

(٢) الحسين بن يحيى حنش: هو الحسين بن يحيى بن محمد بن عبد الله حنش الشهاري (مات سنة ١٠٩٥ هـ) أخذ عن مجموعة من العلماء، وكان علامة محققاً له معرفة بالأصول والفروع والحديث والنحو والصرف له (شرح على البحر الزخار). (ملحق البدر الطالع، م٢، ص٩١).

أرسل خطيباً إلى ذيبين فامتنع أهل البلاد عن حضور جمعته، وقالوا في أعناقهم بيعة إمام.

وفي سلخ جُمادى الآخرة، خرج إلى بيت ردم الأمير أحمد بن محمد، وفي نفسه غير قليل من الإمام، وكان قد وصل إلى دار الإمام لموعد بينهما فتحير إذانه[1] وقتٍ مّا، فاستنبط من ذلك التهاون بجانبه، فلما علم الإمام اشتغل - كذا - خاطره بذلك، وأمر باستدراك أمره واعتذر إليه فعاد، وتم بطاعته المراد. ولما استقر شرف الإسلام الحسن بن المتوكل[٤٥]، بتهامة بذل البيعة للإمام، وسار إليه فلما وصل الصّلبة لقيه أولاد النقيب سعيد الجزبي سائرين إليه بمرسوم من الإمام في أن يرد عليهم مراكب والدهم، فانقدح خاطره لذلك وعرج عن طريق الإمام إلى قصد الداعي وهو بشهارة فبايعه، ثم نزل إلى حبور، ثم أمره الداعي بالتوجه إلى مبين حجة ليكون رداً لمن بالصّلبة من أجناده فسار إليه، والإمام اتفق رأيه ورأي الأمير الهمام محمد بن أحمد بن الإمام القاسم على إيصال الشّحنة والخزاين ومدد الجند إلى خمر، ليكون منه مناقشة الحرب لمن بشهارة، وأضاف إلى الأمير أحمد بن محمد بلاد حفاش وملحان.

وأما من بقي بصعدة من أولاد شرف الدين الحسن بن المتوكل على الله، فإنه وصل بهم إلى شهارة فخر الدين عبد الله بن أحمد بن القاسم[2]، وصفا قطر الشام[3] لجمال الإسلام علي بن أحمد بن الإمام.

وفي غرة رجب غزا الشريف محمد بن علي الداعي من برط إلى أسفل بلاد الجوف، فانتبه له أهله فاتفق قتال ذهب فيه جماعة من أصحاب الداعي. وفي هذه الأيام انتشرت الجراد في عامة البلاد وأورثت فتناً بين القبائل بسبب أن كل بلد تدفعها عن الأموال إلى البلد الأخرى، ووصف بعض المؤرخين أنها أكلت طفلاً.

---

(١) إذانه: الأذن له بالدخول.

(٢) القاسم: (القسم).

(٣) يقصد المناطق الشمالية من اليمن (صعدة وعسير).

وفي سابع عشر رجب خرج الإمام من صنعاء الى الغراس، مظهر القصد الداعي وأمر بدار الضرب، وأرسل السيد علم الدّين القاسم بن أحمد بن الإمام إلى حضرة أخيه جمال الإسلام. وفي هذا الشهر توفي بوطنه الذنوب من بلاد حجة الأمير الخطير شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر، كان هذا السيّد من أمراء المؤيّد بالله، وولي منه بلاد رداع فاستمر على ذلك بدولة المتوكل على الله إلى أن رفعت يده بشرف الإسلام الحسين بن الحسن بن القاسم[1]، ولمّا عزل أقام بوطنه الذنوب تجنى إليه ثمرات أمواله مع ما إليه من الصّوافي التي كانت للأمير عبد الرحيم، كالحوضين تحت مبين، وحصل بينه وبين يافع فيما مضى معارك شديدة تفصيلها في غير هذا التاريخ.

وفي هذه الأيام وردت كتب الداعي الى عز الإسلام والى الأمير أحمد بن محمد بن الحسين، رسالة يبحث فيها عن أشياء تتعلق بالإمام، فوكل عز الإسلام الجواب الى الإمام فأجاب بما يشفي الصدور، ورأيت عدم إثبات الرسالتين ههنا لغرض صحيح.

وفي آخر رجب ظهرت رسالة السيد الإمام الداعي أحمد بن إبراهيم المؤيدي، يذكر فيها دعوته فشغل الناس عن النظر فيما يروم، إنتطاح هذين الجبلين القاهرين، والتطام هذين اللهامين الزاخرين، وهذا السيّد من بيت علم قديم، ومجدٍ صميم، وكان الحال يقتضى وفوده على الأئمة[2] فينزلونه منزلة الأكابر [٤٦]، من بيوتات العلم.

ولما عقد المؤيّد بالله محمد بن المتوكل على الله مجلس الدرس في الثمرات بضوران المحروس، صادف وفادته وحضوره مجلس القراءة، وكتب يومئذٍ بحضرة الإمام وممّن خص القراة، فرأيت للسيد شمس الإسلام شمائل تعبق منها أنفاس الزهد والورع، ولقد رأيته غير مرة يطيل البحث مع الإمام ثم تعتريه بعد ذلك

---

(١) القاسم: (القسم).
(٢) الأئمة: (الأيمة).

صفرة يقضي حدسي القول أن ذلك ندمٌ منه على وقوع ما يتجنب عنه من دقائق الرّيا المترحم عليها في مصنفات الديانة الباطنية كالإحياء لأبي حامد الغزالي، والتصفية للديلمي، والإرشاد للفقيه عبد الله بن زيد المدحجي، وقد حضر ذلك الدرس جماعة من أعيان علماء السادة والشيعة كالسيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم الجحافي، والقاضي محمد بن علي العنسي، أيام وفادته وغيرهما، وما رأيت الإمام ينزل غيره منزلته، وهو حقيق بذلك وفوقه.

وفي هذه الأيام اقتضى رأي الإمام إرجاع السُلطان مُنصر العولقي إلى بلاده، وجعلها في نظره بعد طول لبثه عند حي المتوكّل على الله، وعرّج عن طريق رداع الى طريق الجوف.

وفيها كان تجهيز شرف الدين، الحسين بن محمد بن أحمد إلى خمر لحفضه، وإرسال القاضي العارف جعفر بن علي بن تاج الدين الظفيري، إلى حضرة العلم الداعي، لأخذ حقيقة الأحوال، وروم الاجتماع وتعيين محلّه، ولم ينتظم مما سار له مرام، وحينئذٍ تحركت النفوس، وانقدح ضرام حرب البسوس، مع ما أسلفناه من ذكر ضعف البلاد، واستيعاب نباتها زاداً للجراد، ومن الألطاف الرّبانية، أن البحر المقابل للمخا نجّل بجلاب إلى اليمن من سواحل الحبشة لما بلغ أهلها من ارتفاع السعر فيه.

ولما استقر الحُسَين بخمر، بادر الداعي إلى إرسال عسكره إلى مبين حجة، وأمر سوق الطعامات - كذا - إلى شهارة وَفي عاشر شعبان خرج مقدّم الداعي، وأميره صارم الدين إبراهيم بن الحسن بن المؤيد بالله من محروس شهارة إلى ذيبين، وكان الإمام قد أمر الشيخ علي بن خليل الهمداني باللحوق - كذا - بالحسين بن محمد إلى خمر فعند أن بلغه خبر الصارم رجح نظره استدراك مسير الشيخ، واستئناف عدّة كاملة.

وفي عشرين منه جهّز الشيخ زيد خليل إلى عمران فانتهى إليه، وأمر عز الدين محمد بن أحمد أن يبادر بمثل ذلك من غير توان، وجهّز الأمير عبد الله بن

يحيى بن محمد بن الحسن إلى ذيبين، فانتهى إلى المقضّضة من بلاد الصّيد[1] واستقر بها، وكان الداعي أثناء ذلك قد جهّز إبن أخيه السيد شرف الدين، الحسن بن الحسين بن المؤيّد إلى العُرّة، وعز الإسلام محمد بن الإمام أرسل إلى ثلاء من يحفضه، وكان قد تخوف عليه من أهله لما رأى من ميلهم إلى الداعي، وتبع ذلك تجهيز الإمام لولده علي الى ثلاء [٤٧] ثم إلى لاعة والقصد من ذلك قبض بندر الصّلَبَة، وبلاد حجة، وتجهيز الأمير المصور، أحمد بن محمد بن الحسين إلى الصلبة، ثم التنبه على بلاد حفاش وملحان، فكانت طريقه الأهجر والمحويت، وكان أصحاب الداعي قد انتشروا في بلاد كوكبان. فتوجه لحفضها من حضرة الأمير الخطير عبد القادر بن الناصر، السيّد الرئيس صلاح بن يحيى بن أحمد الحمزي فانتهى الى مسور[2]، ولما علم به جند الداعي رجعوا من حيث جاءوا.

وأما الفخري، عبد الله بن أحمد بن القاسم فإنه لما وصل من صعدة إلى حضرة الداعي، انتظم في سلك من قال بإمامته، وبعكسه السيّد العلامة يحيى بن الحسين بن المؤيّد بالله، فإنه وصل حضرة الإمام وبايعه وشايعه، وفي العشر الأولى من هذا الشهر وصل علم الدين القاسم بن أحمد بن الإمام، من حضرة أخيه جمال الإسلام، إلى سوح الإمامة بمكتوب فيهِ جواب الرِسالة بالمولاة.

وفي ثالث رمضان سار عز الإسلام محمد بن الإمام إلى ضوران لتنفيذ وصايا والده، وافتقاد أحوال بيوته والإطلاع على خزنته لبيت المال، وضبطها إذ هو الوصي.

وفي هذه الأيام وصلت إلى صنعاء رسالة من السيد العلامة يحيى بن إبراهيم الجحافي، يحث فيها على اجتماع القلوب وينهى عن افتراق الكلمة ويلوح من

---

(١) بلاد الصيد: بالشرق من ريدة، وهم بطن من همدان من حاشد (اليمن الكبرى، ص١٧٨).

(٢) مسور: جبل يقع إلى الجنوب من مدينة حجة ويرتبط به جبال الشراقي ونجرة وعُولى والشغادرة. (اليمن الكبرى، ص١٠٠).

كلامه فيها أنه إذا أمكن انتصاب الداعيين، في دست الخلافة من غير فتنة فهو الأولى، والمسئلة خلافية.

واتفق أثناء ذلك عزم أهل الفضيرة[1] من بلاد خمر الى حضرة الداعي، وفهم الإمام منهم إرادة شق العصا مع السعي في إلتئام[2] الحال، فأدّبهم بنكاية وبمال.

وتعقب وصول هديّة سلطان حضرموت إلى الإمام وتسليم البيعة، وصول الشيخ جعفر الظفيري الى عز الإسلام بخزانة الإمام المتوكل على الله التي كانت باقيه بالسودة.

وفي سادس عشر رمضان افتتح الأمير أحمد بن محمد بن الحسين حفاش وملحان، ولم يتفق غير قتل واحد بسبب توزيع العسكر للضّيافَة..

مَعْرَكَةُ الصَّلَبَةِ -

وولد الإمام جمال الدين علي بن المهدي، لمّا وصل ثلا صعد القلعة وقرر أحوالها، ثم انتهى إلى الصلبة، وكان الأمير عبد القادر بن الناصر قد نزل إلى قُراضَة، فالتقى هو والأمير أحمد بن محمد بن الحسين، وقصد الجميع رتبة الداعي الذين بالصَّلَبَة وكان الداعي قد حَشَد إليها الجنود صحبة ولده علي، بعد أن وصل إلى حجة وصعد إلى حصن مبين ثم انتهى إلى البندر، وكان أوّل داخل بها من أمراء الإمام الأمير أحمد بن محمد فراسل الرتبة التي من قبل الداعي، ورئيسهم النقيب الصنديد أبو راوية صاحب ظليمة[٤٨]، فكان جوابه أن المولاة بأطراف الأسنة اللامعة وشفار السيوف القاطعة، خلى أن أهل الحيمة منهم وألواء الأمير أحمد، وأهل الشرف رجعوا إلى بلادهم، ورتب النقيب الظّليمي أصحابه في بيوت بني قطيل، ولمّا أيس الأمير أحمد عن مُسَالمتهم، قدم جريدةً من

---

(١) الفضيرة: كذا، وفي (أ) ورقة ١١٥ (الفصيرة).

(٢) التئام: (التيام).

أصحابه إلى جهة الرتبة، فصبوا عليهم ما في أجواف البنادق، وأطاروا إليهم شرار تلك الصّواعق، فأثخنوا جماعةً منهم بالجِراح، وأشعروهم أن تلك مقدّمة لضرب الصفاح، ثم اشتدت بينهم ريم الحرب، واتصل الرمي والطعن والضرب، من شروق الشمس إلى منتصف اليوم، واتصل بأصحاب الأمير أحمد بعد ذلك مدد الأميرين عبد القادر الحسام، وعلي بن الإمام وانضاف إليهم جماعة الأمير الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم، فاتفقت معركة عظماء وداهية صمّاء، خلص الأمر منها عن قتل ستة وثلاثين[1] رجلاً، منهم مقدم الداعي وهو أبو راوية المذكور، وفيهم من أصحاب الإمام نحو عشرة أنفار، وانتهبت العسكر سوق الصلبة وفيه أموال جسيمة لا تضبطها الأقلام حتى كسدت فيها تفاريق الهند بأيدي العسكر، وفي ذلك يقول الأمير المفوه شرف الدين الحسين بن عبد القادر.

إلى المخاضة فانهض للبزّ[2] واغنم كساده
من شاء تعوض منها فهي الخنا وزياده

وشرف الدين الحسين بن المتوكل على الله، وصل إلى صنعاء بجنوده في ثامن وعشرين، وانتهى إلى حضرة الإمام الغراس وعيّد الجميع بها.

خُرُوجُ الإمَامِ مِنَ الغِرَاسِ مُتَرَحِّلاً إلى جِهَاتِ شُهَارَةِ -

ثم نهض الإمام بعد العيد إلى محل يسمى الحماطي بالرحبة[3]، وضربت هنالك الخيام، وأشعر القُبُل[4] بالصدام فاجتمع له من بني حُشيش وبني الحارث ونهم وهمدان وذيبان وعيال عبد الله وغيرهم جمع وافر، وتقدّمه إلى صوب شهارة الأمير الحسين بن المتوكل على الله، واتفق عند خروجه وصول القاضي بدر

---

(١) ثلاثين: (ثلثين).
(٢) للبزّ: البزّ في اللهجة اليمنية يقصد به القماش.
(٣) الرحبة: شمال مدينة صنعاء.
(٤) القبل: جمع قبيلة.

الدين، محمد بن علي قيس، من حضرة علم الإسلام الداعي إلى حضرة الإمام يروم الصلح، وما كره أن ينخرط الإمام في متابعة الداعي الهمام، ولوّم فيما جرا من القتل والسلب في الصلبة.

ووصل بعد ذلك مشايخ حجة، يطلبون الأمان وكان الداعي قد أرسل إلى حجة فخر الدين، عبد الله بن أحمد بن القاسم، فانتهى إلى حورة[1]، وشوش على الذين دخلوا في بيعة الإمام.

وفي هذه الأيام جهّز الداعي أخاه أحمد إلى خمر، وفيها الحسين بن محمد بن أحمد فوصلها، ووقعت بينهما مراماه[2] منعت الحسين عن الماء فاضطره الحال إلى المصالحة، والخروج عنها إلى حَمْدة[3]، وكان والده [٤٩] عز الإسلام قد وجه إليه زيادة، فاجتمعوا بالحسين في طريقه راجعاً، ثم ارتحل الإمام، وصحبه عز الدين، محمد بن أحمد إلى ذيفان، وأقام وضرب هنالك الوطاق والخيام، وعند أن وصل إليه قابله أهل البون بالمدد والعون وانتظموا في زمرته وأهرعوا - كذا - إلى جُمعته، وعز الإسلام، محمد بن أحمد بن الإمام بادر بإرسال مادّة نافعة إلى صنوه الحسين، وهو يومئذٍ بحصن مبين. وفي أول شوال قهقر كيوان راجعاً من محاذاة الثريا إلى آخر الثور، ولا أقول صادفه بعد ذلك الحور[4] بعد الكور[5]، فالأمر إلى من عنده غيب السماوات والأرض وما بينهما في التصرف والدور.

وفي هذه الأيام بعث الإمام جماعة من الجند معهم رئيس، إلى رأس نقيل عجيب، وتقدم فيها الإمام إلى الماجلين وعزّز المكاتبة، والملاطفة مع أعيان الناس الذين بشهارة، وكان قد تقدّم منه الإرسال لهم بالإنعامات السنية من

---

(١) حورة: من ضواحي مدينة حجة. (هامش الإكليل، ج٢، ص٢٣٦).
(٢) مراماة: تبادل إطلاق النار.
(٣) حَمْدة: جنوبَ مدينة خمر، وغربي ريدة مباشرة.
(٤) الحور: النقصان والرجوع. (تاج العروس، م٣، ص٥٣٠).
(٥) الكور: الزيادة. (تاج العروس، م٣، ص٥٣٠).

الكسوة والدراهم، ولما رأى الإمام السيد العلامة يحيى بن الحسين بن المؤيد بمحل من السيادة والإستحقاق، وعنده جماعة يحتاجون إلى المادة مع ما هو بصدده أقطعه بلاد بريم، وأرسل علم الإسلام عليه السلام ولده علي بن القاسم إلى (الأمروخ) من بلاد الشرف، فشرع بعد الوصول في ترغيب عساكر الإمام في طاعة أبيه علم الإسلام، فوصلهم خلال ذلك مكتوب من عز الإسلام محمد بن المتوكل على الله، يخبرهم أنه قد أرسل أخاه الحسين إلى حضرة الداعي ليخوض بما فيه صلاح المسلمين، وأنهم ينتظرون عواقب الأمور المصلحة للدنيا والدين وكتب إليهم الإمام بمثل ذلك المرام.

وكان الإمام قد أرسل الشيخ الخياطي، إلى (وعيلة) طرف بلاد لاعة، فكتب إليه فخر الدين، عبد الله بن أحمد بن الإمام يتهدده إن لم يرجع، واستدعى الخياطي من الجمالي علي بن الإمام زيادة عسكر وكان يومئذٍ بنواحي الصلبة، فوصله مدد نافع سكن له الزعازع، وتعقب ذلك تقدم الشريف العظيم، يحيى بن إبراهيم الحمزي من حضرة الأمير عبد القادر إلى شهمة لاعة، وجعل الجميع صلحاً قدر خمس أيام آخرها يوم عاشر شوال حتى يصل تحقيق ما آل إليه الأمر بين الإمامين.

وفي هذه الأيام كان وقوف الشمس ورجوعها، وتفجرت عند ذلك الأنهار الخيرية، منها غيل وادي سعوان فانتفع به أهله إنتفاعاً تاماً. ولمّا بلغ مقادمة الداعي الذي بحجة إنتهاض الإمام قهقروا.

وفي عشرين من شوال سار فخر الدين عبد الله بن يحيى ملك اليمن محمد بن الحسن، والسيد المقدام صلاح بن محمد القاسمي بمن معهما من الأجناد من المقضّضة، إلى أطراف بلاد الصيدَ ولمّا استقر فخر الدين والسيّد صلاح بالعيانة، ودخلوا في صلاة الجمعة لم يشعروا [٥٠] إلاّ بجيش الصارم إبراهيم بن الحسين قد دهمهم بالبيارق، وتعقب بعد ذلك الرمي بالبنادق، فاتفقت هيعة عظيمة، وأخذ أصحاب الإمام مصافهم، ثم اجتلدوا بالسيوف واختلطوا، وانجلت المعركة عن

قتل رئيس من أصحاب الإمام، وتصوب[1] جماعة من عسكره، وقتل ستة أنفار من أصحاب الصارم، وكانت الكرة لأصحاب الإمام فإنهم هزموا القاصدين، حتى إلجاءوهم إلى الفرار إلى ذيبين بعد أن حجر بينهم الليل، وكان الإمام قد ندب في الليل غارة نافعة من الجند إلى مقام الرئيسين، فلمّا اجتمعوا بأصحابهم، واستنشقوا نسيم النُصرة قصدوا من في ذيبين فَصَبَّحوهم ثاني يوم القتال، وانخزل - كذا - بنو أسد عن أصحاب الصارم، عند أن لاح النصر لعسكر الإمام، فالتجأ الصارم بعد الإبلاء إلى التحيّز في البيوت، فشنّ عليه الواصلون أمزان البنادق، وكانت هناك فعلة عظيمة ومقتلة جسيمة، أكثر من أصيب بها من همدان، لتقدمهم في صف الجلاد والطعان، فالذّاهب منهم نحو الثلاثين[2] نفراً، ثم إن أصحاب الإمام جادوا بنفوسهم، وحملوا حملة رجل واحد حتى لصقوا بالبيوت وتسنموها، وقتلوا ممن في البلد نحو ثمانية أنفار ثم كفوا عنهم، ولم يجد الصارم بُداً من الإستسلام، والمخاطبة بأن يخرج إلى شهارة، فسار إليها حضرة علم الإسلام بعد أن انتهبت البلد، ثم أنه وصل أصحاب الإمام إليه بالأسارى، فأطلق وثاقهم ووهب لهم أعناقهم وردهم إلى مأمنهم.

وفي هذه الأيام توفي السيد المقدام، يحيى بن إبراهيم صاحب عارضة كوكبان بمنابر تهامة في محل يقال له الطرر[3] ممّا يلي جبال لاعة، وكان هناك أميراً على جند الأمير عبد القادر، ومات بموته جماعة هناك، وكان هذا السيّد بمحل من الرئاسة والشجاعة والنفاسة، ثم أن الإمام أرسل عسكراً إلى الكلبيين شرقي بلاد خمر، وسار من الماجلين، وكانت طريقه بين حمدة ونقيل عجيب، طالعاً إلى بلاد خمر، وكان صنو الداعي أحمد بن المؤيّد بالله قد وضع بالطريق الوسطى رتبة قوية وشدد على أهل وادعة في حفظ الأطراف فلم يشعر إلاّ بدخول الإمام

---

(١) تصوب: أصيبوا بجراح.

(٢) الثلاثين: (الثلثين).

(٣) الطرر: لعلها الطور التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة حجة وهي من أراضي تهامة التي تلي بلاد لاعة.

إلى بلد يشيع[1]، وانقشاع الرتبة التي في نقيل عجيب والرتبة التي فوق حمدة، واختلال حال أهل بلاد وادعة فلم يسعْهُ بعد ذلك إلاّ مواجهة الإمام والانقياد والإستسلام، وخرجت طليعة من عمران وأحاطوا برتبة المضلعة من خلفها ثم طلعوا إلى الهجر بني قطيل، وأشرفوا على رأس الجبل المطل على كحلان والمغارب فهرب بعض رتبة عرّة الأشمور، ثم واجهت المضلعة وبلاد كحلان [٥١] وغيرها من تلك الجهات إلى الأمام.

ووصل عز الإسلام محمد بن الإمام من ضوران إلى صنعاء في ثالث وعشرين من شوال، واستقر صنوه علي بمدينة ذمار، ولمّا عاد الآغا فرحان من شهارة أنفذه الإمام بإمارة الحج إلى البيت الحرام، وكان جهازه بمشارفة عز الإسلام، وفي أثناء ذلك وصل السيّد صفي الإسلام أحمد بن إبراهيم المؤيدي إلى حضرة الداعي ثم فارقه إلى بلاده وأضاف إليه ولاية جبل رازح.

وفي هذه الأيام كان نائب الحسن بن الإمام المتوكل على الله بن جلاء ببيت الفقيه الزيدية من تهامة معتزياً إلى الداعي، وكان الحبشي عند وصوله هناك قد خرج عن الضَّحِي، وسار إلى بيته بجبلة، فسارع بن جلاء إلى تحميل طعامات تهامة إلى شهارة فانتبه لقافلته جند الإمام الذين بالصّلبة فقصدوها وانتهبوها.

وفيها وصل الخبر بأن الهيائم في بلاد مشرق رداع دخلوا حصن دثينة وقتلوا من الرّتبة نفرين، أحدهما الشريف حسين بن عبد الله الهدوي، وظفروا بما فيه وكان الإمام قد أذن للشيخ الهيثمي في العزم إلى بلاده كما أسلفناه.

وفيها نزل بصنعاء ثلج عند رجوع الشمس أصبح على ساحات الأرض مبسوطاً كالملح المدقوق ويماع - كذا - إذا قوي سلطان الشمس، وقل ما يتفق نزوله بها وكثيراً ما يتفق بجبل قاهر حضور.

---

(١) بلديشيع: بلدة طيبة بها قصر أثري ومساند حميرية تقع إلى الشمال الغربي من ريدة. (هامش صفة جزيرة العرب، ص١١٣).

وفي عاشر ذي القعدة جاءت الأخبار بتقدم الإمام إلى جهة شهارة، فبات في غُربان ثم سار ثاني يومه إلى البطنة، ودخل وادي أقر المعروف ببيت القابعي، وأظهر بعد ذلك أنه لا بد له ولعلم الإسلام من إحدى خصلتين النزول من شهارة لاتحاد الأمر أو الطلوع إليه للمناجزة، ولمّا استقر في أقرّ تلاحق الجند المهدوي فبلغ سبعة الآف مقاتل.

وفي هذه الأيام بلغ الداعي توجّه أجناد الإمام الذين بالصلبة إلى الشاهل[1] مُقدّ لأخذ الشرف، فبادر بإرسال عصابة نافعة إليه فوصلوا ثَمّ، واتفق بسبب مَعّرة الجيش دخُول بُيوت الشاهل، وترويع من فيها ولم يسلم من ذلك إلاّ بيت السيّد العلامة يحيى بن أحمد الشرفي، ولمّا بلغ شرف الدين الحسين بن المتوكل على الله أن الإمام قد ضرب ببيت القابعي الخيام خرج من حصن مبين وسار إليه، وعلم الإسلام حين رأى أهل حبور وظليمة جنحوا إلى جانب الإمام رجح الوصول إلى حضرته الكريمة فوصل إلى بيت القابعي في ثاني عشر ذي القعدة وسكن في بيت والده، والإمام بوطاقه في الحدبة الشرقية التي هي قريب مصلى الجمعة وحين استقر ببيت والده [٥٢] وصل إليه الإمام عليه السلام، واتفق بينهما موقف لم يقض معه مرام، واتفقت بين أصحاب الداعيين مكالمة أفضى الأمر إلى إنتهاب بعض سوق علم الإسلام، ثم وقع بينهما الموقف الثاني في وطاق الإمام حضره أعيان الدولة القاسمية، مثل أحمد بن المؤيد بالله وأحمد بن المتوكل على الله، وحسين بن المتوكل على الله، وحسن بن المتوكل على الله، قال بعض قرابة الإمام وأشار فيه الداعي إلى المحاكمة، فأجاب الإمام أن هذا كان قبل الخصام وأما الآن فما فيه إلاّ أن يكون منك الوفاق، أو تقوم الحرب على ساق، وخاض الموقف عن مجرد مقاولة وامتهل الداعي وصنوه أحمد في فصل الحديث إلى عقيب عيد النحر.

وفي هذه الأيام خرج الداعي السيّد محمد بن علي الغرباني من برط، يؤم بلاد

---

(١) الشاهل: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة حجة.

نجران تخوفاً من الإمام، فلمّا وصل هناك أراد أمير الجهة الشريف أحمد الجوفي القبض عليه، فتدارك أمره الجماعة الذين صحبوه من برط ورجعوا به من حيث جاءوا، ثم إن علم الإسلام طلع إلى معمور شهارة بمن معه في حادي وعشرين ذي القعدة، وكان قد صلى الجمعة ببيت القابعي، وخطب كل من الداعيين لنفسه.

وفي هذه الأيام وصل إلى الإمام مدد الطعام من جمال الإسلام علي بن أحمد من صعدة، وكانت سالمة عمّا وقع في غيرها من الجدب والجراد. وفيها سار علي ابن الإمام المهدي من الصّلبة إلى الطور لمناجزة رتبة الداعي، وأميرهم إبن جلاء فصادفهم في الضحى، ولمّا علموا عدم القدرة استسلم أميرهم إبن جلاء، ثم طلب أن يكون طلاع الثنايا إلى بلاده فأذن له الجمالي، وسلم تلك البلاد أجمع. ثم أن الإمام أرسل السيد عبد الله بن المهدي الكبسي إلى علماء صنعاء أمراً لهم بالوصول للخوض مع أخيه الداعي فيما يصلح للمسلمين، فوصل منهم إليه القاضي العلامة إمام المعقول محمد بن إبراهيم السحولي، والقاضي العارف علي بن جابر الهبل، والقاضي العارف علي بن محمد الخياري، وكان الداعي قد أشار إلى حضور القاضي محمد بن علي قيس، والسيد يحيى بن أحمد الشرفي، والسيد يحيى والسيد إسماعيل إبني إبراهيم، فوصلوا إلى حضرته بشهارة في نصف ذي الحجة ما عدا السيد يحيى بن أحمد فأنه أناب ولده منابة وحبّر رسالة صحح فيها إمامة الداعي، وكان قد تكلم بذلك سابقاً وكتب إلى الإمام وتقضّى عن إجابة دعوته بسبق دعوة علم الإسلام واجتماع شرائط الإمامة فيه، واحتج على حرمة التأخّر عن إجابته بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجيبها كبّه على منخريه في جهنّم [٥٣]. وقد قيل في هذا الحديث أنه موضوع لا أصل له وليس له سند عليه تعويل، وبعض أصحابنا الهدوية[1] قد ذكره بسند مقطوع بناء على قبول المراسيل، والإشكال الأعظم يدخلها من قبيل رواية المجاهيل، كما أشار إلى ذلك الإمام الحجة محمد بن إبراهيم في التنقيح وكثير من مؤلفاته. ولمّا

---

(١) الهدوية: نسبة إلى الهادي يحيى بن الحسين.

اجتمعوا وقع خوض لم يفصل فيه حديث. والسيد أحمد بن إبراهيم صادف إنفصاله عن شهارة إستقلال الإمام ببيت القابعي، فرجح نظره المرور عليه، وأنزله الإمام بمنزلته من الإجلال والإعظام وعذره عن البيعة بعد تقدّم بيعة الداعي، وانفصل الأمر بينهما على نفوذ السيّد إلى بيته فسار إليه، ولمّا قرب محل الإمام ببيت القابعي من محل يصل إليه الرمي من شهارة، وقع من ذلك شيء إلى الوطاق، وكان قد سمع أكاليم - كذا - من سفاسف الناس الذين بشهارة فرجح النقلة عن محله إلى حيث يبعد عن ذلك.

وفي هذه الأيام جاءت الأخبار بخروج سلطان الرازبوت على سلطان مملكة الهند، الباطشاه أورنقزيب، وكان قد نصب مكايده للسلطان، واستفحل أمره في العتود والطغيان واشتعلت فتنته، وكادت أن تقوى صولته، فنصر الله ألوية الحق عليه، وعاد ما نواه من شره إليه، فوهن أمره واضمحل شره.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف -

في أول يوم منها كان قران المشتري والزهرة في برج الدّلو، وارتفعت الزهرة عليه. وفي نصف الشهر انتقل الإمام من شرقي شهارة إلى حاشف جنوبيها. وفي تاسع محرّم كان تحول السنة بدخول الشمس أول درجة في الحمل، وكان زحل في الجوزاء راجعاً، والمشتري والمريخ والزهرة بالدلو، والذنب والرأس والقمر بالعقرب، كل هذا بحساب المتؤخرين - كذا - . وفي خامس وعشرين وصل أوائل حاج اليمن وأخبروا بخروج المحمل الشامي من مصر أو الأبواب وفي صحبته إبن الشريف بركات ومعه إنعامات على والده، منها الخلعة وتقرير الولاية.

حَرْبُ الأَبْرَقِ -

وفي ثالث صفر بلغ الخبر إلى صنعاء المحميّة بالله أن علم الإسلام ندب للصدام، بطريقه أميره المقدّم، وهزبره الغشمشم، إبراهيم بن الحسين بن المؤيد بالله، فتقدم إلى مساقط الأهنوم، وبلغ الأبرق ما بين الأهنوم وظليمة فوق سوق

الثلوث، فَوجَّـهَ إليْه الإمام للسرعة لهاميم الحرب وشطار الطعن والضرب، وكان من الصارم الرجوع من محله إلى بعض القرى، وكان الإمام قد استدعى من الصلبة [٥٤] الأمير أحمد بن محمد بن الحسين، وأما عمه ملاعب الأسنّة والصوارم، والأسد الكاشر الضُبَارم، فكان بحضرته وكان ممّن حضر حرب الأبرق وأبان فيه عن بسالة عنترية وفتكات حيدرية.

ثم اتفق الحرب الشديد بين أجناد الصارم، وعساكر الإمام فكانت الدائرة على أصحاب إبراهيم، وقتل منهم نحو الخمسين، وأسر جماعة منهم واستأسر بعد ذلك، وتعقب ذلك خراب لبيوت جماعة من أهل القرى المحيطة بمحل الإمام بسبب الرمي الذي كان يُدرك من حولي تلك البيوت، وكان من علم الإسلام بعد ذلك مطالعة حضرة الإمام بمكتوب يتضمن الجنوح إلى التسليم، ومعه مكتوب من الأمير أحمد بن المتوكل على الله، وقد كان يلوح من أحواله الميل إلى جانب الإمام من قبل، وإنمّا راعى مقتضيات أحوال بالتأني، ثم وصل إلى صنعاء الشريف صالح بن عقبات بالأسراء وفيهم الصارم.

ثم إن الداعي عليه السلام استدعى السيد ضياء الدين زيد بن علي جحاف إلى محروسة شهارة ليلقي إليه ما في خاطره ويرفع إلى الإمام ما لا يستودعه عنه غيره فطلع إليه، وأمر عند ذلك بارتفاع رتب بلاد حجة وكحلان أشعاراً بالميل إلى الوفاق ولله الحمد.

وفي أثناء هذه المدة نفذ الأمير علي بن الإمام المهدي لدين الله مؤمراً ومجهزاً لحفظ أطراف البلاد، وباحثاً عمّا كان قد ذكر عن أخيه العزي محمد بن أمير المؤمنين من موالاة الداعي علم الإسلام.

وكانت هذه الفعلة مظهراً عظيماً، لفخر الثلاث القبائل، بني حُشيش، وبني الحارث، وهمدان، فإنهم تسنموا الجبال قاصدين للمنازلة، بعد أن حكم عليهم أجناد الصّارم، من الأماكن الشاهقة، واتبعوا الرمي بالبنادق إرسال الحجارة عليهم من أعلى إلى أسفل مع بسالة أهل الأهنوم، وجودة رميهم وقيامهم مع

الداعي بالقلب والقالب، خلى أنه كان العجب قد داخلهم وغضوا من جانب أصحاب الإمام، والذاهب في هذه الملاحم أعظمها وقعة ذيبين، والصلبة، والأبرق، نحو المائتين، وكان الأمير أحمد بن المؤيّد بالله صنو الداعي أخذاً بالأحوط، وناظراً في آخر الأمر، فعند أن ظهر جانب الإمام بالإستيلاء على الصارم المقدام بادر مبايعاً، وأقبل مشايعاً، ونزل علم الإسلام عن حصنه المنيع، وقدره الرفيع، إلى حضرة أخيه الإمام، ووقفا على قدر من الإتفاق، تنحسم به مادة الشقاق، وتُرغم به أنوف أهل البغضاء والنفاق، ووضع الإمام رسمه في إقطاع جانب من الشرفين، وعاد وقد [٥٥] رزق التخفيف، وأطراح جلباب التكليف، وثلجت بذلك صدور، وسكنت أفئدة وصلحت أمور، وكان قبل ذلك محرضاً للإمام الشيخ إبراهيم الهندي.

هَـل الرُسل الأذابِلُ غـرابُ وَهَل غيرَ بيض المُرهفَاتِ كتابُ
وهل خاطبٌ إلاّ على منبر الطلى غراراه فصـل واضح وخطابُ
صحيفـة ماضٍ لا صحيفة راقم تلاها وهل يتلوا السيوف قرابُ
أجبهـا أمـير المؤمنـين وأفتها فقـد سألـت والمشرفي جوابُ
ترى ما عسى الأقوام يبغون دونما دعوت إليـه إن ذا لعجـابُ
هـل القصد إلاّ أن تقام شريعة وتأمن سبـل للهـدى وشعـابُ
وهـل غـير فرقـان النبي محمد وسنتـه الغرا فـأين ذهـابُ
ترا وجبت بالنص فيهم لقاسمٍ وفرط إجتهـاد عند ذاك يجابُ
بـلى دون ما ظنّوه كلّ تنوفةٍ[١] سمالـق[٢] لم تصل بهن ذبـابُ
هـل البرّ إلاّ أنّهم وسّعوا به مسالـك ما يرجون منه فخابوا
وأطروا بـه إطراً غـير مشرّع وما ليس يرضي الشرع فهو سبابُ
عـلى أنّـه الحبر الخشوع تعبُداً أمن بعـد محراب يقال حِرابُ

(١) تنوفة: جمعها تنائف: البرّيّة لا ماء فيها ولا أنيس. (المنجد، ص٦٦).
(٢) سمالق: مفردها سملق: القاع الصفصف (المنجد، ص٣٥٢).

لقـد خدعوه واستلانوا قناتـه ... ومـال بـه عيٌّ لهم وشيَـابُ
وقـد يُخدع الحرّ الكريم سجيّة ... إذا روعتــه أسرة وصحـابُ
دعوه إلى الدنيـا بما يظهرونه ... إلى طلب الأخرى وذاك كذابُ
وهل عند من يرجوا رضى الله فتنة ... تُثـار وهـل إلاّ إليه إيابُ
فحقّق ذوي التقميص يا قاسم العُلى ... فــثم ذئـاب فوقهن ثيـابُ
أجلك قدراً أن تصيخ لرأيهم ... فقـد وقدت حربٌ وثار شهابُ
لقـد حسنوا أمر التفرق فيـكمُ ... وحالوا بينهما.. وخابوا[1]
وشقوا عصى الإسلام والدين جامع ... وأنتم عـلى شرع النبي صلابُ
وقـد رقش الأقوال منهم عصابة ... ولله دين مـا عليـه حجـابُ
أعـد نظراً في أمرهم متيقضاً ... تجد قيعة فيها الخليج سرابُ[٥٦]
فيـا أيُّها المهدي الإمام أصخ لها ... فما بعدهـا للناصحـين خطـابُ
واحرص عـلى هذى الخلافة أنها ... العروس وما غير الدّماء خضَابُ
فيا طالمـا[2] حاولت حقن دمائهم ... ولكن رؤوسٌ أينَعَـتْ ورقـابُ
تراموا عـلى حب الرّئاسة غرة ... وثَمّ موام دونهـــا وهضـــابُ
مهالك لم يصحب بها الذّئب نفسه ... ولا طـار فيهـا بالجناح غُرابُ
بـه حاولوا نيـل المزايا وأمّلوا ... مراتـــب من دنياهم فأرابوا
ولو أنهم أمّوا إليـك لأدركوا ... جوامـع مـا يبغونـه وأصَابُوا
ومُلكوا الدنيـا لديك وأحرزوا ... بطاعتـك الأخرى وصحّ مثابُ
دعوتهمُ نحو الهدايـــة مشفقـاً ... عليهم ومـاء الودُّ ليس يشابُ
فظنوك سلماً عند ذاك وَمَا دَرَوا ... روابـض أسد تتقـا وتُهـابُ
ألا فادعهم بالمرهفـات معاتبـاً ... فما غيرهـا للمارقـين خطـابُ
على السيف أسس ما بنيت فكلما ... أشدت عـلى أس الوداد خرابُ
دعى المصطفى دهراً بمكة لم يجب ... وقـد لان منه جانبٌ وخطابُ

---

(١) كذا، وفي (أ) ورقة ١١٨، أما (ب) فيضيف بعد بينهما «البوار» ورقة ١٢٠.

(٢) طالما: (طال ما).

وقالوا لـه أمّـا خوارق آيـة فسحرٌ وأمّا ما تـلى فكذابُ
فَلمَّا دَعَى والسَّيف صلتٌ بكفه بـــه آمنوا واستسلموا وأنابوا
عـلى النّصر خيل الله سَيّر رعيلها وجهّز جنود الحـق حيث تثابُ
وسَيّر ذوي الرايات أعلام حاشِدٍ فهيهـات أن ينسدّ دونك بابُ
وصـل ببكيل فتية الحرب إنهم على الحقّ غضبا والليوث غضابُ
بهم فـارم عرنـين الجبال فإنّهم عرانـين أسد ماجـدون نجـابُ
إمـام الهدى أحرز ذيول جيوشها همام لـه السيـف المشطب نابُ
أبا حسن ضخم الدسيعة[1] من له مضـاءٌ إلى مـا يبتغي وغلابُ
محمـــد الريَّـــال صفوة أحمد أبي طالـب من لم ترعه صعابُ
واعقد لواء النّصر والطّير عكّفٌ كـلا خافقيها في المكرّ عقـابُ
إذا قدحت شهب الفوارس والظبا جاراً وقد أورى الزناد ضرابُ [٥٧]
هنالـك تلق الحق أبلج واضحاً وللشمس من نسج العجاج نقابُ
فصـل ببني العم الذين دعوتهم بداعيك في دين الهدى فأجابوا
ولم تقـد الدنيـا خرائم عيسهم ولكن طابوا مشرعـاً فأطابوا
من الصّفوة إسماعيل قُدس سره لهم جيئـة نحو التقـى وذهابُ
وحسبـك عز المكرمات محمد[2] فـتى ليس للدنيـا لديه حِسابُ
عـلى أنـه قـاضٍ بما يستحـق إلى الـدين منها لم يرعه مصابُ
وصـل بعليّ[3] منهم تلق سيداً لـه نهج ملك في الفخار صوابُ
هو الخاطب المنطيق ذو القلم الذي كمرهفـه البتّـار ليس يعـابُ
ببـأسٍ يقدّ الصّلب عند نفوذه. وجيش لـه موج الحتوف شرابُ
وعجّم حُسيناً[4] تلق قدح كنانة ينـال بـه مرمى العُلى ويصَابُ

---

(١) ضخم الدسيعة: كثير العطية، وسميت دسيعة لدفع المعطي إياها بمرة واحدة (تاج العروس، م٥، ص٣٢٧).

(٢) محمد: هو المؤيّد بالله بن المتوكل على الله. (هامش المخطوط، وكذلك في هامش (أ) ورقة ١١٩).

(٣) بعليّ: علي بن المتوكل على الله (نفس الهامش).

(٤) حسيناً: حسين بن المتوكل على الله (نفس الهامش).

هو الأسد المقدام عند مصاله ... ولكن عند النّوال عبابُ
سرا وهلال العيد يهدي طرفه ... من التبر سِرْجاً والسمّاك ركابُ
جوادٌ كان الشهب منها قلائدٌ ... عليه ومن جنح الظّلام إهابُ
ولا تنس منهم أحمد[1] بشهارة ... فذلك طود شامخٌ وهِضابُ
هو المرهف الماضي الفرار وإنّما ... حواه من العلم الرّسوخ قِرابُ
ولله من آل الحسين بن قاسم ... موارد في الدين الحنيف عذابُ
وحسبك منهم أحمد بن محمّد[2] ... له نسبٌ في المكرمات قرابُ
له العسكر الجر المتين ببطشه ... سعيراً بقطر العرب منه لهابُ
يسابق عيد الفطر بالنحر ذابحاً ... كباش العدا مذ ناوشوه ونابوا
أطاعتك أكناف الأقاليم عزيدٍ ... فما حجر في هنوم وترابُ
وأرجو لأبناء المؤيّد فيئة ... تكون لهم نحو السّداد مثابُ
ولا تنس يحيى بن الحُسين فإنه ... هو البدر إن قلنا سواه شهابُ
وصل ببني القادات من آل هاشم ... بسيف يروع الليث منه ذبابُ
أجل وبنيك الشامخين سيادة ... لها فوق أفلاك النجوم قبابُ [٥٨]
وناهيك سيف الله منهم محمّد[3] ... هزبرٌ له السيف المشطّب نابُ
يحاذره المريخ بأساً وسطوةً ... بها نوب الدهر الخؤون تنابُ
وهل للحسين[4] القسورى منابذٌ ... وشم الصياصي من سطاة تذابُ
هزبرٌ له كهف الإمامة غابة ... وفي كل قطر من يديه سحابُ
ورع بعليّ ما قذفت من الورى ... ففيه لأقيال الجبال عذابُ
يصرّف رمحاً للطعان كأنّه ... إذا مار في موج الدَلاَّص[5] حبابُ

---

(١) أحمد: أحمد بن المتوكل على الله (نفس هامش المخطوط، وفي هامش (أ) ورقة ١١٩).

(٢) أحمد بن محمد: أحمد بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم المدعو بحجر عتر (هامش المخطوط، وفي هامش (أ) ورقة ١١٩ يقف عند الإمام القاسم فقط).

(٣) محمد: وهو المهدي محمد بن المهدي (هامش (أ) ورقة ١١٩).

(٤) للحسين: هو العابد الراهب الحسين بن المهدي (نفس الهامش (أ)).

(٥) الدلاص: اللين الأملس (المنجد، ص٢٢٢).

هو البـاز طوراً والغضنفر تارةً   تضل لديه الأسد وهي سقابُ[١]

إليـك أمـير المؤمنـين مغـذّة[٢]   لهـا بين مصر والصعيد ركابُ

وقـد ثقفت من نبع عزمك أسهماً   لهن بأثنـــاء العراق جعـــابُ

ومـا خَصَّصَتْ ترويعها بشهارة   فـكم دار منها في الثغور لعابُ

مزايـاك هالتهـا لفرط ظهورها   وهـل يحمل البحر الخضم رُبابُ

فدُم وأمر الأسياف تعمل بحكمها   فقـد طال أعنات وطار عتابُ

وفي هذه الأيام ظهر وقت السحر نجم له شعاع من قدامه[٣] قدر نصف ذراع من مجر الثريا ومكان طلوعها، بقي كذلك قدر ثلاث أيام ثم اضمحل.

ثم سار الإمام بعد ذلك إلى محل يقال له قرن الوعر، متوجّهاً في الباطن إلى صعدة الشّام، فسارع إليه قبائل العصيمات مواجهين، ثم سار إلى الفقم من العمشيّة فاستقر به قدر نصف شهر، ثم سار إلى بركة مداعس وسكن بعض أيام، وأخذ فيها على سفيان تأمين الطرق، وأحسن إلى أكابرهم ووعدهم بالمعتاد، ثم سار متوجهاً إلى صعدة، فلمّا وصل إلى العيون وكان قد ضرب له الوطاق برحبان ، اليوم الأول تقدم إليه أمير الشام جمال الدين، علي بن أحمد مهنئاً ومواليا بمن معه من الأعيان، ثم تقدم إلى رحبان، ودخل بعد ذلك صعدة لصلاة[٥] الجمعة وعاد إلى رحبان، ووصلت إليه قبائل صعدة من كل أوب، وكان استقراره برحبان في نصف ربيع الأول.

وفي هذه الأيام جهز الإمام الفقيه أمير الدين القرشي، إلى تهامة وأمره بإصلاح الطرقات، والموارد وانتهى إلى صبيا وتوفي هناك، وكان قد ولي

---

(١) سقاب: بعيدة (المنجد، ص٣٣٩).

(٢) مغذة: سيراً سريعاً.

(٣) قدامه: أمامه.

(٤) برحبان: وادي يقع الى الجنوب من مدينة صعدة.

(٥) لصلاة: (لصلوة).

للمتوكل على الله بالشّحر وعدن، وعمر فيه قريب الساحل مسجداً بإسطونتين وثلاثة[1] عقود. قالوا وكان الإمام قد كتب إلى البلاد [٥٩] النجدية، وشريف مكة بركات في شأن إجابة دعوته وأن له نيّة في الدخول إلى مكة، والتجاوز إلى غيرها من بلاد السلطان، فأجابه بما حاصله إني واحدٌ منكم يا أهل اليمن، وعلى الرحب والسلامة، خلى أن الذي نقله الواصلون من حضرة صاحب التخت أنه هذه المدة بزيادة القوة، وزيادة البسطة، وهو الآن ساكت عن هذه الأقطار اليمنيّة، ومع حركتكم الميمونة يرفع إليه ذلك على كفّ الرّياح، وتطير إليه به أعيانه بلا جناح، فدونكم ما يتفق بعد ذلك بينكم وبينه.

وما أنا من غُزّية إن غوت   غويتُ وإن ترشد غُزيَة أرشَدُ

فعرّج الإمام عن ذلك الرأي، وَصَمَدَ إلى إفتقاد خاصّة اليمن، واشتدت الأزمة هذا الوقت، سيما في اليمن الأسفل فإنها خلت فيه عن سكانها قرى من الجوع.

قال بعض آل القاسم[2]، أخبرني رجل أنه دخل بيتاً فوجد فيه سبعة موتى، ثم دخل بيتاً آخر فوجد فيه رجلاً به آخر رمق، وإمرأة ميتة وطفلاً يرضعها فاستعبر ذلك الداخل، وحمل الطفل إلى راعي غنم يرضعه منها ثم بادر هارباً من تلك الأماكن. وكان جمال الإسلام علي بن المتوكل على الله قد سار إلى إب، فشاهد من تلك الأزمة ما يوجب العود فعاد إلى ذَمار، وَفي جمادى الأولى مات بيفرس الأمير جمال الدين، علي بن المهدى لدين الله، ودفن بجوار النقيب علي.

وفي هذا[3] الوقت عاد محمد بن أحمد بن القاسم من خمر إلى عمران، وفتح هنالك دار الضرب، فكاد سليقه إلى ما يعتاده أهل السُّنتين وغيرهم من التشبيه فتغير لذلك خاطر عز الإسلام محمد بن المتوكل على الله.

---

(١) ثلاثة: (ثلثه).

(٢) القاسم: (القسم).

(٣) هذا: (هذى).

ثم أن الإمام إنقلب راجعاً إلى بلدة عيان في شعبان واستقر بها رمضان الكريم.|وفي هذه المدة تناوشت الأيدي بلاد يريم، وصار التطلع إليها من جماعة لا تبرح ولا تُريم، وكان الإمام قد وَجَهّها كما سَبَق إلى السيّد العارف، يحيى بن الحسين بن المؤيّد، فاشترك في مد اليد إليها شرف الإسلام الحسين بن الحسن، وجمال الدين، علي بن المتوكل، وأخوة شرف الدين الحسين بن المتوكل.

وفي غرة شعبان برز أمر الإمام إلى العزّ، محمد بن المتوكل على الله في إجلاء اليهود، وخراب كنائسهم، فخاض بعد الأمر في ذلك مع علماء صنعاء في شأنهم، وجنح إلى رأي الإمام منهم القاضي محمد بن علي قيس الثلائي، ومعه في ذلك القاضي محمد بن إبراهيم، والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ونقل ذلك عن القاضي زكريا من علماء الشافعية، قال بعضهم ولم يوجد ذلك [٦٠] في مؤلفاته والإستناد في ذلك إلى الحديث الذي كان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه أخرجوا اليهود من جزيرة العرب على ظاهره، وجنح جماعة من علماء الوقت إلى ما اتفق من الصدر الأول، من إجلائهم عن الحجاز فقط، وعدم التعرض لمن في غيره من سائر بلدان الجزيرة بمثابة الحكم وهو لا ينقض إلاّ بعلمي، لأن المسئلة من المضطربات الإجتهادية وهو من باب إطلاق إسم الكل على الجزء مجازاً.

قلت وأما الإنتصار له بما أخرجه البيهقي، أخرجوا اليهود من الحجاز فلا يفيد لأنه يكون شبيهاً بالتخصيص بموافق العام، وهو مذهبٌ مطّرح، وإنّما قلت أنه شبيه به ولم يكن عينه، لأن مجموع لفظ جزيرة العرب المضاف والمضاف إليه عبارة عن تلك الأماكن المحدودة، وهو بهذا الإعتبار ليس من صيغ العموم المعروفة، وإذا كان مجرّد إضافة جزيرة إلى العرب عند عدم ملاحظة العلمية، عموم إضافة الجنس إلى المعرفة، وفي تعريف العرب عومٌ آخر لكنه غير ملحوظ، وضابط أماكن جزيرة العرب قولي.

جزيرة العرب العربـا يشملهـا قولي الـذي مـا به نقدٌ لمنتقد
فالطول من يمن يـا ذا الذكاء إلى ريف العراق فلا تنقص ولا تزد

والعرض من ساحل يعزا لجُدتهم إلى الشام رواه العالم الصَّفَدي(١)

والقول بأن المراد بجزيرة العرب الحجاز، في الحديث أطبق عليه ما عدا المالكيّة، من أهل المذاهب الأربعة . فبادر الإمام إلى هدم ما وجده في بلاد البون، من الكنائس، ولمّا جزم الأمر سفّرهم الإمام إلى موزع فهلك منهم عالم، ثم بعد زمان عادوا إلى أماكنهم، وقد بيع أكثرها فاختير ليهود صنعاء محلهم المعروف اليوم من قاع صنعاء.

وفي هذه الأيام انقطع إلى الله الفقيه العارف أحمد بن عبد الله الجربي، نفع الله بسره، وترك علائق الإشتغال بالدنيا وسعى في خويصة نفسه من إحياء مجموع أوقاته بالنسك والتفكر الصّادق في أمر الآخرة مع شمائل عنبرية، وأخلاق نبوية، من الإيثار على النفس، وتفقد أحوال ضعفة المسلمين إلى أبواب بيوتهم بقد طاقته، واستمر حاله كذلك، وانفرد بسلوك هذه المسالك، وقد كان درس من فروع الزيدية في شرح الأزهار، والتذكرة وغيرها.

وفي ثاني شوال مات الشريف محمد بن عبد الله بن عامر، بقصر صنعاء وله مشارفة على بعض العلميات، سيما في العقائد على مذهب المحترقة من الشيعة رحمه الله، وكان مسكنه الدار التي فوق باب القصر [٦١] الخارج التي كانت بدولة الأتراك لعلي آغا، وفي تاسع عشر شوال مات الشريف العلامة عز الدين بن علي ابن فخر الدين بن حسن بن علي العبالي، بمدينة صَنعَاء، وكان متظلعاً من فنون العربية، سهل الأخلاق، لطيف البحث مع الطلبة سلس القياد، أخبرني شيخنا العلامة علي بن يحيى البرطي حفظه الله، أنه قرأ عليه من ليس عنده كل التمييز، وكان يقول للسيد في الجليات هذا مشكل، والسيّد يريد إقناعه، لما عرف

---

(١) الصفدي: هو خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين (٦٩٦-٧٦٤هـ/ ١٢٩٦-١٣٦٣م) أديب ومؤرخ كثير التصانيف، ولد بصفد من فلسطين ودرس بدمشق؛ وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، وله زهاء مئتي مصنف، كما له شعر فيه رقة وصنعة (الأعلام، ج٢، ص٣٦٤-٣٦٥).

أن إرشاده إلى وجه الصواب غير ممكن، فيقول له عقيب ذلك: وأنا أسمع أن هنا إشكالاً، ويريد بذلك أنه سمع من ذلك التلميذ فيقع بمجرد ذلك، ويسرد بقية الكلام.

وفي هذه المدة مات الفقيه الأديب يحيى بن حسين الحيمي بعيان، حضرة الإمام بصكّة[1]، وقعت في جبهته من جهة فرسه عند رفع عنانه، وكان مفوهاً وله في الإمام وغيره غرر من القصائد. وفي ذي القعدة ظهر نور بمسجد النهرين من صنعاء، وكان قد ظهر قبل ذلك.

وفي العاشر منه اقترن المشتري والزهرة في الدلو. وفي هذه الأيام وصل على يدي بعض الأعراب إلى صنعاء، مصنف العلامة بهاء الدين العاملي، المسمي الزبدة وتناقلته أيدي الباحثين، واختلفت العناية به على قدر العقائد، والكتاب من التحقيق في أصول الإمامية بمحل رفيع، وآثاره تقضي له بالتقدم في جميع الفنون، وله في النظم اليد الطولى، وينسب إليه شيء من الخوارق الدالة على تصرفه في طريقة الحرف، وقد طغى عليه قلم الخُفاجي في ريحانته على ما هو دأبه في كثير من الأفاضل. وفيها سار الإمام من عيان إلى الغراس، فوصل إليه مستهل ذي الحجة. وفي هذه الأيام عرضت مناقشة الفقيه العلامة الحسن بن محمد المغربي، للإستدلال على إجماع العترة، بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[2] الآية، وأجاب عنه جماعة من العصريين منهم السيد العلامة يحيى بن إبراهيم الجحافي. وفيها وردت رسالة السيد محمّد بن علي الغرباني إلى صنعاء، يتكلم فيها على استحقاقه الخلافة، وإلزام الناس النظر في أمره، واستجماعه شرائط الإمامة، وعقبها بأبيات بليغة منها.

يا أيها الناس فاسمعوا إياي ... سماع خاشٍ لربه حَاذِرُ
ها قد دعى خمسة وكُلّهم ... قد أدعى أن سهمه القَامِرُ

(١) بصكة: بضربة شديدة (المنجد، ص٤٣٠).
(٢) من سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

والرسالة والأبيات مثبتة بكمالها في غير هذا التوقيع، ومنعني عن إيداعها فيه ما رأيت فيها ممّا يكلم ويُثلم، أسبل الله على الجيمع ثوب ستره، وقيد قلوبنا المستعصبة [٦٢] - كذا - بسلاسل قهره. وفي هذا الشهر توفي الشريف الخطير الحسن الحرّه الذي كان نائباً بعدن، وفي غرة ذي الحجة جاء الخبر إلى صنعاء باتفاق أمرٍ عظيم، وحادث في الحرم مُقعد مُقيم، وهو التلطيخ بالنجاسة لجُدر الكعبة المشرفة، وبابها وأركانها، ومطافها وزمزم، ومقام إبراهيم عليه السلام، وسائر المقامات فوقع الوهم، في ذلك على ستة أنفار من العجم، ففتك بهم الإنقشارية - كذا - للفور، ولا يظن بهم ذلك إلاّ أن يكونوا من القرامطة فهم فرقة من رافضة العجم، والله أعلم بحقيقة الحال.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْف -

في غرة محرم جاءت الأخبار بصلاح شأن الحج وأمر السلطان الشريف بركات بالخروج بأهله عن مكة، لافتقاد أحوال عنزة، ووفاة الوزير الأعظم، وكان الشيخ محمد بن سليمان بمكة نائب المعاليم من قبل الوزير فعند توجه الوزارة إلى غيره فارق مكة المشرفة إلى المدينة النبوية. وفيه طلع إلى حضرة الإمام نائب العدين، السيد رضي الدين جعفر بن المطهر الجرموزي، وقدّم بين يدي وصوله ثمانين جملاً، ولم ينفصل إلى بلد ولايته بسرعة لشكوى وقعت من أهل البلاد.

وفي سادس وعشرين منه وقت الغروب، توفي الأمير المقدام بدر الدين محمد بن أحمد بن الإمام المنصور بالله عليه السلام، بروضة حاتم من بلاد ولايته، ودفن عند جامعها الذي من مآثر والده، وكان له عناية في العدل وإطعام الطعام، وحفظ التاريخ مع برارة وجدادة رحمه الله.

وكان تحويل السنة بدخول الشمس أول الحمل في تاسع وعشرين، والمريخ والمشتري وزحل بالجوزاء، والقمر وعطارد بالحمل. وفي هذه الأيام انهمك أهل العصيمات وسفيان ودهمة في التخطف بطريق العَمَشية، وكان قد سبق آخر هذا

العام الماضي من إبن الدمينة وغيره مثل ذلك، واتصل ذلك ببلاد البطنات وأطراف عذر وحول شهارة، وفي نصف صفر نزل من نقم السيل العظيم فدفن الغيل غيل الروضة الذي يخرج من الصّفاء، وسائر الغيول وأخرب عدة من بيوت شعوب وغيرها.

وفي هذا الشهر حصل الشجار بين أهل الديون ومن تعلقت بذممهم، وطلبوا مع تعذر النّقد، وإمكان غيره أن تقطع لهم المنقولات والعقارات، ووقع تنازع بحضرة الإمام، فأمر بإنظارهم الى غلة أموالهم، وكأنّه فهم التعنت في صفة القضاء، وتهزّل ما في أيدي المدينين من العقارات وغيرها، وعدم انفصال الأمر على تلك الصفة مع ما ذكره الواحدي عن الكلبي بعد نزول [٦٣] آية الربا أنها قالت بنو عمر وابن عمير، لبني المغيرة هاتوا رؤوس أموالنا ولكن الرّبا ندعه لكم، فقالت بنو المغيرة نحن اليوم أهل عسر، فأخروا لنا الى أن نُدرك الثمن، فأبوا أن يؤخروها، وأنزل الله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسُرة﴾، وقد نوقش هذا بضعف الكلبي في الرواية، وبأن الدليل يقضي بأن الواجب أخذ ما في أيديهم من غير النقد المعدوم، وهو ما رواه الحاكم، والدارقطني والبيهقي عن أُبي بن كعب بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه ونحوه، وهو الذي في المنهاج للنووي، وادّعا صاحب البحر الزخار، وغيره أنه إجماع، وإلى هذا جنح القاضي محمد بن علي قيس الثلائي، وكان قد ألزم من عليهم الديون، وكأنّه وقع منه ذلك بطريق اللهج والحدة التي قد ورد في الحديث أنها تعتري خيار الأمّة، فأوقع في خاطر الإمام عند إرادة التغليظ، فبرز الأمر بعزله عن القضاء.

وفي هذا الشهر منع الإمام من إطلاع التّتن(١) من اليمن الأسفل الى هذه البلاد العليا. وفي سادس عشر ربيع الأوّل طلع القمر خاسفاً في برج العقرب بحمرة طمست جرمه وتعقبها سواد، وفي سابع عشر اقترن الزهرة والمريخ في

---

(١) التتن: التبغ.

الحمل . وفي هذه الأيام جمع عز الإسلام كتب والده المتوكل على الله فحصلت الى قدر ثلاثة[1] عشر ألف كتاب ، وفي ربيع الثاني أبطل عز الإسلام قبال الأسواق بصنعاء اليمن ، وقد خرج الإمام الى شرع بالرّحبة مما يلي الخشب فبات فيه وأمر حال الخروج ، بإحراق ما وجد من التتن وكسر آلاته ، فغيّبه أهل صنعاء عن الأسواق ، حتى بيع في القراطيس ، وغنى بذلك المفاليس[2] . وفي منتصف الشهر مات بصنعاء حكيم اليمن محمد بن صالح ، وقد سلف له ذكر في الجزء الأول . وفي هذه الأيام أمر الإمام صاحب دار الضرب أن يجعل ضربه من الذهب الأحمر ، في قدر الدرهم ومن ضربة الفضة قدر الرُبية الهندية . وفي رجب توفي ببير العزب العارف أحمد بن علي العنسي ، وكان له معرفة متوسطة في الفروع على قواعد المذهب ، وولي القضاء من الإمام المتوكل رحمه الله ، ولم يثبت في منصبه في خلافة الإمام . وفي جمادى الآخرة توفي السيد العارف علي بن لطف الله بن المطهر بالروضة ، وكان له يد مباركة في تدريس الموشح ، ولا يخلو عن إلمام بكثير من الفنون وله شعر متوسط . وفي هذه الأيام توجه جمال الإسلام علي بن أحمد ، إلى نجران لاستخلاص مطالب البلاد ، فتغلب أهلها عليها فناجزهم كما هو الشرع ، وذهب من الفريقين إحدى عشر نفراً .

وفي شعبان مات بصنعاء [٦٤] القاضي العارف محمد بن علي الشظبي ، كانت معرفته في الفقه ، وحكم بدولة المؤيّد بالله محمد بن القاسم بكوكبان ، واستمر كذلك شطر من دولة المتوكل على الله ثم رُفع عن القضاء ، وانتقل إلى صنعاء ولزم بيته ، وكان حافظاً لكتب أجداده ، وهو ممن أخذ عن العلامة محمد بن عز الدين المفتي بصنعاء في دولة جعفر باشا .

وفيه مات الفقيه عبد الله بن حسين بن يوسف بظفير حجة ، كان عارفاً للتصريف والنحو مدرساً فيها ، وأصله من بلد القذف بحجة لكنه دخل والده

---

(١) ثلاثة: (ثلثه).

(٢) المفاليس: المفلسين.

الظفير خوفاً من سطوة الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر، أيام دولته بحجة ولما وصل الظفير أخرب بيته الأمير. وفي آخر شعبان طلع الى حضرة الإمام بحصول دفع الخا السيد العلامة الحسن بن المطهر الجرموزي، وفي آخر رمضان جاءت الأخبار بوصول متسلّم جُدّه للباشا الآخر وصحبته اثني عشر مركباً من الطعام، وتبعها مثلها في أزواد العسكر. وفي آخر شوّال قبض الأمير علي بن حسين الجوفي بصنعاء عقيب طلوعه من الجوف فقبر في حوطة جده المطهر ابن الشويع بخزيمة غربي صنعاء، وكان إليه الزاهر وأعماله، وفي ذي القعدة مات السيد العالم يحيى بن أحمد بن صلاح الشرفي، بالشاهل من بلاد الشرف وهو مستقره وأهله، وهو من محترقة الشيعة، وله رسائل ومسائل تدل على أنه من أهل الإدراك، والعرفان بمحل رحمه الله. وفي ذي القعدة أخذت دُهمة من برط قافلة في الطريق الغربية من العمشية، واتفق بينهم وبين العصيمات قتال ذهب فيه من العصيمات ثلاثة أنفار، مع جنايات في الجميع وشاركهم في ذلك بنورهم من سفيان، وكان قد تكرر منهم نظائر لهذه الفعلة كما مضى فبرّز عليهم الإمام في آخر ذي الحجة.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ وَأَلْف -

في نصف محرم توفي القاضي العلامة صالح بن محمد العياني العنسي بصنعاء، أخذ عن عمه القاضي أحمد بن صالح، والعلامة عبد الرحمن الحيمي، وغيرهما وَرَحَلَ الى مكة فسمع بها البخاري، والموطا، وأكثر صحيح مسلم على الشيخ العلامة محمد بن علي بن علان الشافعي المكي، وله قرأة قديمة على العلامة الحسين ابن القاسم، والعلامة محمد بن عزّ الدين المفتي، وكان لطيف الطبع، سهل الحال كثير المباحثة في الفنون، ولو لمن هو دونه ورأيته بآخر مدته يملي شرح غاية السول على الفقيه العلامة الحسن بن محمد المغربي، بمسجد داود[1]، وقبر بخزيمة غربي

(١) مسجد داود: من المساجد العامرة في وسط صنعاء بالقرب من سوق البقر، عمره الشيخ داود بن المكين في نحو القرن السابع (مساجد صنعاء، ص٥١).

صنعاء، وله شعر فيه لطف وحلاوة، ومن شعره ما كتب على ضريح شيخه القاضي أحمد بن صالح [٦٥].

إذا غُصت في لجج المشكلات ... وباعي في السّبح باع قَصِير
فمن ذا بحبلٍ لـه التوي ... إلى الله أدعو ونعم النّصير
شيوخي مضوا واحداً واحداً ... إلى دار عدل ونعم المصير
مضى أحمد قدوة العارفين ... كريم النجاد عديم النضير

وفي هذه الأيام انكسرت جلبة بباب جُدّة فيها حجاج وبضائع، وتبعها أخرى فانكسرت بما فيها ومن فيها، وهلك الجميع غير من كان قد خرج عنها، وفي العشر الآخرة من صفر توفي السيد العارف عماد الدين يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بشهارة، بعد عوده من الحج، وكان في الحفظ آية باهرة. وفي هذا الشهر توفي السيد الفاضل العارف عبد الله بن مهدي الكبسي في بحر جُدّة أثناء عوده من الحج والزيارة، فغسل وكفن وأرسب رحمه الله، قالوا وكان في حياته يذكر وحشة القبر ويدعوا الله في ذلك، وكان صاحب ذكاء ويد قوية في الفروع، مشاركاً في كثير من العلوم، وسمع حصة من شرح الرضي على العلامة الحسن بن محمد المغربي فسّح الله في مدّته.

وفي آخر ربيع الأول وصل أوّل المراكب الهنديّة الى المخا وكان قد تلقاهم أصحاب العماني بباب المندب فعشروهم فيه. وفي تاسع ربيع الآخر وصل إلى عز الإسلام محمد بن المتوكل على الله مندوب علي باشا معه هدية سنيّة، وبعد ثمانية أيام أعاده بجواب حَسَن، ومكافأة أَحْسَنَ.

وفي نصف الشهر جدّ الإمام على التجهيز إلى البلاد البرطية، وكان قد ضربت أوطقته بالرحبة، بمكان يسمى ببير الدرج بحدود بني الحارث وهمدان، فجهز بعد ذلك عز الإسلام محمد بن الإمام المتوكل، وولده شرف الدين الحسين ابن المهدي، وولد ولد عمه الأمير أحمد بن محمد صاحب البستان، فساروا إلى عيان ثم استقروا هنالك، وطالعوا المشايخ مع المكاتبة إلى القاضي علي العنسي،

والسيد محمد بن علي، فوصل المشايخ بوصول القاضي، ومعهم ضيافة الأمراء، وتأخر السيد الداعي محمد بن علي، وبعد ذلك طالبهم بالحاصل فيما مضى فاعتذروا بجهلهم للفاعل، فتقدم إلى المراشي بمن إليه من الأمراء، ووصل السيد الداعي محمد بن علي، واتفق عند ذلك وفاة القاضي علي بن قاسم العنسي، وهو حاكم تلك الجهة، وبعد أيام نزل عز الإسلام إلى عيان، وفي أول شعبان استدعاه الإمام وقد حصل جمهور المرام، وفي عشرين خلت من جمادي توفي بالروضة السيد العالم الذكي، أحمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله، وكان قد لقي عز الإسلام [٦٦] عند عوده من البون خارجاً من السودة، وبعد أيّام تقدم إلى حضرة الإمام فأصابه شبه البِرْسام(١)، وله اليد الطولى في نصرة الإمام باطناً وظاهراً. وفي هذا الشهر وصل الخبر من عامل عدن الشيخ راجح يقول فيه بأنه وصل إلى سواحل عدن مركب من «ماشلي فتان»، وأن أهله تخوفوا جند العماني، فبعثوا إليه في جوف الليل في أن يمدهم بالرجال، ويعضدهم بالأبطال، ففعل ما قالوا فلما استقر المركب بالهنود، ومن فيه من الجنود، لم يشعروا بعد الصباح إلا بجند العماني وقد وثبوا عليهم في زي عجيب وأخذوا يجرّون المركب بالكلاليب، فواثبهم عند ذلك الويل، ولم يشعروا أن الأمر قد قضي بليل، وتناوشتهم منايا الرصاص، ونادوا ولات حين مناص، وانجلاء أمرهم عن قتل خمسة وعشرين رجلاً وانكسر الباقون، ولمّا عرف العمانيون عجزهم، وطلعت الثريا فجراً عادوا بلادهم اختياراً وقسراً ولله الحمد.

وفي ثالث عشر جمادى الأولى، وصل خبر من شرف الدين الحسن بن المتوكل، من بندر اللحية يذكر فيه وصول علي باشا بمن معه من العسكر والأتباع، إلى بندر اللحية في سنجق وخيول، ونوبة وطبول، وهو الذي كان مبوّشاً من صاحب الأبواب، على الحبشة فخرج عنها هارباً لأسباب اقتضت ذلك.

---

(١) البِرْسام: التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب (المنجد، ص٣٤).

وفي هذه الأيام فتحت كنيسة اليهود بصنعاء بعد أن كان الإمام أمر بسمرها، وأخرج ما فيها من كتبهم، وأريق الخمر الذي كان بمخزانها، في مصالحها، وأمر بخروج اليهود فخرجوا أرسالاً، وباعوا ما نفق من بيوتهم، وخربوا ما لم ينفق، وخربت الكنيسة، وراجع عز الإسلام، محمد بن المتوكل فيها لتقدمها كما في تاريخ الرازي، وغيره فصمّم الإمام على ذلك المرام، فهدمت وعمر مكانها المسجد المعروف اليوم بمسجد الجلاء[1]، وكُتب في طرازه للقاضي العلامة محمد بن إبراهيم السحولي.

إمامنـا المهدي شمس الهُدى　　أحمد سبـط القـائم القاسم
لـه كرامـات سمـت لم تكن　　لهـا دوي قبـل أو قاسمِ
لو لم يكن منهـا سوى نفيـه　　يهود صنعـاء أخبـث العَالمِ
وجعلـه بيعتهم مسجـداً　　لساجـدٍ لله أو قـائمِ
قـد فـاز بالأمر بـه غانمـاً　　واتفـق التاريـخ في غـانم[2]

وفي هذه الأيام نزل من السماء ببلاد حجة برد، وزن كل حبة ستة أرطال، وفي نصف رجب توفي الحكيم محمد لطفي، بن الأمير الحرار بمدينة صنعاء، وكان من معرفته الأسباب والعلامات بمحل جيد. وفي هذه الأيام وصل إلى صنعاء الشريف العالم إسماعيل بن إبراهيم الرومي الحنفي الحسيني، في هيكل [٦٧] الدراويش، وترك كتبه بزبيد وبحث معه جماعة من أهل العلم بصنعاء فوجدوه عارفاً في عامة الفنون، وفي فقه الحنفيّة، وهو صنو وزير السلطان محمد بن إبراهيم.

وفي عشرين من شعبان انتقل الإمام الى بير زاهر ثم سار بعد ذلك الى الغراس، وفي عاشر رمضان توفي بصنعاء الفقيه العارف علي بن محمد سلامة،

---

(١) مسجد الجلا: من مساجد صنعاء العامرة بالقرب من السايلة، عمره الإمام المهدي بعد هدم الكنيسة، كما هو مذكور.. (مساجد صنعاء، ص٤٢).

(٢) غانم: مجموع أحرفها سنة ١٠٩١.

وكان في المدة السابقة موازراً للآغا عبد الله المعافا صاحب سودة شظب، ثم لما زالت دولة الباشا حيدر عن صنعاء أقبل على طلب العلم بها ولزم حضرة المولى جمال الدين، علي بن المؤيد بالله، وكتب له الإنشاء وله مؤلفات في الفقه وأصوله غالبها نقل، ولم يقض له الحظّ بتداول شيء منها، ورأيت له شرحاً على الفُصُول ليس هُناك، رحمه الله.

وفي النصف الآخر من شعبان ظهرت نار عظيمة، في الجبل المقابل للمخا المسمّى سُقَار بالسين المهملة المضمومة، والقاف المعجمة، تلتهب بالجمر، وترمي بشررها إلى البحر، وتَصعدُ في السماء كالمنارة العظيمة، ويراها من في الجبال البعيدة كاجبال وصاب، وفي النهار يرى دخانها كالسّحاب، وتعقب ذلك زلازل بالمخا، وأحرق قدر نصفه، ودخل عامله السيد الحسن، وأولاده البحر تخوفاً من ذلك. وفي أول شوّال أحدث الله مطر أطفأها، وكان قد اتفق في المائة الثامنة ظهور نار عظيمة في الجبال السّبعة بين كمران ودهلك، تُرى من جبال سُردد، كحفاش وملحان، وتعقبها ما حصل من القتال العظيم باليمن، ونار قرب المدينة النبوية بالحجاز تأكل الحجر ولا تأكل الشجر، وقد وعد بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعقبها فتنة التتار، وفي ثاني عشر شوال توفي بصنعاء السيد العارف غوث الدين بن يحيى بن غوث الدين بن مطهر[1] بن الإمام شرف الدين، وكان ناسكاً مشاركاً لا يخلوا عن التدريس والإشتغال بخاصة نفسه رحمه الله، أخذ عن العلامة المفتي، والفقيد أحمد بن سعيد الهبل، وكان قد لقي كثيراً من العلماء المتقدمين، مثل العلامة الحاضري، والقاضي إبراهيم بن الحسين السحولي، وغيرهما، وجاء خبر المدينة المحمية هذه الأيام، وفيه أنه اتفق افتراق بين عسكر السلطنة، وقتل بسبب ذلك حاكم الشرع الأفندي، فأطفى سعير الفتنة السنجق دار بحضرة مصر، وفتك ببعض ومحا بعضاً عن دفتر المعالم السلطانية، وفي هذا

---

(١) مطهر: كذا، هو المطهر بن الإمام شرف الدين.

الشهر وصل الخبر بأن سلطان بن سيف، ملك العمانيين قُبض ببلاده، وقَعَد في كرسي ملكه بعض أولاده.

قال المؤلف حفظه الله في نسخته المنقولة هذه منها من خطّه، والى هنا انتهى الجزء الثاني من طبق الحلوى، وصحاف المن والسلوى، بتاريخ خامس محرّم من شهور سنة مائة وألف وثمانية عشر، على يد جامعه الفقير، عبد الله بن علي الوزير، سامحه الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، انتهى كما وجد في الأم بلفظه[٦٨].

فهارس الكتاب

المراجع التي استعملت في تحقيق الكتاب

١ - القرآن الكريم.
٢ - أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: هدية الزمن، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠.
٣ - إسماعيل أبي الفداء، عماد الدين: المختصر في أخبار البشر، الجزء الأول، دار المعرفة بيروت. دون تاريخ.
٤ - الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض ١٩٧٤.
٥ - الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الإكليل، الجزء الأول، تحقيق محمد بن علي الأكوع، بغداد ١٩٧٧.
٦ - الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الإكليل، الجزء الثاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٦.
٧ - حسين بن علي الويسي: اليمن الكبرى، القاهرة ١٩٦٢.
٨ - حسين بن فيض الله الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، طبع دمشق. دون تاريخ.
٩ - حمد الجاسر: مجلة العرب، الجزء ١ و٢ السنة التاسعة أغسطس سبتمبر ١٩٧٤، الرياض.
١٠ - خير الدين الزركلي: الأعلام، تسعة أجزاء، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٦٩.

١١ -سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٤.

١٢ -عبد الله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء. دون تاريخ.

١٣ -عمر بن علي بن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨١.

١٤ -مجلة دراسات يمنية، العدد الأول ١٩٧٨/٩/١٥، مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء.

١٥ -محمد بن أحمد الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، الطبعة الثانية. بيروت ١٣٩٨ هـ.

١٦ -محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، بيروت ١٩٧٣.

١٧ -محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع، المجلد الأول والثاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت. دون تاريخ.

١٨ -محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، الجزء السادس عشر، بيروت ١٩٨١.

١٩ -محمد علي الأكوع: اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية ١٩٨٢.

٢٠ -محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثاني والثالث والثامن، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧١.

٢١ -محمد بن محمد زبارة: نزهة النظر، تحقيق ونشر مركز الدراسات والبحوث اليمنية، الطبعة الأولى ١٩٧٩.

٢٢ -محمد بن محمد زبارة: نشر العرف، المجلد الأول والثاني، القاهرة ١٣٧٦ هـ.

٢٣ -محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، عشرة مجلدات، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت. دون تاريخ.

٢٤ -المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الرابعة والعشرون، بيروت ١٩٨٠.

٢٥ -ندوة الدراسات العمانية «حصاد»، المجلد السادس، وزارة التراث القومي والثقافة عمان، مطابع سجل العرب ١٩٨١.

٢٦ -نشوان بن سعيد الحميري: منتخبات في أخبار اليمن، نسخ وتصحيح عظيم الدين خان، الطبعة الثانية دمشق ١٩٨١.
٢٧ -هنس ستفسن: خارطة الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط صنعاء ١٩٧٧.
٢٨ -ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، خمسة مجلدات، بيروت ١٩٧٧.
٢٩ -يوسف بن يحيى بن الحسين: نسمة السحر فيمن تشيع وشعر، الجزء الثاني، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء مودع تحت رقم ٢٠١ تاريخ.
٣٠- World Travel Map MIDDLE EAST. Printed and published in Great-Britain-1977.

[الكتب المذكورة في متن الكتاب]

فهرس الأعلام الواردة في متن الكتاب

(ب)

(ت)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(هـ)

(ي)

فهرس القبائل والفرق والشعوب التي وردت في متن الكتاب

فهرس الأماكن المذكورة في متن الكتاب

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ص)

(ض)

(ي)